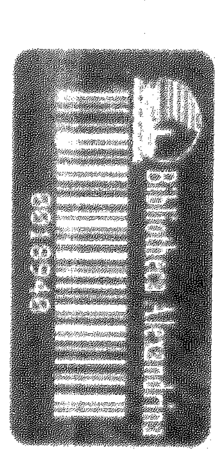
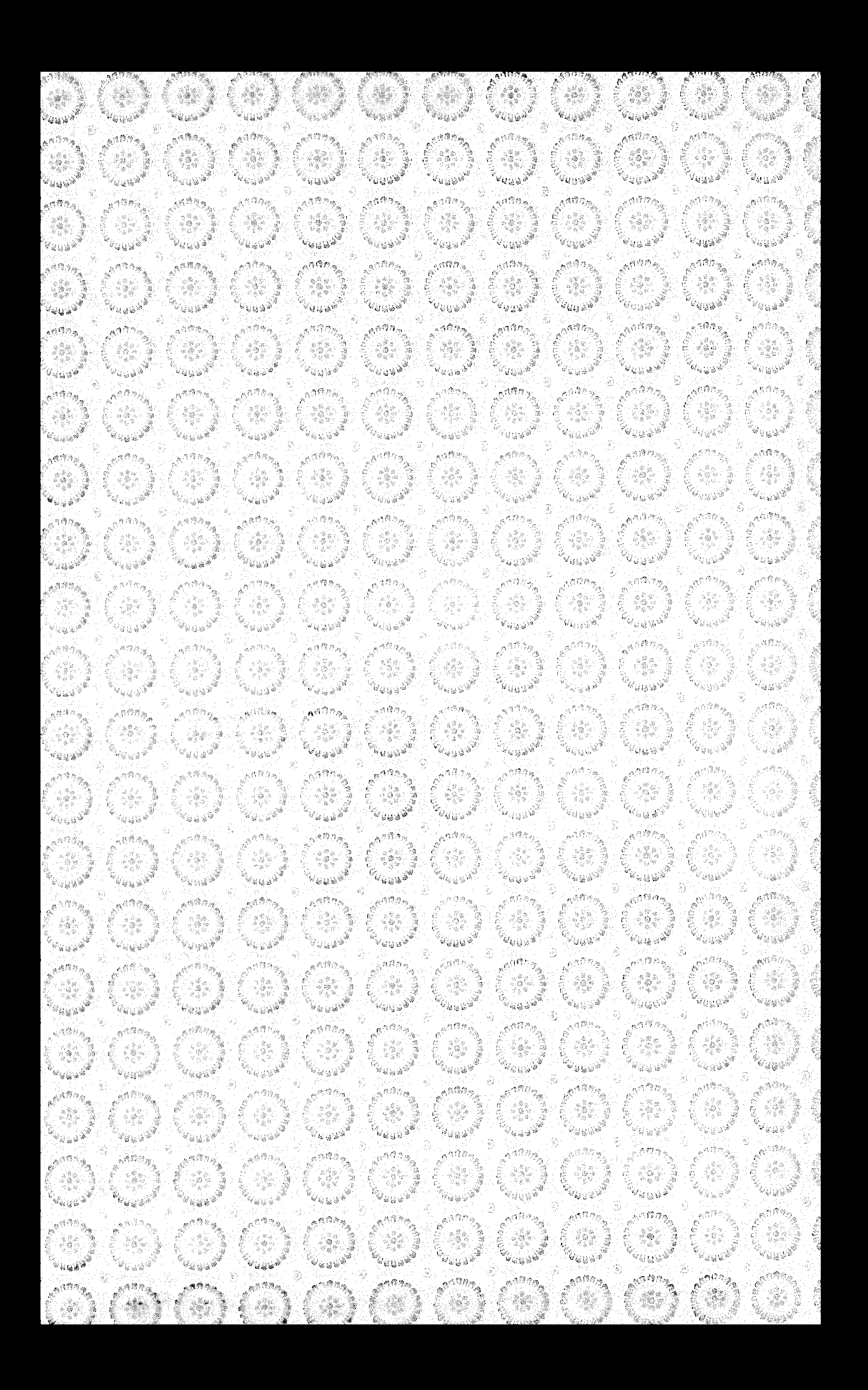
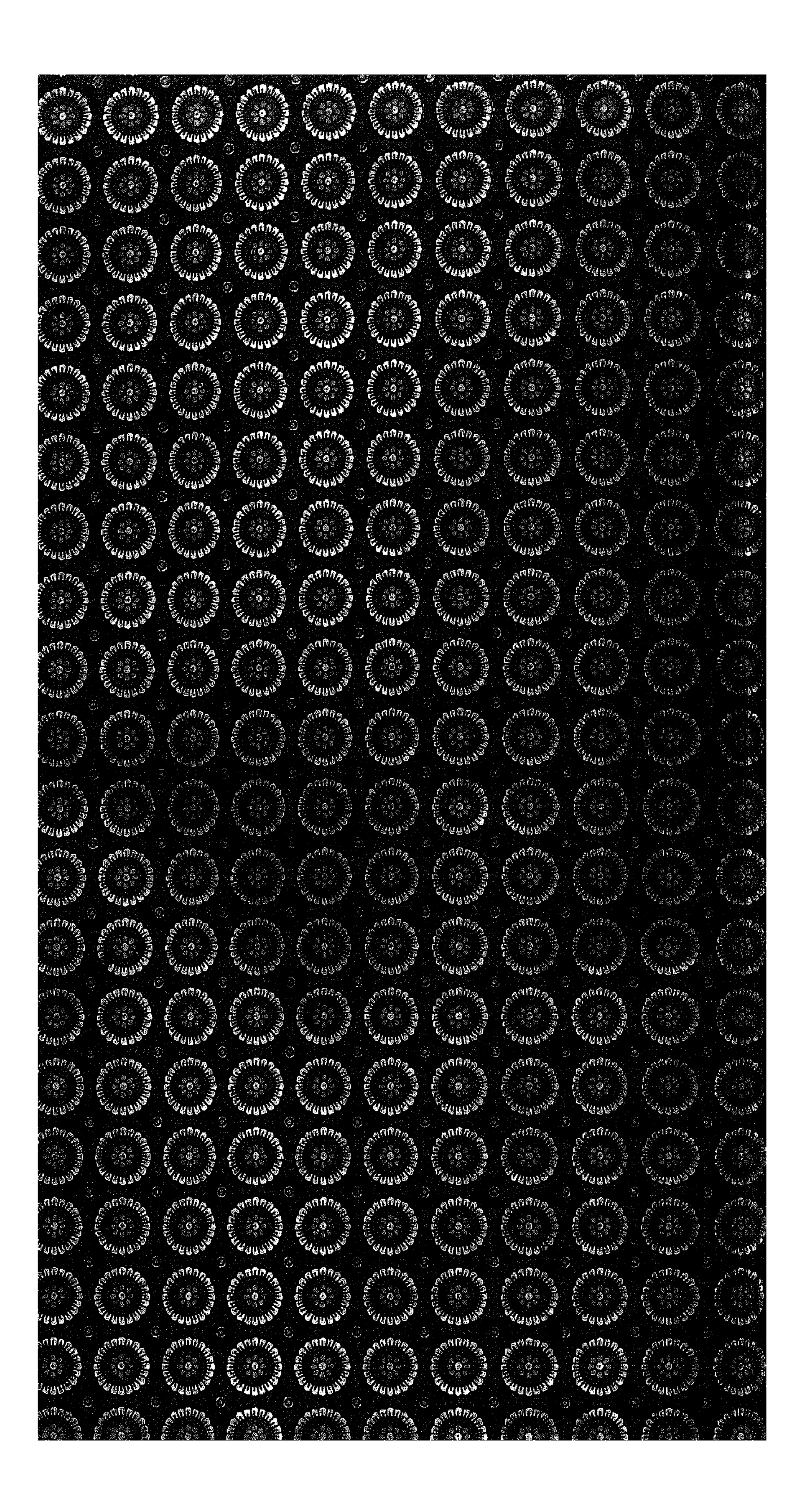






دار الكتب المصرية
القسم الأدبى



تأليف

أبى الفرج الأصفهانى

الجزء الثانى عشر



القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار الأعشى وبنى عبد المدان، وأخبارهم مع غيره[1]

كان الأعشى قدريا ولبيد مجبرا

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهيثم بن عَدِىّ عن حمّاد الراوية عن سِمَاك بن حَرْب عن يونس ابن مَتّى راويةِ الأعشى قال :

كان لَبِيدٌ مُجْبِرًا[2] حيث يقول :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدَى * ناعِمَ البالِ ومَنْ شاء أَضَلّْ

وكان الأعشى قَدَرِيًّا[3] حيث يقول :

---

(١) فى ب ، س : «وأخباره مع غيرهم» . ولم يرد هاهنا من أخبار الأعشى مع غير بنى عبد المدان شىء ؛ وكل ما ورد من أخباره مع بنى عبد المدان أنه كان يفد إليهم كل سنة فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر . وفى الأصول الخطية : « وأخباره مع غيره » . وقد صححنا العنوان بما يلائم الوارد هنا .

(٢) المجبر : الذى يقول بالجبر ، وهو عند أهل الكلام إسناد أفعال العبد إلى الله سبحانه إيجادا وتأثيرا . ويقول الجبرية : إنه لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

(٣) فى الأصول هنا : « مثبتا » وهو تحريف ؛ فإن المثبت من يثبت القدر ، وهو تحديد كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضرر ، وما يحويه من زمان ومكان ، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب ؛ ومآل ذلك إلى الجبر ؛ فالمثبت والمجبر سواء . وقد ورد فى ترجمة الأعشى (ج ٩ ص ١١٣ من هذه الطبعة) : « كان الأعشى قدريا ، وكان لبيد مثبتا » .

والقدرى : من ينكر القدر أى ينكر أن يكون الله قد قدّر على عباده شيئا من خير أو شر ، وإنما ذلك موكول إلى إرادتهم وقدرتهم ؛ فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها . وفى كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى نقلا عن شرح المواقف : « والقدر يطلق عند أهل الكلام على إسناد أفعال العباد إلى قدرتهم ؛ ولذا يلقب المعتزلة بالقدرية » .

اِسـتأثر اللهُ بالـوفاء (١) وبالْ * عَـدْلِ وولّى المَلامـةَ الرَّجُلَا

فقلت له: من أين [أخذ] (٢) هذا؟ فقال: أخذه من أساقفة نَجْرانَ. وكان يعود فى كلّ سنةٍ إلى بنى عبد المَدَانِ، فيمدَحُهم ويُقيم عندهم يشرب الخمرَ معهم وينادمهم، ويسمَع من أساقِفة نَجْرانَ قولَهم؛ فكلُّ شيءٍ فى شعره من هذا فمنهم أخذه.

خبر أساقفة نجران مع النبي

خبر أساقفة نجران مع النبيّ صلى الله عليه وسلم

٥

فأمّا (٣) خبر مباهلتهم (٤) النبيَّ صلّى الله عليه وسلم، فأخبرنى به علىّ بن العبّاس بن الوليد البَجَلِىُّ المعروف بالمَقَانِعِىّ (٥) الكوفىّ قال أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليَسَع الهَمْدانى قال حدّثنا عبد الله بن موسى عن أبى حمزة عن شَهْر بن حَوْشَب. قال بكّار وحدّثنا إسماعيل بن أبَانٍ العامرىّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ عن أبيه عن جدّه عن علىّ عليه السلام، وحديثه أتمّ الأحاديث، وحدّثنى [به] (٦) جماعة آخرون بأسانيدَ مختلفةٍ وألفـاظ تزيد وتنقص: فمن حدّثنى به (٧) علىّ بن أحمد بن حامد التميمىّ قال حدّثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدّثنا حسن بن حسين عن حيّان بن على [عن] (٦) الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عبّاس، وعن الحسن بن الحسين

١٠

(١) كذا فى ديوان شعر الأعشى وفى ترجمة الأعشى فيما تقدّم (جزء ٩). وفى جـ: «بالربا» وفى الأصول هنا: «بالبقاء».

١٥

(٢) زيادة عن ترجمة الأعشى فيما مضى.

(٣) فى ط، م: «وأما».

(٤) المباهلة: الملاعنة.

(٥) كذا فى ط، جـ. وفى م: «المقايعى». وفى سائر الأصول: «اليافعى» وكلاهما تحريف. والمقانعى: نسبة إلى المقانع جمع مقنعة وهى الخمار. والمشهور بها أبو الحسن علىّ بن العباس بن الوليد البجلىّ ... وقد توفى بعد شوال سنة ست وثلاثمائة. (عن كتاب الأنساب للسمعانى).

٢٠

(٦) زيادة عن ط، م.

(٧) فى الأصول: «بها».

عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علىّ بن أبى رافع عن أبيه عن جدّه عن أبى رافع . وأخبرنى علىّ بن موسى الحِمْيَرىّ فى كتابه قال حدّثنا جَنْدَلُ بن وَالِق(١) قال حدّثنا محمد بن عمر عن عبّاد الكَلْبىّ(٢) عن كامل أبى العلاء عن أبى صالح عن ابن عبّاس . وأخبرنى أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدّثنا أبى(٣) قال حدّثنا حُصَيْن بن مُخارِق عن عبد الصمد بن علىّ عن أبيه عن ابن عبّاس . قال الحصين وحدّثنى أبو الجارود وأبو حمزة الثُّمَالىّ عن أبى جعفر ، قال : وحدّثنى حُمَيْد(٤) بن سالم وخليفةُ بن حسان عن زيد بن علىّ عليه السلام . قال حصين وحدّثنى سعيد بن طَرِيف عن عِكْرِمةَ عن ابن عباس . وممن حدّثنى [أيضا](٥) بهذا الحديث علىّ ابن العباس عن بكّار عن إسماعيل بن أبَان عن أبى أُوَيْس المدنىّ(٦) عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابنى الحسن . وممن حدّثنى به أيضا محمد بن الحسين الأُشْنَانىّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدىّ قال حدّثنى يحيى بن سالم عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام(٧) . وممن أخبرنى به أيضا الحسين(٨) بن حمدان بن أيوب الكوفىّ عن محمد بن عمرو الخشّاب عن حسين الأشقر عن شَرِيك عن جابر عن أبى جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبىّ ، واللفظ للحديث الأوّل . قالوا :

(١) كذا فى ط ، م . وفى بعض الأصول : « والف » وفى بعضها : « وائق » تحريف .
(٢) فى بعض الأصول : « الكلبى » ، وهو قول فى نسبته .
(٣) فى ط ، م : « سعيد » ولم نهتد إليه .
(٤) كذا فى ط ، ب ، م . وفى سائر الأصول : « أحمد » .
(٥) زيادة فى ط ، م .
(٦) فى بعض الأصول : « الرق » تحريف .
(٧) فى ط ، م : « رحمه الله » .
(٨) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « الحسن » ولم نهتد إليه .

قَدِمَ وَفْدُ نصارَى نَجْران[1] وفيهم الأُسْقُفُ، والعاقِب وأبو حَبَشٍ[2]، والسَّيِّدُ، وقيس، وعبد المسيح، وابن عبد المسيح[3] الحارث وهو غلام — وقال شهر بن حَوْشَب فى حديثه: وهم أربعون حِبْرًا[4] — حتى وقفوا على اليهود فى بيت المِدْرَاس[5]، فصاحوا بهم: يابنَ صُورِيَّا يا كَعْبُ بن الأشرف، انْزِلُوا يا إخوةَ القُرود والخنازير. فنزلوا إليهم؛ فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً [قد غَلَبكم!][6] أَحْضِرُوا المُمْتَحِنةَ [لِنَمْتَحِنه][6] غدًا. فلمّا صلّى النبىُّ صلّى الله عليه وسلم الصبحَ، قاموا فبركوا

(١) فى الأصول: «لمّا قدم صهيب من نجران ... الخ» وظاهر ما فيه من تحريف.
على أن فى بعض الأسماء التى وردت هنا اختلافا عما ورد فى كتب السيرة والتاريخ. ففى كتاب السيرة النبوية لابن هشام (ص ٤٠١ طبعة أوربا): «قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، فى الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر ابن وائل ... وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحنس، فى ستين راكبا ... الخ».
وفى الطبقات لابن سعد (الجزء الأوّل، القسم الثانى ص ٨٤ طبع ليدن): «وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران، فخرج إليه وفدهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم نصارى، فيهم العاقب وهو عبد المسيح رجل من كندة، وأبو الحارث بن علقمة رجل من بنى ربيعة، وأخوه كرز، والسيد وأوس ابنا الحارث، وزيد بن قيس، وشيبة — فى السيرة (نبيه) كما تقدّم — وخويلد، وخالد، وعمرو، وعبيد الله. وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم: العاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذى يصدرون عن رأيه، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم، والسيد وهو صاحب رحلتهم ... الخ».
(٢) فى ط، م: «والعاقب أبو حبش».
(٣) فى ط، م: «وعبد المسيح وابن عبد المسيح وابن عبد المسيح الحارث ...».
(٤) فى الأصول: «أحبارا» تحريف.
(٥) بيت المدراس هنا: البيت الذى يتدارس اليهود فيه كتابهم.
(٦) زيادة فى ط، م.

بين يديه ، ثم تقدّمهم الأُسْقُفّ فقال : يا أبا القاسم ، موسى مَنْ أبوه ؟ قال : عِمْرانُ . قال : فيوسفُ مَنْ أبوه ؟ قال : يَعْقُوبُ . قال : فأنتَ مَنْ أبوك ؟ قال : أبى عبدُ الله بنُ عبد المطَّلب . قال : فعيسى مَنْ أبوه ؟ فسكت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وآله ؛ فآنقضّ عليه جبريلُ عليه السلامُ فقال[(1)]: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ فتلاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنزا[(2)] الأُسْقُفّ ثم دِيرَ به مَغْشِيًّا عليه ؛ ثم رفع رأسه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال [له][(3)] : أتزعُم أنّ الله جلّ وعلا أوحى إليك أنّ عيسى خُلِق من تراب ! ما نَجِدُ هذا فيما أُوحى إليك، ولا نجده فيما أُوحى إلينا ؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أُوحى إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ . فقال[(4)] : أنصفتَنا يا أبا القاسم ، فمتى نُباهِلُك ؟ فقال : بالغداة إن شاء الله تعالى . وآنصرف النصارى ، وآنصرفتِ اليهودُ وهى تقول : واللهِ ما نُبَالِى أيَّهما أهلك الله الحَنِيفيَّة أوِ النَّصْرانيّة . فلمّا صارتِ النصارى إلى بُيوتها قالوا : والله إنّكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، ولئن باهلناه إنّا لنخشى أن نَهْلِكَ ، ولكن آستقِيلُوه لعلّه يُقيلُنا . وغَدَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الصُّبح وغدَا معه بعلىٍّ وفاطمةَ والحَسَنِ والحُسَين صلواتُ الله عليهم . فلمّا صلّى الصبح ، آنصرف فآستقبل الناسَ بوجهه ، ثم برك بارِكاً ، وجاء بعلىٍّ فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفَيْه ، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه ، وجاء بحُسَيْنٍ فأقامه عن يساره . فأقبلوا

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « وقال » .
(٢) نزا : وثب . (٣) زيادة عن ط ، م .
(٤) كذا فى ط ، م . ومرجع الضمير الأسقف . وفى سائر الأصول : « فقالوا » .

يستترون بالخُشُب والمَسْجد فَرَقًا أنْ يبدأَهم بالمُباهلة إذا رآهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا : يا أبا القاسم، أقِلنا أقالك الله عَثْرَتَك . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: نعم — قال : ولم يُسْأَلِ النبيُّ صلّى الله عليه وسلم شيئًا قَطُّ إلّا أعطاه — فقال : قد أَقَلْتُكم [فَولَّوْا] (١) . فلمّا وَلَّوْا قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : « أَمَا والّذى بَعَثَنى بالحقّ لو باهلتُهم ما بَقِى على وجه الأرض نَصْرانىٌّ ولا نَصْرانية إلّا أهلكهم الله تعالى » . وفى حديث شَهْر بن حَوْشَب أنّ العاقب وثب فقال : أُذَكِّرُكم الله أن نُلَاعِنَ هذا الرجل ! فوالله لئن كان كاذبًا ما لَكُمْ فى مُلَاعنته خيرٌ، ولئن كان صادقا لا يَحُولُ الحَوْلُ ومنكم نافخُ ضَرَمة (٢) . فصالحوه ورجعوا .

خبر قبة نجران

وأمّا خبرُ القُبّة الأَدَم التى ذكرها الأعشى فأخبرنى بخبرها عمّى وحبيبُ بن نصر المُهَلّبىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى علىّ بن عمرو الأنصارىّ عن هشام بن محمد عن أبيه قال :

كان عبد المسيح بن دَارِس بنِ عَدِىِّ بن مُعَيْقِرٍ (٣) من أهل نَجْرانَ، وكانت له قُبّة من ثلاثمائة جِلْدِ أَدِيم، وكان على نهر بنَجْرَان يقال النُّحَيْرِدانُ (٤) . قال: ولم يأتِ القُبّةَ خائفٌ إلّا أَمِن، ولا جائعٌ إلا شَبِع، وكان يَسْتَغِلّ من ذلك النهر عشرةَ آلاف دينار،

(١) زيادة عن ط، م .

(٢) الضرمة : الجمرة ؛ يقال : ما فى الدار نافخ ضرمة، أى ما فيها أحد .

(٣) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : «معيفر» بالفاء . وفى معجم البلدان (جـ ٤ ص ٧٥٦): « عبد المسيح بن دارس بن عدىّ بن معقل » .

(٤) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : « البجيروان » .

[وكانت القُبّة تستغرق ذلك كله] . وكان[1] أوّلَ[2] من نزل نجران[3] من بنى الحارث بن كعب يزيدَ بن عبد المَدان [بن الدَّيّان . وذلك أنّ عبد المسيح بن دارِس زوّج يزيدَ بنَ عبد المدان] ابنتَه[1] رُهَيْمةَ ، فولدتْ له عبدَ الله بن يزيد ؛ فهم بالكوفة . ومات عبدُ المسيح ، فانتقل مالُه إلى يزيد ؛ فكان أوّلَ حارثىٍّ حلَّ فى نَجْـرانَ . وفى ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة : ٥

فكعبةُ نجرانَ حَتْمٌ علَيْـ * ـكِ حتّى تُناخِى بأبوابِها

نزورُ يزيدَ وعبدَالمسيح * وقيساً هُمُ خيرُ أربابِها

خطب يزيد بن عبد المدان وعامر ابن المصطلق بنت أمية بن الأسكر فزوّجها ليزيد

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنى عمّى عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حدّثنى بعضُ بنى الحارث بن كعب، [و] أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد][1] قال حدّثنى عبد الله بن الصَّبّاح عن ابن الكلبىّ عن أبيه قال : ١٠

اجتمع يزيدُ بن عبد المَدان وعامرُ بن الطُّفَيْل بمَوْسِمِ عُكَاظ ، وقدِم أُميةُ بن الأسكر الكِنانىُّ ومعه ابنةٌ[4] له من أجمل أهل زمانها ، فخطَبها يزيدُ وعامرٌ . فقالت أُمّ كِلابٍ امرأةُ أُميّةَ بنِ الأسكر : مَنْ هـذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيدُ بن عبد المدان بن الديّان ، وهذا عامرُ بن الطُّفَيْل . فقالت : أعرِف بنى الديّان ولا أعرف عامرا . فقال : هل سَمِعتِ بمُلاعِب الأسِنّة[5] ؟ فقالت نعم . قال : فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيد فقال : يا أُمية ، أنا ابن الديّان[6] صاحبُ الكَثِيب[7] ، ١٥

(١) التكملة عن ط ، جـ ، م . (٢) فى ط ، م : «ثم كان» . (٣) فى ط ، م : «حل نجران» . (٤) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «وتبعته ابنة له» .
(٥) هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سمى بملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

فلاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتيبة أجمع

(٦) فى بعض الأصول : «إن ابن الديان» تحريف . (٧) كذا فى ط ، جـ ، م . والكثيب هنا : موضع بساحل بحر اليمن . وفى سائر الأصول : «صاحب الكتيبة» تحريف . ٢٠

ورَئيس مَذحِج ، ومُكَلِّم العُقاب ، ومَنْ كان يُصَوِّب أصابعَه فتَنْطِفُ[١] دماً ، ويَدْلُك راحتيه فتُخْرِجان ذَهَبًا . فقال أُمَيَّة : بَخٍ بَخٍ . [فقال عامر : جَدِّى الأَحْوَمُ ، وعمِّى مُلاعِبُ الأسِنَّة ، وأبى فارسُ قُرْزُل . فقال أمية : بَخْ بَخْ !][٢] مَرْعًى ولا كالسَّعْدان[٣] . فأرسلها مثلا . فقال يزيد : يا عامرُ ، هل تَعلَم شاعراً من قومى رَحَل[٤] بِمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللّهمّ لا . قال : فهل تعلم أنّ شعراء قومك يرحَلون بمدائحهم إلى قومى ؟ قال : اللّهمّ نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكْنٌ يمانٍ ؟ قال لا . قال : فهل مَلَكْنَاكم ولم تَمْلِكونا ؟ قال نعم . فنهَض يزيد وأنشأ يقول :

أُمَىَّ يابنَ الأسكرِ بنِ مُدْلِجِ * لا تَجْعَلَنْ هَوَازِنًا كَمَذْحِجِ
إنّك إنْ تَلْهَجْ بأمرٍ تَلْجَجِ * ما النبع فى مَغْرِسه كالعَوْسَجِ[٥]
* ولا الصَّرِيحُ[٦] المحضُ كالمُمَزَّجِ *

قال : فقال مُرّةُ بن دُودان النُّفَيْلىّ[٧] وكان عدوًّا لعامر :

يا ليت شِعْرِى عنك يا يزيدُ * ماذا الّذى مِنْ عامرٍ تُرِيدُ

(١) تنطف : تقطر .
(٢) التكملة عن ط ، م . وقرزل : فرس لطفيل بن مالك أبى عامر بن الطفيل .
(٣) السعدان : نبت ، ومنابته السهول . وهو من أنجع المراعى فى المال ولا تحسن على نبت حسنها عليه . وهو أخثر العشب لبنا . وإذا خثر لبن الراعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم . وهذا المثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله . وقد ذكرته الخنساء بنت عمرو بن الشريد فى بعض كلامها فقيل إنها أوّل من قاله ، وقيل : هو لامرأة من طيئ . (عن مجمع الأمثال بتصرف) .
(٤) فى ب ، س : « سار » .
(٥) النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ، ينبت فى قلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .
(٦) الصريح : الخالص من كل شيء .
(٧) كذا فى ط ، م . وفى جـ ، أ : « النقلى » . وفى ب ، س : « السلمى » ولم نهتد إلى الصواب فيه .

لِكُلِّ قومٍ نَخْرُكم عَتِيدُ * أَمُطْلَقُون[1] نحنُ أم عَبِيدُ

* لا بل عَبِيدٌ زادُنا الهَبِيدُ[2] *

قال: فزوّج أُمية يزيدَ بنَ عبد المَدَان ٱبنته. فقال يزيد فى ذلك:

يا لَلرِّجالِ لِطَارقِ الأَحزانِ * ولِعامرِ بنِ طُفَيْلٍ الوَسْنانِ

كانت إتاوةُ قومِهِ لِمُحَرِّقٍ[3] * زمنًا وصارتْ بعدُ لِلنُّعْمانِ

عَدَّ الفَوَارِسَ من هَوَازِنَ كُلِّها * فخرًا علىَّ وجِئتُ بالدَّيّانِ

فإذا لِىَ الشَّرَفُ المُبِينُ[4] بوالدٍ * ضَخْمِ الدَّسِيعةِ[5] زانَنى ونَمَانى

يا عامِ إنّك فارسٌ ذو مِيعةٍ[6] * غَضُّ الشَّبابِ أخو نَدًى وقِيَانِ

وٱعلمْ بأنك يٱبنَ فارسِ قُرْزُلٍ * دون الذى تَسعَى له وتُدَانى

ليست فوارسُ عامرٍ بِمُقِرَّةٍ * لكَ بالفضيلةِ فى بنى عَيْلانِ[7]

فإذا لَقِيتَ بنى الحَمَاسِ ومالكٍ * وبنى الضِّباب وحىَّ آلِ قَنَانِ[8]

فٱسألْ عن الرَّجُلِ المُنَوَّهِ بٱسمِه * والدافعِ الأعداءَ عن نَجْرانِ

يُعْطَى المَقَادةَ فى فوارسِ قَوْمِه * كَرَمًا لَعَمْرُكَ والكريمُ يَمَانِى

فقال عامرُ بن الطُّفَيْل:

عَجَبًا لواصِفِ طارقِ الأَحزانِ * ولِمَا يَجِىءُ به بنو الدَّيّانِ

(١) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «أمطمعون» وهو تحريف.

(٢) الهبيد: حب الحنظل.

(٣) محرق، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدىّ ويقال له المحرق الأكبر، وعمرو بن هند ويقال له المحرق الثانى. ولقب به أيضا الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام.

(٤) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «المتين».

(٥) الدسيعة هنا: العطية.

(٦) كذا فى ط، م، أ. وميعة كل شىء: أوّله. وفى سائر الأصول: «ذو منعة».

(٧) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «بنى غيلان» بالغين المعجمة، تصحيف.

(٨) الحماس، والضباب، وقنان: قبائل من مذحج.

نَخَـرُوا علىَّ بحِبْـوةٍ لِمُحَـرِّقٍ (١) * وإتاوةٍ سِيقتْ إلى النُّعْمانِ
ما أنتَ وابنُ مُحَـرِّقٍ وقَبِيلُهُ * وإتاوةُ اللَّخْمِىِّ فى عَيْلانِ (٢)
فاقْصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِكَ قُصْرةً (٣) * ودَعِ القبائلَ من بنى قَحْطانِ
إنْ كان سالفةُ الإتاوةِ فيكمُ * أوْلا ففخرُكَ فخرُ كلِّ يمانى
وافخَرْ برَهْطِ بنى الحِماسِ ومالكٍ * وبنى الضِّباب وزَعْبَلٍ (٤) وقَنانِ (٥)
فأنا المُعَظَّمُ وابنُ فارسِ قُرْزُلٍ * وأبـو بَـراءٍ زاننى ونَمانى
وأبو جُزَىْءٍ ذو الفَعَالِ ومالكٌ * مَنَعا الذِّمارَ صَباحَ كلِّ طِعانِ
وإذا تَعاظَمتِ الأمورَ هَوازنٌ * كنتُ المُنَوَّهَ باسمِه والبانى

طاب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بنى الديان فأبى

فلمّا رجع القوم إلى بنى عامر، وثَبُوا على مُرَّةَ بن دُودانَ وقالوا له : أنت من بنى عامر، وأنت شاعرٌ، ولم تَهْجُ بنى الدَّيَّان ! فقال مُرّةُ :

تُكَلِّفُنى هوازنُ فخرَ قومٍ * يقولون : الأنامُ لنا عبيدُ
أبونا مَذْحِجٌ وبنو أبيهِ * إذا ما عُدَّتِ الآباءُ هُودُ (٦)
وهل لِى إن فَخَرْتُ بغير حقٍّ * مَقالٌ والأنامُ لهم شُهودُ
فأنَّى تَضْرِبُ الأعلامُ (٧) صَفْحًا * عن العَلْياء أم مَنْ ذا يَكِيدُ (٨)
فقولوا يا بنى عَيْلانَ كُنّا * لهم قِنًّا (٩)، فما عنها مَحِيدُ

(١) الحبوة (مثلثة الحاء) : العطية . (٢) راجع الحاشية السابعة فى الصفحة السابقة .
(٣) كذا فى ط، ح، م . يقال هو ابن عمى قصرة (بفتح القاف وضمها) أى دانى النسب . وفى سائر الأصول : « نصرهم » وهو تحريف . (٤) فى بعض الأصول : « ورعبل » بالراء المهملة . ولم نهتد إليه . وقد سموا زعبلا ورعبلا . (٥) فى بعض الأصول : « وقيان » تصحيف .
(٦) هود : جمع هائد ، وهو الراجع إلى الحق . (٧) فى بعض الأصول : « الأعمال » .
(٨) فى أ ، ب ، س : « تكيد » وهو تصحيف . والمعنى : كيف يضرب الأعلام المشهورون صفحا عن العلياء ويعرضوا عن السعى إليها مع أن ذلك سجية فيهم ! أم من ذا يكيد عدوّه إذا لم يكد هؤلاء الأعلام عدوّهم ! يصفهم بأنهم ذوو مكارم وقوة ، ويقول : قوم هذا شأنهم كيف السبيل إلى هجوهم والنيل منهم !
(٩) القن : العبد ملك هو وأبواه ، يطلق على المفرد والجمع ، أو يجمع أقنانا وأقنة .

محاورة ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان والقيسيين

وقال آبنُ الكلبىّ فى هذه الرواية: قَدِم يزيدُ بن عبد المَدَان وعمرُو بن معد يكرب ومَكْشُوحٌ المُرَادىّ على آبن جَفْنَةَ زُوَّاراً[1]، وعنده وجوهُ قَيْس: مُلاعِبُ الأسِنَّة عامرُ بن مالك، ويزيدُ بن عَمْرو بن الصَّعِق، ودُرَيْد بن الصِّمَّة. فقال آبن جفنة ليزيد بن عبد المَدَان: ماذا كان يقول الدَّيَّان إذا أصبح فإنه كان دَيَّاناً[2].

فقال: كان يقول: آمنتُ بالذى رَفَع هذه (يعنى السماء)، ووَضَع هذه (يعنى الأرض)، وشَقَّ هذه (يعنى أصابعه)، ثم يَخِرُّ ساجدًا ويقول: سَجَد وَجْهى لِلّذى خَلَقه[3] وهو عاشمٌ[4]، وما جَشَّمَنى من شىءٍ فإنّى جاشم. فإذا رفع رأسه قال:

إنْ تَغفِرِ اللّهمّ تَغْفِرْ جَمّا * وأىُّ عَبْدٍ لك ما أَلَمّا[5]

فقال آبن جَفْنَةَ: إنّ هذا لذو دِين. ثم مال[6] على القيسيين وقال: أَلا تحدِّثونى عن هذه الرياح: الجَنُوب والشَّمَال والدَّبُور والصَّبَا والنَّكْبَاء، لِمَ سُمِّيتْ بهذه الأسماء؛ فإنه قد أعيانى عِلْمُها؟ فقال القوم: هذه أسماءٌ وجدنا العربَ عليها لا نعلَم غير هذا فيها. فضحِك يزيدُ بن عبد المَدَان ثم قال: يا خيرَ الفِتْيان، ما كنتُ أَحْسَبُ أنّ هذا يسقُط[7] علمه على هؤلاء وهم أهل الوَبَر. إنّ العرب تضرب أبياتَها[8] فى القِبْلة مَطْلَعَ الشمس، لِتُدْفِئهم فى الشّتاء وتزولَ عنهم فى الصيف. فما هَبَّ من الرِّياح عن يمين البيت فهى الجنوب، وما هَبَّ عن شِماله فهى الشَّمَال، وما هَبَّ من أمامه فهى الصَّبَا، وما هَبَّ من خَلْفه فهى الدَّبُور، وما آستدار من الرياح بين هذه الجهات فهى النَّكْبَاء. فقال آبن جفنة: إنّ هذا لَلْعِلْمُ يآبنَ عبد المَدَان، وأقبل

١٤٧ / ١٠

(١) فى ط، م: «فلقوا عنده». (٢) المناسب من معانى الديان هنا: الحاكم والسائس والقاضى. (٣) فى ط، م، أ: «لمن خلقه». (٤) العاشم: الطامع. (٥) فى ط، ج، م: «وكل عبدلك قد ألما». وألم: باشر اللمم أى صغار الذنوب. (٦) فى ط، م: «ثم أقبل على ...». (٧) كذا فى جميع الأصول الخطية، بتضمين «يسقط» معنى «يخفى». وفى ب، س: «يسقط علمه عن». (٨) فى ط، حـ، م: «أبنيتها».

سأل ابن جفنة القيسيين عن النعمان ابن المنذر فعابوه فرد عليهم يزيد

على القيسيِّين يسألهم عن النُّعمان بن المُنْذِر، فعابوه وصغّروه . فنظر آبنُ جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يابنَ عبد المدان ؟ فقال يزيد[1] : يا خيرَ الفِتْيان ، ليس صغيرًا مَنْ مَنَعَك العراقَ ، وشَرِكَك فى الشام ، وقيل له : أبَيْتَ اللَّعْنَ ، وقيل لك : يا خيرَ الفِتْيان ، وألفَى أباه مَلِكًا كما ألفيتَ أباك ملكا ؛ فلا يَسُرَّنْكَ مَنْ يَغُرُّك ؛ فإنّ هؤلاء لو سألهم عنك النُّعمانُ لقالوا فيكَ مثل ما قالوا فيه . وآيْمُ اللهِ ما فيهم رجلٌ إلّا ونِعْمةُ النُّعْمان عنده عظيمة ! فغَضِب عامرُ بن مالك وقال له : يابنَ الديّان ! أمَا والله لَتَحتَلِبَنَّها[2] دمًا ! فقال له : ولِمَ ؟ أَزِيدَ فى هَوَازِنَ[3] من لا أعرِفه ؟ فقال : لا ! بل هم الذين تَعْرِف . فضحك يزيدُ ثم قال : ما لَهُم جَرْأَةُ[4] بنى الحارث ، ولا فَتْكُ مُرَاد ، ولا بَأْسُ زُبَيْد ، ولا كَيْدُ جُعْفِىٍّ[5] ، ولا مُغَارُ طَيِّئ . وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيرًا قطُّ ، ولا اشتهينا حُرَّةً[6] قط ، ولا بكينا قتيلًا [حتى][7] نُبِىءَ[8] به . وإنّ هؤلاء لَيَعْجِزُون عن ثأرهم ، حتى يُقْتَلَ السَّمِىُّ بالسمىّ ، والكَنِىُّ بالكَنِىّ ، والجارُ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المَدَان فيما كان بينه وبين القيسيِّين شعرًا غَدَا به على آبن جَفْنَة :

تَمَالَا على النُّعمانِ قومٌ إليهمُ * مَوَارِدُه فى مُلْكِه ومَصَادِرُهْ
على غيرِ ذنبٍ كان منه إليهمُ * سِوَى أنّه جادتْ عليهم مَوَاطِرُه
فباعَدَهُمْ مِن كلِّ شَرٍّ يَخَافُه * وقرّبهم من كلِّ خيرٍ يُبادِرُه
فظَنُّوا وأعراضُ الظنون[9] كثيرةٌ * بأنّ الّذى قالوا من الأمرِ ضائِرُه
فلم ينقُصوه بالّذى قيلَ شَعْرَةً * ولا فُلِّلَتْ أنيابُه وأظافرُه

(١) فى ط ، م : « فقال له يزيد » . (٢) كذا فى ط ، ج ، م . وفى ب ، س : «لنحتلبن» . بالنون والحاء . وفى أ : «لتجتلبن» بالتاء والجيم . (٣) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «ولو أريد فى هوازن» وهو تحريف . (٤) فى ط ، ج ، م : «جمرة» . والجمرة : الكثرة والعدد . (٥) فى بعض الأصول : «جعف» ، وهو تحريف . (٦) فى ط ، م : «ولا استهنا حرة» . ولعلها : «امتهنا حرة» . (٧) التكملة من ط ، م . (٨) أباء القاتل بالقتيل : قتله به . (٩) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « المنون » وهو تحريف .

وللحارثُ الجَفْنِيُّ أعلمُ بالذى * يَنُوءُ[1] به النُّعمانُ إن خَفَّ طائرُه

فيا حارِ كَمْ فيهم لِنُعْمانَ نِعْمةٌ * من الفضل والمَنِّ الذى أنا ذاكِرُه

ذُنوبًا عفا عنها ومالًا أفادَه * وعَظْمًا كسيرًا قَوَّمَتْه جَوابِرُه

ولو سَالَ عنك العائبين[2] آبْنُ مُنْذِرٍ * لقالوا له القولَ الذى لا يُحَاوِرُه[3]

٥ قال : فلمّا سمِع آبنُ جَفْنةَ هذا القولَ عظُم يزيدُ فى عينه[4]، وأجلسه معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عطيّة لم يُعْطِها أحدًا ممن وفَدَ عليه قطُّ .

استشفع جذامى إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له

١٤٨
―
١٠

فلمّا قرَّب يزيدُ ركائبَه ليرتحلَ سمِع صوتًا إلى جانبه، وإذا هو رجلٌ يقول :

أَمَا مِنْ شفيعٍ من الزائرين * يُحِبّ الثَّنا زَنْدُه ثاقبُ[5]

يُريد آبنُ جفنةَ إكرامَه * وقد يمسَح الضَّرَّةَ الحالبُ

١٠ فيُنْقِذَنى من أظافيره * وإلّا فإنّى غدًا ذاهبُ

فقد قلتُ يومًا على كُرْبةٍ * وفى الشَّرْب[6] فى يَثْرِبٍ غائبُ

ألَا ليتَ غسّانَ فى مُلْكِها * كلَخْمٍ، وقد يُخْطِئُ الشاربُ

وما فى آبن جَفْنةَ من سُبّةٍ * وقد خَفَّ حِلْمِى[7] بها العازبُ

كأنّى غريبٌ من الأبْعَدِينَ * وفى الحَلْقِ مِنّى شَجًا ناشبُ

١٥ (١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « يبوء به النعمان إن جف » تصحيف . يقال : خف طائر فلان إذا استخف وآستفز . والوارد فى كتب اللغة : طار طائر فلان . ويقال فى ضد ذلك : وقع طائر فلان ، وسكن طائره ، وفلان ساكن الطير ، إذا كان وقورا . يقول إن الحارث الجفنى أعلم الناس بما ينهض به النعمان ويقوم به من الأعمال إن استفزه مستفز وأغضبه .

(٢) كذا فى م ، أ . وفى سائر الأصول : « الغائبين » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

٢٠ (٣) كذا فى جـ أى لا يراجعه . وفى ط ، م : « لا يجاوره » بالجيم . وفى سائر الأصول : « لا يحاذره » . (٤) فى ط : « فأجلسه » . (٥) ثقوب الزند ووريه : كناية من الكرم وغيره من الخصال المحمودة . (٦) الشرب (بالفتح) : جماعة الشاربين .

(٧) كذا فى ط ، م . وفى ب ، سـ : « وقد خف حملا بها الغارب » . وفى سائر الأصول : « حلمى » مثل ط ، م ، غير أن فى جـ : « الغارب » وفى أ : « القارب » تصحيف .

فقال يزيدُ: علىَّ بالرجل، فأُتِىَ به. فقال: ما خَطْبُكَ؟ أنت تقول هذا الشعر؟ قال: لا! بل قاله رجلٌ من جُذَامَ جفاه ٱبن جَفْنةَ، وكانت له عند النُّعمان منزلةٌ(١)، فشَرِب فقال على شرابه شيئا أنكره عليه ٱبنُ جفنة فحبسه، وهو مُخْرِجهُ غدًا فقاتِلهُ. فقال[له](٢) يزيد: أنا أُغنيك(٣). فقال له: ومن أنت حتى أعرِفَك(٤)؟ فقال: أنا يزيد بن عبد المَدَان. فقال: أنتَ لها وأبيك؟ قال: أَجَلْ! قد كفيتُك أمْرَ(٥) صاحبك، فلا يَسْمَعنَّك أحدٌ تُنْشِد هـذا الشعر. وغدَا يزيد على ٱبن جَفْنةَ ليُوَدِّعه؛ فقال له: حيَّاك الله يا ٱبن الديَّان! حاجتَك. قال: تُلحِقُ قُضَاعةَ الشأْم [بغسّانَ](٦)، وتُؤْثِرُ مَنْ أتاك من وفود مَذْحِجٍ، وتَهَبُ لى الجُذَامىّ الذى لا شفيعَ له إلّا كرمُك. قال: قد فعلتُ. أمَا إنِّى حبستُه لأَهَبَه لسيِّد أهل ناحيتك، فكنتَ(٧) ذلك السيِّدَ، ووَهَبه له. فٱحتمله يزيدُ معــه، ولم يزل مُجاوِرًا له بنَجْرانَ فى بنى الحارث بن كعب. وقال ٱبن جَفْنةَ لأصحابه: ما كانت يمينى لِتَفِيَ إلا بقتــله أو هِبَتِه لرجلٍ من بنى الديّان؛ فإنّ يمينى كانت على هذين الأمرين. فعظم بذلك يزيدُ فى عين أهل الشأْم(٨) ونَبُه ذِكره وشرُف.

استغاث هوازنى يزيد فى فك أسر أخيه فأغاثه

وقال ٱبن الكلبىّ فى هــذه الرواية عن أبيه: جاورَ رجلان من هَوازِنَ، يقال لهما عمروٌ وعامر، فى بنى مُرّةَ بن عَوْف بن ذُبْيان، وكانا قد أصابا دمًا فى قومهما. ثم إنّ قيس بن عاصم المِنْقَرِىّ أغار على بنى مُرّة بن عوف بن ذبيان، فأصاب عامرًا أسـيرًا فى عِدّة أُسارَى كانوا عند بنى مُرّة، فَفَدَى كلُّ قومٍ أسيرَهم من قيس بن

(١) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «فقال له» بزيادة «له».
(٢) زيادة عن ط، م.
(٣) أغنيك أى أكفيك هذا الأمر الذى يشق عليك. وفى ا: «أعينك».
(٤) فى ط، جـ، م: «ومن أنت أعرفك».
(٥) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «أمره». (٦) هذه الكلمة ساقطة فى ب، س.
(٧) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «وكنت» بالواو.
(٨) فى ط، جـ، م: «فعظم بذلك يزيد فى يمن الشام».

عاصمٍ وتركوا الهَوازِنىّ، فاستغاث أخوه بوجوه بنى مُرّة : سِنانِ بن أبى حارثة والحارثِ بن عوف والحارثِ بن ظالمٍ وهاشم بن حَرْملة والحُصَيْن بن الحُمَام فلم يُغيثوه، فركب إلى موسم عُكَاظَ، فأتى مَنازلَ مَذْحِجَ ليلاً فنادى :

دعوتُ سنانًا وٱبنَ عوفٍ وحارثًا * وعالَيتُ دَعْوَى بالحُصَيْنِ وهاشِمِ

٥ أُعَيِّرهم[1] فى كلّ يومٍ وليلةٍ * بتَرْكِ أسيرٍ عند قيس بن عاصم

حَليفِهِمُ الأَدْنَى وجارِ بيوتِهم * ومَنْ كانَ عما سرَّهم غيرَ نائم

فَصَمُّوا وأحداثُ الزمانِ كثيرةٌ * وكَمْ فى بنى العَلّاتِ[2] من مُتَصامِمِ

فيا ليتَ شِعْرِى مَنْ لإطلاقِ غُلِّهِ * ومَنْ ذا الذى يَحْظَى به فى المَوَاسِمِ

قال : فسمع صوتًا من الوادى ينادى بهذه الأبيات :

١٠ أَلَا أَيُّهذا الّذى لم يُجَبْ * عليكَ بحَىٍّ يُجَلِّى الكُرَبْ

عليكَ بذَا الحىّ من مَذْحِجٍ * فإنّهمُ للرِّضَا والغَضَب

فنادِ يزيدَ بنَ عبدِ المَدَانِ * وقَيْسًا وعمرَو بنَ مَعْدِ يكَرِب

يَفُكُّوا أخاكَ بأموالِهمْ * وأَقْلِلْ بمثلِهمُ فى العَرب

أُولاكَ الرءوسُ فلا تَعْدُهُمْ * ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذَّنَب!

١٥ قال : فٱتّبع الصوتَ فلم يرَ أحدًا، فغدَا على المكشوح، وٱسمُه قَيْس بن عبد يَغُوثَ المُرادىّ، فقال له : إنِّى وأخى رجلانِ من بنى جُشَمَ بنِ مُعاوية أصَبْنا دمًا فى قومنا، وإنّ قيس بن عاصم أغار على بنى مُرّة وأخى فيهم مُجاوِرٌ فأخذه أسيرًا ، فاستغثتُ بسِنَانِ بن أبى حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثونى . فأتيت المَوْسِم لاصيبَ به من يَفُكّ أخى ، فانتهيت إلى مَنازل مَذْحِجَ،

١٤٩ / ١٠

٢٠ (١) كذا فى ط ، جـ ، م . وفى سائر الأصول : « أعيذهم » وهو تحريف .
(٢) بنو العلات : بنو أمهات شتى من أب واحد .

فناديتُ بكذا وكذا ، فسَمِعت من الوادِى صوتاً أجابنى بكذا وكذا ، وقد بدأتُ بك لِتَفُكّ أخى . فقال له المكشوح : والله إنّ قيسَ بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطُّ ولا هو لى بجارٍ ، ولكن آشْتَرِ أخاك منه وعلىّ الثمن ، ولا يمنعْك غَلاؤه[1] . ثم أتى عمرو بن معْدِيكرب فقال له مثلَ ذلك ؛ فقال : هل بدأتَ بأحدٍ قبلى ؟ قال : نعم ! بقيس المكشوح[2] . قال : عليكَ بمن بدأتَ به . فتركه ، وأتى يزيد بنَ عبد المَدَان فقال له : يا أبا النَّضْر ، إنّ من قِصَّتى كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أَبْعَثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإنْ هو وهَب لى أخاك شكرتُه ، وإلا أغرتُ عليه حتى يَتَّقِينى بأخيك ؛ فإنْ نِلتُها وإلّا دفعتُ إليك كلَّ أسير من بنى تميم بنَجْرانَ فاشتريتَ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسَلَ يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

يا قيْسُ أَرْسِلْ أسيرًا من بنى جُشَمٍ * إنِّى بكلِّ الذى تأتى به جازى

لا تأْمَنِ الدَّهْرَ أن تَشْجَى بغُصّتهِ * فَٱخْتَرْ لنفسك إحْمادِى وإعْزازِى

فَٱفْكُكْ أخا منْقَرٍ عنه وقُلْ حَسَنًا * فيما سُئِلتَ وعَقِّبْهُ بإنجازِ

قال : وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إياها ، ثم قال [له][3] : يا أبا علىّ ، إنّ يزيدبن عبدالمَدَان يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنّ المعروف قُروض ، ومع اليوم غدٌ ، فأطْلِقْ لى هذا الجُشَمِىَّ ؛ فإنّ أخاه قد استغاث بأشراف بنى مُرّة[4] وبعمرو بن معديكرب وبمكشوح مُرادٍ[5] فلم يُصِبْ عندهم حاجتَه فاستجار بى . ولو أرسلتَ إلىّ فى جميع أُسارَى مُضَرَ بنَجْرانَ لقضيتُ حقَّك . فقال

(١) فى ط ، م : « ولا يمنعنك منه غلاء » . (٢) فى الأصول هنا بقيس بن المكشوح : « بزيادة ابن » تحريف . (٣) زيادة فى ط ، م . (٤) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « فقد استعان بأشراف بنى جشم » . (٥) كذا فى ط ، ج . ومكشوح هنا مضاف إلى قبيلته مراد . وفى سائر الأصول : « وبمكشوح بن مراد » تحريف .

قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بنى تميم : هذا رسولُ يزيدَ بنِ عبدالمَدَان سيِّد مَذْحِج وآبنِ سيِّدها ومن لا يزال له فيكم يدٌ، وهذه فُرصةٌ لكم، فما تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى أن نُغْلِيَه عليه وتَحكُمَ فيه شَطَطًا[1]، فإنه لن يخذُلَه أبدًا ولو أتى ثمنُه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أمَا تخافون سِجالَ الحروب ودُوَلَ الأيّام ومجازاةَ القُروض ! فلمّا أَبَوْا عليه قال : بِيعُونيه ، فأغلَوْه عليه ، فتركه فى أيديهم ، وكان أسيرًا فى يد رجل من بنى سعد ، وبعث إلى يزيدَ فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أنّ الأسير لو كان فى يده أو فى بنى مِنْقَر[2] لأخذه وبعث به ، ولكنه فى يد رجل من بنى سَعْد . فأرسل يزيد إلى السعدىّ أن سِرْ إلىّ[3] بأسيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به السعدىُّ يزيدَ بن عبد المدان ، فقال له : آحتكِم . فقال : مائةُ ناقة ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنّك لَقصيرُ الهِمّة قريبُ الغِنَى جاهلٌ بأخطار بنى الحارث . أمَا والله لقد غَبَنْتُك يا أخا بنى سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتى ثمنُه على جُلِّ أموالنا ، ولكنكم يا بنى تميم قومٌ قِصارُ الهِمَم . وأعطاه ما آحتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْران .

أغار عبد المدان على هوازن فى جماعة من بنى الحارث فهزموا بنى عامر

وقال آبن الكلبىّ : أغار عبدُ المَدَان على هَوازِنَ يوم السَّلَف[4] فى جماعةٍ من بنى الحارث بن كعب ، وكانت حُمَتُه[5] على بنى عامر خاصّة . فلمّا التقى القومُ حَمَل على وَبَرِ[6] بن مُعاوية النُّمَيْرىّ فصرَعه ، وثَنَّى بطُفَيْل بن مالك فأجْرَه الرمحَ[7] ، وطار به فرسُه قُرْزُلٌ فنجا ، وآستحرّ القتلُ فى بنى عامر ، وتَبِعتْ خيلُ بنى الحارث مَن آنهزم من

(١) الشطط : مجاوزة القدر فى بيع أو طلب . (٢) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « أو فى يد منقر » . (٣) فى ط ، ح ، م : « أن صر إلىّ » . (٤) السلف : مخلاف باليمن . (٥) كذا فى ط ، م . يريد : شدته . وفى سائر الأصول : « حمية » . ولعلها « وكانت حميته » أى حملته وشدته ؛ يقال : مضى فلان فى حميته أى حملته . (عن لسان العرب مادة حمى) .
(٦) كذا فى ط ، م ، وكذلك سيجىء فى الشعر . وفى سائر الأصول : « يزيد » وهو تحريف .
(٧) أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه يجره .

بنى عامر، وفى هذه الخيل عُمَيْرٌ[1] ومَعْقِلٌ وكانا من فُرسان بنى الحارث بن كعب ، فلم يزالوا بقيّة يومِهم لا يُبْقُون على شيء أصابوه . فقال فى ذلك عبدُ المَدَان :

عَفَا من سُلَيمى بطنُ غَوْلٍ فَيَذْبُلُ[2] * فغَمْـرةُ فَيْـفُ الرِّيح فالمُتَنَخَّلُ[3]

ديارُ الّتى صاد الفؤادَ دَلالُها * وأَغرتْ[4] بها يوم النَّوى حين تَرْحَلُ

فإنْ تَكُ صَدّتْ عن هَوَاىَ وراعَها[5] * نَوازِلُ أحداثٍ وشيبٌ مُجَلِّلُ

فيارُبَّ خيلٍ قد هَدَيْتُ بِشِطْبةٍ[6] * يُعارِضُها عَبْلُ الجُزَارةِ هَيْكَلُ[7]

سَبوحٍ[8] إذا جالَ الحِزامُ كأنّه * إذا انجابَ[9] عنه النَّقْعُ فى الخيل أجْدَلُ

يُوَاغِلُ جُرْدًا[10] كالقَنَا حارثيّةً * عليها قَنَانٌ والحَمَاسُ وزَعْبَلُ[11]

مَعَاقِلُهم فى كلّ يومِ كريهةٍ * صدورُ العَوَالِى والصَّفِيحُ المُصَقَّلُ[12]

وزُغْفٌ من المَاذِىّ بِيضٌ كأنّها * نِهَاءٌ مَرَتْها بالعَشِيّاتِ شَمْأَلُ[13]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تلاحقتْ * فَوارِسُ يَهْدِيها عُمَيْرٌ ومَعْقِلُ

فجالتْ على الحىّ الكِلَابِىّ جولةً * فبَاكَرَهُم وِرْدٌ من الموتِ مُعْجَلُ

(١) فى بعض الأصول : « عميرة » . (٢) غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال . ولعله اسم لعدّة مواضع . و يذبل : جبل بنجد . (٣) غمرة ، وفيف الريح ، والمتنخل : مواضع . (٤) فى بعض الأصول : « وأعربنها » تحريف . (٥) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « فراعها » . (٦) الشطبة (بالكسر و يفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . (٧) عبل الجزارة : ضخم الأطراف ، وهى اليدان والرأس والرقبة . فاذا قيل فرس عبل الجزارة ، فانما يريدون اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ؛ لأن عظم الرأس فى الخيل هجنة ، والهيكل : المرتفع . (٨) السبوح من الخيل : الذى يسبح بيديه أى يمدّهما فى جريه . (٩) كذا فى ط ، م ، جـ . وفى سائر الأصول : « اذا انساب عند النقع » . والأجدل : الصقر . (١٠) يواغل بجردا : يداخلها . والجرد من الخيل : القصار الشعر ، وهو فى الخيل مدح . (١١) الحماس ، وقنان وزعبل : قبائل ، وقد تقدمت فى (ص ١٠) . (١٢) معاقلهم : حصونهم ، والعوالى : الرماح ، والصفيح المصقل : السيوف . (١٣) الزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة السلاسل . يقال : درع زغف وزغفة ، ودروع زغف . والماذى هنا : السلاح من الحديد . ونهاء : غدران ، واحدها : نهى (بكسر أوله وفتحه) . ومرتها ، يريد مرت عليها فجعدت متونها . وأصل المرى مسح الحالب ضرع الحلوبة لتدر . والشمأل : ريح الشمال .

فَغَادَرْنَ وَبْرًا تَحْجُلُ الطيرُ حولَه * ونجّى طُفَيْلاً فى العجاجة قُرْزُلُ
فلم ينجُ إلّا فارسٌ من رجالهم * يُخَفِّفُ[1] ركضًا خشيةَ الموت أعزلُ

وليزيد بن عبد المَدَان أخبارٌ مع دُرَيْد بن الصِّمَّة قد ذكرتْ مع أخبار دُرَيْد فى صَنْعة المُعْتضِد مع أغانى الخلفاء، فآستغْنِى عن إعادتها فى هذا الموضع .

أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنة وأخيه فلما مات رثته أختهما

أخبرنى علىّ بن سليمان قال أخبرنى أبو سعيد السُّكّرىّ قال حدّثنى محمد بن حبيب عن آبن الأعرابىّ وأبى عُبَيْدة وآبن الكلبىّ، قالوا :

أغار يزيد بن عبد المَدَان ومعه بنو الحارث بن كَعْب على بنى عامر، فأسر عامر بن مالك مُلاعِبَ الأسِنّة أبا بَرَاء وأخاه عَبِيدَةَ بن مالك ثم أنعم عليهما . فلمّا مات يزيد بن عبد المَدَان — وآسمُ عبد المَدَان عمرو، وكنيته أبو يزيدَ ، وهو آبن الديّان بن قَطَن بن زِياد بن الحارث بن مالك بن رَبيعةَ بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو — قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كِلَاب أُخت مُلاعِب الأسنّة ترثِى يزيدَ بن عبد المَدَان :

بكيتُ يزيدَ بن عبد المدا * نِ حَلّتْ به الأرضُ أثقالَهَا
شَرِيكُ المُلوكِ ومَنْ فَضْلُه * يَفضُلُ فى المجد أفضالَهَا
فَكَكْتَ أُسارَى بنى جَعْفَرٍ * وكِنْدةَ إذ نِلْتَ أقوالَهَا[2]
ورَهْطُ المُجَالِدِ قد جُلِّلتْ * فواضِلُ نُعْمَاكَ أجبالَهَا

وقالت أيضا ترثيه :

سأبكى يزيدَ بنَ عبد المَدَان * على أنّه الأحْلَمُ الأكرمُ
رِمَاحٌ من العَزْمِ مركوزةٌ * مُلوكٌ إذا بَرَزتْ تحكمُ

(١) فى ب، س : « يخفق » بالقاف، تصحيف . (٢) الأقوال : جمع قيل، وهو الملك عند أهل اليمن . أصله « قيول » وزان سيد، ويجمع أقوالا وأقيالا .

قال : فلامها قومُها فى ذلك وعيَّروها بأن بكتْ يزيدَ، فقالت زينب :

ألَا أيُّها الزارِى علىَّ بأنَّنِى * نِزَاريَّةٌ أبكِى كريمًا يمَانيَا

ومالِىَ لا أبكِى يزيدَ وردَّنِى * أَجُرُّ جَدِيدًا مِدْرَعِى ورِدَائيا

صـــوت

أطِلْ حَمْلَ(١) الشَّناءةِ لى وبُغْضِى * وعِشْ ما شِـئْتَ فانظُرْ مَنْ تَضِيرُ

إذا أبصرتَنى أعرضتَ عَـنِّى * كأنّ الشـمسَ من قِبَـلِى تَدُورُ

الشـعر لعبد الله بن الحَشْرَج الجَعْدىّ . والغنـاء لابن سريج ثقيـلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن الهِشامىّ .

---

(١) كذا فى ط ، حـ ، م . وفى سائر الأصول : « حبل الشناءة » .

أخبار عبد الله بن الحشرج

نسب عبد الله بن الحشرج وأخلاقه

هو عبدُ اللهِ بن الحَشْرَج بن الأَشْهَب بن وَرْد بن عَمْرو بن رَبيعةَ بن جَعْدَةَ ابن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ بن مُعَاوِيةَ بن بكر بن هَوازِنَ . وكان عبدُ الله بن الحشرج سَيِّدًا من سادات قَيْسٍ وأميراً من أمرائها ، وَلِيَ أكثرَ أعمالِ خُراسانَ ، ومن أعمال فارس، وكَرْمان. وكان جواداً مُمَدَّحاً. وفيه يقول زِيادٌ الأعجم[1]:

[إنّ السماحةَ والشَّجاعةَ والنَّدَى * فى قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

وله يقول أيضاً[2] :]

إذا كنتَ مُرْتادَ السَّماحةِ والنَّدَى * فسَائِلْ تُخَبَّرْ عن دِيارِ الأَشَاهِبِ

نسبه إلى الأَشْهَب جَدِّه . وفى بنى الأشهب يقول نابغةُ بنى جَعْدَةَ :

أبعـدَ فَوارِسِ يومِ الشُّـرَيْـ * ـفِ[3] آسَى وبعـدَ بنى الأَشْهَبِ

بعض أخبار أبيه وعمه زياد

وكان أبوه الحشرج بن الأَشهب سَيِّدًا شاعِرًا وأميرا كبيرا . وكان غَلَبَ على قُهِسْتانَ[4] فى زمن عبد الله بن خازم ، فبَعث إليه عبدُ الله بن خازمٍ المُسَيَّبَ بن أَوْفَى القُشَيْرِيَّ، فقتل الحَشْرَجَ وأخذ قُهِسْتان. وكان عمُّه زِيادُ بن الأَشْهب أيضًا شريفًا سَيِّدا، وكان قـد سار إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب — عليه السلام —

(١) هو زياد بن سليمان مولى عبـد القيس . كان ينزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه ، فقيل له الأعجم . كان شاعرا جزل الشـعر فصيح الألفـاظ على لكنة لسانه . (انظر ترجمته . فى ج ١٤ ص ١٠٢ من الأغانى طبع بلاق) .

(٢) كذا فى ط ، م . وهذه الزيادة ساقطة من ب ، سـ . وفى سائر النسخ مضطربة .

(٣) الشريف : ماء لبنى نمير . و يوم الشريف من أيامهم .

(٤) قهستان : (وأكثر ما تستعمل : قوهستان بالواو، وقـد تخفف بحذفها) : تطلق على عدّة مواضع ببلاد العجم ، والمشهور بهذا الاسم ناحية بين هراة ونيسابور .

يُصْلح بينه وبين مُعَاوية على أن يُوَلِّيه الشأمَ فلم يُجبْه . وفى ذلك يقول نابغةُ بنى جعدةَ يعتدّ على مُعاوية :

وقام زِيادٌ عند بابِ ٱبنِ هاشمٍ * يُريد صَلاحاً بينكم ويُقَرِّبُ

مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنى أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدّثنا العُمَرىّ عن عَطَاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال :

٥

جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتَان رجلٌ من قُشَيْر[1] يقال له قُدَامةُ ٱبن الأحرز[2]، فدخل عليه وأنشأ يقول :

أخٌ وٱبنُ عَمٍّ جاءكم مُتَحَرِّماً[3] * بِكُمْ فَارْأَبُوا[4] خَلّاته يا ٱبنَ حَشْرَجِ
فأنتَ ٱبنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدَافَعٍ * مَعَدًّا على رَغْمِ المُنُوطِ المُعَلْهَجِ[5]
فَبَرَّزْتَ[6] عفوًا إذْ جَرَيْتَ ٱبنَ حَشْرَجٍ * وجاء سُكَيْتاً كلُّ أعْقَدَ أَفْحَجِ[7]
سبقتَ ٱبنَ وَرْدٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ * بِجَدٍّ إذا حار[8] الأَضَامِيمُ مِمْعَجِ[9]

١٥٢ / ١٠

١٠

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « قريش » وهو تحريف .
(٢) فى ط ، م : « بن الأخزر » . ومن أسمائهم « الأخزر » و « الأحرز » .
(٣) كذا فى ط ، م . وفى ب ، س ، أ : « متحرزا » . وفى حـ : « متحريا » .
(٤) فى ب ، س : « فعطفا على خلاته » . وفى سائر الأصول : « بكم فاربؤا خلاته » . والخلة (بالفتح) : الحاجة والفقر . ورأبها : إصلاحها وسدّها .
(٥) المنوط : الدعىّ الذى ينتمى إلى قوم ليس هو من أصلهم . والمعلهج : الأحمق الهذر اللئيم ، والدعىّ ، والهجين الذى ولد من جنسين مختلفين .
(٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول محرّفة بين « فررت » و « فردت » .
(٧) السكيت (وتشدّد الكاف أيضا) : آخر خيل الحلبة . والأعقد : الملتوى الذنب . والأفحج : ذو الفحج ، وهو تدانى صدور القدمين وتباعد العقبين . يريد كل ناقص غير تام الخلق .
(٨) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول محرفة بين : « جاء » و « جاز » .
(٩) كذا فى ط ، م . وهذه الكلمة محرفة فى سائر الأصول بين « ممنج » و« سمنج » «وسمحج» . والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة فى المر . والأضاميم : الجماعات .

١٥

٢٠

بِوِرْدِ بن عَمْـــرٍ قُتَّهُــمْ إنّ مِثْـلَه * قليـلٌ ومَنْ يَشْرِ المَحَـامِدَ يَفْلُجِ (١)

هُوَ الواهِبُ الأموالِ والمُشْتَرِى اللُّهَا (٢) * وضَرّابُ رأسِ المُسْتَمِيتِ المُدَجَّجِ

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم، وقال : ٱعذرْنى يا ٱبن عمّى، فإنّى فى حالةٍ (٣) اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطُّلّاب، وأنت أحقّ مَنْ عَذَرنى . قال : والله لو لم تُعْطِنى شيئًا مع ما أعلَمه من جميل رأيك فى عَشِيرتك ومَنِ ٱنقَطَع إليك لعذرتُك، فكيف وقد أ. لتَ العطاء، وأرغمتَ الأعداء !

بلغه أن ابن عم له نال منه فقال فيه شعرا

وكان لابن الحَشْرَج ٱبنُ عَمٍّ يقول للقُشَيْرِىّ : ويحك ! ليس عنده خير، وهو يَكْذِبُك ويَمْلُذُك (٤) . فبلغ ذلك عبدَ الله بن الحشرج فقال :

أَطِلْ حَمْلَ (٥) الشَّناءةِ لى وبُغْضِى * وعِشْ ماشئتَ فانظُرْ مَنْ تَضِيرُ

فما بِيَـدَيْكَ خَـــيرٌ أرتَجِيـهِ * وغيرُ صُدُودِكَ الخَطْبُ (٦) الكَبِيرُ

إذا أبصرتَنى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمسَ من قِبَلِى تَدُورُ

وكيف تَعِيبُ من تُمْسِى (٧) فقيرًا * إليــه حين تَحْـزُبُك (٨) الأمــورُ

ومَنْ (٩) إنْ بِعْتَ منزلةً بأخرى * حَلَلْتَ بأمرِه وبه تَسِـــيرُ

(١) يفلج : يظفر . (٢) اللها : جمع لهاة، وهى فى الأصل اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والشاعر يكنى بها هنا عن الثناء والمديح .

(٣) فى ب، س، أ : «على حالة» .

(٤) فى ب، س : «يلهزك» تحريف . وملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسر من غير فعل .

(٥) فى الأصول هنا ما عدا ط، ح، م : «عمل» تحريف . (انظر الحاشية الأولى ص ٢٢) .

(٦) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : «الحرب» تحريف .

(٧) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : «تمشى» بالشين .

(٨) كذا فى ط، ح، م . وفى سائر الأصول : «تحزنك» بالنون، وهو تصحيف .

(٩) فى الأصول ما عدا ط : «وربما إن» تحريف .

أتزعم أننى مَلِذٌ كذوبٌ * وأنّ المكرُماتِ لدىَّ بُورُ[(١)]
وكيف أكون كذّابًا مَلُوذًا * وعندى يَطْلُبُ الفرجَ الضّرِيرُ
أُواسِى فى النّوائب من أتانى * ويُخْبِرُ بِى[(٢)] أخو الضُرّ الفقيرُ

كان يعطى كثيرا فلامته زوجه وأيدها صديق له فقال شعرا

اخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهيثم عن العمرىّ عن عطاء ابن مُصْعَبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال :

أعطى عبدُ الله بن الحَشْرَج بخُراسان حتّى أعطى مِنْشَفةً [كانت][(٣)] عليه وأعطى فِراشَه ولِحافَه . فقالت له آمرأته : لشَدّ ما تَلاعبَ[(٤)] بك الشيطان ، وصِرْتَ من إخوانه مُبذِّرًا ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوانَ الشّياطِينِ ﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زُوَىٍّ[(٥)] النَّهْدىّ وكان أخًا له وصديقا : يارفاعة ، ألَا تسمع إلى ما قالتْ هذه الوَرْهاء[(٦)] وما تتكلّم به ؟ ! فقال : صدقتْ واللهِ وبَرّتْ ! إنّك لمبذِّر ، وإنّ المبذّرين لإخوانُ الشياطين . فقال آبن الحشرج فى ذلك :

مَتَى يأْتِنا الغَيْثُ المُغِيثُ تَجِدْ[(٧)] لنا * مَكارِمَ ما تَعْيَا بأمْوالِنا التُّلْدِ[(٨)]

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « إلىّ بور » .
(٢) كذا فى ط ، م ، وتقرب منهما حـ . وفى سائر الأصول : « ويخبرنى » تصحيف .
(٣) زيادة فى ط ، م .
(٤) فى ب ، س ، أ : « ما يتلاعب » .
(٥) فى ط ، م : « دوىّ » بالدال المهملة والواو . وفى سائر الأصول : « روى » بالراء المهملة . والتصويب من كتاب الاشتقاق (ص ٣٢٠) .
(٦) الورهاء : الحمقاء . وفى ط ، م : «الزكا» محرفة عن «النوكا.» كما وردت فى معاهد التنصيص .
(٧) كذا فى معاهد التنصيص (ص ٢٦١ طبعة بلاق سنة ١٢٧٤ هـ) . وفى سائر الأصول : «يجد» .
(٨) التلد (بالفتح وبالضم وبالتحريك) : المال القديم ، كالتالد والتليد . وفى الكلام قلب ، أي تجد لنا مكارم ما تعيا بها أموالنا التلد .

مَكارِمَ ما جُــدْنا به إذْ تَمَنَّعتْ * رِجالٌ وَضَنَّتْ فى الرَّخاء وفى الجَهْدِ
أرَدْنا بمـا جُدْنا به من تِلادِنا * خِلافَ الّذى يأتى خِيارُ بنى نَهْـدِ
تَلومُ على إتْـلافِىَ المـالَ طَلَّتى(1) * ويُسْعِدُها نَهْـدُ(2) بن زَيْدٍ على الزُّهْدِ
أنَهْدُ بن زَيْدٍ لستُ منكمْ فتُشْفِقُوا * علىَّ ولا منكم غَوَاتِى(3) ولا رُشْدِى

— أراد "غواتى" فحذف الياء ضرورة(4) —

أبَيْتُ(5) صَـغيرًا ناشِـئًا(6) ما أردتُمُ * وكَهْلًا وحتَّى تُبْصِرونِىَ فى اللَّحْـدِ
سأبْذُلُ مالِى إنَّ مالِى ذَخيرةٌ * لِعَقْبِى وما أَجْنِى به ثَمَـرَ الخُـلْدِ
ولستُ بِمِبْكاءٍ على الزَّادِ بَاسِـلٍ(7) * يَهِـرُّ على الأَزْوادِ كالأَسَدِ الوَرْدِ
ولَكِنَّنى سَمْـحٌ بمـا حُزْتُ باذِلٌ * لِمَـا كُلِّفَتْ كَفَّاىَ فى الزَّمَنِ الجَحْدِ
بِذلك أوصـانى الرُّقَادُ وقَبْـلَهُ * أبوه بأنْ أُعْطِى وأُوفِىَ بالعَهْدِ

الرُّقَاد : ابن عمرو بن رَبيعـة بن جَعْـدةَ بن كَعْب وهو من عمومته ، وكان شجاعًا سيِّدا جَوادًا .

قال عطاء بن مُصْعَب : وقال عبـد الله بن الحَشْرَج أيضًا فى [ذلك(8)] هـذه القصيدة — وقد ذكر ابن الكلبىّ وأبو اليَقْظان شيئًا من هذه القصيد فى كتابَيْهما المُصَنَّفَيْنِ ونَسَبا [ها(9)] إليه — :

(1) كذا فى ط ، جـ ، م . وطلة الرجل : زوجه . وفى سائر الأصول : «خلتى» والخلة (بالضم) : الصديقة . ولعلها « حنتى » بالحاء المهملة المفتوحة والنون المشدّدة . والحنة : الزوج أيضا .
(2) نهد بن زيد : القبيلة التى منها رفاعة بن زوى النهدىّ الذى تقدّم .
(3) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «غواى» .
(4) هذه الجملة ساقطة من م ، وواردة فى هامش ط ، وفى صلب سائر الأصول . وفى الأصول ما عدا ط : «أراد غواى ، فحذف التاء ضرورة» .
(5) كذا فى ب ، س . وفى ط ، م : «أردت» . وفى حـ ومعاهد التنصيص : «أتيت» .
(6) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول محرّفة بين « ناشدا » و « ناشزا » و « ناشرا » .
(7) باسل هنا : غاضب .
(8) زيادة يقتضيها الكلام .
(9) التكملة عن ط ، م .

سأجعل مالى دون عِرْضِى وِقَايةً * من الذَّمِّ، إن المَالَ يَفْنَى ويَنْفَدُ
ويُبْقِى لِىَ الجُودُ اصطناعَ عشيرتى * وغيرِهمُ والجُودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ
ومُتَّخِذٍ ذَنْبًا[1] علىَّ سَمَاحتى * بمالى، ونارُ البُخْلِ بالذَّمِّ تُوقَدُ
يَبِيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ * ولكنَّه للسوء فضلٌ مُؤَكَّدُ
ولا شىءَ يبقَى للفتى غيرَ جُودِه * بما مَلَكَتْ كَفَّاهُ والقومُ شُهَّدُ
ولائمةٍ فى الجُودِ نَهْنَهْتُ غَرْبَها[2] * وقلتُ لها بَنَى[3] المَكَارِمِ أَحمَدُ
فلمّا أَلَحَّتْ فى المَلامةِ وآمترتْ[4] * بذلك غَيْظِى واعتراها التَّبَلُّدُ
[عرضتُ عليها خَصْلَتَيْنِ سَماحتى * وتَطْلِيقَها والكَفُّ عَنِّى أَرْشَدُ][5]
فلَجَّتْ وقالتْ أنتَ غاوٍ مُبَذِّرٌ * قَرِينُكَ شيطانٌ مَرِيدٌ[6] مُفَنَّدُ
فقلتُ لها بِينِى فما فيكِ رغبةٌ * ولى عنكِ فى النِّسْوانِ ظِلٌّ ومَقْعَدُ
وعيشٌ أَنِيقٌ والنِّساءُ مَعَادِنٌ * فمِنْهُنَّ غُلٌّ شَرُّها يتمَرَّدُ[7]
لها كُلَّ يوم فوق رأسىَ عارضٌ * من الشَّرِّ بَرَّاقٌ يَدَ الدهرِ يُرْعِدُ
وأُخرى يَلَذُّ العيشُ منها، ضَجِيعُها * كريمٌ يُغَادِيه من الطيرِ أَسْعُدُ
فيا رَجُلًا حُرًّا خُذِ القَصْدَ واتْرُكِ الْ * بَلَايَا فإنَّ الموتَ للنّاسِ مَوْعِدُ
فعِشْ ناعمًا وآتْرُكْ مَقالةَ عاذِلٍ * يلومُكَ فى بَذْلِ النَّدَى ويُفَنِّدُ
وجُدْ باللُّهَا[8] إنّ السماحةَ والنَّدَى * هى الغايةُ القُصْوى وفيها التَّمَجُّدُ
وحَسْبُ الفَتَى مجدًا سماحةُ كَفِّه * وذُو المَجْدِ محمودُ الفِعَالِ مُحَسَّدُ

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « دينا » تصحيف . (٢) نهنهت غربها : كففت حدّتها وزجرتها . (٣) كذا فى ط ، جـ ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « يبنى » تحريف . (٤) كذا فى الأصول . ولعلها : « آمترت » أى أثارت غيظى واستخرجته . (٥) التكملة من ف . (٦) المريد : الخبيث المتمرّد الشرير . ومفند : مضعف الرأى . (٧) يتمرّد هنا : يتجاوز الحد . (٨) اللها : العطايا ، واحدتها لهوة (بالضم والفتح) .

طلق امرأته لعذله إياه فلامه حنظلة ابن الأشهب فقال شعرا

قال فقالت له آمرأته : والله ما وَفَّقك الله لحَظّك ! أنْهَبْتَ مالك و بذَّرته وأعطيته هَيَّان بن بَيَّان[1]، ومَنْ لاتدرى من أىِّ هافيةٍ[2] هو ! قال : فغضب فطلّقها ، وكان لها محبًّا وبها مُعْجَبا . فعنّفه فيها آبنُ عمٍّ لها يقال له حَنْظلةُ بن الأشهب بن رُمَيْلة[3]، وقال له : نَصَحتْك فكافأتَها بالطَّلاق ! فوالله ما وُفِّقتَ لرُشْدك ، ولا نلتَ حَظَّك ، ولقد خاب سَعْيُك بعدها عند ذوى الألباب . فهلَّا مَضَيْتَ لِطِيَّتك[4]، وجَرَيْتَ على مَيْدانك ، ولم تلتفت الى آمرأةٍ من أهل الجهالة والطَّيْش لم تُخْلَق للمَشُورة ولا مثلُ رأيها يُقْتَدَى به ! فقال آبن الحَشْرَج لحنظلة :

أحَنْظَلَ دَعْ عَنْكَ الَّذى نال مالَه	لِيَحْمَدَه الأقوامُ فى كلِّ مَحْفِلِ
فكم من فَقِيرٍ بائسٍ قد جَبَرْتُه	ومَنْ عائلٍ[5] أغنيتُ بعدَ التَّعيُّلِ
ومن مُتْرَفٍ عن مَنْهَجِ[6] الحقِّ جائرٍ	علوتُ بعَضْبٍ ذى غِرارين مِقْصَلِ[7]
وزارٍ[8] علىَّ الجُودَ والجودُ شِيمتى	فقلتُ له دَعْنِى وكُنْ غيرَ مُفْضِلِ
فمثلُك قد عاصيتُ دهرًا ولم أكُنْ	لأسمعَ أقوالَ اللئيمِ المُبَخِّلِ
أبَى لِىَ جَدّى البُخْلَ مذ كنتُ[9] يافعًا	صغيرًا ومن يَبْخَلْ يُلَمْ ويُضَلَّلِ
ويَسْتَغْنِ عنه الناسُ ، فارْكَبْ مَحَجَّةَ الْـ	ـكِرامِ ودَعْ ما أنت عنه بمَعْزِلِ

(١) هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه . (٢) كذا فى ط ، م . يقال : هفت هافية من الناس أى طرأت . وفى سائر الأصول : محرفة بين « وما تدرى أيها فئة » و« وما تدرى أيتها فئة » . (٣) فى ط ، م : « ثرملة » . وقد سموا « ثرملة » . ولعل الأشهب بن رميلة أبا حنظلة هذا هو الأشهب بن ثور بن أبى حارثة الشاعر الشجاع الذى وردت ترجمته فى الجزء التاسع (ص ٢١٩ من هذه الطبعة) ورميلة أمه . (٤) مضى لطيته أى لقصده ونيته التى انتواها .
(٥) العائل هنا : الفقير . (٦) كذا فى ط ، م . وفى ح : بدل « منهج الحق » « منهل الحق » . وفى سائر الأصول : « ومن مرتق عن منهل الحق حائد » . والمترف هنا : الجبار الذى أطغته النعمة .
(٧) كذا فى ط ، ح ، م . والسيف المقصل : القطاع . وفى سائر الأصول : « منصل » تحريف .
(٨) كذا فى ط ، م . وزار ، أى عائب عليه وعاتب . والبيت ساقط من أ . وفى سائر الأصول : « وزاد » تصحيف . (٩) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « مذ كان » .

فإنى امرؤ لا أصحب الدهر باخلاً * لئيماً وخير الناس كل معذّل[1]

ومستحمِق غاوٍ أتته نذيرتى[2] * فلجّ ولم يعرف معرّة مقولى[3]

نفحت ببيت يملأ الفم شارد * له حبر كأنه حِبر مغول[4]

فكفّ ـ ولو لم أرمه شاع قوله ـ * وصار كدرياق الذّعاف المثمّل[5]

وليل دجوجىّ سريت ظلامه * بناجية كالبرج[6] وجناء عيهل[7]

إلى ملك من آل مروان ماجد * كريم المحيّا سيّد متفضّل

يجود إذا ضنّت قريش برفدها * ويسبقها فى كلّ يوم تفضّل

أبوه أبو العاصى إذا الحرب[8] شمّرت * مراها[9] بمسنون الغرارين منجل

وقور إذا هاجت به الحرب مرجم[10] * صبور عليها غير نكس مهلّل

أقام لأهل الأرض دين محمد * وقد أدبروا وارتاب كلّ مضلّل

---

(١) ورد هذا البيت فى أكثر الأصول بعد الذى يليه . وسياق الكلام يقتضى أن يكون موضعه هنا ، كما هو فى ط ، م .

(٢) النذيرة : طليعة الجيش التى تنبئه بأمر العدوّ . والمراد هنا الإنذار والكلام العنيف .

(٣) معرة مقولى : أذى لسانى .

(٤) كذا فى ط ، م . وورد بعد هذا البيت فيهما : « قال الحبر الأثر » . وفى سائر الأصول : « له خبر كأنه خبر مغول » تصحيف . والحبر (بالتحريك وبكسر فسكون) : الأثر يبقى من الضربة فى الجسم . والمغول : شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه ، أو هو سوط فى جوفه سيف دقيق .

(٥) الدرياق (ويقال فيه الترياق) : دواء تعالج به السموم . والذعاف : السم القاتل لساعته . والمثمل : السم المنقع . وظاهر أن الضمير فى « صار » راجع إلى « بيت » فى قوله « نفحت ببيت » .

(٦) فى ب ، س : « كالبرق » والبرج : الحصن . يصفها بالضخامة .

(٧) ليل دجوجى : مظلم شديد السواد . والناجية من النوق : السريعة . والوجناء : الشديدة . والعيهل : السريعة .

(٨) كذا فى ط ، ج ، م . وفى سائر الأصول : « إذا الخيل » .

(٩) كذا فى ط ، م . وفى ج : « عراها » . وفى أكثر الأصول : « فراها » تحريف . ومرى الناقة : مسح ضرعها لتدرّ . والمرى هنا مجاز . ومسنون الغرارين : كناية عن الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسنة .

(١٠) المرجم من الرجال : الشديد ، كأنه يرجم به عدوّه . والنكس الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه . والمهلل : الجبان ؛ يقال : هلل الرجل ، إذا فرّ وجبن .

فما زالَ حتّى قوّمَ الدِّينَ سيفُه * وعزّ[1] بحزمٍ كلَّ قرمٍ مُحَجَّلِ
وغادرَ أهلَ الشكِّ[2] شتّى، فمنهمُ[3] * قتيلٌ وناجٍ فوق أجردَ هيكلِ
نجا من رماح القوم قُدْمًا[4] وقد بدا * تباشيرُه في العارضِ المتهلِّلِ

قال عاصم : يعنى بهذا المدح محمدَ بن مَرْوان لمّا قتل مُصْعَب بن الزُّبير بدير الجاثَلِيق[5] . وكان محمد بن مَرْوانَ يقوم بأمره، ويولّيه الأعمالَ، ويَشْفع له إلى أخيه عبد الملك .

حواره مع ابن عم له لامه فى تبذيره

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال حدّثنا العُمَرىّ عن عطاء ابن مُصْعَب[6] عن عاصم بن الحَدَثان قال :

قال عبد الله بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه فى إنهاب ماله وتبذيره إيّاه، وقال له فيما يقول : امرأتُك كانت أعلمَ بك، نصحتْك فكافأتَها بالطلاق . فقال له : يابنَ عمّ، إنّ المرأة لم تُخلَق للمَشُورة، وإنّما خُلِقتْ وِثاراً[7] للباءة . ووالله إنّ الرُّشد واليُمْنَ لفى خِلاف المرأة . يابنَ عمّ، إيّاك واستماعَ كلامِ النساء والأخذَ به؛ فإنك إن أخذتَ به نَدِمتَ . فقال له ابن عمّه : والله ليُوشكَنّ أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفتَ فلا تَقْدِر عليه ولا يُخْلِفه عليك هَنٌ وهَنٌ[8] . فقال ابن الحَشْرَج :

(١) عزّ هنا : غلب . والقرم هنا : السيد من الرجال . (٢) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « أهل الشرك » . (٣) كذا فى ط ، م . وفى ا : « شتى كأنهم » . وفى ء، ب، س : « حتى كأنهم » تحريف . (٤) يقال : مضى فلان قدما (بضمتين، وقد يسكن كما هنا) ، إذا مضى أمامه لم يعرج ولم ينثنه شيء . (٥) دير الجاثليق : كان قرب بغداد ، غربى دجلة بين السواد وأرض تكريت . (٦) فى بعض الأصول : «عطاء عن مصعب» تحريف . (٧) كذا فى ط ، م . والوثار (بالفتح وبالكسر) : الفراش الوطىء . وفى سائر الأصول : « دثارا » . (٨) هن : كناية عن اسم الإنسان ، أى لا يخلفه عليك فلان وفلان .

وعاذلةٍ هبَّتْ بليلٍ تلومُنى * وتعذُلُنى فيما أُفيدُ وأُتلفُ
تلوَّمتُها(١) حتّى إذا هى أكثرتْ * أتيتُ الذى كانت لدىَّ توكّفُ(٢)
وقلتُ(٣) عليكِ الفجَّ(٤) أكثرتِ فى النّدى * ومثلى تحاماه الألدُّ المُغطرِفُ(٥)
أبى لىَ ما قد سُمْتِنِى غيرُ واحدٍ * أبٌ وجدودٌ مجدُها ليس يوصَفُ
كهولٌ وشبّانٌ مضَوْا لسبيلهمْ * إذا ذُكِروا فالعينُ منّى تذرِفُ
همُ الغيثُ إن ضنّتْ سماءٌ بقطرها * وعندهمُ يرجو الحيا متلهِّفُ
وحربٍ يخافُ النّاسُ(٦) شدّةَ عرِّها(٧) * تظلُّ(٨) بأنواع المنيّةِ تصرِفُ(٩)
حمَوْها وقاموا بالسّيوف لحمْيِها(١٠) * إذا فنِيتْ أضحتْ لهم وهْىَ تعصِفُ
فلمّا أبتْ إلا طِماحًا تمسَّروا * بأسيافهمْ والقومُ فيهم تعجرُفُ(١١)
فذلّتْ وأعطتْ بالقيادِ وأذعنتْ * إذا ما اشتهى قومى وذو الذّلِّ ينصِفُ
وكانتْ طَموحَ الرّأسِ يصرِفُ نابُها(١٢) * من الشّرِّ تاراتٍ وطورًا تقفقفُ(١٣)
[فلمّا امترَيْنا(١٤) بالسّيوفِ خلوفَها * تأبّتْ علينا والأسنّةُ تُرعَفُ]

(١) تلومتها: أمهلتها وانتظرت عليها. (٢) توكف: توقع. وأصله «تتوكف». (٣) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «وقالت» تحريف. (٤) فى ب، س: «الفخ» تصحيف. والفج: الطريق الواسع البين. أى الزمى الطريق الواضح. يريد بذلك تسريحها وتطليقها. وقوله أكثرت فى الندى أى أكثرت الكلام واللوم فيه. (٥) تحاماه: توقاه واجتنبه. والألد من الرجال: الشديد الخصومة والجدل. والمغطرف: المتكبر المختال. (٦) فى ط، م: «يهاب». (٧) فى ب، س: «حرها» والعر: الشر والأذى. (٨) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «وظل». تحريف. (٩) تصرف: تصوّت؛ يقال: صرف الإنسان والبعير نابه وبنابه، إذا حرقه فسمعت له صوتا. (١٠) كذا فى ط، ج، م. وفى سائر الأصول: «لحيها» تحريف. (١١) التعجرف، ومثله العجرفة والعجرفية: ركوبك الأمر لا تروّى فيه. (١٢) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «يصرف بابها» تصحيف. (١٣) قفقف وتقفقف: ارتعد. (١٤) زيادة فى ط، م. وامترينا: حلبنا. والخلوف: جمع خلف (بالكسر) وهو هنا حلمة الضرع.

فدَرّتْ طِبَاقًا[1] وٱرعوتْ بعد جَهْلِها * وكُنّا رِمَامًا[2] لِلّذِى يَتَصَلَّفُ

قال لابن زوى شعرا لأنه لامه فى تبذيره

قال : وقال عبد الله بن الحَشْرَج لِرفاعة بن زُوَىٍّ[3] النهدىّ فيما كان يلومه فيه من التبذير والجود :

أَلَامُ على جُودِى وما خِلْتُ أنّنى * ببَذْلِى وجُودِى جُرْتُ عن مَنْهَجِ[4] القَصْدِ

٥

فيا لَائِمِى فى الجُـــود أَقْصِرْ فإنّنى * سأَبْذُل مالى فى الرّخاء وفى الجَهْدِ

وجَدتُ الفَـتَى يَفْنَى وتبقَى فعالُه[5] * ولا شىءَ خيرٌ فى الحديث من الحَمْدِ

و إنّى و بالله ٱحتيـالِى وحِرْفَـــتِى[6] * أُصيِّرُ جارِى بين أَحشاى[7] والكِبْدِ

أَرَى حَقّه فى الناس ما عِشْتُ[8] واجبًا * علىَّ وآتِى ما أَتَيتُ على عَمْـــدِ

وصاحبِ صِدْقٍ كان لى ففقدتُه * وصَيَّرنِى دَهْرِى إلى مائِقٍ[9] وَغْدِ

١٠

يَـــلُومُ فَعَـالِى كلَّ يومٍ ولَيـــلةٍ * و يعدو على الجيرانِ كالأَسَدِ الوَرْدِ

يُخَـالِفُنِى فى كلّ حقٍّ و باطـــلٍ * و يأْنَفُ أن يَمْشِى[10] على مَنْهَجِ الرُّشْدِ

فلمّـا تمـادَى قلتُ غيرَ مُسامِحٍ * له : النَّهْجَ فٱركَبْ يا عَسِيفَ[11] بنى نَهْدِ

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسمـاعيلَ العَتَكىّ قال حدّثنا ابنُ عائشة قال :

١٥

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « فذرت » بالمعجمة ، تصحيف . وطباقا : دفعات متوالية . (٢) كذا فى ط . والرمام : جمع رمة (بالضم) وهى قطعة يشدّ بها الأسير و يقلد بها البعير . وفى سائر الأصول : « زمانا » تحريف . و يتصلف : يتكبر . (٣) ورد هذا الاسم محرّفا فى الأصول هنا كما تقدّم فى (ص ٢٤) . (٤) كذا فى ط ، م . وفى ﺟ : «حزت عن منهل القصد» . وفى سائر الأصول : « حدت عن منهل القصد » . (٥) فى ط ، م : «و يبقى فَعاله» . وكلاهما مستقيم . والفعال (بفتح الفاء) : اسم للكرم والفعل الحسن . (٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر

٢٠

الأصول : «حرقتى» بالقاف ، تصحيف . (٧) فى ط ، م : «بين أحشاء» على حذف الياء . (٨) فى ط ، م : « ما عشت فى التاس » . (٩) كذا فى ط ، م . والمـائق : الأحمق . وفى سائر الأصول : محرّفة بين « سابق » و « سائق » . (١٠) فى ط ، م : « يمسى » بالمهملة . (١١) العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

مدحه زياد الأعجم فوصله

وَفَد زِيادٌ الأعْجَمُ على عبد الله بن الحَشْرَج الجَعْدىّ وهو بَسابُور[1] أميرٌ عليها ، فأمر بإنزاله وألْطَفَه وبعث إليه ما يحتاج إليه . ثم غدَا عليه زيادٌ فأنشده :

إنّ السَّماحةَ والمُروءة والنَّدَى * فى قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحَشْرَجِ
مَلِكٌ أغَرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائلٍ * للمُعْتَفِين يمينُه لم تَشْنَجِ[2]
يا خيرَ مَنْ صَعِدَ المنابرَ بالتُّقَى * بعدَ النبىّ المصطفى المُتَحَرِّجِ[3]
لمّا أتيتُك راجياً لِنَوالِكُمْ * ألفيتُ بابَ نَوالِكم لم يُرْتَجِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقد قيل : إنّ الأبياتَ التى ذكرتُها وفيها الغناءُ ونسبتُها إلى عبدالله بن الحَشْرَج لغيره . والقول الأصحّ هو الأوّل . أخبرنى بذلك محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدّثنا العُمَرىّ عن هشام بن الكلبىّ : أنه سمع أبا بَاسِلٍ الطائىّ يُنْشِد هذا الشعر ، فقلت : لمن هو ؟ فقال : لِعمِّى عَنْترةَ بن الأَخْرَس[4] . قال : وكان جَدّى أَخْرَسَ ، فوُلِد له سبعةٌ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعرٌ أو خطيب[5] . ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبىّ ، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلَم .

١٥٦ / ١٠

صــــوت

أصاحِ ألَا هَلْ من سبيلٍ إلى نَجْدِ * ورِيحِ الخُزَامَى غَضَّةً من ثَرَى جَعْدِ
وهل لِليالينا بِذِى الرِّمْثِ[6] مَرْجِعٌ * فتَشْفِيَ جَوَى الأحزانِ من لَاعِجِ الوَجْدِ

عروضه من الطويل . الشعر للطِّرِمَّاح بن حَكِيم . والغناء ليحيى المكىّ ، ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر من كتابه .

(١) كذا فى ط ، م ، وأخبار زياد الأعجم (جزء ١٤ صفحة ١٠٥ طبعة بلاق) . وفى سائر الأصول هنا : «بنيسابور» . وسابور : كورة مشهورة بأرض فارس . (٢) شنجت يده : تقبضت ؛ وتقبض اليد كناية عن البخل ، وبسطها كناية عن الكرم . (٣) فى بعض الأصول : «المستخرج» تحريف . (٤) أورد أبو تمام فى الحماسة (ص ١٠٨ طبعة أوربا) بعض أبيات منها منسوبة له . (٥) فى ط ، م : «شاعر خطيب» . (٦) ذو الرمث : واد لبنى أسد . (عن معجم البلدان) .

أخبار الطِّرِمّاح ونسبه

نسب الطرمّاح وبعض أخباره

هو الطِّرِمّاح بن حَكِيم بن الحَكَم بن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدَر[1] بن ثَعْلَبة بن عَبْد رِضَا ابن مالك بن أَمَانٍ[2] بن عَمْرو بن رَبِيعة بن جَرْوَل بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طيّئ. ويُكْنَى أبا نَفْر، وأبا ضَبِينة[3]. والطِّرِمّاح: الطويلُ القامة. وقيل: إنّه [كان][4] يُلقَّب الطِّرَّاح. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه قال:

كان الطِّرِمّاح بن حكيم يُلقَّب الطِّرَّاح[5] لقوله:

[صوت][4]

أَلَا أيُّها اللَّيلُ الطويلُ أَلَا ٱرْتَحِ * بِصُبْحٍ[6] وما الإصباحُ منكَ بأَرْوَحِ

بَلَى إنّ للعينين في الصُّبْحِ راحةً * بِطَرْحِهما طَرْفَيْهما كلَّ مَطْرَحِ

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من كتابه.

والطِّرِمّاح من فُحُول الشعراء الإسلاميين وفُصَحائهم. ومنشؤه بالشأم، وٱنتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وَرَدَها من جُيوش أهل الشأم، وٱعتقد مذهب الشُّراةِ الأَزارقة[7].

(١) في جـ: «جحـد» وفي سائر الأصول: «جحـر». والتصويب من ط، م، والمعارف والشعر والشعراء لابن قتيبة. (٢) كذا في ط، م. وفي سائر الأصول: «أبان» تحريف. (٣) في الأصول ما عدا ط، م: «أبا ضبيبة» بالباء، تصحيف. (٤) التكلمة من ط، م. (٥) في الأصول ما عدا ط، م: «الطرماح» تحريف. (٦) في هامش ط: «ويروى ببم» مكان قوله: بصبح». ورواية البيت في الديوان واللسان (بمم)، ومعجم البلدان (بمّ):

ألا أيها الليل الذي طال أصبحن * ببمّ وما الإصباح فيك بأروح

وبمّ: مدينة بكرمان. وفي ط، م: «فيك» بدل «منك». (٧) الشراة: الخوارج. والأزارقة طائفة منهم، وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق، خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان، أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عماله في تلك النواحي. ولهم بدع، منها أنهم يكفرون أصحاب الكبائر، حتى لقد كفروا عليا وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر من معهم من المسلمين، وصوّبوا فعلة ابن ملجم في قتله عليا رضي الله عنه، وجوّزوا قتل المخالفين لهم وسبي نسائهم.

أخبرنى إسماعيلُ بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنى عن أبى بكر الهذلىّ قال :

قَدِم الطِّرِمّاحُ بن حَكِيم الكوفةَ، فنزل فى تَيْم اللّاتِ بن ثعلبة، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة له سَمْتٌ وهيئة، وكان الطِّرِمّاح يُجالسه ويسمع منه، فرسَخ كلامُه فى قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه، فقبِله وٱعتقده أشدَّ ٱعتقادٍ وأصحَّه، حتى مات عليه . ٥

أخبرنى ٱبن دُرَيْد قال حدّثنا عبدالرحمن بن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال قال رؤبة :

كان الطِّرِمّاح والكُميت يصيرانِ إلىّ فيسألانِى عن الغريب فأُخبِرهما به، فأراه بَعْدُ فى أشعارهما .

أخبرنى محمدُ بن العبّاس اليَزيدىّ قال سمعت محمد بن حَبِيب يقول :

سألتُ ٱبنَ الأعرابىّ عن ثمانىَ عَشْرةَ مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِّرِمّاح، ١٠ فلم يَعْرِف منها واحدةً، يقول فى جميعها : لا أدرى، لا أدرى .

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّةَ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب قال حدّثنا ٱبن قُتَيْبةَ، قالا :

كان الكُمَيْتُ بن زيد صديقا للطِّرِمّاح، لا يكادان يفترقانِ فى حالٍ من أحوالهما. فقيل للكميت : لا شىءَ أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِّرِمّاح على تباعُدِ ما يجمعُكما من النَّسَب والمَذْهب والبلد[(1)] : هو شآمىّ قَحْطانى شارِىٌّ، وأنت كوفىٌّ نِزارِىٌّ شيعِىٌّ، فكيف ٱتّفقتما مع تبايُنِ المذهب وشِدّة العصبيّة ؟ فقال : ٱتّفقنا على بُغْض العامّة .

قال : وأنشد الكميتُ قولَ الطرمّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاحِ أَخْلقتْ * عُرَى المَجْدِ وٱسْتَرْخَى عِنانُ القصائدِ

١٥٧ / ١٠

فقال : إى والله ! وعِنانُ الخَطابةِ والروايةِ والفصاحةِ والشجاعة . وقال عمر بن ٢٠ شَبّة : « والسماحة » مكان « الشجاعة » .

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « والبلاد » .

وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت وقصتهما فى ذلك

نسختُ من كتاب جدّى لأمّى يحيى بن محمد بن ثوابة — رحمه الله تعالى — بخطه قال حدّثنى الحسن بن سعيد (١) عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابى قال :

وَفَد الطِّرِمّاح بن حكيم والكُمَيْتُ بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المُهَلَّبىّ، فجلس لهما ودعاهما (٢). فتقدّم الطِّرِمّاح لِيُنْشِدَ (٣)؛ فقال له : أَنْشِدْنا قائمـا . فقال : كلّا والله ! ماقَدْرُ الشعرِ أن أقومَ له فيَحُطَّ منّى بقيامى وأَحُطَّ منه بضَراعتى، وهو عمود الفخر وبيت الذِّكْرِ لمآثر العربِ . قيل له : فتَنَحَّ . ودُعِى بالكميت فأنشد قائمـا، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلمّا خرج الكُمَيْتُ شاطَرها الطِّرِمّاحَ، وقال له : أنت أبا ضَبِينةَ أبعدُ هِمّةً وأنا ألطَفُ حِيلةً . وكان الطرماح يُكْنَى أبا نَفْرٍ وأبا ضَبِينةَ .

كان هو والكميت فى مسجد الكوفة فقصدهما ذو الرمة فاستنشدهما وأنشدهما

ونسختُ من كتابه رضى الله عنه : أخبرنى الحسن بن سعيد قال أخبرنى ابن عَلّاق قال أخبرنى شيخٌ لنا أنّ خالد بن كُلْثوم أخبره قال :

بينـا أنا فى مسجد الكوفة اريد الطِّرِمّاح والكميت وهما جالسانِ بقُرْبِ باب الفيل (٤)، إذ رأيتُ أعرابيا قد جاء يَسْحب أهداماً (٥) له ، حتى إذا توسَّط المسجدَ خرّ ساجدًا، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمّاحَ فقصدهما . فقلتُ : مَنْ هذا الحائن (٦) الذى وقع بين هذين الأَسَدين ! وعجِبتُ من سجْدته فى غير موضع سُجود وغيرِ وقت صلاة . فقصدتُه، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفتَ إلى الكُمَيتِ فقال : أَسْمِعْنى شيئا يا أبا المُسْتَهِلّ، فأنشده قولَه :

* أبتْ هـذِهِ النَّفْسُ إلّا ادِّكارَا *

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول هنا : « الحسين بن سعد » تحريف . (راجع السند الذى بعده، والجزء التاسع صفحة ١٠٣ سطر ١٢) (٢) فى ط : « ودعابهما » . (٣) فى ط : « فتقدّم الطرماح لسنه ، فقيل له أنشد قائمـا فقال : كلا ... » . (٤) باب الفيل : موضع بالكوفة . سمى بذلك لأن زياد بن أبيه لمـا تزوّج أم أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبى معيط وهى حدثة كان يأمر بفيل كان عنده فيوقف، فتنظر إليه أم أيوب . (الطبرى ق ٢ ص ٢٧) . (٥) الأهدام : جمع هدم (بالكسر) وهو الثوب البالى المرقع . (٦) الحائن : الهالك، وكل مالم يوفق للرشاد فهو حائن .

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنتَ والله يا أبا المستهلّ فى ترقيص هذه القوافى ونَظْمِ عِقْدِها[1] ! ثم التفتَ إلى الطِّرِمَّاح فقال : أَسْمِعْنى شيئا يا أبا ضَبِينةَ ؛ فأنشده كلمته التى يقول فيها :

أساءكَ تقويضُ[2] الخليطِ المُبَاينِ * نَعم والنَّوَى قَطّاعةٌ للقَرائنِ

فقال : لِلهِ دَرُّ هذا الكلام ! ما احسَنَ إجابتَه لِرَوِيَّتِك ! إنْ كِدْتُ[3] لَأُطِيلُ لك حسدًا . ثم قال الأعرابىّ : والله لقد قلتُ بعدكما ثلاثةَ أشعار ، أمّا أحدها فكدْتُ أطير به فى السماء فرحًا . وأمّا الثانى فكدتُ أدَّعى به الخلافةَ . وأمّا الثالث فرأيت[4] رَقَصانًا آستفَزَّنى به الجَذَلُ حتّى أتيتُ عليه . قالوا : فهاتِ ؛ فأنشدهم[قوله][5] :

أأنْ تَوَهَّمْتَ[6] مِنْ خَرْقاءَ منزلةً * ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ

حتّى إذا بلغ قولَه :

تَنْجُو إذا جَعلتْ تَدْمَى أخِشَّتُها * وَٱبْتَلّ بالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَرَاطِيمُ[7]

قال : أعلمتم أنّى فى طلب هذا البيت منذ سنةٍ ، فما ظَفِرتُ به إلّا آنِفًا ، وأحْسِبكم قد رأيتم السجدةَ له . ثم أسمعهم قولَه :

* ما بالُ عينِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ *

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التى يقول فيها :

إذا اللّيلُ عن نَشْزٍ تجلَّى رَمَيْنَه * بأمثالِ أبصارِ النِّساء الفَوَارِكِ

---

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : «وتعلم عقدها» تحريف . (٢) التقويض هنا : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد . وذلك أن العرب كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى فى مكان واحد ، فتقع ألفة ، فإذا قوضوا خيامهم وافترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك . (٣) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : «إن كنت» تحريف . (٤) فى ط : « فلقد رأيت » . (٥) زيادة فى ط ، م . (٦) فى ديوان ذى الرمة : «أعن ترسمت» بإبدال الهمزة عينا . وترسمت الدار : نظرت رسومها . والصبابة : رقة الشوق . ومسجوم : مصبوب . (٧) تنجو : تسرع . والأخشة : جمع خِشاش وهو الحلقة التى توضع فى أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ ، فإن كان رقيقا فهو هَيِّان (بتشديد الياء مكسورة) .

١٥٨ / ١٠

قال : فضرب الكُمَيْتُ بيده على صدر الطِّرِمّاح، ثم قال : هذه والله الدِّيباجُ لا نَسْجِى ونسجك الكرابِيس(١). فقال الطرماح : لن أقول ذلك و إن أقررتُ بجَوْدته. فقطَّب(٢) ذو الرُّمّة وقال : يا طِرِمّاح! أأنت تُحْسِنُ أن تقول :

وكائنْ تَخَطَّتْ ناقتى من مَفَازةٍ * إليكَ ومِنْ أحواضِ ماءٍ مُسَدَّمِ(٣)

بأعْقارِهِ القِرْدانُ هَزْلَى كأنَّها * نَوَادرُ صِيصاءِ الهَبِيدِ المُحَطَّمِ(٤)

٥

فأصغى الطِّرِمّاح إلى الكميت وقال له : فَانظُرْ ما أخذ من ثَواب هذا الشعر ! — قال : وهذه قصيدةٌ مَدَح بها ذو الرُّمّة عبدَ الملك ، فلم يَمْدَحْه فيها ولا ذَكَره إلّا بهذين البيتين ، وسائرُها فى ناقته . فلمّا قدم على عبد الملك بها أنشده إيّاها . فقال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلا ناقتَك ، فخُذْ منها الثّوابَ . وكان ذو الرُّمّة غيرَ محظوظ من المديح — قال : فلم يَفْهَمْ ذو الرُّمّة قولَ الطرماح للكميت . فقال له الكميت : إنه ذو الرمّة وله فضلُه ، فأعْتِبْه(٥) . فقال له الطرماح : معذرةً إليك ! إنّ عِنانَ الشِّعْرِ لفى كَفِّك ، فَارْجِعْ مُعْتَبًا ، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ .

١٠

مر يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن يحيى الصُّولىّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن إبراهيم بن عَبّاد قال حدّثنى أبو تَمّام الطائىّ قال :

مَرّ الطرماح بن حكيم فى مسجد البَصْرة وهو يخطِر فى مِشْيته . فقال رجل : مَنْ هذا الخَطّار ؟ فسمعه فقال : أنا الذى أقول :

١٥

(١) الكرابيس : جمع كرباس (بكسر الكاف) وهو ثوب غليظ من القطن . (٢) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « فغضب » . (٣) الماء المسدم : المتغير لطول العهد .

(٤) فى هذا البيت تحريف كثير فى الأصول . والصواب فى ط والديوان . والأعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل اذا وردت . وفى الديوان : « بأعطانه » . وقد أشار شارح الديوان إلى روايتنا . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوى الهزيل منه . يقول : القردان ليس لديها شىء تأكله فهى هزلى؛ فشبهها بما يشذ ويخرج من ضاوى حب الحنظل . (راجع شرح الديوان) . (٥) أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .

٢٠

صــــوت

لقـــد زادَنِى حُبًّـا لِنفسِىَ أننى * بَغيضٌ إلى كلِّ آمرئٍ غيرِ طائِلِ[1]

وأنِّى شَــقِىٌّ باللِّئـام ولا ترى * شـقيًّا بهـم إلّا كريمَ الشمائـلِ

إذا ما رآنى قطَّع اللحـظَ[2] بينـه * وبينىَ فعـلَ العارف المُتَجاهِـلِ

ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنّهـا * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ[3] حابِلِ

فى هذه الأبيات لأبى العُبَيْس بن حمدون خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر .

قصته مع خالد القسرى حين وفد عليه بمدح

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال أخبرنا إسماعيل بن مُجَمِّـع قال حدّثنا هشام ابن محمد قال أخبرنا آبن أبى العَمَرَّطة الكِنْدىّ قال :

مدَح الطِّرِمّاحُ خالدَ بن عبد الله القَسْرىّ، فأقبلَ على العُرْيان[4] بن الهَيْثَم فقال : إنِّى قد مدَحْتُ الأمير فأحِبّ أن تُدْخِلَنى عليه . قال : فدخَل إليه فقال له : إنّ الطِّرِمّاح قد مدحك وقال فيك قولًا حسنًا . فقال : مالى فى الشعر من حاجةٍ . فقال العُرْيانُ للطرمّاح : تَراءَ له . فخرج[5] معه، فلمّا جاوز دارَ زيادٍ وصعِد المُسنّاة[6] إذا شىءٌ قد آرتفع له، فقال : ياعُرْيان آنظُرْ، ماهذا ؟ فنظر ثم رجع فقال : أصْلَح الله الأميرَ ! هذا شىءٌ بعث به إليك عبدُ الله بن أبى موسى من سِجِسْتان، فإذا حُمُرٌ وبِغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ . فقال : ياعُرْيان، أين طِرِمّاحُك هذا ؟ قال : هاهنا . قال : أَعْطه كلَّ ماقَدِم به . فرجع إلى الكوفة بمـا شاء ولم يُنْشِده . قال هشام : والطِّرِمّاح : الطـــويل .

(١) رجل غير طائل أى دون خسيس . (٢) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : « اللحن » تحريف . وفى الديوان : « الطرف دونه * ودونى فعل ... الخ » . (٣) كفة الصائد : حبالته، أى مصيدته . (٤) كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعىّ أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسرى أميرا على العراق . (٥) أى خرج العريان مع خالد . (٦) المسناة : الأحباس تبنى فى وجه السيل .

سمع بيتا لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موّه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثنى العجّاجيّ[1] قال : بلغنى أنّ الطِّرِمّاح جلس فى حَلْقـةٍ فيها رجلٌ من بنى عَبْس ، فأنشـد العَبْسيُّ قولَ كُثَيِّرٍ فى عبد الملك :

فكنتَ المُعَلَّى إذ أُجيلتْ[2] قِدَاحُهُم * وجال المَنِيـحُ وَسْـطَها يتقلقـلُ

١٥٩ / ١٠

فقال الطِّرِمّاح : أمَا إنّه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً ، ولكنه موّه عليه فى الظاهر وعنَى فى الباطن أنه السابع من الخُلَفاء الذين كان كثيِّرٌ لا يقول بإمامتهم ؛ لأنه أخرج عليًّا عليـه السلام منهم ، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع ، وكذلك المُعَلَّى السابعُ من القِدَاح ؛ فلذلك قال ماقاله . وقد ذكر ذلك فى موضع آخر فقال :

وكان الخلائفُ بعدَ الرَّسُو * لِ لله كُلُّهـُم تابِعـا
شَـ يدانِ من بعد صِدِّيقِهمْ * وكان آبنُ حَرْبٍ[3] لهم رابِعـا
وكان آبنُـه بعدَه خامسًـا * مُطيعًا لمن قبـله سامعـا
ومَرْوانُ سادسُ مَنْ قد مضَى * وكان آبنُـه بعـدَه سابعـا

قال : فَعجِبْنا من تنبُّه الطرمّاح لمعنَى قولِ كُثَيِّر[4] ، وقد ذهب على عبد الملك فطِنتُه مدحا .

فضله أبو عبيدة والأصمعى ببيتين له

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَماذ قال : كان أبو عُبَيْـدة والأصمعيّ يفضِّلان الطِّرِمّاح فى هذين البيتين ، ويزعُمان أنّه فيهما أشعرُ الخلْق :

(١) فى ب ، س ، أ ، ح : « المجاجى » تحريف .
(٢) فى أ ، ح ، ب ، س : « أجلت » . والمعلى من القداح ، له أكبر نصيب من أنصبة قداح الميسر ، وهى عشرة . والمنيح : قدح منها لا نصيب له .
(٣) وردت هذه الكلمة فى أكثر الأصول محرفة بين « خولى » و « حرلى » و « حولى » والصواب فى ط ، م . وابن حرب هو معاوية بن أبى سفيان .
(٤) فى ط ، م : « من فطنة الطرماح » .

مُجْتَابُ حُلَّةَ بُرْجُدٍ لِسَرَاتِه * قِدَدًا وأَخْلَفَ ماسَوَاه البُرْجُدُ[1]
يبدو وتُضْمِرُه البلادُ كأنَّه * سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

أثنى أبو نواس على بيت له

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا دَمَاذ قال قال أبو نُوَاس : أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطِّرِمّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاح أَخْلَقَتْ * عُرَى المجد وٱسْتَرْخَى عِنانُ القصائدِ

مناقضة بينه وبين حميد اليشكرى

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عُبَيْدَةَ قال : فَضَّلَ الطِّرِمّاحُ بنى شَمْخ[2] فى شعره على بنى يَشْكُرَ ، فقال حُمَيْد اليَشْكُرِىّ :

أتَجْعلنا إلى شَمْخ بن جَرْمٍ[2] * ونَبْهانٍ فَأُفٍّ لذا زمانا[3]
ويومَ الطّالَقانِ حَمَاكَ[4] قَوْمِى * ولم تَخْضِبْ بها طَيِّئٌ سِنانَا

فقال الطرِمّاحُ يُجيبُه :

لقد علم المُعَذَّلُ يومَ يدعو * بِرِمْثَةَ[5] يومَ رِمْثَةَ إذ دعانا
فوارسُ طَيِّئٍ منعوه لمّا * بكى جَزَعًا ولولاهم لَحَانَا[6]

فقال رجلٌ من بنى يَشْكُرَ :

لأَقْضِيَنّ قضاءً غيرَ ذى جَنَف * بالحقِّ بين حُمَيْدٍ والطِّرِمّاحِ
جَرَى الطِّرِمّاحُ حتى دَقّ مِسْحَلَه[7] * وغُودِرَ العبدُ مقرونًا بوَضّاحِ

يَعْنى رجلًا من بنى تميم كان يُهاجى اليشكرىّ .

(١) مجتاب حلة : لابسها ، من اجتاب الشىء : قطعه . والسراة : الظهر . والبرجد (بالضم) : كساء من صوف أحمر . يريد أن يصف متن الثور الوحشى بالحمرة . وقيل : البرجد : كساء مخطط ضخم . والقدد : جمع قدة (بالكسر) وهى القطعة من الشىء . (٢) فى أكثر الأصول وديوان الطرماح (ص ١٨١) « سمح بن حزم » والصواب فى ط ، م . وشمخ آبن جرم ونبهان : بطنان من طيئ . (٣) فى أكثر الأصول وديوان الطرماح : «فان لنا زمانا» والصواب فى ط ، م .
(٤) فى أكثر الأصول : « حمال » باللام . والصواب فى ط ، م . والطالقان : اسم بلدتين ، إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل . والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر . (٥) رمثة : ماء ونخل لبنى ربيعة باليمامة . (٦) حان : هلك .
(٧) المسحل هنا : اللجام ، وقيل فأس اللجام .

شعر له فى الشراة

اخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا الرِّياشيّ قال قال الأصمعيّ قال خَلَفٌ :
كان الطِّرِمّاحُ يَرى رأيَ الشُّراة، ثم أَنْشد له :

لله دَرُّ الشُّـراةِ إنهـمُ * إذا الكَرى مالَ بالطُّلَى[1] أَرِقُوا
يُرَجِّعون الحَنينَ آونةً * وإن عَلَا ساعةً بهم شَهَقوا
خوفاً تبيتُ القلوبُ واجفةً * تكاد عنها الصدورُ تنفلق
كيف أُرَجِّى الحياةَ بعدهمُ * وقد مضى مُؤْنِسىَّ فانطلقوا
قَـومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهمُ * بالفَوْز ممّا يُخافُ قد وَثِقوا

١٦٠ / ١٠

٥

أنشـد خالدا القسرى شعرا فى الشكوى فأجازه

اخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزيّ عن أبي عُبَيدة عن يونس قال :

دخل الطِّرِمّاح على خالد بن عبد الله القَسْرىّ فأنشده قولَه :

وشيَّبَنى ما لا أَزالُ مُناهِضاً * بغيرِ غِنًى أَسْمُو به وأَبُوعُ[2]
وأنّ رجالَ المالِ أضحَوْا ومالُهُمْ * لهم عنـد أبواب الملوك شَفِيعُ
أَمُخْتَرِمِى رَيْبُ المَنُون ولم أَنَلْ * منَ المالِ ما أَعْصِى به وأُطِيع

فأمر له بعشرين ألفَ دِرْهم وقال : آمْضِ الآنَ فآعْصِ بها وأَطِعْ .

قال المفضل : كأنه يوحى اليه ، فى الهجاء ثم أنشد من هجائه

١٥

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيةَ قال حدّثنا حُذَيفة بن محمد الكوفيّ قال قال المُفَضَّل :

إذا رَكِب الطرمّاحُ الهجاءَ فكأنّما[3] يُوحَى إليه، ثم أنشد له قولَه :

لوحانَ وِرْدُ تَمِيم ثم قيـلَ[4] لهـا * حوضُ الرَّسولِ عليه الأزْدُ لم تَرِدِ

(١) الطلى : الأعناق ، واحدها طُلْية . (٢) يبوع : يمد باعه . يريد يبسط يده بالإنفاق والبذل . (٣) فى ط ، م : «فكأنه» . (٤) فى أكثر الأصول : «ثم قال لها» ؛ والصواب فى ط ، م .

٢٠

أوْ أَنْزَلَ اللهُ وحياً أنْ يُعَذِّبَها * إن لم تَعُدْ لِقتالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ
لاعَزَّ نَصرُ آمرئٍ أَضْحَى له فرسٌ * على تميمٍ يُرِيد النصرَ من أَحَدِ
لو كان يَخْفَى على الرحمن خافيةٌ * من خلقِه خَفِيتْ عنه بنو أَسَدِ (١)

افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلا نعشه

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال أخبرنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى آبنُ دأبٍ عن آبن شُبْرُمَةَ ، وأخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال أخبرنى أبى قال حدثنى الحسنُ بن عبد الرحمن الرَّبَعِىّ قال حدّثنى محمدُ بن عِمْران قال حدّثنى إبراهيمُ بن سَوّار الضَّبِّىّ قال حدّثنى محمد بن زِيادٍ القُرَشىّ عن آبن شُبْرُمَةَ قال :

كان الطِّرِمّاحُ لنا جليساً فَفَقَدْناه أيّاماً كثيرة ، فقُمْنا بأجْمَعِنا لننظرَ ما فَعَلَ وما دهاه . فلما كُنّا قريباً من منزله إذا نحن بنَعْشٍ عليه مُطْرَفٌ أخْضَرُ ، فقلنا : لِمَنْ هذا النَّعْشُ؟ فقيل : هذا نعشُ الطِّرِمّاح . فقلنا : واللهِ ما آستجاب اللهُ له حيث يقول :

وإنى لَمُقْتادٌ جَوادِى وقاذِفٌ (٢) * به وبنفسِى العامَ إحدى المَقاذِفِ
لأَكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنًى * منَ اللهِ يَكْفِينى عِدَاتِ الخلائِفِ (٣)
فيارَبِّ إنْ حانَتْ وفاتى فلا تَكُنْ (٤) * على شَرْجَعٍ يُعْلَى (٥) بخُضْرِ المَطارِفِ
ولكنّ قبرى بطنُ نَسْرٍ مَقِيلُه * بجَوّ السماء فى نُسورٍ عَواكِفِ

(١) ورد هذا البيت فى ط قبل البيت الذى سبقه . (٢) فى أساس البلاغة (مادة قذف) : « فقاذف » . (٣) العدات : جمع عدة ، وهى ما يوعد به من صلة . والخلائف : جمع خليفة .
(٤) فى الديوان : « أذا العرش إن حانت ... الخ » . وفى عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٠٧ طبع دار الكتب) : « فيارب لا تجهل وفاتى إن أتت » . (٥) فى الشعر والشعراء ، وعيون الأخبار : « يعلى بدكن » . والشرجع : النعش ، وهو السرير يحمل عليه الميت .

وأمسى شهيداً ثاوياً فى عصابةٍ * يصابون فى فجٍّ من الأرض خائفِ
فوارسُ من شيبانَ ألّفَ بينهم * تُقَى الله نزّالون عند التزاحُف
إذا فارقوا دُنياهمُ فارقوا الأذى * وصاروا إلى ميعاد[1] ما فى المصاحِفِ

صوت

١٦١

هل بالديار التى[2] بالقاع من أحدٍ * باقٍ فيَسمَعَ صوتَ المُدْلِجِ السّارى
تلك المنازلُ من صفْراءَ ليس بها * حَيٌّ يُجيبُ[3] ولا أصواتُ سُمّارِ

٥

الشعر لبَيْهَسٍ الجَرْمىّ . والغناء لابن مُحْرِزٍ ثانى ثقيل بالبِنْصر، عن عمرو وقال : ذكر ذلك يحيى المكىّ، وأظنّه من المَنْحول. وفيه لطَيّاب بن إبراهيم الموصلىّ خفيفُ ثقيلٍ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوَضُوء :

* ارْفَعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضَعفُه[4] *

١٠

(١) فى الديوان : « موعود ما فى المصاحف » . (٢) كذا فى ط ، م . وفى أكثر الأصول : « وهل » بدل « التى » . (٣) فى ب ، س : « نار تضىء » وكذلك وردت هذه الرواية فيهما فى (جـ ١٩ ص ١٠٧) وفيهما : « ويروى : ... ... ليس بها * حى يجيب ... ... » .
(٤) تمامه * يوما فتدركه العواقب قد نما * راجع الأغانى (جـ ٣ ص ١٣٤ من هذه الطبعة) .

أخبار بَيْهَس ونسبه (١)

نسبه

هو بَيْهَس بن صُهَيْب (٢) بن عامر بن عبد الله بن ناتل (٣) بن مالك بن عُبَيْد بن عَلْقَمة ابن سَعْد بن كَثِير بن غالِب بن عَدِىّ بن سُمَيْس (٤) بن طَرود بن قُدَامة بن جَرْم بن رَبَّان (٥) ابن حُلْوان بن عِمْران بن إلحاف بن قُضَاعة، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأُمَوِيّة. وكان يبدو بنواحى الشأم مع قبائل جَرْمٍ وكَلْبٍ وعُذْرَة، ويحضُر إذا حَضَروا فيكون بأجناد الشأم.

اتهم بقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان

قال أبو عمرو الشيبانىّ: لمّا هدأت الفِتْنةُ بعد وَقْعة مَرْج [راهِط] (٦) وسكن الناسُ، مرّ غلامٌ من قَيْسٍ بطوائفَ من جَرْم وعُذْرةَ وكلْب، وكانوا مُتَجاورين على ماءٍ هناك لهم. فيُقال: إنّ بعض أحداثهم نَخَس به ناقتَه فألقته، فآندقّتْ عُنقه فمات. وآستعدى قومُه عبدَ الملك بن مَرْوان، فبعث إلى تلك البُطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوى الأخطار منهم، فهَرَب بَيْهَس بن صُهَيْب (٢) الجَرْمىّ — وكان قد آتُّهم بأنه هو الذى نخس به — فنزل بمحمد بن مَرْوان وآستجارَ به، فأجارَه إلّا مِن حَدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ، فرَضِى بذلك.

---

(١) هكذا ورد هنا نسب بيهس وخبر مبتور من أخباره. ولا ندرى كيف وقع ذلك؛ إذ ترجمته الكاملة قد وردت فى الجزء التاسع عشر صفحة ١٠٧ وما بعدها من طبعة بلاق. وهذا الخبر الوارد هنا لم يرد هناك. (٢) كذا فى ط، م ومختار الأغانى لابن منظور و ب، سـ فى الجزء التاسع عشر. وفى سائر الأصول هنا: «نصيب». (٣) كذا فى ط ومختار الأغانى. وفى حـ هنا و ب، سـ فى التاسع عشر: «نايل». وفى سائر الأصول: «ناثل» بالمثلثة. (٤) كذا فى ط، م. وفى مختار الأغانى: «بيهس» بدل «سميس». وفى ب، سـ فى التاسع عشر: «شمس» بدل «سميس». ويطرد النسب فيهما هناك كما فى ط، م فى أحد الموضعين (إذ تكررت فيها هذه الترجمة) ومختار الأغانى هنا. وفى ب، سـ، حـ هنا: «غالب بن عدىّ بن بيهس بن عدى — فى حـ: ابن على — بن بيهس بن طرود». وفى أ، م (فى الموضع الآخر): «غالب بن عدى بن سمين بن علىّ بن بيهس بن طرود». (٥) فى الأصول: «زبان» بالزاى المعجمة. وفى أحد موضعى م: «ريان» تصحيف. (راجع تاج العروس مادة «ربن»). (٦) التكملة من ط، م. ومرج راهط، بنواحى دمشق، كانت به وقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهرى قتل بها الضحاك، وكان يدعو لعبد الله بن الزبير.

صوت

أَلَا يا حَمامات اللِّوَى عُدْنَ عودةً * فإنِّى إلى أصواتِكُنَّ حَزِينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى * وكِدْتُ بأَسْرارِى لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بأصواتِ الهَدِيلِ كأنَّما * شَرِبْنَ حُمَيَّا أو بِهِنّ جُنُونُ
فلَمْ تَرَ عينى مِثْلَهُنّ حمائمًا * بَكَيْنَ ولم تَدْمَعْ لَهُنّ عُيُونُ

٥

الشعر لأعرابىّ، هكذا أنْشَدَناه جعفر بن قُدامةَ عن أحمد بن حَمْدون عن أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل. والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر[1] خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشامىّ . وقد قيل : إنّ الشعر لابن الدُّمَيْنة .

(١) فى أكثر الأصول : « بشخير » والصواب فى ط . وكذلك ورد هذا الاسم محرّفا فى الأصول ما عدا ط ، فى كل المواضع ، فى الترجمة الآتية .

١٠

أخبار محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر

نسبه وبعض أخباره

هو محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ويُكْنَى أبا جعفر. وهم، فيما يزعُمون، مَوَالِى المنصور. وأحسبه ولاءَ خِدْمة لا ولاءَ عِتْق. وأصلُهم من الرَّىّ. وكان محمد يزعم أنّه من ولد بَهْرَام جُوبِين(1). ووُلِد محمدٌ بالحِيرة(2). وكان يُغَنِّى مُرْتَجِلًا، إلا أنّ أصل ماغَنَّى عليه المِعْزَفة، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة. فمرّ غلامه بها يومًا، فقال قوم كانوا جلوسًا على الطريق: مع هذا الغلام مِصْيَدةُ الفأر، وقال بعضهم: لا، بل هى مِعْزَفةُ محمد بن الحارث(3). فحلف يومئـذ بالطَّلاق والعِتَاق ألّا يُغَنِّى بمعزفة أبدًا أنفـةً من أن تشتبه(4) آلةٌ يغنِّى بهـا بمِصْيَدةِ الفأر. وكان محمد أحسنَ خَلْق الله تعـالى أداءً وأسرعَه أخذًا للغناء. وكان لأبيه الحارث بن بُسْخُنَّر جَوَارٍ مُحْسِنات. وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمُرهنّ أن يَطْرَحْن على جَوَارِيه. وقال يومًا للمأمون وقد غـنَّى مُخَارق بين يديه صـوتًا فألتاث(5) غناؤه فيه وجاء به مُضْطَرِبا، فقـال إسحاق للمأمون: يا أميرَ المؤمنين، إنّ مخارقًا قد أعجبه صوتُه وساء أداؤُه فى غنائه، فمُـرْه بمُلازَمة جَوَارِى الحارث بن بُسْخُنَّر حتى يعود إلى ماتُرِيد.

١٦٢
١٠

هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتا

أخبرنى جحظة قال حدّثنى أبو عبد الله الهِشَامىّ(6) قال:

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب(7) يقول للواثق: قال لى إسحاق بن إبراهيم الموصِلىّ: ماقَدَر أحدٌ قطُّ أن يأخذ منِّى صوتًا مستويًا إلّا محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر،

(١) فى أكثر الأصول: «إبراهيم جوهر» والصواب فى ط. وبهرام جوبين من ملوك الفرس، كان فى أواخر القرن السادس الميلادى. (٢) كذا فى ط، حـ. وفى سائر الأصول: «بالكوفة بل بالحيرة». (٣) عبارة ط، حـ: «لا هذه معزفة». (٤) فى ط: «تشـبه». وفى ب، سـ: «تشتبه بآلة» تحريف. (٥) ألتاث هنا: اختلط. (٦) فى أكثر الأصول «الهاشمى» والصواب من ط. (٧) إسحاق بن إبراهيم المصعبى هـذا كان حاكم بغداد فى عهد المأمون والمعتصم والواثق. (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣١).

فإنّه أخذ منّى عدّة أصوات كما أغنّيها . ثم لم نلبث أنْ دخل علينا محمد بن الحارث . فقـال له الواثق : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصلىّ فيك بكذا وكذا . فقال : قد قال إسحاق ذاك لى مرّات . فقال له الواثق : فأى شيء أخذت من صنعته أحسنَ عندك؟ فقال : هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحدٌ قطُّ هذا الصوتَ كما أخذتُه منه :

صـــــوت

إذا المرءُ قاسى الدّهرَ وٱبيضّ رأسُه * وثُـلّمَ تثليـمَ الإناءِ جوانبُـهْ
فليس له فى العيش خيرٌ وإنْ بكى * على العيش أو رجّى الذى هو كاذبُهْ

— الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى — فأمره الواثق بأن يُغنّيه ، فغنّاه [إياه] (١) وأحسنَ ماشاء وأجاد . وٱستحسنه الواثق وأمره بأنْ يُردّده ، فردّده مرارًا كثيرةً ، حتى أخذه الواثق وأخذه جواريه والمُغنّون . قال جحظة قال الهشامىّ فحدّثتُ بهذا الحديث عمرو بن بانةَ فقال : ماخلق الله تعالى أحدًا يُغنّى هذا الصوتَ كما يُغنّيه هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ . فقلت له : قد سمعتَ ابنَ إبراهيم (٢) يغنّيه ، فاسمَعْه من محمد ثم ٱحكُمْ . فلقينى بعد ذلك فقال : الأمرُ كما قلتَ ، قد سمعتُه من محمد فسمعتُ منه الإحسانَ كلَّه .

ردّد صوتا أخذه من جارية أحبها

أخبرنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجّم قال :

كنتُ يومًا فى منزلى ، فجاءنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر مُسلّمًا وعائدًا من علةٍ كنتُ وجدتُها ، فسألته أنْ يُقيم عنـدى ففعل ، ودعوتُ بمـا حضر فأكلنا وشربْنا ، وغنّى (٣) محمد بن الحارث هذا الصوت :

(١) زيادة عن ط ، ف .
(٢) فى أكثر الأصول : « قد سمعت أن إبراهيم ... » والصواب من ط .
(٣) فى ط : « وغنانا » .

صـــوت

أَمِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ عينُك اليومَ تَدْمَعُ * وقلبُك مشـغولٌ بخَوْدِكَ مُولَعُ

وقائـلةٍ لى يومَ ولَّيتُ مُعْرِضًا[(١)] * أهذا فِراقُ الحبِّ أمْ كيف تَصْنَعُ

فقلتُ كذاك الدَّهرُ ياخودُ فاعلَمِى * يُفَـرِّقُ بين الناس طُرًّا ويَجْمَعُ

— أصل هـذا الصوت يمانٍ هزَج بالوسطى . قال الهشامىّ : وفيه لفُلَيْح ثانى ثقيـلٍ ، ولإسحاق خفيفُ رملٍ — قال علىّ بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هـذا الصوت مِرارًا وغنّاه أَشْجَى غِناءٍ : إنّ لك فى هـذا الصوتِ معنًى، وقد كرّرتَه من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم ! هذا صوتى على جاريةٍ من القِيان كنتُ أحبُّها وأخذته منها . فقلت له : فلِمَ لا تُواصلها ؟ فقال :

لـو لم أَنِكْهَا دام لى حُبُّها * لكنَّـنى نِكْتُ فـلا نِكْتُ[(٢)]

فأجبتُه فقلت :

أكثرتَ من نَيْكِها والنَّيْكُ مَقْطَعةٌ * فارْفُقْ بِنَيْكِكَ إنّ الرِّفْـقَ[(٣)] محمـودُ

أخذ جـوارى الواثق منه غناء أخذه من إسحاق

وأخبرنى جعفر بن قُدامة عن علىّ بن يحيى أنّ إسحاق غنّى بحضرة الواثق لحنه[(٤)] :

ذَكَرْتُك إذ مَرَّتْ[(٥)] بنـا أُمُّ شادِنٍ * أمامَ المَطـايا تَشْرَئِبُّ وتَسْـنَحُ

من المُؤْلِفاتِ الرَّمْـلَ أدماءُ حُرَّةٌ[(٦)] * شُـعَاعُ الضُّحَى فى مَتْنِها يتـوَضَّحُ

(١) فى ط : « كيف وليت » . (٢) كذا فى ط ، ح ، ف . وفى سائر الأصول : « ... دام لها حبى * ... فلا نكتها » .

(٣) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « إن النيك محمود » . (٤) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « لحنه فقال » بزيادة « فقال » . (٥) فى ط ، م ، ف : « أن مرت » . وأم شادن : ظبية . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر . وتسنح : تعرض لك أو تأتى عن شمالك .

(٦) الأُدم من الظباء : البيض تعلوهن جدد فيها غبرة .

— والشعر لذى الرُّمّة . ولحن إسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ — فأمره الواثق أن يُعيدَه على الجوارى، وأحلفَه بحياته أن ينصح فيه[1] . فقال: لا يستطيع الجوارى أن يأخُذْنَه منى[2]، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذُه منِّى وتأخذه الجوارى منه؛ [فأُحْضِرَ وألقاه عليه، فأخَذه منه، وأخذَتْه الجوارِى منه[3]] .

٥ أخبرنى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوَسْوَاسَةَ المَوْصِلىّ[4] قال حدّثنى حمّاد[5] بن إسحاق قال: قال لى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر: أخذتْ جاريةٌ للواثق منِّى صوتًا أخذتُه من أبيك، وهو[6] :

[صـــــوت[7]]

أصبحَ الشَّيْبُ فى المَفارِقِ شَـاعَا * واكتسى الرَّأسُ مِنْ مَشِيبٍ قِناعَا

١٠ وتولَّى الشَّــبابُ إلّا قليــلًا * ثم يأبَى القليـــلُ إلّا وَداعا

— الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ — قال: فسَمِعه الواثقُ منها، فاستحسنه وقال لِعَلُّويَهْ ومُخَارِق: أتعْرِفَانه؟ فقال مخارق: أظُنُّه لمحمد بن الحارث. فقال عَلُّويَهْ: هيهاتَ! ليس هذا ممـا يدخُل فى صَنْعة محمدٍ، هو يُشْبِه صَـنْعةَ ذلك الشيطانِ إسحاق . فقـال له الواثق: ما أبعدتَ . ثم بعث إلىّ فأخبرنى بالقِصّة[8]؛ فقلت:

١٥ صَدَق عَلُّويَهْ يا أمير المؤمنين، هذا لإسحاق ومنه أخذتُه .

(١) فى أكثر الأصول: «أنه ينصح» والتصويب من ط، ف . (٢) فى ب، سـ: «فقال لا يستطعن أن يأخذن منى» . (٣) التكملة من ط، م، ف . (٤) فى ط، م، ف: « ... بوسواسة بن الموصلى» . وقد تقدّم هـذا الاسم فى الأجزاء الماضية كما ورد هنا، «أو أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم» أو «محمد بن أحمد بن اسماعيل بن إبراهيم» . وكذا ورد «المعروف بوسواسة الموصلى»

٢٠ أو «بوسواسة بن الموصلى» . والرواية فى أكثر المواضع عن حماد . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٥) فى أكثر الأصول: «محمد بن إسحاق» والتصويب من ف . (٦) كذا فى ط، م، ف . وفى سائر الأصول: «وهو هذا» . (٧) زيادة فى ف . (٨) كذا فى ط، م، ف . وفى سائر الأصول: «فأخبرنى القصة» .

غنت جارية صوتا أخذته عنه فأكرمها

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى عبد الله بن المُعْتَزّ قال قال لى أحمد بن الحسين بن هِشام :

جاءنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يومًا فقال لى : قُمْ حتّى أُطَفِّلَ بك على صديقٍ لى حُرٍّ، وله جاريةٌ أحسنُ خلقِ الله تعالى وجهًا وغِناءً . فقلتُ له : أنت طُفَيْلِىّ وتُطَفِّل بى ! هذه والله أَخَسُّ[1] حال . فقال لى : دعِ المُجُونَ وقُمْ بنا ؛ فهو مكانٌ لا يَسْتَحْيِي حُرٌّ أن يتطفل عليه . فقمتُ معه ، فقصَد بى دار رجلٍ من فتيان أهلِ «سُرَّ مَنْ رَأَى» كان لى صديقًا يُكْنَى أبا صالح ، وقد غُيِّرتْ كنيته على سبيل اللَّقب[2] فكُنِى أبا الصالحات ، وكان ظريفا حسنَ المُروءة ، [يضرب بالعُود على مذهب الفُرْس ضربًا حسنًا][3] ، وله رِزْقٌ سَنِىّ فى المَوالى ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزلُه يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ[4] لكثرة قَصْدِ إخوانه منزلَه . فلمّا طَرَق بابَه قلتُ له : فرَّجتَ عنّى ، [أهذا صديق][5] وأنا طُفَيْلِىّ بنفسى لا أحتاج أن أكون فى شَفاعةِ طفيلىّ . فدخلنا ، وقُدِّم إلينا طعامٌ عَتيدٌ طَيِّب نظيف فأكلنا ، وأُحْضِرنا النبيذَ ، وخرجتْ جاريته إلينا من غير سِتَارة[6] ، فغنَّتْ غِناءً حسنًا[7] شَكِلًا ظريفًا ، ثم غنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذتْه عنه — وفيه أيضًا لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبى عُيَيْنة — :

صوت

ضَيَّعْتِ عهدَ فَتًى لِعَهْدِكِ حافظٍ * فى حِفْظِهِ عَجَبٌ وفى تَضْيِيعِكِ

إن تَقْتُلِيهِ وتذهبِى بفؤادِهِ * فبِحُسْنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنِيعِكِ

(١) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «أحسن حال» . (٢) فى ب ، س : «اللعب» تصحيف . (٣) التكملة من ط ، م ، ف . (٤) فى ف : «طريف» . (٥) زيادة عن ف . (٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «جارية» . (٧) هذه الكلمة ساقطة فى ط ، م ، ف .

فَطرِب محمد بن الحارث ونَقّطها بدنانيرَ مُسَيَّفةٍ(١) كانت معه فى خَريطته، ووجّه غلامه(٢) فجاءه بِبَرْنيّة غالية كبيرة(٣)، فغلّفها(٤) منها ووَهَب لها الباقى. وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طَيّب ظريف يُكْنَى أبا هارون، فطَرب ونَعَر ونَخَر، وقال لأخيه: أريد أن أقول لك شيئًا فى السّرّ. قال: قُلْهُ عَلَانيةً. قال: لا يصلُح. قال: والله ما بينى وبينك شىءٌ أبالى أن تقولَه جهرا، فقُلْه. فقال: أشتهى عَلِم اللهُ أن تسأل أبا الصّالحاتِ(٥) أن يَنِيكَنى، فعسى صوتى أن ينفتح ويَطيبَ غنائى. فضحك أبو الصالحات وتَجبّات الجارية وغطّت وجهَها وقالت: سَخِنَتْ عينُك! فإنّ حديثَك يُشْبِه(٦) وجهَك.

صوت

وأىّ أخٍ تَبْلُو فتحمَدَ أمْرَهُ * إذا لجّ خَصْمٌ أو نَبَا بك مَنْزِلُ(٧)
إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدتَه * على طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلُ
سَتَقْطَعُ فى الدُّنيا إذا ما قطعتَنى * يَمِينَك فانظُرْ أىَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ
إذا انصرفتْ نفسى عن الشّىْء لم تَكَدْ * إليه بِوَجْهٍ آخرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

الشعر لمَعْن بن أَوْسٍ المُزَنِىّ. والغناءُ لعَرِيبَ [خفيفُ(٨)] رمل بالوسطى.

(١) فى أكثر الأصول: «مسنة» والتصويب من ط، م، ف. يقال دينار أو درهم مسيف، إذا كانت بجوانبه نقية من النقش. (٢) كذا فى ف. وفى ط، م: «ووجه بغلامه». وفى حـ: «ورجع بغلامه». وفى ب، سـ: «ودعا بغلامه». وفى أ: «وجاء بغلامه» تحريف.

(٣) فى ف: «بجاء ببرنية كبيرة فيها غالية». (٤) غلفها: ضمخها وطيبها.

(٥) فى ف: «أن تقول لأبى الصالحات». (٦) فى ف: «إن حديثك هذا».

(٧) فى ديوان الحماسة لأبى تمام:

وإلى أخوك الدائم العهد لم أخن * إنْ أبزاك خصم أو نبا بك منزل

ويروى «لم أحل». وأبزى، يجوز أن يكون مثل بزاه يبزوه إذا قهره، ويجوز أن يكون على معنى: حملك على أن تصير أبزى. والبزى: خروج الصدر ودخول الظهر، أى حملك ما لا تطيق.

(٨) زيادة عن ط، م، ف.

أخبار مَعْن بن أَوْس ونسبه

نسبه، وهو شاعر فحل مخضرم

هو مَعْن بن أَوْس[1] بن نَصْر بن زِيَاد[2] بن أَسْحَم[3] بن زِيَاد[4] بن أَسْعَد[5] بن أَسْحَم بن رَبيعة بن عَدِىّ[6] بن ثَعْلبة بن ذُؤَيْب[7] بن عَدَّاء بن عثمان بن مُزَيْنة بن أُدّ بن طَابِخة ابن إلياس بن مُضَر بن نِزَار. ونُسِبوا إلى مُزَيْنة وهى آمرأة: مُزَيْنةُ[8] بنتُ كَلْب ابن وَبْرَة، وأبوهم عمرو بن أدّ بن طَابِخة.

أخبرنى عُبَيد الله بن محمد الرازىّ وهاشم بن محمد الخُزَاعىّ[9] وعمّى قالوا: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال:

مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرَة، تزوّجها عمرو بن أدّ بن طَابِخة، فولدتْ له عثمانَ وأَوْسًا، فغلبتْ أُمُّهما على نسبهما. فعلى هذا القول عَدّاء هو آبن عثمان بن عمرو ابن أُدّ بن طابخة.

ومَعْنٌ شاعرٌ مُجِيدٌ فَحْل، من مُخَضْرَمى الجاهليّة والإسلام. وله مدائح فى جماعة من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلم ورحمهم، منهم عبدُ الله بن جَحْش، وعُمَر[10] ابن أبى سَلَمَةَ المَخْزومىّ. ووفد إلى عُمَر بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه مُسْتَعِينًا به على بعض أَمْرِه، وخاطَبه بقصيدته التى أوّلها:

تأوّبه طيفٌ بذاتِ الجَرائِم[11] * فنامَ رَفيقَاهُ وليس بنائم

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيّام الفِتْنة بين عبد الله بن الزُّبَيْر ومَرْوان بن الحَكَم.

(١) فى معجم الشعراء للرزبانى (ص ٣٩٩): «معن بن أبى أوس» وعلق عليه: «كتب فوقه (صح) والمعروف معن بن أوس». (٢) فى ط، م: «زيادة». وفى سائر الأصول ومعجم الشعراء والخزانة: «زياد». (٣) فى ف بعد هذا: «وقيل بن زيادة بن أسحم بن ربيعة». (٤) فى ط، م، أ: «زيادة». (٥) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س، ح: «سعد». (٦) فى خزانة الأدب: «عداء». (٧) فى معجم الشعراء وخزانة الأدب: «ذؤيب بن سعد بن عداء». (٨) قبل هذه الكلمة فى ط بياض بمقدار كلمة. ولعل المحذوف: «وهى أمهم». (٩) فى ب، س: «الرازى» تحريف. (١٠) فى الأصول ماعدا ط، م: «عمرو» تحريف. (١١) ذات الجرائم: موضع.

أشعر الإسلاميين من مزينة

١٦٥ / ١٠

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَاميّ قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله ابن ثَوْبَان عن عَلقمةَ بن مِحْجَنٍ الخزاعيّ عن أبيه قال :

كان مُعاوية يُفَضِّل مُزَيْنَةَ في الشِّعر، ويقول : كان أشعرُ أهل الجاهليّة منهم وهو زُهَير، وكان أشعرُ أهل الإسلام منهم وهو ابنُه كَعْبٌ، ومَعْنُ بن أَوْس .

كان مئناثا وقال شعرا في فضل البنات

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدّثني العُتْبِيُّ قال :

كان مَعْن بن أَوْس مِئناثًا[1]، وكان يُحْسِن صُحْبَةَ بناته وتربيتهنّ؛ فوُلِد لبعض عَشيرته بنتٌ فكَرِهَها وأظهر جَزَعًا من ذلك؛ فقال مَعْنٌ :

رأيتُ رجالًا[2] يَكْرَهون بَنَاتِهم * وفيهنّ - لا تُكْذَبْ - نِساءٌ صَوَالِحُ
وفيهنّ — والأيّامُ تَعْثُر بالفتى — * نَوادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوائحُ

مرّ به عبيد الله ابن العباس، وقد كف بصره، فبعث إليه بهبة فمدحه

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ (يعني الحسن بن عُلَيْل)[3] قال حدّثني أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُوَيْد بن مَنْجُوف عن أبيه قال :

مرّ عُبَيْدُ[4] الله بن العبّاس بن عبد المُطَّلب بمَعْن بن أَوْس المُزَنيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له : يامعن، كيف حالُك ؟ فقال له : ضَعُفَ بصري وكَثُر عِيالي وغَلَبَني الدَّيْن . قال : وكم دَيْنُك ؟ قال عشرةُ آلاف درهم . فبعث بها إليه . ثم مرّ به من الغَد فقال له : كيف أصبحتَ يا مَعْن ؟ فقال :

(١) يرجل مئناث، من عادته أن يلد الإناث . وكذلك امرأة مئناث . (٢) كذا في ط، م . وفي سائر الأصول : «أناسا» . (٣) زيد في ب، س، م، أ : «العنزى» . (٤) في ب، س : «عبد الله» تحريف .

أخذتُ بعَيْنِ المالِ حتَّى نَهَكْتُه[1] * وبالدَّيْنِ حتَّى ما أَكاد أُدانُ

وحتَّى سألتُ القَرْضَ عند ذَوِى الغِنَى * ورَدَّ فلانٌ حاجتى وفُلانُ

فقال له عُبَيْد الله : اللهُ المُسْتعان، إنّا بعثنا إليك بالأمس لُقْمَةً فما لُكْتَها حتّى آنْتُزِعتْ من يدك، فأىّ شىءٍ للأهل والقَرابة والجيران! وبَعَث إليه بعشرة آلاف درهم أُخْرَى . فقال معنٌ يمدَحه :

إنّك فَرْعٌ من قُرَيْشٍ وإنّما * تَمُجُّ النَّدَى منها البحورُ الفَوارِعُ

ثَوَوْا قادةً للنّاس بَطْحاءُ مَكَّةٍ * لهُمْ وسِقَاياتُ الحَجِيجِ الدَّوافِعُ

فلمّا دُعُوا للموت لم تَبْكِ منهمُ * على حادثِ الدَّهْرِ العيونُ الدَّوامِعُ

شىء من خلقه ورحلته الى الشام

أخبرنى محمد بن عِمْران قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنى الفَضْل بن العبّاس القُرَشىّ عن سَعِيد[2] بن عمرو الزُّبَيْرِىّ قال :

كان لِمَعْن بن أَوْس آمرأةٌ يقال لها ثَوْر وكان لها مُحِبًّا، وكانت حَضَرِيَّةً نشأتْ بالشأم، وكانت فى معنٍ أعرابيّةٌ ولُوثَةٌ[3]، فكانت تضحَك من عَجْرَفِيَّته[4] . فسافر إلى الشأم فى بعض أعوامه[5]، فضَلّتِ الرُّفقةُ عن الطَّريق وعدَلوا عن الماء، فطوَوْا منزلَهم وساروا يومَهم وليلتهم، فسقَط فرسُ مَعْنٍ فى وِجارِ ضَبٍّ دخلتْ يدُه فيه، فلم يستطع الفرسُ أن يقوم من شِدّة العَطَش حتّى حمله أهلُ الرُّفقة حَمْلًا فأنهضوه، وجعل معنٌ يقوده ويقول :

(١) فى ب، س، حـ : « لما نهكته » تحريف .

(٢) فى حـ، ب، س : « عن أبى سعيد » . (٣) اللوثة (بالضم) هنا : الحمق .

(٤) العجرفية والعجرفة هنا : الجفوة فى الكلام والخرق فى العمل .

(٥) فى ف : « فى بعض أيامه » .

لَوْ شَهِدَتْنِى(١) وجَوَادِى ثَوْرُ * والرَّأْسُ فيــه مَيَــلٌ ومَوْرُ(٢)

* لضحكتْ حتَّى يَميــلَ الكَوْرُ(٣) *

قدم على ابن الزبير بمكة فلم يحسن ضيافته، وأكرمه ابن عباس وابن جعفر فدحهما وذم ابن الزبير

أخبرنى عمِّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد الكُرَانِىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ عن العُتْبِىّ قال :

٥ قَدِم معنُ بن أَوْسٍ مكّةَ على ٱبن الزُّبَيْر فأنزله دارَ الضِّيفان، وكان يَنْزِلها الغُرباءُ

١٦٦/١٠ وأبناءُ السبيل والضِّيفان، فأقام يومَه لم يُطْعَمْ شيئا؛ حتّى إذا كان الليلُ جاءهم ٱبنُ الزُّبير بتَيْسٍ هَرِمٍ هَزِيلٍ فقال : كُلُوا من هذا، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلاً؛ فغَضِب معنٌ وخرج من عنده، فأتى عُبَيْدَ الله بن العبّاس، فقَرَاه وحَمله وكساه، ثم أتى عبدَ الله ٱبنَ جعفر وحدّثه حديثَه، فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثًا ثم رَحَل(٤). فقال

١٠ يهجو ٱبنَ الزُّبير ويمدح ٱبن جعفر وٱبنَ عبّاس رضى الله تعالى عنهم أجمعين(٥) :

ظَلِلْنا بمُسْتَنِّ الرِّياحِ(٦) غُـدَيَّةً * إلى أن تعالَى اليومُ فى شَرِّ مَحْضَرِ

لَدَى ٱبنِ الزُّبَيْر حابِسين(٧) بمَنْزِلٍ * من الخير والمعروفِ والرِّفْدِ مُقْفِرِ

رَمَانا أبو بكرٍ(٨) وقد طال يومُنا * بتَيْسٍ من الشَّاءِ الحِجَازِىِّ أَعْفَرِ(٩)

وقال ٱطْعَمُوا منه ونحن ثلاثةٌ * وسبعون إنسانًا فيالُؤْمَ مَخْبَرِ

---

١٥ (١) فى ف : «لوأبصرتنى» . (٢) المور هنا : الاضطراب والتحرك . (٣) الكور هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلف به رأسها . (٤) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : «حتى رحل» . (٥) هذه الجملة الدعائية ساقطة من أكثر الأصول الخطية . (٦) مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجرى . (٧) حابسين أى ذوى حبس؛ فالوصف على النسبة، والمراد أنهم محبوسون . ونحوه قول الحصين بن الحُمَام :

٢٠ مواليكمُ مولى الولادة منهم * ومولى اليمين حابس قد تُقُسِّمَا

راجع شرح الحماسة للتبريزى (صفحة ١٨٧ طبعة أوربا) . (٨) أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير . (٩) أعفر : أغبر، لونه لون العَفَر وهو التراب .

فقُلْتُ(١) له لا تَقْـرِنا(٢) فأمامَنـا * جِفَانُ ٱبن عبَّاس العُلَا وٱبنِ جَعْفَرِ
وكُنْ آمِنًا وانْعِـقْ(٣) بِتَيْسِكَ إنّه * له أَعْـنُزٌ يَـنْزُو(٤) عليها وأَبْشِـرِ

أنشده الفرزدق بيتا في هجاء مزينة فرد عليه بهجاء تميم

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الاسَديّ قال :

قَدِم معنُ بن أَوْس المُزَنيّ البَصْرةَ، فقَعَد يُنْشِد في المِرْبَد، فوقف عليه الفرزدق فقال : يامَعْنُ مَنِ الّذي يقول :

لَعَمْرُكَ ما مُزَيْنَـةُ رَهْطُ مَعْنٍ * بأَخفـاف(٥) يَطَأْنَ ولا سَـنَامِ

فقال معنٌ : أتَعْرف يافرزدقُ الذي يقول :

لَعَمْـرُكَ ماتَميمٌ أهـلُ فَلْـجٍ(٦) * بأَرْداف(٧) المُـلوك ولا كِرَامِ

فقال الفرزدق : حَسْبُك ! إنّما جَرَّبْتُك(٨). قال : قد جَرَّبتَ وأنت أعلم. فانصرف وتركه.

تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَف قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأَصمَعيّ قال :

---

(١) كذا في ط، م، حـ، ف. وفي سائر الأصول : « فقلنا ». (٢) كذا في ف. وفي سائر الأصول : « لا تقربن » وهي مصحفة عن « لا تقرين ». (٣) كذا في ط، حـ، ف، م (في أحد موضعيها). والنعيق هنا : دعاء الراعي الشاء. وفي سائر الأصول : « وارفق ». (٤) في ط، م : « تنزو عليه ». (٥) في أكثر الأصول : « بأجفان تطاق » والصواب من ط، م، ف. (٦) فلج هنا : واد بين البصرة وحمى ضرية من منازل عديّ بن جندب بن العنبر ابن عمرو بن تميم. (عن معجم البلدان). (٧) الأرداف : جمع ردف (بالكسر) وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا. (٨) في ط، ف، م (في أحد الموضعين؛ إذ هذه الترجمة مما تكرر فيها) : « فقال له الفرزدق حسبك فإنما ... ».

دخلتُ خَضْراءَ رَوْحٍ[(1)] ، فإذا أنا برجلٍ من وَلَده على فاحشةٍ يوماً[(2)] ، فقلتُ : قَبَحك الله ! هذا موضعٌ كان أبوك يَضْرِب فيه الأعناقَ ويُعْطِى اللُّهَى وأنت تفعل [فيه][(3)] ما أرى ! فالتفتَ إلىّ من غير أن يزولَ عنها وقال :

وَرِثْنا المجدَ عن آباء صِدْقٍ * أَسَأْنا فى ديارهمُ الصَّنيعَا

إذا الحَسَبُ الرَّفيعُ تَوَاكَلَتْهُ * بُنَاةُ السُّوءِ[(4)] أَوْشَكَ أن يَضيعَا

قال : والشِّعر لمعن بن أَوْس المُزَنىّ .

سافر إلى الشام وخلف ابنته فى جوار ابن أبى سلمة وابن عمر بن الخطاب وقال شعرا

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ صهر المُبَرِّد قال حدّثنا أحمد بن عُبَيْد أبو عَصِيدةَ عن الحِرْمازىّ قال :

سافر معنُ بن أَوْس إلى الشامِ وخلّف ٱبنتَه ليلَى فى جِوار عُمَر[(5)] بن أبى سَلَمةَ ، — وأُمُّه أُمُّ سَلَمة أُمُّ المؤمنين رَضِى الله تعالى عنها — وفى جِوار عاصم بن عُمَر بن الخَطّاب رَضِى الله تعالى عنه . فقال له بعض عَشيرته : علَى مَنْ خَلَّفتَ ٱبنتَك ليلى بالحجاز وهى صبيّة ليس لها مَنْ يَكْفُلُها ؟ فقال معنٌ رحمه الله تعالى :

لَعَمْرُكَ ما ليلَى بدارِ مَضِيعَةٍ * وما شَيْخُها أنْ غابَ عنها بخائفِ

وإنّ لها جارَيْنِ لن يَغْدِرَا بها[(6)] * رَبِيبَ النبىّ وٱبنَ خَيْرِ الخلائفِ

١٦٧ / ١٠

قال عبد الملك بن مروان عنه إنه أشعر الناس

أخبرنى محمد بن عِمْران الصيرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزىّ قال حدّثنى مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هِشام قال :

(١) لعل خضراء روح : بستان كان لروح بن حاتم المهلبى أحد الفرسان والأشراف فى أيام المهدى .

(٢) فى ط ، ف : « ... على فاحشة يؤتى » . (٣) زيادة عن ط ، م ، ف .

(٤) فى أكثر الأصول : « بنات السوء » والصواب من ط ، م . (٥) فى حـ ، ب ، سـ : « عمرو » تحريف . (٦) كذا فى ط ، م ، ف . وفى أ ، حـ : « ان يغدرانها » بالنون ؛ يقال : غدره وغدر به ، كنصر وضرب وسمع . وفى ب ، سـ : « لا يقدرانها » تحريف .

قال عبدُ الملك بن مَرْوَانَ يوماً وعنده عِدّةٌ من أهلِ بيته وولَدِه: لِيَقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سَمِعَ به؛ فذكروا لامرئ القيس والأعْشَى وطَرَفَةَ فأكثروا حتّى أتَوْا على مَحَاسنِ ماقالوا. فقال عبدالملك: أشعرُهم والله الذى يقول:

وذِى رَحِمٍ قلَّمْتُ أظْفَارَ ضِغْنِهِ * بِحِلْمِىَ عنهُ وَهْوَ ليس له حِلْمُ
إذَا سُمْتُه وَصْلَ القَرابةِ سامَنِى * قَطِيعتَها، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فأَسْعَى لكَىْ أَبْنِى ويهْدِمُ صالحِى * وليس الذى يَبْنِى كَمَنْ شأنُه الهَدْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِى لا يُحَاوِلُ غيرَه(١) * وكالموتِ عندى أن ينالَ له رغمُ(٢)
فما زِلْتُ فى لِينٍ له وتَعَطُّفٍ * عليه كما تحنُو على الوَلَدِ الأُمُّ
لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتّى سَلَلْتُهُ * وإنْ كان ذا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ

قالوا: وَمَنْ قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال: مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنِىّ.

خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلى وطلاقها وقصة ذلك

أخبرنى عيسى بن حسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش(٣) السَّعْدىّ عن أبيه قال:

خرج معنُ بن أَوْسٍ المُزَنىّ إلى البَصْرة ليمتارَ منها ويبيع إبلاً له؛ فلمّا قَدِمَها نزل بقومٍ من عَشِيرته، فتولّتْ ضِيافتَه امرأةٌ منهم يقال لها ليلى، وكانت ذاتَ جمالٍ ويَسَارٍ، فخطبها فأجابته فتزوّجها، وأقام عندها حولاً فى أنْعَمِ عيشٍ. فقال لها بعد حَوْلٍ: يابنةَ عمّ، إنّى قد تركتُ ضَيْعةً لى ضائعةً، فلو أذِنتِ لى فاطّلعتُ(٤) [طِلْعَ]

(١) فى أكثر الأصول: «لايحاول رغمه». والصواب فى ط، م، ف. (٢) ومثل هذه الرواية فى تاريخ ابن عساكر (حـ ٤٣ ص ٩٣ — نسخة خطية بمكتبة المرحوم أحمد تيمور باشا). وفى مجموعة شعر معن المطبوعة فى أوربا: «أن يعزّ به الرغم». وفى كتاب الأمالى لأبى على القالى: (حـ ٢ ص ١٠٢): «أن يحل به الرغم». وفى خزانة الأدب (حـ ٣ ص ٢٥٩): «أن يحل به رغم».
(٣) فى أكثر الأصول: «عباس». والتصويب من ط، م.
(٤) اطلع طلعه: عرف أمره. وفى ف: «فاطلعت طلع مالى فقالت».

أهلى ورَمَمْتُ[1] من مالى ! فقالت : كم تُقيم ؟ قال : سنةً[2] ، فأذِنَتْ له . فأتى أهلَه فأقام فيهم وَأَزْمَنَ عنها (أى طال مُقامه) . فلمّا أبطأ عليها رحلتْ إلى المدينة فسألتْ عنه ، فقيل لها : إنّه بعَمْقٍ (وهو ماءٌ لمُزَيْنَةَ) . فخرجتْ ، حتّى إذا كانت قريبةً[3] من عَمْقٍ نزلتْ منزلاً كريمًا[4] . وأقبل معن فى طلب ذَوْدٍ له قد أضلّها وعليه مِدْرَعةٌ من صُوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أخضرَ — قال : والبَتُّ : الطَّيْلَسانُ[5] — وعمامةٌ غليظةٌ . فلمّا رُفِع[6] له القومُ مال إليهم لِيَسْتَسْقِىَ ، ومع ليلى ٱبنُ أخٍ لها ومولًى من مَواليها جالسٌ أمام خِبَاءٍ له . فقال له معنٌ : هل من ماءٍ ؟ قال : نَعَمْ ، وإن شئتَ سَوِيقًا ، وإن شئتَ لبنا ؛ فأناخ . وصاح مولًى ليلَى : يامُنْهِلة — وكانت مُنْهِلةُ الوصيفةَ التى تقوم على مَعْنٍ عندهم بالبَصْرة — فلمّا أتتـه بالقَدَح وعرَفها وحَسَر عن وَجْهه لِيشرَب عرفتْه وأَثْبَتَتْه[7] ، فتركت القَدَح فى يده وأقبلتْ مسرعةً إلى مَوْلاتها فقالت : يامولاتى ، هذا والله معنٌ إلا أنّه فى جُبَّةِ صُوفٍ وبَتِّ صوفٍ . فقالت : هو والله عَيْشُهم ، اِلْحَقِى مولاى فقولى له : هذا معنٌ ، فٱحْبِسْه . فخرجتِ الوصيفةُ مُسْرِعةً فأخبرتْ . فوَضَع معنٌ القَـدَحَ وقال له : دَعْنى حتّى ألقاها فى غير هذا الزِّىّ . فقال : لستَ بارحًا حتّى تدخل عليها . فلمّا رأته قالت : أهذا العيش الذى نزعتَ إليه يامعن ؟ ! قال : إى والله يابنـةَ عمٍّ ! أمَا إنّك لو أقمتِ إلى أيّام

(١) رممت من مالى : أصلحت . (٢) فى حـ ، ب ، سـ : «قلت» تحريف .
(٣) فى ط ، م ، ف : «قريبا» . (٤) «كريما» ليست فى ط ، م ، ف .
(٥) كذا فى ط ، م ، ج . وهى جملة جىء بها لتفسير البيت . وفى بعض النسخ : «وقد لبس الطيلسان» . وفى بعضها : «وقد لبث الطيلسان» تحريف . (٦) رفع له الشىء (مبنيا للمجهول) : أبصره عن بعد . (٧) يقال : أثبت فلان فلانا ، إذا عرفه حق المعرفة .

الرَّبيع حتّى يُنْبِتَ البَلَدُ الخُزامَى والرُّخامَى(١) والسَّخْبَر والكَمْأةَ ، لأصَبْت عيشًا طيّبًا . فغسلتْ رأسَه وجَسَدَه، وألبسته ثيابًا ليِّنة ، وطيَّبَته ، وأقام معها ليلتَه أجمعَ يهرِجُها(٢) ، ثم غدَا متقدِّما إلى عَمْقٍ حتّى أعدّ لها طعامًا ونَحَر ناقةً وغَنَمًا(٣) . وقَدِمتْ على الحىّ ، فلم تَبْقَ [فيهم](٤) امرأةٌ إلّا أتتها وسَلَّمتْ عليها ، فلم تَدَعْ منهنّ امرأةً حتّى وصلتْها . وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعَمْقٍ يقال لها أُمّ حِقّةَ ، فقالت لمعن : هٰذه والله خيرٌ لك منّى ، فطَلِّقْنى ، وكانت قد حملتْ فدَخَله(٥) من ذلك وقام . ثم إنّ ليلَى رحلتْ إلى مكة حاجّةً ومعنٌ معها . فلمّا فرَغا من حَجِّهما انصرفا ، فلمّا حاذَيا مُنْعرَجَ الطريق إلى عَمْقٍ قال معن : ياليلى ، كأنّ فؤادى يَنْعوِجُ(٦) إلى ما هاهنا . فلو أقمتِ سَنَتَنا هٰذه حتّى نَحُجَّ من قابِلٍ ثم نَرْحَل إلى البَصْرة! فقالت : ما أنا ببارحةٍ مكانِى حتّى تَرْحَلَ معى إلى البَصْرة أو تُطَلِّقَنى . فقال : أمّا إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق . فمضت إلى البصرة(٧) ، ومضى إلى عَمْقٍ . فلمّا فارقته نَدِم وتَبِعتْها(٨) نفسه ، فقال فى ذلك :

---

(١) قال أبو حنيفة : الخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج . قال : ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ، وهى خِيرىّ البر . والخيرى : المنثور (ضرب من الزهر) الأصفر . والرخامى : نبتة . قال أبو حنيفة : هى غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تحفره الحمر بحوافرها ، والوحش كله يأكل ذلك العرق لحلاوته وطيبه ، ومنابتها الرمل .

والسخبر ، قال أبو حنيفة : إنه يشبه الثُّمام له جرثومة وعيدانه كالكراث فى الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رءوسه وانحنت .

والكمأة : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه جدرى الأرض . قيل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الغبرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض .

(٢) كذا فى ط ، م ، ف . ويهرجها : يجامعها . وفى سائر الأصول : «يحدّثها» .

(٣) وغنما ، ليست فى ف . (٤) زيادة عن ط ، م ، ف . (٥) أى دخله شىء من ذلك .

(٦) فى أكثر الأصول : « كأن الفؤادى ينعرجن إلى هاهنا » . والتصويب من ط ، م ، ف .

(٧) هكذا فى ط ، م ، ف . ومكانه فى سائر الأصول : « فطلقها ومضى إلى عمق . فلما فارقته ... » .

(٨) فى ط ، م ، ف : «وتتبعتها» .

تَوَهَّمْتُ رَبْعاً بالمُعَبِّر(١) واضحاً * أبتْ قَرْتاه(٢) اليومَ إلاّ تَرَاوُحا
أَرَبَّتْ عليه(٣) رادةٌ حَضْرَمِيَّةٌ * ومُرْتَجِزٌ كأنّ فيه المَصَابحا
إذا هِيَ حَلَّتْ كَرْبَلاءَ فَلَعْلَعاً * فجوزَ العُذَيْبِ(٤) دونها فالنَّوابحا(٥)
وبانتْ(٦) نَوَاها من نَوَاكَ وطاوعتْ * معَ الشّانئين الشامتاتِ(٧) الكَوَاشحا
فقُولا لليلَى هل تُعَوِّضُ نادماً * له رجعةٌ قال الطلاقَ مُمَازحا
فإنْ هِيَ قالتْ لا فقُولا لها بَلَى * أَلاَ تتّقِينَ الجارياتِ(٨) الذَّوَابحا

(١) فى ف : «بالمغمس» . ومعبر، قال أبو عبيد البكرى فى معجمه : بواحدة مكسورة مشددة، موضع تلقاء الوتدات من البقيع ؛ قال طفيل :

أُفدّيه بالأمّ الحصان وقد حبت * من الوتدات لى حبال معبِّرِ

والحبال : حبال الرمل . يقول : ارتفعت له ولاحت هذه الحبال وهو بالوتدات . وفى معجم البلدان أنه جبل من جبال الدهناء ، ثم ذكر أربعة أبيات من هذه القصيدة . (٢) قرتاه : الغداة والعشىّ . وفى صلب ف وهامش ط : « قرتاه : بَرْداه، أوّله وآخره» . وفى ب ، سـ : «قرناه اليوم أن لا» تحريف . (٣) كذا فى ط ، م ، ف ومعجم البلدان . ومرجع الضمير الربع . وفى سائر الأصول : « عليها» . وأربت : أقامت . ورادة هنا : سحابة طوافة ترود وتجول . وحضرمية : منسوبة إلى حضرموت ، أى تقبل من الجنوب . ومرتجز : سحاب يتتابع صوت رعده . وكأن فيه المصابح ، لما يبدو فيه من لمعان البرق . يدعو للربع بالسقيا . ويقال مصباح ومصابيح ومصابح ، بحذف الياء ، كما يقال مفتاح ومفاتيح ومفاتح . وفى ج ، ب ، سـ : «المضابحا» تصحيف . (٤) كذا فى ط ، م ، ج ، ف ومعجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : «بعدها» . (٥) فى ب ، سـ : « فالنوائحا » بالهمزة ، وكذلك ورد فى معجم البلدان . ولعله وهم من ياقوت أو تصحيف من الناسخ أو المطبعة ؛ فإن أبا عبيد البكرى قال بالعبارة فى معجمه : «النوابح» بفتح أوّله وبالباء المعجمة بواحدة والحاء المهملة على لفظ جمع نابحة » .

وكربلاء ولعلع والعذيب والنوابح ، كلها مواضع متقاربة بظاهر الكوفة . وفى معجم البلدان (فى معرب عليب) «فجوز العُلَيب» . والعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . (٦) فى ج ، ب ، سـ : «وباتت» بالتاء ، تصحيف . والنوى هنا : الوجه الذى يذهب فيه . (٧) كذا فى ط ، م ، ف . ولعله على تقدير العطف أىْ والشامتات الكواشحا . وفى سائر الأصول : « مع الشامين الشامتين الكواشحا » . فإن كانت الرواية «مع الشانئين الشامتين الكواشحا» كان فيه وصف « الشامتين » بالكواشح ، وهو قليل . (٨) فى الأصول ماعدا ط ، م : «ألا تتبعين الحادثات» تحريف . وفى ج : «الجاريات» مثل ط ، م .

وهى قصيدةٌ طويلة . فلمّا انصرف وليستْ ليلى معه قالت له امرأته أُمّ حِقّة : مافعلتَ ليلى ؟ قال : طَلّقتُها . قالت : واللهِ لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك ، فطَلِّقنى أنا أيضا . فقال لها معنٌ :

أعاذلُ أَقْصِرى ودَعِى بيَاتِى[1] * فإنّكِ ذاتُ لَوْماتٍ حَمَاتِ[2]

فإنّ[3] الصُّبحَ منتظَرٌ قريبٌ * وإنّكِ بالمَلامةِ لن تُفاتى

نأتْ لَيْلَى فليلَى[4] لاتُواتى * وضَنّتْ بالمودّة والبَتَاتِ[5]

وحَلّتْ[6] دارُها سَفَوانَ[7] بعدى * فذا قارٍ فمُنْخَرَقَ[8] الفُراتِ

تُراعى الرِّيفَ دائبةً[9] عليها * ظِلالُ الألفِ مختلطِ النّباتِ

فدَعْها أو تَناوَلْها بِعَنْسٍ[10] * من العِيدىّ فى قُلُصٍ شِخَاتِ[11]

---

(١) يريد : دعى لومى فى المبيت . (٢) حمات : جمع حمة ، وهى السم (عن صلب ف وهامش ط) . (٣) فى ط ، م : «وإن» . (٤) فى الأصول ما عدا ط ، م ، ف : «وليلى» بالواو . (٥) هكذا فى ط ، م ، ف . والبتات هنا : الزاد . وفى سائر الأصول : «والثبات» . (٦) فى الأصول ما عدا ط ، م ، ف : «وخلت» بالخاء المعجمة .

(٧) سفوان (بالتحريك) : ماء على أميال من البصرة بين ديار بنى شيبان وديار بنى مازن . وذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

(٨) كذا فى ط ، ج ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «بمنخرق» . (٩) فى الأصول ماعدا ط ، م ، ف : « ... دانية عليها * ظلال أنف» . والألف من الشجر : الذى كثر وتكاثف .

(١٠) فى ب ، س ، ج : «بعس من العودى» . وفى أ : «بعنش من العندى» . والصواب من ط ، م . والعنس من النوق : القوية . والعيدى : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية ، أو هو نسبة إلى رجل . والقلص : جمع قلوص (بالفتح) وهى الشابة من الإبل .

(١١) فى بعض الأصول : «سحات» بالسين والحاء المهملتين ، وفى بعضها : «سخات» بالمهملة والمعجمة . والتصويب من ط ، م ، س . والشخات : جمع شختة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لاهزالا .

وهى قصيدة طويلة . قال : وقال لأمّ حِقّة فى مُطَالبتها[1] إيّاه بالطلاق :

كأنْ لم يَكُنْ يا أُمَّ حِقّـةَ قبلَ ذا * بِمَيْطانَ[2] مُصطافٌ لنـا ومَرابِـعُ

وإذْ نحن فى غُصْنِ[3] الشّبابِ وقد عسا[4] * بنـا الآنَ إلّا أنْ يُعَوَّضَ جازِعُ[5]

فقـد أنكرتْه أُمُّ حِقّـةَ حادثًا * وأنكرها[6] ما شئتَ والـودُّ خادعُ

ولو آذنتْنـا أُمُّ حِقّـةَ إذ بنـا * شبابٌ وإذ لمّـا تَرُعْنـا الرّوائـعُ

لَقُلْنـا لهـا بِينِى بِلَيْـلٍ حميـدةً * كذاكِ بلا ذمٍّ تُؤَدّى الوَدائـعُ[7]

صـــوت

أعابدَ حُيِّيتُمْ على النّـأْى عابـدَا * سَـقَاكِ الإلٰهُ المُنْشَآتِ الرَّواعِدا

أعابِدَ ما شمسُ النّهـارِ إذا بدتْ * بأحسنَ ممّـا بين عَيْنَيْـكِ عابدا

ويُرْوَى :

* أعابِدَ ما شمسُ النهـار بدتْ لنـا *

ويروى :

أَعابِدُ ما الشَّمْسُ التى برزتْ لنـا * بأحسنَ ممّـا بين ثَوْبَيْـكِ عابدا

الشِّـعر للحسين بن عبد الله بن عُبَيْد الله بن العبّاس بن عبد المُطّلب . والغناء لِعَطَرَّد ثانى ثَقِيلٍ بالبِنْصَر . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّس .

(١) فى جـ ، ب ، سـ : «مطالبته إياه» تحريف . (٢) ميطان ، قال ياقوت فى معجمه : «بفتح أوّله ثم السكون وطاء مهملة ، وآخره نون ، من جبال المدينـة — إلى أن قال — وهو لمزينة وسليم . وقد روى أهل المغرب غير ذلك ، وهو خطأ . له ذكر فى صحيح مسلم» ثم ذكر هذه الأبيات . وفى معجم ما استعجم أنه بكسر أوّله وأنه موضع ببلاد مزينة من أرض الحجاز ، ثم ذكر هذا البيت . وهذا مانسبه ياقوت الى المغاربة من خطأ . (٣) فى ط ومعجم البلدان : «فى عصر الشباب» وفى هامش ط إشارة إلى هذه الرواية . (٤) عسا النبات : غلظ ويبس . (٥) فى الأصول ماعدا ط ، م : «نعوض جارع» تصحيف . (٦) فى الأصول ماعدا ط ، م : «وأنكر ماشئت» تحريف . (٧) كذا فى ط ، م ، ف ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : «الصنائع» .

أخبار الحسين بن عبد الله

شعره فى عابدة قبل زواجه بها

قد تقدّم نسبُه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكْنَى أبا عبد الله . وكان من فِتْيان بنى هاشم وظُرَفائهم وشُعرائهم . وقد روَى الحديثَ وحُمِلَ عنه ، وله شِعْرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها فى زوجته عابدة بنت شُعَيْب بن محمد بن عبد الله بن عمرو آبن العاص ، وهى أُخت عمرو بن شُعَيْب الذى يُرْوَى عنه الحديث . وفيها يقول قبلَ أن يتزوّجها :

صــــوت

أَعَاذِلَ إنّ الحُبَّ لا شَكَّ قاتِلِى * لئن لم تُقارِضْنى هَوَى النّفسِ عابِدَهْ
أَعابِدُ[1] خافِى اللهَ فى قتلِ مُسْلِمٍ * وجُودِى عليه مَرّةً قطُّ واحدَهْ
فإنْ لم تُرِيدِى فىَّ أَجْرًا[2] ولا هَوًى * فَكَمْ[3] غيرَ قتلِى يا عُبَيْدُ فَرَاشِدَهْ
فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أَرْعَى نُجُومَها * وعَبْدةُ لا تَدْرِى بذلك راقِدَهْ

الغناء للحَكَمِ الوادىّ ، رملٌ بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصر ، عن إسحاق .

فمِمّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدّثنى به أحمد بن سعيد قال حدّثنى محمد بن عُبَيْد الله [بن[4]] المُنَادِى[5] قال حدّثنى يونس بن محمد قال حدّثنا أبو أُوَيْس عن حُسَيْن آبن عبد الله بن عُبَيْد الله بن عبّاس عن عِكْرِمةَ عن آبن عبّاس قال :

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول «أعابد» . (٢) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «هجرا» تحريف . (٣) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «فكم» تحريف . (٤) التكملة من ف . (٥) فى أكثر الأصول : «المنارى» بالراء ، والتصويب من ط ، م ، ف . وهو محمد بن عبيد الله بن يزيد البغدادى أبو جعفر بن أبى داود بن المنادى . (راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٢٥)

مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على حسّان بن ثابت وهو فى ظلّ فارِعٍ[1] وحوله أصحابُه وجاريتُه سِيرِينُ تُغنّيه بمِزْهَرِها :

هَلْ علىّ وَيْحَكُمَا * إنْ لَهَوْتُ من حَرَجِ

فضحِك النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لا حَرَجَ إنْ شاء الله » .

٥ وكانت أُمّ عابدةَ هذه عمّةَ حسين بن عبد الله بن عُبَيْد الله ، أُمّها عَمْرةُ بنت عُبَيْد الله بن العبّاس ، تزوّجها شُعَيب فولدتْ له محمداً وشُعَيْبا ٱبْنَى شُعَيْب وعابِدةَ ، وكان يقال لها عابِدةُ الحُسْن ، وعابِدةُ الحسناء .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء والطّوسىّ قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن يحيى قال :

١٠ خَطَبَ عابِدةَ بنتَ شُعَيبٍ بَكّارُ بن عبد الملك وحُسَيْن بن عبد الله ، فآمتنعتْ على بكّار وتزوّجتِ الحُسَيْن . فقال له بكّار : كيف تزوّجتْك العابِدةُ وآختارتْك مع فَقْرِك ؟ فقال له الحسين : أتُعيِّرُنا بالفقر[2] وقد نَحَلَنا الله تعالى الكَوْثَر[3] !

تنكر ما بينه وبين عبد الله بن معاوية فتعاتبا بشعر

أخبرنى الحَرَمِىّ والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار عن عمّه قال :

كان حُسَيْن بن عبد الله أمّه أُمّ وَلَدٍ ، وكان يقول شيئا من الشِّعْر ، وتزوّج ١٥ عابدةَ بنتَ شُعَيبٍ وولدت منه ، وبسَبَبِها رُدّتْ على وَلَدِ عَمْرِو بن العاص أموالُهم فى دولة بنى العبّاس . وكان عبدُ الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تنكّر ما بينهما ؛ فقال فيه آبن معاوية :

---

(١) فارع : حصن كان لحسان بن ثابت بالمدينة .

(٢) الفصيح : عيّره كذا ، لا بكذا .

(٣) فى ط ، م : « ... الله جل وعز » .

١٧٠
١٠

إنّ ابنَ عمِّك وابنَ أُمِّـــك مُعْلَمٌ شاكِى السِّلاحِ

يَقِصُ العدُوَّ[١] وليس يرْ * ضَى حين يبطِشُ بالجراحِ

لا تحسَبَنّ أذى ابنِ عمِّـــك شُرْبَ ألبانِ اللِّقاحِ

بل كالشَّجاةِ وراءَ اللَّهـاةِ إذا تُسَوَّغُ بالقَراحِ[٢]

فاخترْ لنفسك مَنْ يجيـ * ـبُك تحتَ أطرافِ الرِّماحِ

مَنْ لا يزال يَسُوءُه[٣] * بالغَيْبِ أنْ يَلحاكَ لاحِ[٤]

فقال حسين له :

أَبْرِقْ لِمَنْ يخشى وأوْ * عِدْ[٥] غيرَ قومك بالسِّلاحِ

لسنا نُقِرُّ لقائلٍ * إلّا المُقَرَّطَ[٦] بالصَّلاحِ

قال : والحسين يقول ابنُ معاوية :

قُلْ لِذى الوُدِّ والصَّفاء حُسَيْنٍ * أَقْدُرِ الوُدَّ بيننا قَدْرَهْ

ليس لِلدّابغِ المُحَلِّمِ[٧] بُدٌّ * من عِتابِ الأَديمِ ذى البَشَرهْ

---

(١) وقصه يقصه : كسره . (٢) الشجا والشجاة : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . والقراح : الماء الخالص الذى لا يخالطه شىء . (٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : * من لا تزال تسوءه * بالتاء الفوقية ، تصحيف . (٤) فى أكثر الأصول : «لن يلحاك» . والتصويب من جـ ، ف . وهذا البيت وجملة «فقال حسين له» ساقط فى ط ، م ؛ كأن البيتين الآتيين من هذه القصيدة . ويلحاه هنا : يشتمه . والأكثر أن يقال لحاه يلحوه لحوا إذا شتمه . وحكى أبو عبيد : لَحيته ألحاه لحوا (وزان رضى يرضى) وهى نادرة . وهذا الشعر يؤيد ورودها . وأما لحاه يلحاه (وزان سعى يسعى) بمعنى لامه ، فبالياء .

(٥) هكذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «وأرعد» بالراء . (٦) المقرط بالصلاح : الموسوم به .

(٧) المحلم : الذى ينزع الحلم عن الجلد . والحلم (بالتحريك) دود يقع فى الجلد فيفسده ، واحدته حلمة ؛ يقال : حلم الجلد يحلم حلما فهو حلم (وزان فرح يفرح فرحا فهو فرح) إذا وقع فيه الحلم فثقبه وأفسده . والمثل الذى يشير إليه الشاعر "إنما يُعاتَب الأديم ذو البشرة" أى إنما يعاود إلى الدباغ الأديم ذو البشرة ، وهو الجلد الذى سلمت بشرته ، وهى ظاهره الذى ينبت عليه الشعر . يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب .

لستُ إنْ راغ[1] ذو إخاءٍ ووُدٍّ * عَنْ طَرِيقٍ بِتَابِعٍ أَثَرَهْ
بَلْ أُقِيمُ القَنَاةَ والوُدَّ حتّى * يَتْبَعَ الحَقَّ بعدُ أو يَذَرَهْ

كان صديقا لابن أبي السمح ومدحه بشعر

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن سلّام قال :

كان مالك بن أبي السَّمْح الطائى المُغَنِّى صديقًا للحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله ابن العبّاس ونديمًا له ، وكان يتغنّى فى أشعاره . وله يقول الحسين رحمه الله تعالى :

لا عَيْشَ إلّا بمالكِ بن أبى السَّمْـ * ـحِ فلا تَلْحَنِي ولا تَلُمِ
أَبْيَضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الْـ[2] * ـبارِقُ فى حِنْدِسٍ من الظُّلَمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الكريمِ ولا * يَهْتِكُ حقَّ الإسلامِ والحُرَمِ[3]
يارُبَّ ليلٍ لنا كحاشِيَةِ الْـ[4] * ـبُرْدِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ
قد كنتُ فيه[5] ومالكُ بن أبى السمـ * ـحِ الكريمُ الأخلاقِ والشِّيَمِ
مَنْ ليس يَعْصِيكَ إنْ رَشَدْتَ ولا * يَجْهَلُ آىَ[6] التَّرْخِيصِ فى اللَّمَمِ

---

(١) كذا فى ط ، م ، ف . وراغ الرجل والثعلب يروغ روغا وروغانا : مال وحاد عن الشىء . وفى أكثر الأصول : « زاغ » بالزاى . وزاغ : مال . (٢) الرواية فيا تقدّم من الأغانى (ج ٥ ص ١١٠ من هذه الطبعة) : « كالبدر » بدل « كالسيف » و « فى حالك » بدل « فى حندس » .

(٣) ورد صدر هذا البيت فيا تقدّم صدرا للبيت الأخير هنا ، وصدر البيت الأخير صدرا لهذا البيت . والبيتان متتاليان هناك . (٤) فى أكثر الأصول : « يارب يوم » . والتصويب من ط ، م ، ف ومما تقدّم . (٥) فى ف : « قد بت فيه » وفى هامش ط : « ويروى : لهوت فيه » . والرواية فيا تقدّم : « نعمت فيه » . (٦) كذا فى ف والجزء الخامس من هذه الطبعة . وفى ط ، م : « أتى الترخيص » . ولعله تحريف عن « آي الترخيص » . وفى سائر الأصول هنا : « ولا يجهل منك الترخيص » .

قال : فقال له مالك : ولا إنْ غَوَيْتَ والله بأبى [أنتَ][1] وأمى أَعْصِيك[2] . قال وغنَّى مالكٌ بهذه الأبيات بحضْرة الوليد بن يزيد، فقال له : أخطأحسين فى صِفَتك ، إنما كان ينبغى أن يقول :

أحْوَلُ[3] كالقِرْدِ أو كما يخرُج الـ * ـسَّارِقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

[أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صلَّى العصرَ دخل منزلَه وسَمِع الغنـاءَ عشيته . فأتاه قومٌ ذاتَ عشـيّةٍ فى حاجةٍ لهم فقضاها ، ثم جلسوا يحدِّثونه . فلما أطالوا قال لهم : أتأذَنون ؟ فقـالوا نعم . فقـام فى أصحاب له وهو يقول :

قُومُوا بنـا نُدرِكْ من العيش لَذَّةً ولا إثمَ[4] فيهـا للتَّـقِيِّ ولا عارَا[5]]

صـــــوت

إنّ حَرْبًا و إنّ صَخْـرًا أبا سُفْـ * ـيانَ حازَا مَجْـدًا وعزًّا تليـدَا

فهُما وارثا العُـلَا عن جُدُودٍ * وَرِثُوها آباءَهـم والجُـدودَا

الشعر لفَضالَةَ بن شَرِيك الأسَـدىّ من قصيدةٍ يمدَح بها يزيدَ بن مُعاوِية . وبعد هذين البيتين يقول :

وحوى إرْثَهـا مُعاويةُ القـرْ * مَ وأعطَى صَفْوَ التُّراثِ يزيدَا

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعَيْطِىّ[7] ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَرِ عن الهشامىّ ، والله أعلم

(١) التكملة عن ط ، م ، ف . (٢) كذا فى ط ، م ، ف والجزء الخامس . وفى سائر الأصول : «لن أعصيك» . (٣) فى أكثر الأصول : «أخوك» والتصويب من ط ، م ، ف .

(٤) جملة هذا الشطر صفة للذة . وقد دخلت الواو فى الجملة الوصفية وهو قليل . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الحجر : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) . (٥) زيادة من ف .

(٦) القرم : هنا السيد . (٧) هذه الكلمة ليست موجودة فى أكثر الأصول الخطية

أخبار فَضَالةَ بن شَرِيكٍ ونسبه

نسبه وشعره لابنه عبد الله فى ذم ابن الزبير

هو فَضَالةُ بن شَرِيك بن سَلْمان[1] بن خُوَيلد بن سَلَمةَ بن عامرٍ مُوقِدِ النّار بن الحَرِيش بن نُمَير بن والِبَةَ بن الحارث بن ثَعْلَبَةَ بن دُودانَ [بن أسد][2] بن خُزَيْمةَ بن مُدْرِكةَ ابن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . وكان شاعرًا فاتكًا صُعْلوكًا مُخَضْرَمًا أدرك الجاهليّة والإسلام . وكان له آبنان شاعران ، أحدُهما عبدُ الله بن فَضَالةَ الوافدُ على عبد الله ابن الزُّبير والقائل له : إنّ ناقتى قد نَقِبتْ ودَبِرتْ[3] ؛ فقال له : ٱرْقَعْها بجِلْدٍ وٱخْصِفْها بهُلْبٍ[4] وسِرْ بها البَرْدَيْن[5] . فقال له : إنّى قد جئتُك مُسْتَحْمِلاً لا مستشيرا[6] ، فلعَن اللهُ ناقةً حملتنى إليك . فقال له ابن الزُّبير : إنّ[7] وراكبَها . فآنصرف من عنده وهو يقـول :

أقـولُ لغِلْمتى شُـدّوا رِكَابِى * أُجاوِزْ بَطْنَ مكّةَ فى سَـوادِ[8]

فـالى حينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ * إلى ابنِ الكاهليّةِ من مَعَـادِ[9]

---

(١) كذا فى ط ، م وتاريخ دمشق لابن عساكر (ج ٤ ص ٥٤١) ومعجم الشعراء للمرزبانى . وفى سائر الأصول : «سليان» . (٢) التكملة عن ف . (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٣١ طبعة أوربا) . (٣) كذا فى ط ، م ، ف . وفى لسان العرب (مادة أن) : «نقب خفها» ؛ يقال : نقب البعير، إذا حفى ورقت أخفافه . وفى سائر الأصول : «تعبت» . والدبر (بالتحريك) : جرح يكون فى ظهر الدابة . (٤) الهلب : الشعر . وخصفه : وضعه وإطباقه على الأخفاف ليقيها . والبردان : الغداة والعشى مثل الأبردين . (٥) زيد فى خزانة الأدب وتاريخ ابن عساكر (ج ٤ ص ٥٤٣) بعد البردين : «تصح» . وفى الخزانة : «لا مستوصفا» بدل «لا مستشيرا» . وفى حاشية الأمير على مغنى اللبيب : «ما أتيتك مستطيا وإنما أتيتك مستمنحا» . (٦) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «الله تعالى» . (٧) إن هنا بمعنى «نعم» . (٨) فى خزانة الأدب (ج ٢ ص ١٠١) : «بطن مر» . وبطن مر : موضع بقرب مكة . وفى سواد، أى فى ظلام الليل . (٩) ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة وعنده يهل أهل العراق . وابن الكاهلية ، يريد ابن الزبير . وسيذكر المؤلف ذلك فى آخر هذه الترجمة . ومعاد : مصدر بمعنى العود .

سَيُبْعِدُ بيننا نَصُّ المَطَايَا * وتَعْلِيقُ الأَدَاوَى والمَزَادِ[١]
وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلمتْه * مَنَاسِمُهُنَّ طَلَّاعِ النِّجَادِ[٢]
أَرَى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ * نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ[٣]
مِنَ الأعياصِ أو مِنْ آلِ حَرْبٍ * أَغَرَّ كغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ

ابنه فاتك ومدح الأقيشر له

حدّثنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدَائنىّ . فأمّا فاتكُ ابن فَضَالةَ فكان سَيِّدًا جَوَادًا . وله يقول الأُقَيْشِر يمدحه :

يا فاتكُ بنَ فَضَالةَ بن شَرِيكٍ * وَفَدَ الوفودُ فكنتَ أفضلَ وَافِدِ[٤]

(١) نص المطايا : سيرها الشديد، على أن النص مضاف الى فاعله ، أو حثها واستخراج ما عندها من السير، على أن النص مضاف الى مفعوله . وفى تاريخ ابن عساكر : «وقول ابن فضالة فى شعره هذا «نص المطايا» ضرب من السير فيه ظهور وارتفاع . ومن هذا اشتق اسم المنصة بمعنى الارتفاع والظهور . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى قصة ذكرت ، أنه كان يسير العنق ، فإذا وجد فجوة نص . ومنه نصصت الحديث الى صاحبه أى رفعته إليه . وقال امرؤ القيس :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * إذا هى نصّته ولا بمعطل »

والأداوى : جمع إداوة (بكسر الهمزة)، وهى المطهرة . والمزاد : الأسقية، واحدها مزادة .

(٢) فى بعض الأصول : «أعملته» . والمعبد هنا : الطريق الواضح الذى عبّد ومُهّد من كثرة السير فيه . والمناسم : أطراف أخفاف الإبل، واحدها منسم (بفتح الميم وكسر السين) . والنجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . وطلاع النجاد : السامى لمعالى الأمور . ووصف الطريق به هنا مجاز، إذ هو يريد : وكل طريق معبد لا يسلكه إلا السامون لمعالى الأمور الضابطون لأمورهم . (٣) أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير ، ويكنى أيضا أبا بكر وأبا عبد الرحمن . ونكدن : تعسرن . واستشهد النحويون بهذا البيت فى باب «لا» النافية للجنس . وذلك أن مدخول «لا» لا يكون إلا نكرة وهو هاهنا معرفة . وقد تؤوّل على تقدير «ولا أمثال أمية فى البلاد» ؛ أو على تقدير «ولا أجواد فى البلاد» ؛ لأن بنى أمية قد اشتهروا بالجود ؛ فأوّل العلم باسم الجنس لشهرته بصفة الجود . وقد نسب بعضهم هذه الأبيات لعبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) فى عبد الله بن الزبير بن العوام وأنه هو الذى شكا الى ابن الزبير نقب ناقته . ونسبه بعضهم لفضالة ، وسيذكر المؤلف ذلك فى ترجمته . (٤) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «أوّل وافد» .

مرّ بعاصم بن عمر ابن الخطاب فلم يقره فهجاه

أخبرنى بما أذكر من أخباره هاهنا مجموعًا علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرىّ عن محمد بن حَبيب، وما ذكرته متفرّقا فأنا ذاكرٌ إسناده[1] عمن أخذته . قال ابنُ حبيب :

مرّ فَضالةُ بن شَريك بعاصم بن عُمَر بن الخَطّاب — رضى الله تعالى عنهما[2] — وهو مُتَبَدٍّ[3] بناحية المدينة ، فنزل به فلم يَقْرِه شيئا ولم يَبْعَثْ إليه ولا إلى أصحابه بشىء[4] ، وقد عَرَفوه مكانَهم ، فارتحلوا عنه . والتفت فضالةُ إلى مولًى لعاصم فقال له : قُلْ له : أمَا والله لأُطَوِّقَنَّك طَوْقًا لا يبلَى . وقال يهجوه :

أَلَا أيها الباغى القِرَى لستَ واجدًا * قِـراكَ إذا ما بِتَّ فى دار عاصمِ
إذَا جئتَه تَبْغِى القِرَى باتَ نائمًا * بَطِينًا وأمسَى ضَيْفُهُ غيرَ نائمِ[5]
فدَعْ عاصمًا أُفٍّ لأفعالِ عاصمٍ * إذا حُصِّلَ[6] الأقوامُ أهلُ المكارِمِ
فتًى من قُرَيْشٍ لا يجودُ بنائلٍ[7] * ويَحْسَبُ أنّ البُخْلَ ضَرْبةُ لازِمِ
ولولا يدُ الفاروق قَلَّدْتُ عاصمًا * مُطَوَّقةً يُحْدَى[8] بها فى المَوَاسِمِ
فليتَك من جَرْمِ بن زَبّانَ أو بَنِى * فُقَيْمٍ أو النَّوكَى أَبَانَ بن دارِمِ
أُنَاسٌ إذا ما الضَّيْفُ حلّ بيوتَهم * غَدَا جائعا عَيْمانَ[9] ليس بغانمِ

١٧٢ / ١٠

(١) فى أكثر الأصول ماعدا ط : « فأنا ذاكر أيضا إسناده » . (٢) هذا الدعاء ليس فى ط ، م ، ف . (٣) كذا فى ط ، م . ومتبدّ : مقيم بالبادية . وفى سائر الأصول : « منتبذ » . (٤) هذه الكلمة ليست فى ط ، م . (٥) فى ط ، م ، ف وتاريخ دمشق لابن عساكر : « غير طاعم » . (٦) فى أكثر الأصول : « جهل » والتصويب من ط ، ج ، م . (٧) النائل : العطاء . (٨) كذا فى ط ، ج ، م ، ف وتاريخ ابن عساكر . وفى سائر الأصول : « يجزى » تحريف . (٩) عيمان : عطشان .

[قال] [1] : فلما بلغت أبياتُه عاصمًا استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يؤمئذ بالمدينة أميرٌ [2]، فهرب فَضَالةُ بن شَريك فلحق بالشأم، وعاذ بيزيدَ بن معاوية وعرَّفه ذنبه وما تخوّف من عاصم؛ فأعاذه، وكتب إلى عاصم يخبره أن فضالةَ أتاه مستجيرًا به، وأنه يحبّ أن يهبه له، ولا يذكر لمعاوية شيئًا من أمره، ويضمن له ألّا يعود لهجائه؛ فقبل ذلك عاصمٌ وشفّع يزيدَ بن معاوية. فقال فَضَالةُ يمدح يزيدَ بن معاوية :

إذا ما قُرَيْشٌ فاخرتْ بقديمها * فَخَرْتَ بمَجْدٍ يا يزيدُ تليدِ

بمَجْدِ أميرِ المؤمنين ولم يَزَلْ * أبوك أمينُ الله غيرَ بليدِ

به عَصَم اللهُ الأنامَ من الرَّدَى * وأدركَ تَبْلًا [3] من مَعاشرَ صيدِ

ومَجْدِ أبى سُفْيانَ ذى الباع والنَّدَى * وحَرْبٍ وما حَرْبُ العُلَا بزهيدِ

فمَنْ ذا الذى إن عدّد الناسُ مجدَهم * يجىء بمَجْدٍ مثلِ مجدِ يزيدِ

وقال فيه القصيدةَ المذكور فيها الغناءُ فى هذه القصّة بعينها [4].

هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى السُّكّرىّ عن ابن حبيب قال :

كان عبد الله بن الزُّبَيْر قد ولّى عبد الله بن مُطيع بن الأسود بن نَضْلة [5] بن عُبَيد ابن عَوِيج بن عَدِىّ بن كعب، الكوفةَ، فطرده عنها المختارُ بن أبى عُبَيد حين ظهر؛ فقال فَضَالةُ بن شَريك يهجو ابن مُطيع :

(١) زيادة عن ط، م، ف. (٢) فى ف : «على المدينة». (٣) فى بعض الأصول : «نبلا» بالنون، تصحيف. والتبل هنا : الثأر. والصيد : جمع أصيد. يقال ملك أصيد، إذا كان لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا. (٤) هذه عبارة ط، م، ف. ومثلها جـ لولا تحريف فى الكلمات. وفى سائر الأصول : «وقال فيه أيضا الأبيات المذكور فيها الغناء من هذه القصيدة بعينها». (٥) كذا فى ط، جـ، م، ف. وفى سائر الأصول : «فضالة» تحريف (راجع أسد الغابة جـ ٣ ص ٢٦٢ والإصابة جـ ٥ ص ٦٥).

دعا ابنُ مُطيعٍ للبِياعِ فجئتُه * إلى بَيعةٍ قلبى لها[1] غيرُ عارِفِ

فقرَّبَ لى خَشْناءَ لمّا لَمَسْتُها * بكفّى لم تُشبِهْ أكُفَّ الخلائفِ

مُعوَّدةً حَمْلَ الهَراوى لقومِها * فَروراً إذا ما كان يومُ التَّسايُفِ[2]

مِنَ الشَّثِناتِ[3] الكُزْمِ أنكرتُ مَسَّها[4] * وليستْ منَ البِيضِ السِّباطِ اللَّطائفِ

ولم يُسْمِ إذ بايعتُه من خليفتى * ولم يَشترِطْ إلّا اشتراطَ المُجازِفِ

متى تَلْقَ أهلَ الشامِ فى الخيلِ تَلْقَنى * على مُقْرَبٍ[5] لا يُزدَهى بالمَجاذِفِ

مُمَرٍّ[6] كبُنيانِ العِبادىِّ[7] مُخْطَفٍ * منَ الضّارياتِ بالدِّماءِ الخَواطفِ

هجا عامر بن مسعود لأنه توسل فى جمع صداق زوجه

وقال ابن حبيب فى هذا الإسناد : تزوّج عامرُ بن مسعودِ بن أُميّةَ بن خَلَفٍ الجُمَحىّ امرأةً من بنى نَصْر بن مُعاوية ، وسأل فى صَداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كلّ رجلٍ سألَه درهمَينِ درهمين . فقال له فَضالةُ بن شَريكٍ يهجوه بقوله :

أنكحتُمُ يا بنى نَصْرٍ فتاتَكُمُ * وَجْهاً يَشينُ وُجوهَ الرَّبْرَبِ[8] العِينِ

(١) فى ط ، م ، ف : « لها غير عارف » . (٢) التسايف : التضارب بالسيوف .

(٣) يقال شثن الرجل (كفرح وكرم) فهو شثن (بالسكون) إذا كان غليظ الكف خشنها . ولعله حرك العين هنا وهى الثاء للضرورة ؛ لأن عين الوصف لا تحرك فى جمع المؤنث ، أو هى لغة كفرح وفرحة ، لم ترد فى المعجمات . والكزم : جمع أكزم وكزماء ، والكزم (بالتحريك) هنا : قصر فى الأصابع شديد .

(٤) فى ف : « مسّها » . (٥) المقرب من الخيل : الذى يقرب مربطه ومعلفه لكرامته . ولا يزدهى : لا يستخف و « المجاذف : ما يرمى به » . وشرح الكلمة الأخير عن هامش ط .

(٦) ممر : موثق الخلق . (٧) فى ط ، م : « كناز العبادى » . ولعل صوابه : « كزنار العبادى » . والزنار : ما يشدّه النصرانى على وسطه . والعباديون : نصارى الحيرة ، على أن يكون قد وصف الفرس بأنه موثق الخلق مفتول كالزنار . والمخطف : الضامر . وضرى بالشىء : لهج به وأغرم .

(٨) الربرب : القطيع من بقر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، الواحد أعين وعيناء .

أنكحتمُ(١) لا فتىً دُنيا يُعاشُ به * ولا شُجاعًا إذا انشقّتْ عصا الدِّينِ

قد كنتُ أرجو أبا حَفْصٍ وسُنّتَه * حتّى نَكَحْتَ(٢) بأرزاقِ المساكينِ

هجا رجلا من بنى سليم خان الأمانة

وقال ابن حبيب فى هذا الإسناد : أَوْدَعَ فضالةُ بن شَرِيكٍ رجلًا من بنى سُلَيْم يقال له قَيس ناقةً، فخَرج فى سَفَرٍ، فلمّا عاد طَلَبها منه، فذكر أنّها سُرِقتْ . فقال [فيه](٣) :

١٧٣ / ١٠

وَلَوْ أنّنِى يومَ بَطْنِ العَقيـقِ * ذَكرتُ وذو اللُّبِّ يَنْسى كَثيرَا

مُصَابَ(٤) سُلَيْمٍ لِقَاحَ النَّبِىِّ * لَمْ أُودِعِ الدَّهْرَ فيهمْ بَعِيرَا

وقد فاتَ قَيْسٌ بعَيْرانةٍ(٥) * إذا الظِّلُّ كان مَدَاهُ قصيرَا

مِنَ اللّاعِباتِ بِمَفْضِلِ الزِّمام * إذا أقلقَ السَّيْرُ فيه الضُّفُورَا(٦)

ومَنْ يَنْسكِ منكمْ بَنِى مُوقِدٍ * ولم يرهُمْ يَنْسكِ شَجْوًا كبيرَا

هُمُ العاسِفُونَ(٧) صِلابُ القَنَا * إذا الخَيْلُ كانتْ من الطَّعْنِ زُورَا(٨)

---

(١) فى أ ، ب ، س ، م (فى أحد موضعيها) : « أنكتم » .

(٢) فى هذه الأصول أيضا : « أنيكت » .

(٣) زيادة عن ف .

(٤) مصاب هنا : مصدر بمعنى إصابة . ومثله :

أظلوم إن مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

واللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدتها لقوح ولقحة .

(٥) كذا فى ط ، ج ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « بعيرانه » تصحيف . والعيرانة من النوق : القوية التى تشبه العير ، وهو الحمار الوحشى ، فى القوّة والنشاط .

(٦) فى م ، أ : « الصقورا » وفى ج ، ب ، س : « القصورا » والتصويب من ط . والضفور : جمع ضفر (بالفتح) وهو ما يشدّ به البعير من الشعر المضفور .

(٧) فى أكثر الأصول : « العاشقون » والتصويب من ط ، م .

(٨) زور : مائلات ، واحدها أزور وزوراء .

وأيسارُ لُقمانَ[1] إذْ أمحَلُوا * وعزٌّ لِمَنْ جاءهم مُستَجيرَا

فإنْ أنا لم يُقْضَ لى ألْقَهُمْ[2] * قَرَأْتُ السَّلامَ عليهمْ كثيرا

عود إلى شعر فى ذم ابن الزبير قيل إنه لفضالة

وذكر ابنُ حبيب فى هذه الرواية أنّ القصيدةَ التى ذَكَرْتُها عن المدائنىّ فى خبر عبد الله ابن فَضَالةَ بن شَريك مع ابن الزُّبَير كانتْ مع فَضالةَ وابنِ الزُّبير لا مع ابنه، وذَكَر الأبيات وزادَ فيها :

٥

شَكوتُ إليه أنْ نَقِبتْ[3] قَلُوصِى * فردَّ جوابَ مَشْدودِ الصِّفادِ[4]

يَضَنُّ بناقةٍ ويرومُ مُلْكًا * مُحالٌ ذٰلِكُمْ[5] غيرُ السَّدادِ

(١) الأيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر، الواحد يسر (بالتحريك) . ولقمان هو ابن عاد صاحب النسور السبعة التى آخرها لبد، وهو غير لقمان الحكيم . قال المفضل الضبى فى أمثاله (ص ٧٤ طبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ) : « زعموا أن لقمان بن عاد جاور حيا من العمالقة وهم عرب، فلأ عُسًّا له لبنا، ثم قال لجارية له : انطلق بهذا العس إلى سيد هذا الحى فأعطيه إياه، و إياك أن تسألى عن اسمه واسم أبيه . فانطلقت حتى أتتهم، فاذا هم بين لاعب وعامل فى ضيعته ومقبل على أمره، حتى مرت بثمانية نفر منهم عليهم وقار وسكينة ولهم هيئة، فقامت تتفرس فيهم أيهم تعطى العس . فرت بها أمة، فقالت لها جارية لقمان : إن مولاى أرسلنى إلى سيد هذا الحى ونهانى أن أسأل عن اسمه واسم أبيه . فقالت لها الأمة : إن وصفتهم لك تخذى أيهم شئت أو ذرى، وفيهم سيد الحى . ثم أخذت الأمة تصفهم واحدا واحدا بصفات كلها تمتّ إلى الكرم والشجاعة، وهى الخلال المحمودة فى البادية، وهم بيض، وحممة، وطفيل، وذفافة، ومالك، وتميل، وقرزعة، وعمار؛ فأعطت الجارية العس من رأته من الوصف سيدهم . وقد ذكرت العرب أيسار لقمان فى شعرها فى الفخر والمدح؛ فقال شاعرهم : « قومى أيسار لقمان » أو « وهم أيسار لقمان » . قال طرفة :

١٠

١٥

وهم أيسار لقمان إذا * أغلت الشتوة أبداء الجزر

٢٠

وأبداء الجزور : أشرف أعضائها، واحدها بدء (بالفتح) .

وقال أوس بن حجر :

وأيسار لقمان بن عاد سماحة * وجودا إذا ما الشول أمست جرائرا

(٢) جزم الفعل على البدل . (٣) كذا فى ط، ح، م، ف . وفى سائر الأصول : « تعبت » .

(٤) الصفاد (بالكسر) : ما يوثق به الأسير من قد أو قيد . (٥) فى ط، م، ف : « ذا كم » .

٢٥

وَلِيتَ إمارةً فبَخِلْتَ لمّا * وَلِيتَهُمُ بمُلْكٍ مُسْتَفادِ

فإنْ وَلِيَتْ أُميّةُ أبْدلوكُمْ * بكلِّ سَمَيْدَعٍ (١) وارِى الزِّنادِ

منَ الأعْياصِ أوْ منْ آلِ حَرْبٍ * أغرَّ كغُرّةِ الفَرَسِ الجَوادِ

إذا لَمْ ألْقَهُمْ بمِنًى فإنّي * ببَيْتٍ لا يَهَشُّ لهُ (٢) فؤادي

سَيُدْنِيني لهُمْ نَصُّ المَطايا * وتعليقُ الأداوَى والمَزادِ

وظَهْرٌ مُعَبَّدٍ قد أعْمَلَتْهُ * مَناسِمُهُنَّ طَلّاعِ النِّجادِ (٣)

رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُناصِراتٍ (٤) * وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوادي (٥)

فهُنَّ خَواضِعُ الأبدانِ قُودٌ (٦) * كأنَّ رُءوسَهنّ قبورُ عادِ

كأنَّ مَواقِعَ الغِرْبانِ منها * مَنَاراتٌ بُنِينَ (٧) على عِمادِ

---

(١) كذا فى ط ، م ، ف : «سميدع» بالدال المهملة . وفى سائر الأصول : «سميذع» بالذال المعجمة . وإهمال الدال هو ما يفهم من كلام اللغويين ، بل صرح بعضهم بأن إعجامها خطأ (راجع تاج العروس مادة سميدع) . والسميدع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف ، والشجاع ، والرجل الخفيف فى حوائجه . ويقال : إنه لوارى الزناد ، ووارى الزند ، وورِىّ الزند ، إذا رام أمرا أنجح فيه وأدرك ما طلب .

(٢) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «لا يهش به» .

(٣) تقدم شرح ما فى هذا البيت والذى قبله فى ص ٧٠

(٤) فى أكثر الأصول : «وعين» بالواو . والصواب من ط ، م ، ف . وخناصرة بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية ، وهى قصبة كورة الأحص ؛ قال عدىّ بن الرقاع :

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه * فسقى خناصرة الأحص وزادها

وقد يجمع فى الشعر كما هنا ، كأن الشاعر يجعل كل موضع منها خناصرة . قال جران العود :

نظرت وصحبتى بخناصرات * ضحيا بعد ما متع النهار

(٥) فى أكثر الأصول : — * وما بالعرف من سبل الفؤاد *

صوابه من ط ، م ، ف . وسبل الغوادى : مطرها . يريد ما أنبته المطر من مرعى .

(٦) قود : جمع أقود وقوداء . والقود (بالتحريك) : طول الظهر والعنق .

(٧) كذا فى ط . وفى أكثر الأصول : «تبين» . والغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى ، والجمع غربان . والغراب أيضا : قذال الرأس ؛ يقال : شاب غرابه أى شعر قذاله . يريد أن يصف المطايا بالضخامة والارتفاع ، كما وصفها فى البيت الذى قبله بالطول .

طلبه عبد الملك ليكرمه فلما وجده قدمات أكرم أهله

[قال][1] : فلمّا وَلِي عبدُ الملك بعث إلى فَضالةَ يطلبُه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقْرها بُرًّا وتَمْرًا . [قال][1] : والكاهليّة التى ذكرها زُهْرةُ[2] بنتُ خَنْثَرٍ آمرأةٌ من بنى كاهلِ بن أَسَدٍ ، وهى أُمُّ خُوَيْلد بن أَسَدِ بن عبد العُزّى .

صــــوت

لقــدْ طالَ عَهْــدِى بالإمامِ محمــدٍ * وما كنتُ أخشَى أن يطولَ به عهدِى

فأصــبحتُ ذَا بُعْــدٍ ودارِى قريبةٌ * فَواعَجَبَا من قُرْبِ دارِى ومن بُعْدِى

فياليتَ أنّ العيــدَ لِى عاد يَوْمُــهُ * فإنّى رأيت العيــدَ وَجْهَك لى يُبْــدِى

رأيتُـــك فى بُرْدِ النــبىّ محمّــدٍ * كَبَــدْرِ الدُّجَى بين العِمامةِ[3] والــبُرْدِ

الشعر لأبى السِّمْط مَرْوان الأصغر بن أبى الجَنُوبِ بن مَرْوان الأكبر بن أبى حَفْصةَ . والغناء لُبنَانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد . وذكر الصُّولىّ أنّ هــذا الشعر ليحيى بن مروان . وهذا غلط قبيح .

١٧٤ / ١٠

(١) زيادة عن ف .

(٢) ورد هذان الاسمان محرفين فى أكثر الأصول ، ففيها جميعا : «زهراء» وفى ب ، س ، حـ : «خنزاء» . وفى م ، أ : «خشراء» . والتصويب من ط .

(٣) فى أكثر الأصول : «الغمامة» بالغين المعجمة . والتصويب من ط ، ف .

٢/١١

أخبار مروان الأصغر[1]

كان أهله شعراء وشعره دونهم

قد مرّ نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتَقَدِّما . وكان مروان هذا آخر مَنْ بَقِيَ منهم يُعَدّ فى الشعراء ، و بقى بعده منهم مُتَوَّجٌ . وكان ساقطًا بارد الشِّعر . فذُكِر لى عن أبى هِفَّان أنه قال : شِعْرُ آل أبى حَفْصة بمنزلة الماء الحارّ ، ابتداؤه فى نهاية الحرارة ثم تَلين حرارته ، ثم يفتُر ثم يبرُد ، وكذا كانت أشعارهم ، إلا أنّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى مُتَوَّج جَمَد .

وهذا الشعر يقوله مَرْوان فى المُنْتَصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خلافًا لأبيه فى سائر مَذَاهبه حتى فى التشيّع ، فَطَرد مروانَ لِنَصْبه ، وأخرجه عن جُلسائه . فقال هذه الأبياتَ وسأل بُنَانَ بن عمرو فغنّى فيها المنتصرَ ليستعطفه . وخبرُه فى ذلك يُذْكَر فى هذا الموضع من الكتاب .

مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة

أخبرنى عمّى وحبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عبدُ الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى حمّاد بن أحمد بن سليمان الكَلْبىّ قال حدّثنى أبو السِّمْط مَرْوان الأصغر قال :

لمّا دخلتُ إلى المتوكّل مدحتُه ومدحتُ وُلاةَ العُهود الثلاثة ، وأنشدتُه[2] :

سَقَى الله نَجْدًا والسلامُ على نَجْدِ * ويا حَبَّذَا نجدٌ على النَّأْىِ والبُعْدِ

نظرتُ إلى نجدٍ و بغدادُ دونها * لَعَلِّى أرى نجدًا وهيهاتَ من نجدِ

ونجدٌ بها قومٌ هَواهُم زِيَارَتِى * ولا شىءَ أحلَى من زِيارتهم عندى

(١) وردت فى ط ، م قبل ترجمة مروان هذا ترجمة يوسف بن الحجاج الصيقل . وهى واردة فى ب جزء ٢٠ ص ٩٣ وما بعدها .

(٢) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «وأنشدته هذا» .

قال : فلمّا فرغتُ منها أمر لى بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوبا وثلاثةٍ من الظَّهْر فَرَسٍ وبَغْلةٍ وحِمَارٍ، ولم أَبرَحْ حتّى قلتُ قصيدتى التى أشكره فيها وأقول :

٣/١١

تَخَيَّرَ ربُّ النّاسِ للنّاس جعفراً * ومَلَّكَه أمرَ العِبادِ تَخَيُّرَا

فلما صرتُ إلى هذا البيت :

٥ فأَمسِكْ نَدَى كَفَّيْكَ عنِّى ولا تزِد * فقد كِدْتُ أنْ أطغَى وأنْ أَتجبَّرَا

قال لى : لا والله لا أُمسِكُ حتّى أُغَرِّقَك بجُودِى .

وحدّثنى عمّى بهذا الخبر قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى حماد بن أحمد بن يحيى قال حدّثنى مَرْوان بن أبى الجَنُوبِ ، فذكر مثلَ هذا الخبر سواءً ، وقال بعد قوله : « لا والله لا أمسك حتّى أُغَرِّقك » : سَلْنِى حاجتَك . فقلت :

١٠ يا أميرَ المؤمنين، الضَّيْعة التى أمرتَ أنْ أُقْطَعَها باليمامة — ذكر ابن المُدَبِّر أنّها وَقْفُ المعتصم على وَلَده — فقال: قد قَبَّلْتُك[1] إيّاها مائةَ سنةٍ بمائة درهمٍ . فقلتُ : لا يحسُن أن تُضَمَّنَ ضيعةٌ بدرهمٍ فى السنة . فقال ابن المدبِّر : فبألفِ درهم فى كلِّ سنة . فقلتُ نعم . فأمر ابنَ المدبِّر أن[2] يُنْفِذَ ذلك لى، وقال : ليستْ هذه حاجةً ، هذه قَبَالةٌ ، فسَلْنِى حاجتَك . فقلتُ : ضيعة يقال لها السُّيُوح[3] أمر

١٥ الواثق بإقطاعى إيّاها، فمَنَعنيها ابنُ الزيّات؛ فأمر بامضاء الإقطاع لى .

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

كان على بن الجهم يطعن عليه حسدا له على موضعه من المتوكل، فهجاه هو فى حضرة المتوكل وغلبه

كان علىّ بن الجَهْم يَطْعَن على مَرْوان بن أبى الجَنُوب ويَثْلُبُه حسدًا له على موضعه من المتوكِّل . فقال له المتوكِّل [يوماً][4] : ياعلىّ، أيّما أشعرُ أنتَ أو مَرْوان ؟ فقال : أنا يا أميرَ المؤمنين . فأقبل على مَرْوان فقال له : قد سمعتَ، فما عندك ؟

٢٠ (١) قبلتك إياها أى ضمنتها لك والتزمت بذلك . والاسم القبالة (بالفتح) . (٢) فى ف : « فأمر بأن ينفذ ... » . (٣) فى ف : « السيوخ » . (٤) زيادة من ف .

قال : كلُّ أحدٍ أشعرُ منِّى يا أمير المؤمنين ، وما أصِفُ نَفْسِى ولا أُزَكِّيها . وإذا رَضِينِى أميرُ المؤمنين فما أُبَالِى مَنْ زَيَّفَنِى . فقال له : قد صَدَّقْتُك ، علىٌّ يزعُم سِرًّا وجهرًا أنّه أشعرُ منك . فالتفت إليه مروانُ فقال له : ياعلىّ ! أأنتَ أشعرُ منِّى ؟ فقال : أَوَتَشُكُّ فى ذاك ؟ قال : نعم ! أَشُكُّ وأَشُكُّ ، وهذا أميرُ المؤمنين بيننا . فقال له علىٌّ : إنّ أمير المؤمنين يُحابِيك . فقال المتوكل : هذا عِىٌّ منك يا علىّ ؛ ثم قال لأبن حَمْدُون : احْكُمْ بينهما . فقال : طَرَحْتَنِى والله يا أمير المؤمنين بين أنيابِ ومَخَالبِ أَسَدَيْنِ . قال : واللهِ لَتَحْكُمَنّ بينهما . فقال له : أمّا إذْ (١) حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرُهما عندى أَعْرَفُهما فى الشِّعْر . فقال له المتوكل : قد سمعتَ ياعلىّ . قال : قد عَرَف مَيْلَك إليه فمال معه . فقال: دَعْنا منك، هذا كلُّه عِىٌّ، فإن كنتَ صادقًا فاهْجُ مروانَ . قال : [قد] (٢) سكتُّ ولا فضلَ فىّ . فقال المتوكل لمروان : اهْجُه أنت، وبحياتى لا تُبْقِ (٣) غايةً (٤) . فقال مروان :

إنّ ابن جَهْمٍ فى المَغيبِ يَعيبُنِى * ويقولُ لى حَسَنًا إذا لاقانِى
صَغُرتْ مَهَابتُه وعُظِّمَ بَطْنُه * فكأنّما فى بطنه وَلَدانِ
وَيْحَ ابنِ جَهْمٍ ليس يَرْحَمُ أُمَّهُ * لو كان يرحَمُها لَمَا عادانى
فإذا ٱلتقينا نالَ شِعْرِى شِعْرَه * ونَزَا علَى شيطانه شيطانى

قال : فضحك المتوكل والجلساءُ منه ، وانخزل (٥) ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثرُ من أن قال : جَمَع حِيلَةَ الرِّجالِ وحيلةَ النساء . فقال له المتوكل : هذا أيضًا من

---

(١) فى بعض الأصول: «إذا» تحريف. (٢) زيادة فى ط ، م . (٣) كذا فى ط ، حـ ، م . وفى سائر الأصول : « لا تبق » . (٤) زيد فى ب ، سـ ، حـ هنا : « قوله » .
(٥) كذا فى ط ، حـ ، م . وانخزل فى كلامه : انقطع . وفى سائر الأصول : «انخذل» بالذال ، تحريف .

عِيِّك وبَرْدِك، إن كان عندك شيءٌ فهاته ؛ فلم يأتِ بشيء . فقال لمروان : بحياتى إنْ حَضَرك شيء فهاته، ولا تُقَصِّرْ فى شَتْمك . فقال مروان :

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بن بَدْرٍ بشاعرٍ * وهـذا علىٌّ بعده يَدّعِى الشِّعْرَا

ولكن أبى قـد كان جارًا لأُمِّه * فلمّا ادّعى الأشعارَ أوهمنى أَمْرَا

٥ قال : فضحِك [المتوكل] وقال : زِدْه بحياتى . فقال فيه :

يابنَ بَـدْرٍ ياعَلِيَّـهْ * قُلْتِ إنِّى قُرَشِـيَّهْ

قلتِ ما ليس بحـقٍّ * فاسْـكُتِى يانَبَطِيَّـهْ

اُسْكُتِى يا بنتَ جَهْـمٍ * اُسْـكُتِى يا حَلَقِيَّـه[1]

فأخذ عَبّادةُ هذه الأبياتَ فغنّاها على الطَّبْل وجاو به مَنْ كان يغنِّى، والمتوكلُ

١٠ يضحَك ويضرب بيديه ورجليه ، وعلىٌّ مُطْرِقٌ كأنّه ميِّت ، ثم قال : علىَّ بالدواة فأُتِىَ بها، فكتَب :

بَـلاءٌ ليس يُشْـبِهُهُ بَـلاءٌ * عَدَاوةُ غيرِ ذى حَسَبٍ ودِينِ

يُبِيحُكَ منـه عِرْضًا لم يَصُنْهُ * ويرْتَع منك فى عِرْضٍ مَصُونِ

قال علىّ بن الجهم شعرا فى حبسه ، فعارضه فلم يطلقوه

أخبرنى علىّ بن العبّاس بن أبى طَلْحةَ قال حدّثنى جعفـر بن هارون بن زِيَاد

١٥ قال حدّثنى محمد بن السِّرِىّ قال :

لمّـا مدَح علىُّ بن الجَهْم وهو محبوسٌ المتوكلَ بقوله :

تَوَكَّلْنـا عـلى رَبِّ السماءِ * وسَـلَّمْنا لأسـباب القضـاءِ

---

(١) يقـال أتان حلقية، إذا تداولتها الحمـر فأصابها داء فى رحمها ؛ ومنـه الحلاق (بالضم) فى الأتان، وهو ألا تشبع من السفاد .

وذكر فيها جميع النُّدَماء وسَبَعهم[1] وهجاهم، انتدب له مَرْوانُ بن أبى الجَنُوب فعارضَه فيها، وقد كان المتوكِّل رقَّ له، فلما أنشده مَرْوانُ هـذه القصيدةَ اعْتَوَرَتْه أَلْسِنَةُ الجلساء فثَلَبُوه واغتابوه وضربوا عليه، فتركه فى محْبِسه . والقصيدةُ[2] :

ألم تعلَمْ بأنَّك يابنَ جَهْمٍ * دَعِىٌّ فى أُناسٍ أدعياءِ

أعبدَ الله تهجو وابنَ عَمْرٍ * وبَخْتيشُوعَ أصحاب الوفاء

هجوتَ الأكرمين وأنت كلبٌ * حقيقٌ بالشَّتيمة والهجاء

أتَرْمِى بالزِّناء بنى حَلَالٍ * وأنت زَنيمٌ[3] أولادِ الزِّناء

أُسامةُ من جُدودِك يابنَ جَهْمٍ! * كذبتَ وما بذلك من خَفَاء

قال فى المعتصم شعرا بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى قال حدّثنى إبراهيم ابن الحسن قال :

لمّا كان من أمر العبّاس بن المأمون وعُجَيْف ما كان، أنشد مَرْوانُ بن أبى الجَنُوب المعتصمَ قصيدةً أوّلُها[4] :

ألَا يا دولةَ المَعْصُومِ دُومِى * فإنَّك قُلْت للدُّنيا استقيمى

فلمّا بلغ إلى قوله :

هَوَى العبّاسُ حين أراد غَدْرًا * فَوافَى إذ هَوَى قَعْرَ الجحيم

كذاك هَوَى كَهَوَاهُ عُجَيْفٌ * فأصبحَ فى سَوَاءِ لَظَى الجَحِيم

[قال المعتصم : أبعده الله ![5]]

(١) سبعه : شتمه ووقع فيه . (٢) فى ح، ب، سـ : « والقصيدة قوله » .

(٣) الزنيم : المستلحق فى قوم ليس منهم، والدعى، واللئيم المعروف بلؤمه أو شره .

(٤) فى ح، ب، سـ : « أوّلها قوله » . (٥) زيادة فى ف .

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنا أبو العَيْناء قال :

مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه

دخل مَرْوانُ الأصغرُ بن أبى الجَنُوبِ على أَشْناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها ، فجعل أَشْناس يُحَرِّك رأسَه ويومئ بيديه ويُظهر طرباً وسروراً ، وأمر له بصِلَةٍ . فلمّا خرج قال له كاتبه : رأيتُ الأميرَ قد طَرِب وحرّك رأسَه ويديه لِمَا كان يسمَعه ، فقد فَهِمه[1] ؟ قال نعم . قال : فأىّ شىء كان يقول ؟ قال : مازال يقول علىّ رُقْيَةَ الخُبْزِ حتّى حَصَّل ما أراد وانصرف .

هجا على بن يحيى المنجم فردّ عليه

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ[2] قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال : كان المُتَوَكِّل يُعَابِثُنى[3] كثيرًا ، فقال فى يومٍ من الأيّام لمَرْوانَ بن أبى الجَنُوب : اُهْجُ علىّ بن يحيى؛ فقال مَرْوان :

أَلَا إنّ يحيى لا يُقَاسُ إلى أبى * وعِرْضُ ابن يحيى لا يُقَاسُ إلى عِرْضى

وهى أبيات تركتُ ذكرَها صِيانةً لعلىّ بن يحيى . قال : فأجبتُه عنها فقلتُ :

صدقتَ لَعَمْرِى ما يقاسُ إلى أبى * أبوك ، ومَنْ قاس الشَّوَاهِقَ بالخَفْض

وهل لك عِرْضٌ طاهرٌ فتَقِيسَهُ * إذا قِيسَتِ الأعراضُ يومًا إلى عِرْضى

ألستُمْ مَوَالِى لِلّعِين ورَهْطِهِ * أعادِى بنى العَبَّاس ذى الحَسَبِ المَحْضِ

تُوَالُونَ مَنْ عادَى النبىَّ ورَهْطَهُ * فترْمُونَ مَنْ وَالَى أُولِى الفضْلِ بالرَّفْضِ

وليس عجيباً أنْ أَرَى لك مُبْغِضًا * لأنَّك أهلٌ للعَداوةِ والبُغْضِ

(١) فى ط : « فقد فهم » .

(٢) فى ط ، ب ، س : « حدّثنى جعفر بن قدامة لمروان قال حدّثنى ... » .

(٣) كذا فى م ، أ . وفى سائر الأصول « يعاتبنى » تصحيف .

نقد أبو العنبس الصيمرى شعرا له فتهاجرا

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال :

أنشد مَرْوانُ بن أبى الجَنُوب المتوكّلَ ذاتَ يومٍ :

إنِّى نزلتُ بساحة المُتَوَكِّلِ * ونزلتَ فى أقصَى دِيَارِ المَوْصِلِ

فقال له بعضُ مَنْ حَضَر : فكيف الاتِّصالُ بين هؤلاء والمُرَاسلة؟ فقال أبو العَنْبَس الصَّيْمَرِىّ : كان له حَمَامٌ هُدًى[1] يبعث بها إليه من الموصل حتّى يُكاتبه على أجنحتها . فضحك المتوكِّلُ حتى استلقَى ، وخَجِل مَرْوانُ وحَلَف بالطلاق لا يكلِّم أبا العَنْبَس أبدا ، فماتا متهاجِرَيْنِ . كذا أكبرُ حفظى أنّ جحظة حدّثنى به عن علىّ بن يحيى؛ فإنّى كتبتُه عن حِفْظى .

أنشد المتوكل فى مرضه بالحمى قصيدة ، فقال علىّ بن الجهم أن بعضها منتحل

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنى إبراهيم بن المُدَبِّر قال قرأتُ فى كتابٍ قديم :

قال عَوْفُ بن مُحَلِّم لعبد الله بن طاهر فى عِلّةٍ اعتلّها :

فإنْ تَكُ حُمَّى الرِّبْعِ[2] شَفَّكَ وِرْدُها * فعُقْبَاكَ منها أن يطولَ لك العُمْرُ

وَقَيْناكَ لو نُعْطَى المُنَى فيك والهَوَى * لكان بِنا الشَّكْوَى وكان لك الأَجْرُ

قال : ثم حُمَّ المتوكِّلُ حُمَّى الرِّبْع ، فدخل عليه مَرْوان بن أبى الجَنُوب بن مروان ابن أبى حَفْصةَ ، فأنشده قصيدةً له على هذا الرَّوِىِّ ، وأدخل البيتين فيها ، فسُرَّ بها[3]

(١) الحمام الهدّاء : ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان ، فيرسل من أمكنة بعيدة فيذهب الى حيث يراد منه أن يذهب ، الواحد هاد ، والجمع هُدًى (بالقصر) وهُدّاء (بالمدّ) ؛ كما يقال عاز وعُزًّى وعُزّاء . وورود هذين الجمعين فى الوصف المعتل اللام نادر .

(٢) حمى الربع : التى تنوب فى اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده فى اليوم الرابع .

(٣) فى ط ، ف : « فأدخل البيتين فسربهما ... » .

المتوكل. فقال له علىّ بن الجَهْم: يا أمير المؤمنين، هذا شعرٌ مَقُولٌ، وٱلتفتَ إلىّ وقال: هذا يعلَم.[1] فٱلتفتَ إلىّ [المتوكِّل] وقال:[2] أتَعْرِفه؟ فقلتُ: ماسمعتُه قبل اليوم. فشتَم علىَّ بن الجَهْم وقال له: هذا من حَسَدِك وشَرِّك وكَذِبك. فلمّا خرجنا قال علىُّ بن الجَهْم: وَيْحَك! مالكَ قد جُنِنْتَ! أَمَا تَعْرِف هذا الشعرَ؟ قلتُ: بلى! وأنشدتُه إيّاه. فلمّا عدتُ إلى المتوكِّل من غدٍ قال له: يا أمير المؤمنين، قد ٱعترف لى بالشِّعر وأنشدَنيه. فقال لى: أكذاك هو؟ فقلتُ: كَذَبَ [يا أمير المؤمنين][3]! ماسمعتُ به قطُّ، فازداد عليه غيظًا وله شتمًا. فلمّا خرجنا قال لى: ما فى الأرض شَرٌّ منك. فقلتُ له: أنت أحمقُ، تُريد منّى أن أَجىء إلى شِعْرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يُحِبُّه ويُعجِبه شِعرُه فأقول له: إنّى أعرفه فأُوقِع نفسى وعِرْضى فى لسان الشاعر لترتفع أنت عنده، ويَسْقُطَ ذاك ويُبْغِضَنى أنا[4]!

صــــوت

ما لإبراهـــيمَ فى العِلْـ * ـمِ بهـذا الشَّأنِ ثانِ

إنّمــا عُمْـــرُ أبى إسْـ * ـحاقَ زَيْنٌ لِلزَّمانِ

فإذَا غَـــنَّى أَبو ٱسْحـا * قَ أجابتْـــهُ المَثَـانى

منــه يُجْـنَى ثَمَــرُ اللَّهْـ * ـوِ ورَيْحانُ الجِنَانِ

جَنَّــةُ الدُّنْيـا أبو إسـ * ـحاقَ فى كلِّ مكانِ

عَرُوضه من الرَّمَل . الشِّعْرُ لٱبن سَـيَابةَ . والغناء لإبراهيم المَوْصِلىّ خفيفُ ثَقيـل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق ٱبنه .

---

(١) فى ف: « قال: وهذا يعلم » . (٢) فى ف: « فقال لى المتوكل: أتعرفه » .

(٣) زيادة فى ف . (٤) كذا فى ف . وفى سائر الأصول: « ويبغضنى أيضا » .

أخبار ابراهيم بن سَيَابَةَ ونسبه

جدّه حجام وهو ظريف ويرمى بالأبنة

إبراهيم بن سَيَابَةَ مولى بنى هاشم . وكان يقال : إنّ جَدَّه حَجّام أعتقه بعض الهاشميين . وهو من مُقارِبِى شُعَراء وقتِه، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف، وإنّما كان يميل بمودّته[(١)] ومَدْحِه إلى إبراهيم المَوْصِلِىّ وابنِه إسحاق، فغَنّيَا فى شعره ورفعا منه، وكانا يذكُرانه للخُلَفاء والوُزراء ويُذَكّرانِهم به إذا غَنَّيَا فى شعره، فينفعانه بذلك . وكان خليعًا ماجنًا، طَيِّبَ النادرة، وكان يُرْمَى بالأُبْنة .

شعره فى جارية سوداء لامه أهله فى عشقه لها

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى أبو زائدةَ عن جعفر ابن زيادٍ قال :

عَشِقَ ابنُ سَيَابَةَ جاريةً سوداءَ، فلامه أهلُه على ذلك وعاتبوه، فقال :

يكونُ الخالُ فى وجهٍ قبيحٍ * فيكسُوه المَلاحةَ والجَمالَا

فكيف يُلَامُ معشوقٌ[(٢)] على مَنْ * يراها كلَّها فى العين خالَا

قصته مع ابن سوّار القاضى ودايته رحاص

أخبرنى محمد بن مَزْيَدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

لقِىَ[(٣)] إبراهيمُ بن سَيَابَةَ وهو سكرانُ ابنًا لسَوّار بن عبد الله القاضى أَمْرَدَ، فعانقه وقبّله، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُحَاص، فقيل لها : إنّه لم يُقَبِّلْه تقبيلَ السلام، إنّما قبّله قُبْلَةَ شَهْوةٍ[(٤)]. فلَحِقَتْه الدّايةُ فشتَمْته وأسمعته كلَّ ما يكره، وهجَره الغلامُ بعد ذلك. فقال له :

قُلْ للّذى ليس لى مِنْ * يَدَىْ هَواهُ خَلَاصُ

أأن لثَمْتُكَ سِرًّا * فأبصرتنى رُحَاصُ

(١) فى ف : «وإنما كان منقطعا بمودّته...» . (٢) كذا فى الأصول . ولعلها «مفتون» .
(٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : «أتى» . (٤) فى ف : «تقبيل شهوة» .

وقال فى ذاك قـــومٌ * على ٱنتقـاصِى حِرَاصُ
هَجَـــرْتَنِى وأتـــنى * شَـــتِيمةٌ وانتقـاصُ
فَهـاكَ فاقتَصّ مِـــنِّى * إنّ الجُـروحَ قِصاصُ

٧/١١

ويُرْوَى أنّ رُخَاصَ هذه مغنّية كان الغلام يُحبُّها، وأنه سَكِرَ ونام؛ فقبّله ابن سَيَابَةَ. فلمّا ٱنتبــه قال للجارية : ليت شِعْرِى ما كان خَبَرُكِ مع ٱبن سَــيَابَةَ ؟ فقالت له : سَلْ عن خبرك أنت معه، وحدّثته بالقِصّة؛ فهجره الغلام؛ فقال هذا الشعر.

٥

جوابه لمن عاتبه على مجونه، ولمن سأل عنـه وهـو سـكران محمـول فى طبـق

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنا على بن الصَّبّاح قال: عاتَبْنا ابنَ سَيَابةَ على مُجونه، فقال : وَيْلَكم ! لأَنْ ألقَى اللهَ تبارك وتعالى بذُلّ المعاصى فيَرْحَمَنِى، أَحَبُّ إلىّ من أنْ ألقاه أتبختر إدلالًا بحسناتى فَيَمْقُتَنِى.

قال : ورأيتُ ابن سَــيَابَةَ يوماً وهو سكرانُ وقد حُمِل فى طَبَقٍ يَعْبُرون به على الجِسْر، فسألهم إنسانٌ ما هذا ؟ فرفَع رأســه من الطبق وقال : هذا بَقِيّةٌ ممّـا ترَك آلُ موسى وآلُ هارون تَحْمِلُه الملائكةُ يا كَشْخان(١).

١٠

ولع به أبو الحارث جميز حتى أخجله فهجاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنـا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنـا أبو الشِّبْل البُرْجُمِىّ قال :

وَلِـع [يوماً](٢) أبو الحارث جُمَّيْز بابن سَيَابةَ حتى أخجلَه. فقال عند ذلك ابن سَيَابةَ يهجـوه :

١٥

بَنَى أبو الحارث الجُمَّيْزِ فى وَسَـطٍ * من ظَهْـرِهِ وقريبـاً من ذِرَاعَيْنِ
دَيْرًا لِقَسٍّ إذا ما جاء يدخـــلُه * ألـقَى على باب دَيْرِ القَسّ خُرْجَيْنِ
يعـدو على بَطْنِه شَـدًّا على عَجَلٍ * لا ذو يَدَيْنِ ولا يمشى برجلينِ

(١) الكشخان : الديوث. (٢) زيادة عن ف.

جوابه لمن اقترض منه فاعتذر

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إبراهيم تِينةُ قال :

كَتَب ابن سَيَابَةَ إلى صديقٍ له يقترض منه شيئا، فكتب إليه يعتذر له ويحلِف أنّه ليس عنده ماسأله . فكتب إليه : "إن كنتَ كاذباً فجعلك اللهُ صادقًا، وإن كنتَ ملوماً فجعلك الله معذورا" .

ضرط فى جماعة فكلم استه

أخبرنى محمد بن أبى الأَزْهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان ابنُ سَيَابَةَ الشاعرُ عندنا يوماً مع جَماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنْشِدنا شيئا من شِعْره، فتحرّك فضَرَط ، فضرب بيده على اَسْتِه غير مكترثٍ، ثم قال : إمّا أنْ تسكُتى حتّى أتكلّم، وإمّا أن تتكلّمى حتى أسكُتَ .

غمز غلاما أمرد فأجابه

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثم الأنبارىّ الكاتب قال حدّثنى أبو هِفَّانَ قال :

غَمز ابن سَيَابَةَ غلامًا أَمْرَدَ ذاتَ يومٍ فأجابه، ومضى به إلى منزله ، فأكلا وجَلَسا يَشْرَبان . فقال له الغلامُ : أنت ابن سَيَابَةَ الزِّنْديق ؟ قال نعم . قال : أُحِبُّ أن تُعَلِّمنى الزَّندقةَ . قال : أفعلُ وكرامةً . ثم بَطَحه على وجهه ، فلمّا تَمكّن منه أدخل عليه؛ فصاح الغلامُ أَوَّهْ ! أَيْش هذا وَيْحَك ؟ قال سألتَنى أنْ أُعلّمك الزندقة، وهذا أوّلُ بابٍ من شرائعها .

يرى فقدان الدقيق أكبر مصيبة

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكَبِىُّ قال حدّثنى مُحْرِز بن جعفر الكاتب قال :

قال لى إبراهيم بن سَيَابَةَ الشاعرُ : إذا كانت فى جيرانك جِنازةٌ وليس فى بيتك دقيقٌ فلا تحضُر الجنازةَ ؛ فإنّ المُصيبةَ عندك أكبرُ منها عند القوم ، وبيتك أَوْلَى بالمأتم من بيتهم .

سخط عليه الفضل ابن الربيع، فاستعطفه بشعر فرضى عنه ووصله

أخبرنى جعفر بن قُدامةَ ومحمد بن مَزْيَدٍ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سَخِط الفضلُ بن الرَّبيع على ابن سَيَابَةَ، فسألتُه أن يرضَى عنه فامتنع. فكَتَبَ إليه ابن سَيَابة بهذه الأبيات وسألني إيصالَها:

إنْ كان جُرْمِى قد أحاطَ بحُرْمَتِي * فأَحِطْ بجُرْمِى عَفوَك المأمولَا
فلَكَم ارْتَجيتُكَ فى الَّتى لا يُرْتَجَى * فى مِثْلِها أحدٌ فنِلتُ السُّولَا[(١)]
وَضَلَلْتُ عنك فلم أجِدْ لِى مَذْهَبًا * ووجدتُ حِلمَكَ لِى عليك دليلا
هَبْنِى أسأتُ وما أسأتُ أُقِرُّ كَىْ * يزدادَ عَفْوُك بعد طَوْلِك طُولَا[(٢)]
فالعَفْوُ أجمَلُ والتَّفضُّلُ بامرئٍ * لم يَعْدَمِ الرَّاجون منه جميلَا

فلمّا قرأها الفضلُ دَمَعتْ عيناه ورَضِى عن ابن سَيَابَةَ، وأَوْصَله إليه وأَمَر له بعشرة آلاف درهم.

حواره المقذع مع بشار

أخبرنى الحسن بن علىٍّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوية قال حدّثنا الحسن بن الفَضْل قال سمعتُ ابنَ عائشةَ يقول:

جاء إبراهيم بن سَيَابَةَ إلى بَشَّار فقال له: ما رأيتُ أعمَى قطُّ إلّا وقد عُوِّض من بصره إمّا الحِفْظَ والذَّكاءَ وإمّا حُسنَ الصوت، فأىَّ شىء عُوِّضْتَ [أنت][(٣)]؟ قال: ألّا أرى ثقيلًا مثلَك، ثم قال له: مَنْ أنت ويحك؟ قال: إبراهيم بن سَيَابَةَ. فتضاحَكَ ثم قال[(٤)]: لو نُكِح الأَسَدُ فى اسْتِه لذلَّ[(٥)]. وكان إبراهيم يُرْمَى بذلك. ثم تمثّل بَشّار:

لو نُكِح اللَّيْثُ فِى اسْتِهِ خَضَعَا * ومات جوعًا ولم يَنَلْ شِبَعَا
كذلك السيفُ عند هِزَّتِه * لو بَصَقَ النَّاسُ فيه ماقَطَعَا

(١) السؤل والسؤلة، ويترك همزها: ماسألته. (٢) الطول (بالفتح): الفضل.
(٣) زيادة فى ف. (٤) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: «... بن سيابة. فقال».
(٥) فى ف: «ما افترس وذل».

نزل على سليمان ابن يحيى بن معاذ بنيسابور

أخبرنى حَبِيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى عبد الله بن أبى نصر المَرْوَزِىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله الطَّلْحى قال حدّثنى سليمان آبن يحيى بن مُعَاذ قال :

قدِم إبراهيم بن سَيَابة نَيْسابورَ فأنزلتُه علىَّ؛ فجاءنى ليلةً من الليالى وهو مُهْرِبٌ[1]، فجعل يصيح بى: يا أبا أيُّوب. فخَشِيتُ أن يكون قد غَشِيَه شىءٌ يُؤْذِيه، فقلتُ : ماتشاء ؟ فقال :

* أَعْيَانِىَ الشَّادِنُ الرَّبِيبُ *

فقلتُ بماذا ؟ فقال :

* أَكْتُبُ أشكو فلا يُجِيبُ *

قال فقلتُ له : دَارِه ودَاوِه؛ فقال :

مِنْ أين أبْغى شِفاءَ مابى * وإنّما دائىَ الطَّبِيبُ

فقلت : لا دواءَ إذًا إلّا أن يُفَرِّجَ اللهُ تعالى . فقال :

يارَبِّ فَرِّجْ إذًا وعَجِّلْ * فإنّكَ السّامِعُ المُجِيبُ

ثم آنصرف .

فى هذا الشعر رَمَلٌ طُنْبورِىٌّ لجحظة .

من قصيدة أخت الوليد بن طريف فى رثائه

صوت

أيَا شَجَرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقًا * كأنَّك لم تحزَنْ على ابن طَرِيفِ

فَتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلّا مَن التُّقَى * ولا المالَ إلّا من قَنًا وسُيُوفِ

(١) أهرب فهو مهرب : جدّ فى السير مذعورا .

الشعر لأُخت الوليد بن طَرِيف الشاريّ . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، من رواية ابنه عُبَيد الله عنه . وأوّلُ هذه الأبيات كما أنشدنا محمدُ ابن العبّاس اليزيديّ عن أحمد بن يحيي ثَعْلَب[1] :

بتَلِّ نُبَاثَا[2] رَسْمُ قَبْرٍ كأنّه * على عَلَمٍ فوق الجبالِ مُنِيفِ
تَضَمَّنَ جُودًا حاتميًّا ونائلًا * وسَوْرةَ مِقْدَامٍ وقَلْبَ حَصِيفِ[3]
ألَا قاتَلَ اللهُ الجُثَا حيث أضمرتْ * فتًى كان بالمعروف غيرَ عَفِيفِ[4]
فإنْ يَكُ أرداه يَزِيدُ بنُ مَزْيَدٍ * فيارُبَّ خيلٍ فَضَّها وصُفوفِ[5]
ألَا يا لَقَوْمٍ[6] للنّوائبِ والرَّدَى * ودَهْرٍ مُلِحٍّ بالكرام عَنيفِ
ولِلْبَدْرِ من بين الكواكبِ إذ هوى[7] * ولِلشَّمْسِ هَمَّتْ بعدَه بكُسوفِ[8]
أيا شجرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقًا * كأنّك لم تَحْزَنْ[9] على ابن طَرِيفِ

(١) فى بعض الأصول : « بن ثعلب » تحريف .   (٢) كذا فى ط، ف . وفى ب، س ومعاهد التنصيص (ص ٤١٤) : « نباتى » . وفى حماسة البحترى : « تباثا » مضبوطا بضم الأوّل، ومثله فى الكامل لابن الأثير . (ج ٦ ص ٩٨) وفى سائر الأصول : « بناثا » . وفى وفيات الأعيان : « بتل نهاكى » . وقال ابن خلكان : « وتل نهاكى أظنه فى بلد نصيبين، وهو موقع الواقعة المذكورة » .

(٣) فى وفيات الأعيان : « ورأى حصيف » .

(٤) فى حماسة البحترى وابن الأثير : « كيف أضمرت » . وفى معاهد التنصيص ووفيات الأعيان وحماسة البحترى : « غير عيوف » . والجثا : جمع جثوة (مثلثة الجيم) وهى ما يجتمع من حجارة أو تراب . وفى حديث عامر : « رأيت قبور الشهداء جُثًا » يعنى أتربة مجموعة .

(٥) فى الوفيات ومعاهد التنصيص وحماسة ابن الشجرى وحماسة البحترى :

* فرب زحوف لفها بزحوف *

وفى الأخير : « فضها » .

(٦) فى معاهد التنصيص والوفيات : « ألا يا لقومى » .   (٧) فى ف : « قد هوى » .

(٨) فى معاهد التنصيص والوفيات : « لما أزمعت » بدل « همت بعده » .

(٩) فى ف والوفيات ومعاهد التنصيص وابن الأثير والعقد الفريد : « لم تجزع » .

فتًى لا يُحِبُّ الزّادَ إلّا مِنَ التُّقَى * ولا المالَ إلّا من قَنًا وسيوف
ولا الخَيْلَ إلّا كُلَّ جَرْداءَ شَطْبةٍ * وكلَّ حِصانٍ باليدين غَرُوفِ (١)
فلا تَجْزَعَا يا ابْنَى طَرِيفٍ فإنّنى * أرى الموتَ نَزّالاً (٢) بكلِّ شريفِ
فَقَدْناكَ فِقْدانَ الرَّبِيعِ وليتَنا * فَدَيْناكَ من دَهْمائنا (٣) بألوفِ

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طَرِيفٍ تَرْثيه، وكان يزيدُ بن مَزْيَدٍ قتلَه .

٥

مقتل الوليد ابن طريف

ذكر الخبر فى ذلك

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يَزِيد عن عَمّه عن جماعة من الرُّواة قال :

كان الوَلِيدُ بن طَرِيفٍ الشَّيْبانىُّ رأسَ الخَوارج وأشدَّهم بأسًا وصَوْلةً وأشجعَهم؛ فكان مَنْ بالشَّمّاسيَّةِ (٤) لا يأمَنُ طُروقَه [إياه] (٥)، واشتدّتْ شَوْكتُه وطالتْ أيّامُه . فوَجّه إليه

١٠

(١) فى معاهد التنصيص والوفيات :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف

وفى حماسة البحترى :

* وأجرد عالى المنسجين غروف *

والجرداء من الخيل : القصيرة الشعر . وقصر الشعر مما تمدح به الخيل . والشطبة (بالفتح وبكسر) من الخيل : السبطة اللحم؛ وقيل : هى الطويلة . وفى بعض الأصول : «عروف» بالعين المهملة، تصحيف . والغروف من الخيل : التى تغرف الجرى غرفا فتنهب الأرض بها فى سرعتها .

١٥

(٢) فى معاهد التنصيص والوفيات وحماسة البحترى والعقد الفريد : «وقاعا» .

(٣) فى الوفيات ومعاهد التنصيص : «من فتياننا» . وفى العقد الفريد : «من ساداتنا» . وفى حماسة البحترى :

٢٠

فقدناه فقدان الربيع فليتنا * فديناه ... ...

وفيها من هذه القصيدة أربعة وعشرون بيتا .

(٤) الشماسية : محلة كانت قريبة من بغداد . (٥) زيادة فى ف

الرشيدُ يَزِيدَ بن مَزْيَدٍ الشَّيْبانىَّ ، فجعَل يُخاتِلُه ويُماكِرُه . وكانت البرامكةُ منحرفةً عن يَزِيدَ بن مَزْيَدٍ، فأغْرَوْا به أميرَ المؤمنين، وقالوا : إنما يتجافَى عنه للرَّحِم ، وإلّا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُوَاعِدُه وينتظر مايكون من أمره . فوجّه إليه الرشيدُ كتابَ مُغْضَبٍ يقول فيه : « لو وَجَّهْتُ بأحد الخَدَم لقامَ بأكثر مما تقوم به ، ولكنّك مُدَاهِنٌ مُتَعَصِّب . وأميرُ المؤمنين يُقْسِم بالله لئن أخَّرْتَ مُنَاجَزَةَ الوليد لَيُوَجِّهَنّ إليك مَن يحمل رأسَك إلى أميرالمؤمنين» . فلَقِيَ الوليدَ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ فى شهر رمضان . فيقال : إنّ يزيدَ جُهِد عَطَشًا حتّى رمَى بخاتمه فى فِيه ، فجعل يَلُوكه ويقول : اللّهُمّ إنّها شِدَّةٌ[1] شديدةٌ فاسْتُرْها . وقال لأصحابه : فِدَاكم أبى وأُمّى ، إنما هى الخوارجُ ولهم حَمْلةٌ ، فاثْبُتوا لهم تحت التِّراس[2] ، فإذا انقضتْ حملتُهم فاحْمِلُوا ، فإنّهم إذا آنهزموا لم يَرْجِعوا . فكان كما قال ، حَمَلُوا حملةً وثبت يزيد ومَنْ معه من عَشِيرته وأصحابه ، ثم حَمَل عليهم فانكشفوا . ويقال : إنّ أسَدَ بن يَزِيدَ كان شبيها بأبيه جِدًّا ، وكان لا يَفصِل بينهما إلّا المتأمِّل ، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةً فى وجه يزيد تأخُذُ من قَصَاص شَعَرِه[3] ومنحرفةً على جَبْهته ، فكان أسدٌ يتمنّى مثلها . فهَوَتْ له ضربةٌ فأخرجَ وجهَه من التُّرْس فأصابتْه فى ذلك الموضع . فيقال : إنّه لو خُطَّتْ على مثال ضَرْبة أبيه ما عدا[4] ، جاءت كأنّها هى . واتّبَع يزيدُ الوليدَ بن طريف فلَحِقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسَه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بنُ طَرِيفَ الشّارِى * قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلَى بِنَارِى

* جَوْرُكُمُ أخرجنى من دارى *

---

(١) فى ف : «ليلة شديدة» . (٢) التراس : جمع تُرس (بالضم) ، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه . (٣) فى ط ، ف : «شعره منحرفة» بدون الواو . (٤) ما عدا ، أى ما جاوز خط ضربته مثال ضربة أبيه . وقوله « جاءت كأنها هى » بيان لقوله : « ما عدا » .

خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد ابن مزيد

فلمّا وقع فيهم السَّيفُ وأُخذ رَأْسُ الوليد، صَبَّحَتْهم[(١)] أُخته ليلَى بنت طَرِيفٍ مستعدّةً عليهـا الدِّرْعُ والجَوْشَنُ، فجعلتْ تحمِل على الناس فعُرِفتْ. فقال يزيد: دَعُوها، ثمّ خرج إليها فضَرَب بالرُّمْح قَطاةَ[(٢)] فرسها، ثم قال اغْرُبِى غَرَّب[(٣)] اللهُ عليكِ! فقدفَضَحْتِ العشيرةَ، فاسْتَحْيتْ وانصرفتْ وهى تقول:

١٠/١١

أيا شجـَـرَ الخابور مالكَ مـورقًا * كأنّك لم تَحْـزَنْ على ابنِ طريفِ

فـتًى لا يُحِبُّ الزّادَ إلاّ مِنَ التُّـقَى * ولا المـالَ إلاّ من قَنًـا وسُيوفِ

ولا الذُّخْرَ إلّا كُلَّ جَرْداءَ صِلْدِمٍ[(٤)] * وكلَّ رقيــقِ الشَّفْرَتَيْنِ خفيفِ

فلمّا انصرف يزيدُ بالظَّفَـر حُجِب بِرأى البرامكة، وأظهر الرشيدُ السخطَ عليه. فقال: وحَقِّ أمير المؤمنـين لَأَصِيفَنّ وأَشْتُوَنّ على فَـرَسِى أو أدخلَ. فارتفـع الخبر بذلك فأذِن له فدخل. فلمّا رآه أمير المؤمنين ضَحِك وسُرّ وأقبـل يصيح: مَرْحَبًـا بالأعرابىّ! حتى دخل وأُجْلِسَ وأُكرِمَ وعُرِف بَلاؤه ونقاءُ صَـدْره.

من قصيدة مسلم ابن الوليد فى يزيد ابن مزيد

ومَدَحه الشـعراء بذلك. فكان أحسنُهم مدحًا مُسْلِمَ بن الوليد، فقال فيه قصـيدته التى أولهـا:

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَليعٍ فى الصِّبَا غَزِلِ * وشَمَّرتْ هِمَمُ العُـذّالِ فى عَذَلى[(٥)]

(١) فى حـ ومعاهد التنصيص: «صحبتهم».

(٢) قطاة الفرس: عجزها أو مقعد الرديف منها.

(٣) كذا فى ط ومعاهد التنصيص. وفى ب، سـ: «غرب الله عينيك». وفى الكامل: «اعزبى عزب الله عليك» بالزاى.

(٤) الصلدم من الخيل: الشديدة الحافر. ورقيق الشفرتين: السيف.

(٥) كذا فى ف. وفى ديوان مسلم بن الوليد: «فى العذل». وفى سائر الأصول: «عن عذلى» تحريف. تقول العرب: أجررت فلانا رسنه إذا مهلت له فى إرادته. وأصله أن تمهل للدابة فى الرعى جارة رسنها. فيقول: أجررت حبل خليع فى الصبا، أى حبل من خلع عذاره فى الصبا. وغَزِل: ذى غَزَل ومجانة. وقوله «وشمرت ...» أى حين رأونى قد صبوت. والخليع أيضا: من يخلعه قومه لشره؛ فان ذهب أحد إلى هذا فمعناه رجل قد تبرأ منه قومه. (عن شرح ديوان مسلم ببعض تصرف).

هاجَ البكاءَ على العين الطَّمُوحِ هوًى * مُفَرَّقٌ بين توديعٍ ومُحتَمَلِ (١)

كيف السُّلُوُّ لِقَلْبٍ باتَ مُخْتَبَلاً * يَهْذِى بصاحبِ قَلْبٍ غيرِ مُختَبَلِ (٢)

وفيها يقول :

يَفْتَرُّ عند افترارِ الحَرْبِ مبتسماً * إذا تَغَيَّرَ وجهُ الفارسِ البَطَلِ (٣)

٥ مُوفٍ على مُهَجٍ فى يومِ ذِى رَهَجٍ (٤) * كأنَّه أَجَلٌ يسعَى إلى أَمَلِ

ينالُ بالرِّفْقِ ما يَعْيَا الرِّجالُ به * كالموت مُستعجِلاً يأتى على مَهَلِ

لا يَرْحَلُ النَّاسُ إلّا نحوَ حُجْرتِه (٥) * كالبيت يُفْضِى إليه مُلْتَقَى السُّبُلِ

يَقْرِى المَنِيَّةَ أرواحَ العُداةِ كما * يَقْرِى الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ (٦)

يكسو السُّيوفَ رُءوسَ النَّاكثين به * ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنَا الذُّبَّلِ (٧)

---

١٠ (١) فى ف : « ومرتحل » . والطموح : المرتفعة فى النظر إلى الأحبة وهم سائرون . فيقول : هاج البكاء على العين هوى مفرق بين توديع ومحتمل ، أى مقسم ، بعضه فى توديع الأحبة وبعضه فى احتمالهم . (عن شرح ديوان مسلم) .

(٢) فى ف وديوان مسلم : « راح مختبلا » . ومختبل : مخبول العقل فاسده . والهذيان : الكلام الذى يفضى بصاحبه إلى ما لا يفهم عنه . وإنما يكون ذلك عن علة تفضى بصاحبها إلى ١٥ الهذيان فيتكلم بما يأتيه دون أن يعرف ما يقول .

(٣) افترفلان ضاحكا : أبدى أسنانه عند الضحك . وافترار الحرب : تكشيرها عن أنيابها ، وهذا كناية عن شدتها . يقول : يبتسم من قلة مبالاته بالحرب إذا تغير وجه الفارس البطل من هول الحرب وشدتها .

(٤) فى ديوان مسلم : «واليوم ذو رهج» . والرهج الغبار . يقول : يوفى على المهج بالقتل فى يوم ٢٠ قد ثار نقعه من شدة القتال ؛ فهو يعمل عمل الأجل فى الأمل .

(٥) كذا فى ف والديوان . وفى سائر الأصول : « ... حول حجرته » يقول : لا يرحل الناس لطلب عطاء إلا نحو بيته ، كالبيت (يعنى بيت الله الحرام مكة) يفضى إليه ملتقى السبل ، أى عنده ملتقى الطرق كلها .

(٦) ف : « الكماة » بدل « العداة » . والكوم من النوق : العظام الأسنمة ، واحدتها كوماء . ٢٥ والبزل : جمع : بزول وهو ما بلغ من الإبل تسع سنين .

(٧) ويروى : «دماء الناكثين» . والناكثون : الناقضون للعهد . والذابل من القنا وهى الرماح : الرقيق اللاصق الليط . ويجمع أيضا على ذبل (بضم الذال وتشديد الباء المفتوحة) .

إذا انتضَى سيفَه كانت مَسَالِكُه * مسالكَ الموت فى الأبدانِ والقُلَلِ (١)

لَا تُكْذَبَنَّ فإنَّ المجدَ مَعْدِنُه (٢) * وِرَاثَةٌ فى بنى شَيْبانَ لم تَزَلِ (٣)

إذا الشَّرِيكىُّ (٤) لم يَفْخَرْ على أحدٍ * تكلَّم الفخرُ عنه غيرَ منتحِلِ

الزَّائديُّونَ (٥) قومٌ فى رِماحِهِمُ * خوفُ المُخيفِ وأَمْنُ الخائفِ الوَجِلِ

كَبيرُهُمْ لا تقوم الرَّاسياتُ له * حِلْماً وطِفْلُهُمُ فى هَدْىِ مُكْتَهِلِ

إسْلَمْ يزيدُ فما فى المُلْكِ من أَوَدٍ * إذا سَلِمْتَ ولا فى الدِّين من خَلَلِ (٦)

لولا دِفاعُكَ بَأسَ الرُّوم إذْ مَكَرتْ * عن بَيْضةِ الدِّين لم تأمَنْ من الثُّكَلِ (٧)

والمارقُ ابنُ طَريفٍ قد دَلَفْتَ له * بِعارِضٍ لِلمنايا مُسْبِلٍ هَطِلِ (٨)

لو أنَّ غيرَ شَرِيكِىٍّ أطافَ به * فازَ الوليدُ بِقِدْحِ النَّاضلِ الخَصِلِ (٩)

ما كان جَمْعُهُمُ لمَّا دَلَفتَ لهم * إلَّا كمِثْلِ جَرادٍ رِيعَ مُنْجَفِلِ (١٠)

---

(١) ويروى : « فى الأجسام » . وانتضى سيفه : سله من غمده . والقلل : جمع قلة ، وهى أعلى الشيء ، وهى هنا : أعالى الرءوس .

(٢) فى الديوان « الحلم » .

(٣) كذا فى ف والديوان . وفى سائر الأصول : « لم يزل » .

(٤) الشريكى : نسبة إلى « شريك » جدّ من أجداد يزيد بن مزيد الممدوح . يقول : إن أفعالهم بادية ظاهرة فى الناس ، فلا يحتاجون هم إلى النطق بها لإظهارها ، فقد كفوا ذلك .

(٥) الزائديون : نسبة إلى «زائدة» جدّ أيضا . وقوله : «خوف المخيف» أى خوف من أخاف الناس ، يعنى الأشرار الذين يخيفون الرعية .

(٦) فى الديوان : «فما فى الدين ... وما فى الملك » ويروى : «فما فى الدين من حرج» أى ضيق . والأود : العوج .

(٧) فى الديوان : « إذ بكرت * عن عِتْرة الدين » أى عن جماعة الإسلام . وفى ط ، ح : « لم يأمن » . والثكل ، بالتحريك ، ويجوز أن يكون بضمتين ، بتحريك الكاف الساكنة .

(٨) فى الديوان : « بعسكر » بدل « بعارض » . وأسبل السحاب : كثر مطره واتسع .

(٩) الناضل : المصيب . والخصل مثله .

(١٠) فى ف والديوان : « لما لقيتهم » . وفى الديوان : « إلا كمثل نعام » .

كم آمنٍ لك نائى الدارِ ممتنـعٍ * أخرجتَه من حُصون المُلْكِ والخَوَلِ[1]
تراه فى الأمْن فى دِرْعٍ مُضـاعَفةٍ * لا يأمَنُ الدهْرَ أنْ يُدْعَى على عَجَـلِ
لا يَعبَقُ الطِّيبُ خَـدّيْهِ ومَفْرِقَه[2] * ولا يُمسِّـحُ عينيه مِن الكُحُلِ
يأبَى لك الذّمَّ فى يومَيك إنْ ذُكِرَا * عَضْبٌ حُسَـامٌ وعِرْضٌ غير مُبتذَلِ[3]
٥ فافْخَرْ فمـالك فى شَيْبانَ من مَثَـلٍ * كذاكَ ما لبنى شَـيْبانَ من مَثَـلِ

١١/١١

كان معن يقدمه على بنيـه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله

وقال محمد بن يزيد : يعنى بقوله :

* تراه فى الأمن فى دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ *

خبرَ يزيدَ بن مَزْيَد. وذاك أنّ امرأةَ مَعْنِ بن زائدةَ عاتبتْ مَعْناً فى يزيدَ وقالت : إنك لَتُقَـدِّمه وتُؤَخِّر بَنِيك، وتُشَـيد بذكْره وتُخْمِل ذِكْرَهم ، ولو نَبَّهتَهم لانتبهوا، ١٠ ولو رفعتَهم لارتفعوا . فقال مَعْنٌ : إن يزيدَ قريبٌ لم تَبْعُدْ رَحِمُه[4]، وله علىّ حُكم الولد إذ كنتُ عمَّه . وبعدُ فإنّهم أَلْوَطُ[5] بقلبى وأدنى من نَفْسى على ما تُوجبه واجبةُ الوِلَادة للأُبوّة[6] من تقديمهم ، ولكنّى لا أجدُ عندهم ما أجده عنده . ولو كان ما يَضْطلِـع به يَزِيدُ فى بَعيدٍ لصار قريبًا، وفى عدوٍّ لصار حبيبا . وسأُرِيكِ فى ليلتى هذه ما ينفسح به

(١) الخول : ما يعطاه المرء من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ؛ يقال للواحد والجمع والمذكر ١٥ والمؤنث ، ويقال للواحد خائل . ونائى الدار : بعيدها . يقول : كم من عدوّ قد أمنك لبعد داره عنك وامتناعه بحصونه ، قد أخرجته من حصون ملكه ومن بين خوله .

(٢) كذا فى ط وديوان مسلم . وفى سائر الأصول : « لم يعبق » .

(٣) العضب هنا : السيف . والحسـام : القطاع . يقول : يأبى لك أن يذمك أحد سيف قطاع تقتل به الأعداء ، وعرض غير مبتذل للذم ؛ لأنك تصونه بالعطاء لكل من سألك ، فلا تجعل لأحد سبيلا ٢٠ إلى عرضك . (٤) فى ط : « ولم تبعد » .

(٥) ألوط بقلبى : ألصق به ؛ يقـال : لاط الشىء بقلبى يلوط و يليط لوطا وليطا ، إذا حبب إليه ولزق به ؛ فهو ألوط به وأليط به . (٦) فى ف : « على قدر ما توجبه واجبة الأبوة » .

اللّوم عنى ويتبيّن به عُذْرى . يا غلامُ اذْهَبْ فادْعُ جَسّاساً وزائدة وعبدَ الله وفلاناً وفلاناً، حتى أتى على أسماء وَلَده ؛ فلم يلبَثْ أن جاءوا فى الغلائل المطيَّبة والنِّعال السِّنْدية، وذلك بعد هَدْأةٍ من اللَّيل، فسلَّموا وجلسوا. ثم قال : ياغلام ادْعُ لى يزيدَ وقد أسْبَل ستْراً بينه وبين المرأة، وإذا به قد دخل عَجِلاً وعليه السِّلاح كلُّه، فوضع رُمْحَه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[1] . فلمّا رآه معن قال : ما هذه الهيئة أبا الزُّبَير؟ — وكان يزيدُ يُكْنَى أبا الزُّبَير وأبا خالد — فقال : جاءنى رسول الأمير فسَبَق إلى نَفْسى أنه يُريدنى لوجهٍ، فقلت: إن كان مَضَيْتُ ولم أُعَرِّجْ، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فَنَزْعُ هذه الآلة أيسرُ الخَطْب. فقال لهم: انصرفوا فى حفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيّن عُذْرُك . فأنشد معنٌ متمثّلا :

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصاماَ * وعوّدته الكَرَّ والإقداما
* وصَيرّته مَلِكاً[2] هُمَاماَ *

من شعر أخته فى رثائه

وأخبرنى محمد بن الحسن الكِنْدى قال حدثنا الرِّياشيّ قال: أنشدنى الأصمعى لأخت الوليد بن طَريف ترْثيه :

ذكرتُ الوليدَ وأيّامَهُ * إذِ الأرضُ من شَخْصه بَلْقَعُ
فاقبلتُ أطلبه فى السَّماء * كما يبتغى أنْفَه الأجْدَعُ
أضاعك قومُك فليطلبوا * إفادةَ مِثْلِ الذى ضَيَّعوا
لوَ أنّ السُّيوفَ التى حَدُّها * يصيبُك تَعلَمُ ما تصنَع
نَبَتْ عنكَ أو جعلتْ هيبةً * وخوفًا لصَوْلك لا تَقْطَع

(١) يحضر : يعدو ويسرع . (٢) فى ف : « بطلا » .

* * *

بعض أخلاق عبد الله بن طاهر

فأمّا خبرُ عبد الله بن طاهر فى صَنْعته هذا الصوتَ، فإنّ عبد الله كان بمحلٍّ من عُلُوّ المنزلةِ وعِظَم القَدْر ولُطْف مكانٍ من الخُلفاء، يَسْتَغْنى به عن التقريظ له والدّلالة عليه . وأمرُه فى ذلك مشهورٌ عند الخاصّة والعامّة، وله فى الأدب مع ذلك المَحَلُّ الذى لا يُدْفَع، وفى السماحة والشجاعة مالا يُقَارِبه فيه كبيرُ أحدٍ .

فرّق خراج مصر وقال أبياتا أرضى بها المأمون

أخبرنى علىُّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيدَ المُبَرِّد أنّ المأمون أعطى عبدَ الله بن طاهر مالَ مصر لسنةٍ خَرَاجَها وضِياعَها، فوهَبه كلَّه وفرّقه فى الناس، ورجع صِفْرًا من ذلك؛ فغاظ المأمونَ فِعْلُه . فدخل إليه يومَ مَقْدَمِه فأنشده أبياتا قالها فى هذا المعنى، وهى :

١٢/١١

نَفْسى فداؤكَ والأعناقُ خاضعةٌ * للنّائباتِ أَبِيًّا غيرَ مُهْتَضَمِ
إليكَ أقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها * حَوْلَيْنِ بعدَك فى شَوْقٍ وفى أَلَمِ
أقفُو مَسَاعِيَكَ اللّاتى خُصِصتَ بها * حَذْوَ الشِّراك على مِثْلٍ من الأَدَمِ
فكان فَضْلِىَ فيها أنّنى تَبَعٌ * لِمَا سَنَنْتَ من الإنعامِ والنِّعَمِ
ولو وُكِلْتُ إلى نَفْسِى غَنِيتُ بها * لكن بدأتَ فلم أَعْجِزْ ولم أُلَمِ

فضحك المأمون وقال : والله ما نَفِسْتُ عليك مَكْرُمةً نِلْتَها ولا أُحدوثةً حَسُنَ عنك[1] ذِكْرُها، ولكن هذا شىءٌ إذا عوّدتَه نفسَك افتقرتَ ولم تَقْدِرْ على لَمِّ شَعَثِك وإصلاح حالك . وزال ما كان فى نفسه .

أتاه معلى الطائى ومدحه فأجازه

أخبرنى وَكِيعٌ قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سَعْدٍ قال حدّثنى عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أخبرنى محمد بن الفَضْل بن محمد بن منصور قال :

(١) فى بعض الأصول : « حسن عندك » تحريف .

لمّـا افتتح عبدُ الله بن طاهر مصرَ ونحن معه، سوّغه المـأمونُ خَراجَها. فصَعِد المنبرَ فلم يَنزِلْ حتّى أجاز بها كلِّها ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ أو نحوِها. فأتاه مُعَلًّى الطائىُّ وقد أعلموه ما قد صنع عبدالله بن طاهر بالنّـاس فى الجوائز، وكان عليه واجداً، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح اللهُ الأميرَ! أنا مُعَلًّى الطائىّ، وقد بلغ منّى ما كان منك [إلىّ][1] من جفاءٍ وغِلَظٍ. فلا يَغْلُظَنَّ علىّ قلبُك، ولا يَسْتَخِفَّنَّك الذى بلغك، أنا الذى أقول:

يا أعظمَ النّاسِ عفوًا عند مَقْدِرةٍ * وأَظْـلَمَ الناس عند الجُود للـمالِ
لو أصبحَ النِّيلُ يجرى ماؤه ذَهبًا * لمّـا أشرتَ إلى خَزْنٍ بمِثْقـالِ
تُغْلِى[2] بمـا فيه رِقُّ الحمدِ تَملِكُه * وليس شىءٌ أعاضَ الحمدَ بالغـالى
تَفُكُّ باليُسْرِ كَفَّ العُسْرِ من زَمَنٍ * إذا استطالَ على قوم بإقلالِ
لم تَخْـلُ كَفُّك من جُودٍ لمُخْتَبِطٍ[3] * [أ][1]وْ مُرْهَفٍ قاتلٍ فى رأس قَتَّالِ
وما بَثَثْتَ رَعِيلَ الخيـلِ فى بَلَدٍ * إلّا عصفْنَ بأرزاقٍ وآجالِ
إن كنتُ منكَ على بالٍ مَنَنْتَ به * فإنّ شُكْرَك من قلبى على بالِ
ما زِلْتُ منقضِبًا[4] لولا مُجـاهَرةٌ * من ألْسُنٍ خُضْنَ فى صَدْرِى بأقوالِ

قال فضحك عبد الله وسُرَّ بمـا كان منه، وقال: ياأبا السَّمراء أَقْرِضْنى عشرةَ آلافِ دينارٍ، فما أمسيتُ أملِكها؛ فأقْرضه فدفعها إليه.

---

(١) زيادة فى ف. (٢) أغلى بالشىء وأغلاه مثل غالى بالشىء وغالاه: جعله غاليا.

(٣) اختبطه وتخبطه: سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودة أو معرفة.

(٤) فى أكثر الأصول: «مقتضبا». وفى ف: «منقبضا». وفى أساس البلاغة: «وانقضب من أصحابه: انقطع». يقول: ما زلت منقطعا عنك أو عن الناس، وكنت أوثر أن ألزم ذلك لولا مجاهرة الألسنة وخوضها بالحديث فيما يكنه صدرى من حب وولاء أو عداوة وبغضاء؛ فذلك الذى ألجأنى أن أخرج عما أخذت به نفسى، وحفزنى إلى الإقبال عليك.

أحسن إلى موسى ابن خاقان ثم جفاه، فمدح موسى المأمون وعرض به

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذبه قال :

كان موسى بن خاقانَ مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان نديمَه وجليسَه، وكان له مُؤْثِرًا مُقدِّمًا؛ فأصاب منه معروفاً كثيرا وأجازه بجوائزَ سنيَّةٍ هناك وقبل ذلك. ثم إنّه وَجَد عليه فى بعض الأمر، فجفاه وظَهر له منه بعضُ ما لم يُحِبَّه، فرجع

٥ حينئذ إلى بغداد وقال :

صــوت

إنْ كان عبدُ الله خَلَّانَا * لا مُبْدِئًا عُرْفًا و إحسانا

فحَسْبُنَا اللهُ رَضِينَا به * ثم بعبد الله مولانا

يعنى بعبد الله الثانى المأمونَ، وغنّتْ فيه جاريته ضَعْفُ لحنًا من الثقيل الأوّل،

١٠ وسَمِعه المأمون فاستحسنه ووصله و إيّاها. فبلَغ ذلك عبدَ الله بن طاهر، فغاظه ذلك وقال : أَجَلْ ! صَنَعْنا المعروفَ إلى غير أهله فضاع.

١٣ / ١١

وكانت ضَعْفُ إحدى المُحْسِنات، ومن أوائل صَنْعتها وصدور أغانيها وما بَرَّزتْ فيه وقُدِّمتْ فاختيرتْ، صَنْعتُها فى شعر جَمِيلٍ :

أمِنْكِ سَرَى يا بَثْنُ طَيْفٌ تَأَوَّبَا * هُدوءاً فهاج القلبَ شوقاً وأنصبَا

١٥ عَجِبْتُ له أنْ زارَ فى النوم مَضْجَعِى * ولو زارنى مُسْتَيْقِظًا كان أعجبَا

الشعر لجميل، والغناء لضَعْفَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر.

قصته مع محمد ابن يزيد الأموى

أخبرنى عمِّى قال حدّثنى أبو جعفر بن الدِّهقانة النديم قال حدّثنى العباس ابن الفضل الخُراسانىّ، وكان من وجوه قُوّاد طاهر وابنِه عبدالله، وكان أديبا عاقلا فاضلا، قال :

لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدتَه التى يفخَر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقَتْلهم المخلوعَ، عارضَه محمد بن يَزِيدَ الأمَوِىّ الحِصْنىّ، وكان رجلاً من ولد مَسْلَمَةَ بن عبد الملك، فأفرط فى السَّبِّ وتجاوز الحدّ فى قُبْح الرّد، وتوسَّط بين القوم وبين بنى هاشم فأَرْبَى فى التوسُّط والتعصُّب. فكان ممّا(١) قال فيه :

يابْنَ بَيْتِ النَّارِ مُوقِدُها * ما لِحَاذَيْه سَرَاوِيلُ(٢)
مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أبوك ومَنْ * مُصْعَبٌ ! غالتْكُمُ غُولُ
نَسَبٌ فى الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ(٣) * وأُبُوّاتٌ أَرَاذِيلُ
قاتِلُ المخلوعِ مقتولُ * ودَمُ المقتولِ مطلولُ

وهى قصيدة طويلة . فلمّا وُلِّى عبدُالله مِصْرَ ورُدَّ إليه تدبير أمر الشام، علم الحِصْنِىُّ أنّه لا يُفْلِت منه إن هَرَب، ولا ينجو من يده حيث حَلَّ، فَثَبت فى موضعه، وأَحْرَز حُرَمَه، وتَرَك أموالَه ودوابَّه وكلَّ ما كان يملكه فى موضعه، وفَتَح بابَ حِصْنِه وجلس عليه، ونحن نتوقَّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقِع به . فلما شارَفْنَا بَلَدَه وكنّا على أنْ نُصَبِّحَه(٤)، دعانى عبدُ الله فى الليل فقال لى : بِتْ عندى الليلةَ، وليَكُنْ فرسُك مُعَدًّا عندك لا يُرَدُّ، ففعلتُ . فلمّا كان فى السَّحَر أَمَر غِلْمانَه وأَصحابَه أَلّا يَرْحَلوا حتّى تطلُعَ الشمس، ورَكِب فى السَّحَر وأنا وخمسةٌ من خواصّ غِلْمانه [معه](٥)، فسار حتّى صَبَّح الحِصْنِىَّ، فرأى بابَه مفتوحًا ورآه جالسًا مُسْتَرْسِلاً، فقصده وسلَّم عليه ونزل عنده وقال له : ما أَجْلَسَك هاهنا وحَمَلك على أن فتحتَ بابَك ولم تتحصَّن من هذا الجيش المُقْبِل ولم تَتَنَحّ عن عبدالله بن طاهر مع ما فى نفسه عليك وما بَلَغه عنك؟ فقال : إنّ

(١) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : «فيما قال فيه» . (٢) الحاذان من الدابة : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . يريد هنا الفخذين . (٣) نسب مؤتشب (بفتح الشين) : غير صريح . (٤) صبحه (بتشديد الباء) : أتاه صباحا . (٥) زيادة فى ف .

ما قُلْتَ لم يَذْهَبْ علىّ ، ولكنّى تأمّلتُ أمرى وعلمتُ أنّى أخطأتُ خطيئةً حَمَلَنى عليها نَزَقُ الشّباب وغِرّةُ الحَداثة ، وأنّى إنْ هربتُ منه لم أَفُتْه ، فباعدتُ البناتِ والحُرَمَ ، واستسلمتُ بنفسى وكلِّ ما أملك ، فإنّا أهلُ بيتٍ قد أسرع القتْلُ فينا ، ولى بمن مضى أُسْــوةٌ ؛ فإنّى أثِق بأنّ الرجلَ إذا قتلنى وأخذ مالى شفَى غَيْظَه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أَرَبٌ ، ولا يُوجِب جُرْمِى إليه أكثر ممـا بذلته . قال : فوالله ما اتّقاه عبد الله إلّا بدُموعه تجرى على لحيته . ثم قال له : أتعرفنى ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبدُ الله بن طاهر ، وقد أمّن الله تعالى رَوْعَتَك ، وحقَن دَمَك ، وصان حُرَمَك ، وحَرَس نِعْمَتك ، وعفا عن ذَنْبك . وما تَعَجّلتُ إليــك وحدى إلّا لتأمَنَ من قبل هجوم الجيش ، ولئلّا يُخالِط عَفْوِى عنك روعةٌ تلْحَقُك . فبكى الحِصْنىّ وقام فقبّل رأسه ، وضمّه [إليه](1) عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا [لا](2) فلا بدّ من عتاب . يا أخى جعلنى الله فداك ! قلتُ شعرًا فى قومى أفخــر بهم لم أطْعَنْ فيه على حَسَبك ولا ادّعيت فضلًا عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القــومُ الذين ثأرُك عندهم ؛ فكان يَسَعُك السكوتُ ، أو إن لم تسكُتْ لا تُغْــرِق ولا تُسْرِف . فقال : أيها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجْعَله العفوَ الذى لا يخلطه تثريبٌ ، ولا يكدّر صفْوَه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقُمْ بنا ندخل إلى منزلك حتّى نُوجِبَ عليك حقًّا بالضّيافة . فقام مسرورًا فأدخلَنا ، فأتى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلْنا وجلسنا

(1) زيادة عن ط ، ف . (2) التكملة عن ط . يريد : إن كنت لا أؤاخذك بما وقع منك ، فلا بدّ من عتاب . فحذفت " كان " واسمها وخبرها ، وبقيت « لا » النافية ، وعوض عن المحذوف « ما » . وهذا أسلوب فى العربية معروف . قال الشاعر :

أمرعت الأرض لو أنّ مالا * لو أنّ نوقا لك أو جمالا

* أو ثلّةً من غنم إمّا لا *

التقدير : إن كنت لا تجدين غيرها . (يراجع شرح الأشمونى وغيره من كتب النحو فى باب كان وأخواتها) .

نشرب في مُسْتَشْرَفٍ له . وأقبل الجيش، فأمرني عبد الله أن أتلقّاهم فأُرَحِّلَهم، ولا ينزِلَ أحدٌ منهم إلّا في المنزل، وهو على ثلاثة فراسخ؛ [فنزلتُ فرحّلتهم. وأقام عنده إلى العصر](١). ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين، وقال له: إنْ نَشِطتَ لنا فالحَقْ بنا، وإلّا فأقِمْ بمكانك. فقال: فأنا أتجهّز وألحَقُ بالأمير. ففعل فلَحِق بنا بمصر. ولم يَزَلْ مع عبدالله لا يُفارقه حتى رَحَل إلى العراق، فودّعه وأقام ببلده. ٥

بعض الأشعار التي غنى فيها وذكر بعض أخبار استدعاها بيانها

فأمّا الأصواتُ التي غنّى فيها عبدُ الله بن طاهر فكثيرة(٢). وكان عُبَيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئا منها قال: الغناء للدّار الكبيرة، وإذا ذكر شيئا من صَنْعته قال: الغناء للدار الصغيرة. فمنها ومن مُختارها وصُدورها ومُقدَّمها لحنُه في شِعْر أُخت [عمرو بن](٣) عاصية — وقيل: إنه لأُخت مسعود بن شَدّاد — فإنه صوتٌ نادر جيِّد. قال أبو العُبَيْس بن حَمْدون وقد ذكره ففضّله: جاء(٤) به عبدُ الله بن طاهر صحيحَ العمل مُزْدَوِجَ النَّغَم بَيْنَ لِينٍ وشِدّةٍ على رَسْم الحُذّاق من القُدَماء، وهو: ١٠

صـــوت

هَلّا سَقَيْتُم بني سَهْمٍ أسيرَكُمُ * نَفْسي فِداؤكَ من ذي غُلّةٍ صادي

الطاعنُ الطَّعْنَةَ النَّجلاءَ يَتْبَعُها * مُضَرَّجٌ بعد ما جادتْ بإزْبادِ

الشعر لأُخت عمرو بن عاصية السُّلَميّ [ترثيه](١). وكان بنو سَهْم، وهم بطنٌ من هُذَيل، أسَروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه، فلمّا عرَفوه قتلوه. وكان قد عَطِش فاستسقاهم، فمنعوه وقتلوه على عَطَشه. وقيل: إنّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود ابن شَدّاد. ولحنُ عبدالله بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى ابتداؤه استهلال. ١٥

(١) التكملة عن ف. (٢) في بعض الأصول: «فكبيرة» بالباء الموحدة، تصحيف.
(٣) التكملة من ف ومما سيأتي بعد أسطر. (٤) كذا في ف. وفي ط: «وقال جاء به...». ٢٠
وفي سائر الأصول: «قال ما جاء...».

أخبرنى أحمد[1] بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال :

قتلتْ بنو سَهْمٍ ، وهم بطنٌ من هُذَيْل ، عمرَو بن عاصيةَ السُّلَمىَّ ، وكان رجلان منهم أخذاه أخذًا ، فاستسقاهما ماءً فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالتْ أخته

٥ تَرْثيه ، وتذكُر ما صنعوا به :

شَبَّتْ هُذَيْلٌ[2] وبَهْزٌ بينها إِرَةً[3] * فلا تَبُوخُ ولا يَرْتَدُّ صَالِيها

[ويروى : «شبت هذيلٌ وسهمٌ » ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال[4] عمر بن شبّة] .

إنّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما * خَلَّى علىّ فِجَاجًا كان يَحْميها

وقالت أيضا ترثيه :

١٠ يا لَهْفَ نَفْسِىَ لَهْفًا دائمًا أبدًا[5] * على ابن عاصيَةَ المقتولِ بالوادى

هلّا سَقَيْتُمْ بنى سَهْمٍ أسيرَكُمُ * نَفْسِى فِداؤكَ من ذِى غُلَّةٍ صادى

قال : فغزَا عَرْعَرةُ بن عاصيةَ هُذَيْلًا يطلبُهم بدم أخيه ، فقتل منهم نَفَرًا وسَبَى امرأةً[6] فجَزّدها ، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بنى سُلَيْم ؛ فقالت عند ذلك :

(١) فى أكثر الأصول : « محمد بن عبد العزيز » . والتصويب من ف .

١٥ (٢) كذا فى ط وشرح أشعار الهذليين للسكرى (ص ٢٤٣ طبعة أوربا) وديوان الهذليين (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٦ أدب ش) . وقد وضع هذا البيت فيهما فى شعر جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترثيه . قال السكرى : « حدثنا الحلوانى قال حدثنا أبو سعيد قال أبو عبد الله : ثم خرج عمرو ذو الكلب غازيا . فبينا هو فى بعض غاراته نائم إذ وثب عليه نمران فأكلاه ، فوجدت فهم سلاحه فادّعت قتله . فقالت أخته جنوب ترثيه » . وأورد القصيدة البائية التى مطلعها :

٢٠ كل امرئ بطوال العيش مكذوب * وكل من غالب الأيام مغلوب

ثم الأبيات التى ورد فيها هذا البيت والرواية هناك : « شبت هذيل وفهم » .

(٣) كذا فى ط وشرح أشعار الهذليين . وأصل الإرة حفرة يوقد فيها . والمراد بها هنا الحرب . وفى سائر الأصول : « ترة » بدل « إرة » وكتبت هذه الكلمة فى ط بين السطور . والترة : الثأر .

(٤) زيادة فى ف . (٥) فى ف : « دائما جزعا » . (٦) فى ف : « فقالت امرأة من هذيل » .

ألامَتْ[1] سُلَيْمٌ فى السِّياق وأَفحشتْ * وأفرطَ فى السَّوقِ العنيف إسَارُها
لعلّ فتاةً منهم أن يسوقَها * فوارسُ منّا وهْىَ بادٍ شَوارُها[2]
فإنْ سَبقتْ عُلْيَا سُلَيمٍ بذَحْلِها * هُذَيْلاً فقد باءتْ فكيف اعتذارُها
ألا ليتَ شعْرِى هل أرى الخيلَ شُزَّبًا[3] * تُثيرُ عَجَاجًا مستطيرًا غُبَارُها
فتَرْقَا[4] عيونٌ بعد طُول بُكائِها * ويُغْسَلُ ما قد كان بالأمس عارُها

هذه رواية عمر بن شَبّةَ . فأمّا أبو عُبَيْدة فإنه خالفه فى ذلك، وذكر فى مقتله، فيما أخبرنى به محمد بن الحسن بن دُرَيْد إجازةً عن أبى حاتم عن أبى عُبَيدةَ قال :

خرج عمرو بن عاصية السُّلَمىُّ ثم البَهْزِىّ فى جماعةٍ من قومه، فأغاروا على هُذَيْل ابن مُدْرِكَة، فصادفوا حيًّا من هُذَيلٍ يقال لهم بنو سَهْم بن مُعاوية. وكانت امرأةٌ من هُذَيل تحت رجل من بنى بَهْزٍ، فقالت لابن لها معه[5] : أىْ بُنَىَّ انْطَلِق إلى أخوالك فأَنْذِرْهم بأنّ ابن عاصيةَ السُّلَمىّ قد أمسى يريدهم، وذلك حين عزَم ابن عاصيةَ على غَزْوهم وأراد المسيرَ إليهم. فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخوالَه فأنذرهم، فقال: ابن عاصية السُّلَمىّ يريدكم، فخذوا حِذْرَكم؛ فبَدَر القوم واستعدّوا. وأصبح عمرو بن عاصية قريبًا من الحىّ، فنزل قَرَبًا لأصحابه على جبلٍ[مشرف على القوم][6]، فإذا هم حَذِرون. فقال لأصحابه: أرى القومَ حَذِرين، إنّ لهم لشأنا، ولقد أَنْذِرُوا علينا. فكَمَن فى الجبل يطلُب غَفْلَتَهم، فأصابه وأصحابَه عطشٌ شديد، فقال

(١) ألامت : فعلت ما تستحق عليه اللوم . وأفحشت : أتت الفحشاء. وهى الأمر القبيح . والسياق : مصدر ساقه يسوقه سوقا وسياقا . والإسار : مصدر أسره يأسره أسرا وإسارا . وأصل الإسار : القيد، ويكون حبل الكتاف؛ ومنه سمى الأسير إذ كانوا يشدونه بالقد، فسمى كل أخيذ أسيرا وإن لم يشد به . (٢) الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .

(٣) شزب : ضوامر، الواحد شازب . (٤) ترقأ : تجف، سهلت همزته .

(٥) كذا فى الأصول . ولعله « منه »، وهى ساقطة فى ف . (٦) زيادة عن ف .

ابن عاصيةَ لأصحابه : هل فيكم مَنْ يرتوى لأصحابه ؟ فقال أصحابه : نخاف القوم ، وأبى أحدٌ منهـم أن يُجيبه إلى ذلك . قال : فخرج على فَرَسٍ له ومعه قِرْبَتُـه . وقد وضعتْ هُذَيْلٌ على الماء رجلاً منهم رَصَدًا ، وعلِموا أنّهم لا بُدّ لهم من أن يَرِدُوا المـاء . فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كَمَن له شيخٌ وفتيَانِ من هُذَيل ، فلما نظروا اليه همّ الفتيَانِ أن يُثَاوِرَاه (١) . فقال الشيخ : مَهْلاً ! فإنه لم يَرَكما ، فكَفّا . فانتهى ابن عاصيةَ إلى البئر ، فنظر يمينًا وشمالاً فلم يرَ أحدًا والآخرون يرمُقونه من حيثُ لا يراهم . فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البـئر فطَفِق يملأ القربة ويشرَب . وأقبل الفتيَانِ والشيخُ معهما حتى أشرفوا عليه وهو فى البئر ، [فرفع رأسه فأبصر القوم] (٢) ؛ فقالوا : [قد] (٢) أخزاك الله يا بنَ عاصية وأمكن منـك (٣) ! قال : ورمى الشيخَ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه ، وشُغِل الفتَيانِ بنزْع السهم من قَدَمِ الشيخ ، ووثب ابن عاصية من البئر شَدًّا نحو أصحابه ، وأدركه الفتَيانِ قبل وصوله فأسَراه . فقال لهما حين أخذاه : أَرْوِيَانى من المـاء ثم اصنعا ما بَدَا لكما . فلم يَسْقِياه وتَعَاوراه بأسيافهما حتى قتلاه . فقالت أخت عمرو بن عاصية تَرْثى أخاها :

يا لَهْفَ نَفْسِىَ يوماً ضَـلَّةً جَزَعًا * على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادى
إذ جاء ينْفُضُ (٤) عن أصحابه طَفَلًا * مَشْىَ السَّبَنْتَى أمامَ الأَيكَة العادى
هَلّا سَقيتُمْ بنى سَهْمٍ أسِـيرَكُمُ * نَفْسِى فداؤكَ من مُسْتَوْرِدٍ صادى (٥)

(١) ثاوره مثاورة وثوارا : واثبه ، مثل ساوره .
(٢) زيادة فى ف .
(٣) فى ط : « و يرمى الشيخ فيصيب أخمصه فأنفذه »
(٤) ينفض هنا : يكشف الطريق و يتجسس . والاسم النفيضة مثل الطليعة . وقد ضمن « ينفض » معنى يذب الأذى و يدفعه ، فعدّاه بـ « عن » . والطفل طفلان ، أحدها طفل الغداة وهو من لدن ذرور الشمس إلى استكمال ضوئها فى الأرض . والآخر طفل العشى ، وهو آخره عند غروب الشمس واصفرارها . والسبنتى : النمر أو الأسد .
(٥) فى ف : « من ذى غلة » .

قال أبو عبيدة : وآب غَزِىُّ[1] بنى سُلَيْم بعد مقتل ابن عاصية . قال : فبلغ أخاه عَرْعَرَةَ بنَ عاصية قتلُ هُذَيلٍ أخاه وكيف صُنِـع به، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارسُ من بنى سُلَيْم منهم عَبِيـدةُ بن حكيم الشَّريدىّ وعمرو بن الحارث الشَّريدىّ وأبو مالك البَهْزِىّ وقيسُ بن عمرو أحد بنى مطرود من بنى سُلَيْم وفوارسُ من بنى رِعْلٍ . قال : فسَرَى إليهم عرعرة، فالتقَوْا بموضع يقال له الجُرُف فاقتتلوا قتالًا[2] شديدًا، فظفرتْ بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قَتْلَى عظيمةً، وأَسَروا أَسْرَى، وأصابوا امرأةً من هُذَيْل فعرَّوْها من ثيابها واستاقوها مجرَّدةً فأفحشوا فى ذلك . وقال عرعرة بن عاصية فى ذلك يذكر مَنْ قَتَل :

ألَا أبلـغْ هُذَيلًا حيثُ حلَّتْ * مُغَلْغَـلَةً تَخُبُّ مع الشَّـفيقِ
مُقامكمُ غَداةَ الجُـرْفِ لمَّـا * تواقفتِ الفوارسُ بالمَضِـيقِ
غَـداةَ رأيتُمُ فُرسانَ بَهْـزٍ * ورِعْلٍ أَلبدتْ[3] فوق الطريقِ
تراميـتُمْ قليـلًا ثم ولَّتْ * فوارسُـكم تَوَقَّلُ كُلَّ نيـقِ[4]
بِضَرْبٍ تسقُط الهـاماتُ منه * وطَعْنٍ مثـلِ إشعال الحريقِ

وقال لى : إنّ هذا الشعر الذى فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شدّاد يَرثى أخاه ، وزعم أنّ جَرْمًا كانت قتلتْه وهو عطشان ، فقال :

يا عينُ جُودِى لمسعود بن شَدّادِ * بكل ذى عَـبَراتٍ شَجْـوُه بادِى
هَـلَّا سقيتم بنى جَـرْمٍ أسيرَكُمُ * نَفْسِى فداؤك من ذى غُلَّةٍ صادِى

(١) الغزى : اسم جمع لغاز . (٢) كذا فى ط ، ف . وفى سائر الأصول : « قتلا » .
(٣) ألبد بالمكان : أقام به ولزمه . (٤) توقل : تتصعد . والنيق : أعلى الجبل . يريد : تتصعد كل عال فرارا من القتال .

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن [الحسن بن][1] دُرَيد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عُبَيدة لفارعة المُرّيّة أُخت مسعود بن شَدّاد[2] ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأوّل ، وبعده :

يا مَنْ رأى بارقًا[3] قد بِتُّ أرمُقُه * جَوْدًا على الحَرّة السوداء بالوادي

٥ أسقِي به قبرَ مَنْ أَعْنِي وحُبَّ به * قبرًا إليّ ولو لم يَفْدِه فادي

شَهّادُ أنديةٍ رَفّاعُ أبنيةٍ * شَدّادُ ألويةٍ[4] فَتّاحُ أسدادِ

نَحّارُ راغيةٍ[5] قَتّالُ طاغيةٍ * حَلّالُ رابيةٍ فَكّاكُ أقيادِ

قَوّالُ مُحْكَمةٍ نَقّاضُ مُبْرَمةٍ * فَرّاجُ مُبْهَمةٍ حَبّاسُ أورادِ[6]

حَلّالُ مُمْرِعةٍ حَمّالُ مُضْلِعةٍ[7] * قَرّاعُ مُفْظِعةٍ طَلّاعُ أنجادِ

١٠ جَمّاعُ كُلِّ خِصالِ الخيرِ قد علموا * زَيْنُ القرينِ وخَطْمُ[8] الظالمِ العادي

أبا زُرارةَ لا تَبْعَدْ فكُلُّ فتًى * يومًا رَهِينُ صَفيحاتٍ[9] وأعوادِ

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر . قال عُبَيد الله ابن عبد الله بن طاهر : لمّا صنع أبي هذا الصوتَ لم يُحِبَّ أن يَشيع عنه شيءٌ من هذا ولا يُنْسَبَ إليه ؛ لأنه كان يترفّع عن الغناء ، وما جَسَّ بيده وَتَرًا قطُّ ولا

١٥ (١) زيادة في ف . (٢) في ف : « بن شدّاد بن الهاد » .

(٣) أي سحابا ذا برق . وجودا : كثير المطر . (٤) في ف :

رفاع ألوية * شدّاد أهوية

(٥) الراغية : الناقة . (٦) أوراد : جمع ورد (بالكسر) وهو الجماعة الواردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش . على التشبيه بقطيع الطير والإبل ؛ قال جرير :

٢٠ سأحمد يربوعا على أن وردها * إذا ذيد لم يُحْبَس وإن ذاد حكّما

أي هو حباس للجيوش ، أو حباس للواردين حتى يستق هو ودوابه . وهذا مما يدل على القوّة والسلطان .

(٧) في الأصول : « معضلة » وكتب في هامش ط : « مضلعة » ، وعلى جانبيها : « صح » . والمضلعة : المثقلة للأضلاع . (٨) كذا في ح ، وفي ف : «ونكل الظالم» . وفي سائر الأصول : « وخطل الظالم » يقال : خطمه يخطمه خطما ، إذا ضرب مخطمه (أنفه) ، وهو وصف بالمصدر .

٢٥ تريد أنه يذل الظالم العادي ويكبحه عن طغيانه . (٩) الصفيحة هنا : الحجر العريض .

١٧ / ١١

تعاطاه، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّرْبة [وحُسْن الثقافة](١) ما لا يعرفه كبير أحدٍ . و بلغ من عِلْم ذلك إلى أن صَنَع أصواتاً كثيرة، فألقاها على جَواريه، فأخَذْنَها عنه وغَنَّيْنَ بها، وسَمِعها النَّاسُ منهنّ وممن أَخَذ عنهنّ . فلما أن صنع هذا الصوتَ :

هَـلا سقَيتُمْ بنى جَرْمٍ أسـيرَكُمُ * نَفْسِى فداؤكِ من ذى غُلَّةٍ صادى

نسبه إلى مالك بن أبى السَّمْح . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها دَاحة، فكانت ترغَب إلى عبدالله بن طاهر لمَّا نَدَبه المأمونُ إلى مصرَ [فى أن يأخذها معه](١)، وكانت تغنيه، وأخذت هذا الصوت عن جواريه، وأخذه المغنُّون عنها ورَوَوْه لمـالك مدّة . ثم قَدِم عبدُالله العراقَ فحضر مجلسَ المأمون، وغُنِّى الصوتُ بحضرته ونُسِب إلى مالك، فضحك عبدُالله ضحكًا كثيرا . فسُئِل عن القِصّة فصَدَق فيها واعترف بصَنْعة الصوت . فكَشَف المأمونُ عن ذلك، فلم يَزَلْ كلُّ مَنْ سُئِل عنه يُخْبِر عمن أخذه [عنه] ، فتنتهى القِصّةُ إلى داحةَ ثم تقِف ولا تعدوها . فأُحْضِرتْ دَاحةُ وسئلتْ فأخبرتْ بقصته ؛ فعُلِم أنّه من صَنْعته حينئذ بعـد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمـالك . ويقال : إنّ إسحاق لم يَعْجَبْ من شيءٍ عَجَبَه من عبـد الله وحِذْقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال : ومن غنائه أيضا :

صـــــوت

راح صَحْبى وعاودَ القَلْبَ داءُ * من حَبِيبٍ طِلَابُه لى عَنَـاءُ
حَسَنُ الرأى والمَواعيد لا يُلْـ * فَى لشىءٍ ممـا يقـول وَفاء
مَنْ تَعـزَّى عمن يُحِبُّ فإنِّى * ليس لى ما حَيِيتُ عنه عَزاء

الغناء لابن طُنْبورةَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولحنُ عبد الله ابن طاهر ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

(١) زيادة عن ف .

ومنها :

فمَنْ يفرحْ ببينِهمُ * فغيرِى إذ غَدَوْا فَرِحَا

شعر لعمر بن أبى ربيعة وسببه

صــوت

يا خليلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوائى * بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعَا

بَلِّغانِى ديارَ هندٍ وسَلْمى(١) * وارْجِعا بِى فقد هَوِيتُ الرجوعا

٥

الشعر لعُمَر بن أبى ربيعة ، والغناء للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى فى مجراها [عن إسحاق](٢)، وذكر الهِشامىّ أنّه لابن سُرَيْج . وذكر حبشٌ أنّ فيه رَمَلًا بالبنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمَعْبَد ذكره حمّاد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنّسه .

أخبرنى بخبر عمر بن أبى ربيعة فى هذا الشعر وقوله إيّاه الحَرَمىُّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا سليمان بن عيّاش السَّعْدىّ قال [أخبرنى السائب ابن ذَكْوان راوية كُثَيِّر قال](٢) : قَدِم عمر بن أبى ربيعة المدينةَ ، وأخبرنى الحُسَين ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص قال ، وأخبرنى علىُّ بن صالح عن أبى هِفّانَ عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبَيرىّ والمُسَيَّبىّ ، وأخبرنى به أحمد بن عبد العزيز [الجوهرىّ](٢) قال حدّثنا عمر بن شَبّة موقوفًا عليه ، وجمعتُ رواياتهم ، وأكثرُ اللّفظِ للزُّبَير [بن بكّار](٢) وخبره أتمّ :

١٠

١٨/١١

أنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم المَدِينةَ ، فزعموا أنّه قَدِمَها من أجل امرأةٍ من أهلها ، فأقام بها شهرًا ، فذلك قوله :

يا خليلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوائى * بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعَا

خرج هو والأحوص إلى مكة فترا بنصيب وكثير وتحاوروا

قال : ثمّ خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا .

(١) فى ف : « وسعدى » . (٢) زيادة عن ف .

٢٠

قال الزُّبَير فى خبره عن سائب راوية كُثَيِّر إنه قال: لمّا مرَّا بالرَّوْحاء[(١)] استتلیانی[(٢)] فخرجت أتلوهما، حتّى لحقتُهما بالعَرْج[(٣)] عند رَوَاحهما . فخرجنا جميعًا حتّى وردنا وَدَّانَ[(٤)]، فحبسهما النُّصَيْب وذَبَح لهما وأكرمهما، وخرجنا وخرج معنا النُّصَيْب . فلمّا جئنا كُلَيَّة[(٥)] عدلنا جميعًا إلى منزل كُثَيِّر، فقيل لنا: هَبَط قُدَيْدًا[(٦)]، فذُكِر لنا أنّه فى خيمةٍ من خيامها . فقال لى ابن أبى ربيعة : اذْهَبْ فادْعُه لى . فقال النُّصَيْب : هو أحمق وأشدُّ كِبْرًا من أن يأتيك . فقال لى عمر : اذْهَبْ كما أقولُ [لك][(٧)] فادْعُه لى . فجئتُه، فهَشّ لى وقال : «اُذْكُرْ غائبًا تَرَه»، لقد جئتَ وأنا أذكُرُك . فأبلغتُه رسالةَ عمر، فحدَّد إلىَّ نظرةً وقال : أَمَا كان عندك من المعرفة ما يَرْدَعُك عن إتيانى بمثل هذه الرسالة! قلت : بلى والله! ولكنّى سترتُ عليك فأبى اللهُ إلّا أن يَهْتِك سِتْرَك . فقال لى : إنّك والله يابنَ ذَكْوَان ما أنتَ من شَكْلِى؛ فقُلْ لابن أبى ربيعة: انْ كنتَ قُرَشيًّا فأنا قرشىٌّ . فقلت له : لا تترك هذا التَّلَصُّق وأنت تُقْرَفُ[(٨)] عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغة ! فقال : والله لَأَنا أثبتُ فيهم منك فى سَدُوس . ثم قال : وقل له : إنْ كنتَ شاعرًا فأنا أشعرُ منك . فقلت له : هـذا إذا كان الحُكْم إليـك . فقال : و إلى مَنْ هو ومَنْ أَوْلَى بالحكم منِّى ! [وبعد هذا يابن ذكوان فاحْمَـد[(٩)] الله على لومك ؛ فقد منعك منِّى[(٧)]] اليوم ؟ فرجعتُ إلى عُمَـر، فقال : ما وراءك ؟ فقلتُ : ما قال لك نُصَيْبٌ . فقال : وإنْ . فأخبرتُه فضَحِك وضحِك صاحباه ظَهْـرًا لبَطْنٍ، ثم نهضوا معى إليـه .

(١) الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلا . (عن معجم ما استعجم).
(٢) استتلاه : طلب إليه أن يتلوه .
(٣) العرج : قرية كانت جامعة فى واد من نواحى الطائف، وإليها ينسب العرجى الشاعر .
(٤) ودان هنا : قرية جامعة من نواحى الفُرْع بين مكة والمدينة .
(٥) كلية : قرية بين مكة والمدينة . (٦) قديد : موضع قرب مكة .
(٧) زيادة فى ف . (٨) كذا فى ط، ف . وفى سائر الأصول : «تفرق عنهم كما تفرق» تصحيف . يقول له : أنت لست بأصيل فى قريش ولا بمتمكن فيهم كالصمغة من الشجرة؛ فان الصمغة إذا قرفت وقلعت لم يبق لها أثر . (٩) أى فاحمد الله على لومى إياك؛ فقد حصنك اللوم من الضرب .

فدخلنا عليه فى خَيْمَةٍ، فوجدناه جالسًا على جِلْدِ كَبْشٍ، فواللهِ ما أوسع للقُرَشىّ .
فلمّا تحدّثوا مَليًّا فأفاضوا فى ذكر الشّعر(١)، أقبلَ على عُمَرَ فقال له : أنت تَنْعَت المرأةَ
فتَنْسب(٢) بها ثم تَدَعُها وتَنْسب بنفسك . أخْبِرْنى يا هذا عن قولك :

قالتْ تَصَدَّىْ له لِيَعْرِفَنا * ثمّ اغْمِزِيه يا أُخت فى خَفَرِ
قالت لهـا قد غَمَزْتُه فأبى * ثم اسْبَطَرَّتْ(٣) تشتدُّ فى أَثَرِى
وقَوْلُها والدُّموعُ تَسْبِقُها * لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ فى عُمَرِ

أتُراكَ لو وصفتَ بهذا هِرَّةَ أهلِك ألم تكن قد قَبَّحْتَ وأسأتَ وقُلْتَ الهُجْرَ!
إنما تُوصَف الحُرّةُ بالحياء والإباء والاِلْتِواء والبُخْل والامتناع ، كما قال هذا —
وأشار إلى الأحوص — :

١٠ أدُورُ ولولا أنْ أرَى أُمّ جَعْفَرٍ * بأبياتِكُمْ ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كُنْتُ زَوّارًا ولكنّ ذَا الهَوَى * إذا لم يُزُرْ لا بُدّ أن سَيزورُ
لقد مَنَعتْ معروفَها أُمّ جَعْفَرٍ * وإنِّى إلى معروفها لَفقيرُ

قال : فدخلتِ الأحْوَصَ أُبَّهةٌ وعُرِفَتِ الخُيَلاءُ فيه . فلما استبانَ كُثَيِّرٌ ذلك
فيه قال : أبطل آخِرُكَ أوّلَك . أَخْبِرْنى عن قولك :

١٥ فإن تَصِلِى أَصِلْكِ وإنْ تَبِينِى * بِصُرْمِك بعدَ وَصْلِكِ لا أُبالى
ولا أُلْفَى كَمَنْ إنْ سِيمَ صَرْمًا * تَعَرّضَ كى يُرَدّ إلى الوِصالِ

أَمَا والله لو كنتَ فَحْلًا لباليْتَ(٤) ولو كَسَرتْ أنْفَك . ألَا قُلْتَ كما قال هذا الأسود
— وأشار إلى نُصيب — :

(١) كذا فى ط ، ف . وفى أكثر الأصول : «فى ذكر الشعراء» . (٢) كذا فى ط . وفى سائر
٢٠ الأصول : «فتشبب بها» . (٣) كذا فى ف والجزء الأوّل من هذه الطبعة . واسبطرّت :
أسرعت . وفى سائر الأصول هنا : «استطرت» . (٤) فى ب ، س : «لما باليت» تحريف .

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ * وقُلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال : فانكسر الأحوصُ ، ودخلتِ النُّصَيْبَ أُبْهةٌ . فلمّا نَظَر أنّ الكِبْرِياء قد دخلته ، قال له : يا بنَ السَّوْداء ، فأخْبِرْنى عن قولك :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ * فوا كَبِدِى مَنْ ذا يَهِيمُ بها بَعْدِى

أَهَمَّكَ مَنْ يَنِيكُها بعدَك ! فقال نُصَيْب : استوتِ القِوقُ[1] ، قال : وهى لُعْبَةٌ مثل المنقلة . ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين . قال سائب : فلمّا أمسك كُثَيِّر أقبل عليه عُمَر فقال له : قد أَنْصَتْنا لك فاسْمَع يامَذْبوبُ[2] [إلىَّ][3] ! أَخْبِرْنى عن تَخَيُّرك لنفسك وتَخَيُّرك لمن تُحِبّ حيث تقول :

أَلَا ليتَنا يا عَزَّ كُنّا لذى غِنًى * بَعِيرَيْنِ نَرْعَى فى الخَلاء ونَعْزُبُ

كِلَانا به عَرٌّ فَمَنْ يَرنا يَقُلْ * على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِى وأَجْرَبُ

إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلًا صاح أهلُه * علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمَى ونُضْرَبُ

وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أنّكِ بَكْرةٌ * هِجانٌ وأنّى مُصْعَبٌ[4] ثم نَهْرَبُ

نكونُ بَعِيرَىْ ذِى غِنًى فيُضِيعُنا * فلا هُوَ يَرْعَانا ولا نحن نُطْلَبُ

وقال : تَمَنَّيْتَ لها ولنفسك الرِّقَّ والجرب والرَّمْىَ والطَّرْدَ والمَسْخَ ، فأىَّ مَكْروهٍ لم تَمَنَّ لها ولنفسك ! لقد أصابها منك قولُ القائل : «مُعَاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودّة أحمق» . قال : فجعل يختلج[5] جسده كله . ثم أقبل عليه الأحوص فقال : إلىَّ يا ابن اسْتِها[6] أَخْبِرْكَ بخَبَرِك وتعرُّضِك للشرّ وعَجْزِك عنه و إهدافك[7] لمن رَمَاك . أَخْبِرْنى عن قولك :

(١) فى ف : «القيق» . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٢) المذبوب : المجنون .
(٣) زيادة فى ف . (٤) بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .
(٥) يختلج : يضطرب . (٦) يقال لابن الأمة عند تحقيره : « يا ابن استها » يعنون أنها ولدته من استها . (٧) أهدف لكذا : تعرض له .

وقُلْنَ ـ وقد يَكْذِبْنَ ـ فيكَ تَعيُّفٌ * وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطَعْ صاحِ ناعقُهْ
وأَعْيَيْتَنا لا راضيًا بكرامةٍ * ولا تاركًا شَكْوَى الذى أنت صادقُهْ
فأدركتَ صَفْوَ الوُدِّ منّا فلُمْتَنا * وليس لنا ذَنْبٌ فنحن مَوَاذِقُهْ (١)
وألفيتَنا سِلْمًا فصدّعتَ بينَنا (٢) * كما صدّعتْ بين الأديم خَوالِقُهْ (٣)

٥ والله لو احتفلَ عليك هاجِيك ما زاد على ما بُؤْتَ به على نفسك . قال : فخفَقَ كما يَخْفِق الطائرُ . ثم أقبل عليه النُّصَيْبُ فقال : أقبِلْ علىَّ يا زُبَّ الذُّباب ! فقد تمنّيتُ معرفة غائبٍ عندى عِلْمُه فيك حيث تقول :

وَدِدْتُ ـ وما تُغْنِي الوَدَادةُ ـ أنّنى * بما فى ضَمِيرِ الحاجبيّة (٤) عالِمُ
فإنْ كان خيرًا سَرَّنى وعَلِمْتُه * وإنْ كانَ شَرًّا لم تَلُمْنِى اللَّوائِمُ

١٠ أُنْظُرْ فى مِرآتك واطّلعْ فى جَيْبِك واعْرِفْ صورةَ وجهك، تَعْرِفْ ما عندها [لك] (٥) . فاضطرب اضطرابَ العُصْفور، وقام القومُ يضحكون . وجلست عنده؛ فلمّا هدأ شَأْوُه (٦) قال لى : أَرْضَيْتَهُمْ فىّ ؟ فقلتُ له : أمّا فى نفسك فنعم ! فقد نَحِس يومُك معهم، وقد بَقِيتُ أنا عليك . فما عُذْرُكَ ـ ولا عُذْرَ لك ـ فى قولك :

٢٠ / ١١

سَقَى دِمْنَتَيْنِ لم نَجِدْ لهما أهْلَا * بِحَقْلٍ لكم يا عَزَّ قد رابَنا حَقْلَا
١٥ نَجَاءُ الثُّرَيَّا كُلَّ آخر لَيْلةٍ * يَجُودُهما جَوْدًا ويُتْبِعُه وَبْلَا

[ثم قلتَ (٥) فى آخرها]

وما حَسِبتْ ضَمْرِيَّةٌ حَدَرِيَّةٌ * سِوَى التَّيْسِ ذى القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلَا

(١) مواذق : جمع ماذقة . يقال : مذق الود إذا لم يخلصه . (٢) البين هنا : الوصل .
(٣) خوالق الأديم : اللاتى يقدرنه قبل أن يقطعنه . (٤) فى ف : « فؤاد الحاجبية » .
٢٠ (٥) زيادة فى ف . (٦) كذا فى الأصول . والشأو : الشوط والطلق . ولعله يريد ما عراه من الاضطراب فى الشأو الذى جرى بينه وبينهم .

أهكذا يقول الناسُ وَيحكَ ! ثم تظنّ أنّ ذلك قد خَفِيَ ولم يعلَمْ به أحدٌ، فتَسُبّ الرجالَ وتَعيبهم ! فقال : وما أنت وهـذا ؟ وما عِلْمُك بمعنى ما أردت ؟ فقلت : هـذا أعجبُ من ذاك . أتذكُر امرأةً تَنْسِبُ بها فى شِعْرك وتَسْتغْزِرُ لها الغَيْثَ فى أوّلِ شِعْرك، وتَحْمِلُ عليها التَّيْسَ فى آخره ! قال : فأطرقَ وذَلَّ وسَكَن. فعُدْتُ إلى أصحابى فأَعْلمتُهم ما كان من خَبَره بعدَهم. فقالوا : ما أنت بأهْوَن جِجارتِه التى رُمِى بها اليوم منّا . قال فقلتُ لهم : إنّه لم يَتِرْنى فأَطْلُبَه بذَحْلٍ ، ولكنّى نصحته لئلّا يُخِلّ هذا الإخلالَ الشـديد ، ويَرْكَبَ هذه العَروضَ(١) التى رَكِب فى الطَّعْن على الأحرار والعَيْبِ لهم .

شدد والى مكة فى الغناء، فخرج فتيـة إلى وادى محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرى وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدثنى إسحاق الموصلىّ قال حدّثنى ابن جامع عن السَّعيدىّ عن سهل ابن بَرَكَة وكان يَحمِل عُودَ ابنِ سُرَيْج قال :

كان على مَكّة نافعُ بن عَلْقمةَ الكِنَانىّ، فشَدّد فى الغناء والمغنّين والنبيذ، ونادى فى المخنّثين . فخرج فِتْيةٌ من قُرَيْش إلى بَطْنِ مُحَسِّر(٢) وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفىّ . فلمّا شَرِبوا وطَرِبوا قالوا : لو كان معنا ابنُ سُرَيْج تَمَّ سرورنا . فقلت : هو علىَّ لكم . فقال لى بعضهم : دُونَك تلك البغلةَ فارْكَبْها وامْضِ إليـه . فأتيتـه فأخبرتُه بمكان القـوم وطلبِهم إيّاه . فقال لى : وَيْحَكَ ! وكيف لى بذاك مع شِدّة السلطان فى الغنـاء ونِدائه فيـه ؟ فقلت له : أفتردُّهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لى بالعُـود ؟ فقلتُ له : أنا أَخْبَؤه لك فشأنَك . فركب وسـترتُ العُـودَ

(١) كذا فى ط . وفى أكثر الأصول : « هـذا العروض الذى ركب » . والعروض (بالفتح) : الطريق فى عرض الجبل (٢) بطن محسر : وادى المزدلفة بالقرب من مكة .

وأردفنى . فلمّا كنّا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن عَلْقمةَ قد أقبل ، فقال لى :
يا بنَ بَرَكةَ هذا الأمير! فقلتُ: لابأس عليك، أَرْسِلْ عِنانَ البغلة وامْضِ ولا تَخَفْ،
ففعل . فلمّا حاذيناه عَرفنى ولم يعرف ابن سُرَيْج ، فقال لى يا بنَ بركة: مَنْ هذا
أمامَك ؟ فقلت : ومَنْ ينبغى أن يكون ! هـذا ابنُ سُرَيْج . فتبسّم [ابن] علقمةَ
٥ ثم تمثّل :

فإنْ تَنْجُ منها يا أبَانُ مُسَلَّمًا * فقد أفلت الحَجّاجُ خيلَ شَبِيبِ

ثم مضى ومَضَيْنا . فلمّا كنّا قريبًا من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح ، فقلتُ له :
غَنِّ مرتجلًا ، فرفع صوتَه فخُيِّل إلىّ أنّ الشجرة تنطق معه ، فغنّى :

صــــوت

١٠ كيف الثَّواءُ ببَطْنِ مَكّةَ بعد ما * هَــمَّ(١) الذين تُحِبّ بالإنجـادِ
أمْ كيف قلبُك إذ ثَوَيْتَ مُخَمَّرًا(٢) * سَـقِمًا خِلافَهـمُ وكَرْبُكَ بادى
هل أنتَ إن ظَعَنَ(٣) الأحبّةُ غادِى(٤) * أم قبـلَ ذلك مُدْلِـجٌ بسَوَادِ

ــ الشعر للعَرْجِىّ. وذكر إسحاق فى مُجَرَّده أنّ الغناء فيه لابن عائشةَ ثانى ثقيلٍ مطلق
فى مجرى الوسطى. وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سُرَيْج ــ قال سهل: فقلت :
١٥ أحسنتَ والذى فَلَق الحبّة وبَرَأ النَسَمةَ ، ولو أنّ ـ اَنةَ كلَّها سمِعَتْك لاستحسنَتْك
فكيف بنافع بن علقمة ! المغـرورُ مَنْ غَرَّه نافع . ثم قلتُ : زِدْنى وإنْ كان

(١) فى ف : « لهج » . (٢) المخمر : أصله المصدع من الخمر . (٣) كذا فى ط ،
ف . وفى أكثر الأصول : « إذ ظعن » . (٤) البيت مصرع . وفى ب، سـ : « غاديا »
تحريف .

القوم متعلّقةٌ قلوبُهم بك . فغنّى وتناول عُودًا من الشجرة فأوقع[1] به على الشجرة ؛ فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خَفْق بُطون[2] الضّأن على العِيدان إذا أخذتْها قُضْبان الدِّفْلَى . قال : والصوت الذى غنّى :

صـــــوت

لا تَجْمَعِى هَجْــرًا علىّ وغُرْبةً * فالهَجْرُ فى تَلَفِ الغريبِ سريع

مَنْ ذا ــ فديتُكِ ــ يستطيع لِحُبّه * دَفْعًا إذا ٱشتملتْ عليــه ضُلوعُ

فقلتُ : بنفسى أنت والله مَنْ لا يُمَلّ ولا يُكَدّ ، والله ما جَهِل مَنْ فهِمَك ! ٱركَبْ ــ فدتْك نفسى ــ بنا . فقال : أَمْهِلْنى كما أمهلتُك اقْضِ بعضَ شأنى . فقلت : وهل عما تُريد مَدْفَعٌ ! فقــام فصلَّى ركعتين ، ثم ضرب بيــده على الشجرة وقال : أَشْهَدُ أَنْ لا إلٰهَ إلّا الله وأشهد أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، ثم قال : يا حبيبتى إذا شهِدتِ بذاك الشئ فٱشهَدى بهذا . ثم مضينا والقوم متشوّقون . فلما دنَونا أحسّت الدوابّ بالبغلة فصَهَلتْ ، وشَحَجتِ البغلة ، و إذا الغريض يغنّيهم لحنَه :

مِنْ خَيْلِ حَىٍّ ما تَزالُ مُغيرةً * سَمِعتْ علىشَرَفٍ صَهيلَ حِصَانِ

فبكى ٱبن سُرَيْج حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد خرجتْ ، فقلت : ما يُبْكِيك يا أبا يحيى؟ [جُعِلْتُ فداك !][3] لا يسوءك الله ولا يُرِيك سوءًا[4] ! قال : أبكانى هذا المخنّث بحسن غنائه وشَجَا صوته ؛ والله ما ينبغى لأحدٍ أن يُغنّى وهذا الصبىّ حىٌّ[5] . ثم نزل فٱستراح وركِب . فلمّا سار هنيهةً ٱندفع الغَرِيضُ فغنّاهم لحنَه :

يا خليــلىّ قد مَلِلتُ ثَوائى * بالمُصَلَّى وقد شَنِئتُ البَقيعَا

(١) فى الأصول : «فوقع» . والمعروف فى الألحان «أوقع» لا «وقع» . (٢) يريد ببطون الضأن الأوتار التى تتخذ من المعى . والدفلى : ضرب من النبت . (٣) زيادة فى ف .
(٤) فى ف : « ولا يرينا سوءا فيك » . (٥) فى ف : « وصاحب هذا الصوت حىّ » .

قال : ولصــوته دَوِىٌّ فى تلك الجبال . فقال آبن سُرَيج : وَيْلَك يا بنَ بركَةَ ! أسَمِعْتَ أحسنَ من هذا الغنـاء والشعر قَطُّ ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبـلوا تَشَاوَى يسحَبون أعطافَهم ، وجعلوا يُقَبِّلون وجهَ آبن سُرَيْج . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطِق بحرف [واحد][1] ، وأخذوا فى شرابهم وقالوا : يا حبيبَ النفس وشقيقَها أَعْطِها بعض مُنَـاها ؛ فضرب بيده إلى جَيْبه فأخرج منـه مِضْراباً ، ثم أخذه بيده ووضع العُودَ فى حِجْره ، فمـا رأيتُ يداً أحسنَ من يده ، ولا خشبةً تَخَيَّلتْ إلىّ أنها جوهرةٌ إلّا هى ، ثم ضرب فلقد سَبَّح القومُ جميعا ، ثم غَنَّى فكُلٌّ قال : لَبَّيْك لبَّيك ! فكان ممـا غَنَّى فيه — واللحنُ له هزج — :

صـــــوت

لَبَّيْــكِ يا سَــيِّدَتى * لَبَّيْــكِ ألفـاً عَدَدَا

لَبَّيْــكِ من ظالمةٍ * أحبَبْتُهـا مُجْتَهِــدَا

قُـومُوا إلى مَلْعَبِنـا * نَحُكِ الجوارى الخُرَّدَا

وَضْــعَ يدٍ فـوق يَدٍ * تَرْفَعُهـا يَــدًا يَــدَا

فكُلٌّ قال : نفعل ذاك . فلقد رأيْتُنا نستبِق أيُّنا تقَعُ يدُه على يده . ثم غنَّى :

صـــــوت

ما هاجَ شَوْقَكَ بالصَّرائمْ * رَبْـعٌ أحالَ[2] لِأُمّ عاصِمْ

رَبْعٌ تقـادَمَ عهــدُهُ * هاجَ المُحِبَّ على التَّقادُمْ

فيــه النَّـوَاعِمُ والشَّـبا * بُ الناعمون مع النَّوَاعِمْ

مِنْ كلّ واضحـةِ الجَبِيـ * ـنِ عَمِيمةٍ[3] رَيّاً المَعَاصِمْ

---

(١) زيادة فى ف . (٢) أحال الشىء : مر عليه حول ، مثل أحول الشىء .
(٣) امرأة عميمة : تامة القوام والخلق طويلة .

ثم إنه غنّى :

صـــوت

شَجَانى[1] مَغَانى الحَىِّ وٱنْشَقَّتِ العصا[2] * وصاح غُرابُ البين أنت مَرِيضُ
ففاضتْ دُموعى عندذاك صبابةً * وفيهنّ خَـوْدٌ كالمَهَـاةِ غَضِيضُ[3]
وَولَّيتُ محزونَ الفؤادِ مُرَوَّعًا * كئيبًا ودمعى فى الرِّداءِ يَفيضُ ٥

ــ الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر، وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخرلابن جُنْدَب ــ قال : فلقد رأيت جماعةَ طيرٍ وقعن بقُرْبِنا وما نُحِسُّ قبل ذلك منها شيئا ؛ فقالت الجماعةُ : يا تمامَ السُّرورِ وكمالَ المجلس! لقد سَعِد منْ أخذ بحظّه منك ، وخابَ مَنْ حُرِمَك ، يا حيـاةَ القلوب ونسيمَ[4] النفوس جعلَنا [الله][5] فداءك ! غنِّنا ؛ فغنّى واللحنُ له : ١٠

صـــوت

يا هِنْدُ إنَّكِ لو عَلِمْـ * ـتِ بعاذِلَيْنِ تَتَابَعَـا

ــ وهذا الصوت يأتى خبره مفردًا لأنّ فيه طُولًا ــ فبدرتُ من بينهم فقبّلت بين عينيه ، فتهافتَ القومُ عليه يقبِّلونه ؛ فلقد رأيتُنى وأنا أرفعُهم عنه شفقةً عليه .

ما فى الأشعار التى تناشدها عمر وأصحابه من أغان

وفى هذه الأشعار التى تَنَاشَدها كُثَيِّر وعُمَر ونُصَيْبٌ والأحوصُ أغان . ١٥

منهـا :

صـــوت

أبصرتُها ليـلةً ونسْوَتَهـا * يَمْشِينَ بين المَقَـامِ والحَجَر
ما إنْ طَمِعْنا بها ولا طَمِعتْ * حتّى التَقَيْنا ليـلًا على قَـدَرِ

(١) فى ف : « شجاك » . (٢) انشقاق العصا : كناية عن الفرقة . ٢٠
(٣) الخود من النساء : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة ، والغضيض : الفاترة الطرف . يقال : امرأة غضيض ، وطرف غضيض . (٤) فى ط : «قسيم النفوس» . (٥) زيادة فى ف .

بِيضًا حِسَانًا خرائدًا قُطُفًا(١) * يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ البَقَرِ

الشعر لعُمَر . والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش . وذكر عمرو أنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصر . ولأبى سَعِيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل، وقيل : إنه لِسَنانٍ الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضا ، وهذا أوّلها :

٥

صـــوت

يا مَنْ لقَلْبٍ مُتَيَّمٍ كَمِدِ(٢) * يَهْذِى بخَوْدٍ مَرِيضَةِ النَّظَرِ(٣)

تمشى رُوَيْدًا إذا مَشَتْ فُضُلًا(٤) * وهْىَ كَمِثْلِ العُسْلوجِ مِ البُسُرِ(٥)

ما زالَ طَرْفِى يَحَارُ إذ بَرَزتْ * حتّى عرفتُ النُّقْصانَ فى بَصَرى

غنّاه ابن مُحْرِزٍ ، ولحنُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . ومنها :

١٠

صـــوت

٢٣/١١

قالتْ لِتِرْبٍ لها تُحَدِّثُها * لَنُفْسِدنّ الطَّوافَ فى عُمَرِ

قالتْ تَصَدَّىْ له لِيَعْرِفَنا * ثم اغْمِزِيه يا أُخْتِ فى خَفَرِ

قالتْ لها قد غمزتُه فأبَى * ثم اسْتَطِيرتْ(٦) تَشْتَدُّ فى أثَرِى

(١) قطفا : بطيئات السير ، الواحدة قطوف . و بين رواية ما ورد من هذه القصيدة هنا وبين ما فى الديوان اختلاف كثير، سننبه إلى ما يحتاج إلى التنبيه إليه . (٢) فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (طبعة ليبسك) « كلف » بدل « كمد » . (٣) فى ف : «الهوينى» . (٤) كذا فى الديوان. والمرأة الفضل : التى تتفضل فى ثوب، وكذلك يقال رجل فضل (بضم الفاء والضاد) . والفضل من النساء أيضا : المختالة التى تفضل من ذيلها . (لسان العرب مادة فضل) . وفى الأصول : «قطفا» .

١٥

(٥) يريد « من البسر » . وفى الديوان : «فى الشجر» . والعسلوج : ما لان واخضر من القضبان . والبسر: التمر قبل إرطابه . (٦) استطيرت : ذعرت . وقد تقدّمت الرواية غير مرة : «اسبطرت» .

٢٠

غنّاء يونس خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر عن حَبَش ؛ وقيل : إنّ فيه لعبد الله بن العبّاس لحنًا جيّدًا .

ومنها ما لم يَمْضِ ذكرُه فى الكتاب :

صوت

أَلَا ليتنا يا عَزَّ من غيرِ بِغضةٍ * بعيرَيْنِ نرعَى فى الخَلاء ونَعزُبُ

كِلانا به عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يقُل * على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِى وأجربُ

إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلًا صاح أهلُه * علينا فما نَنفَكُّ نُرمَى ونُضْرَبُ

الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حَبَش .

فضلت عزة الأحوص فى الشعر على كثير، فأنشدها من شعره فنقدته

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن أبى عُبَيْدَةَ عن عَوانةَ وعيسى بن يزيد :

أنّ كُثَيِّرًا دخل على عَزّةَ ذاتَ يومٍ ، فقالت له : ما ينبغى لنا أن نأذَنَ لك فى الجلوس . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّى رأيتُ الأحوصَ أَلْيَنَ جانبًا [فى شِعْره][1] منك فى شِعْرك وأَضْرَعَ[2] خَدًّا للنساء ، وإنه لأشعرُ منك حين يقول :

يأيُّها اللّائمى فيها لأَصْرِمَها * أكثرتَ لو كان يُغْنِى منك إكثارُ

اِرْجِعْ فلستَ مُطاعًا إذ[3] وَشَيْتَ بها * لا القلبُ سالٍ ولا فى حُبِّها عارُ

وإنّى آسترقَقْتُ قولَه :

وما كنت زَوّارًا ولكنّ ذا الهوى * إذا لم يَزُرْ لابُدَّ أنْ سيَزُورُ

١٥

(١) زيادة عن ف . (٢) فى ب ، س : «أصعر» تحريف . (٣) فى ف : « إن » .

وأعجبنى قولُه :

كَمْ من دَنِيٍّ[1] لها قد صِرْتُ أَتْبَعُه * ولو صحا القلبُ عنها[2] كان لى تَبَعَا

وزادنى كَلَفًا بالحُبِّ أنْ مَنعتْ * أَحَبُّ شىءٍ[3] إلى الإنسان ما مُنِعَا

وقولُه أيضا :

٥ وما العَيْشُ إلّا ما تَلَذّ وتَشْتَهِى * وإنْ لَامَ فيه ذو الشَّنَانِ[4] وفَنَّدَا

فقال كُثَيِّر : قد واللهِ أجاد ! فما الذى آستجْفَيْتِ من قولى ؟ قالت : أخزاك الله ! أمَا آستحييتَ حين تقول :

يُحاذِرْنَ منّى غَيْرةً قد عَرَفْنَها * لَدَىَّ فما يَضْحَكْنَ إلّا تَبَسُّمَا

فقال كُثَيِّر :

١٠ وَدِدْتُ وبيتِ اللهِ أنّكِ بَكْرَةٌ * هِجَانٌ وأنّى مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ

كِلَانا به عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يَقُلْ * على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِى وأجربُ

نكون لِذِى مالٍ كثيرٍ مُغَفَّلٍ * فلا هُوَ يرعانا ولا نحن نُطْلَبُ

فقالت لى : وَيْحَكَ ! لقد أردتَ بى الشقاءَ الطويلَ ، ومن المُنَى ما هو أعفَى من هذا وأطْيَبُ .

١٥ صوت

أبيات من شعر أبى زبيد وبيان ألحانها

قد كنتَ فى مَنْظَرٍ ومُستَمَعٍ * عَنْ نَصْرِ بَهْرَاءَ غيرَ ذى فَرَسِ[5]

لا تِرَةٌ عندهم فتَطْلُبَها * ولا هُمُ نُهْزَةُ المُخْتَلِسِ

(١) الدنىّ : الخسيس . وأصله دنىء بالهمز ، وقد تقلب الهمزة ياء وتدغم فى الياء .
(٢) فى ف : « ولو سلا القلب عنها صار ... » . (٣) يرويه النحويون : « وحب شىء » على أن « حب » أفعل تفضيل حذفت همزته (راجع الحاشية الخامسة ص ٢٩٩ فى الجزء الرابع من
٢٠ هذه الطبعة) . (٤) الشنان : البعض مثل الشنآن . (٥) سيرد هذا الشعر فى أخبار أبى زبيد ضمن قصيدة طويلة ، وسنشرح ما يحتاج إلى شرح هناك .

بكَفِّ حَرّانَ ثائرٍ بدَمٍ * طَلّابِ وِتْرٍ فى الموت مُنْغَمِسِ

إمّا تَقارَشْ بك الرّماحُ فلا * أبكيك إلا للدّلْوِ والمَرَسِ

تَذُبُّ عنه كَفٌّ بها رَمَقٌ * طَيرًا عُكُوفًا كَزُوّرِ العُرُسِ

عما قليلٍ يَصْبَحْنَ مُهْجَته * فهُنَّ من والغٍ ومُنْتَهِسِ

الشعرُ لأبى زُبَيْد الطائىّ . والغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ ٥ الأوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فى الأربعة الأُوَل خفيفَىْ ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمَعْبَد وابن مُحْرِز، ووافقه الهشامىّ فى لحن مَعْبَد فى الأول والثانى وذكر أنّه بالوسطى . وفى كتاب ابن مِسْجَح عن حَمّاد له؛ فيه لحنٌ يقال إنّه لابن مُحْرِز . ولابن سُرَيْج فى الأوّل والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ ١٠ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أنّ الرمل لمَعْبَد، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيْج أيضا، وأوّله :

* تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمقٌ *

وفيه لمالك فى السادس والسابع خفيفُ ثقيل آخر . وفيه لابن عائشةَ رَمَلٌ . وفيه لحُنَيْنٍ ثانى ثقيل . هذه الحكايات الثلاث عن يونس، وطرائقُها عن الهشامىّ . ولمُخَارِقٍ فى الرابع والأوّل خفيفُ رَمَلٍ . ولمُتَيَّم فى الأوّل والثانى خفيفُ رملٍ ١٥ آخر . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم فى الأوّل والثانى ثانى ثقيل بالوسطى، ولابن مِسْجَح خفيفُ ثقيل بالوسطى .

أخبار أبى زُبيد ونسبه

اسم أبى زبيد ونسبه

هو حَرْمَلَةُ بن المُنْذِر، وقيل المنذر بن حرملة. والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِ يكَرِبَ بن حنظلة بن النُّعمان بن حَيَّةَ بن سَعْنَةَ بن الحارث بن رَبيعة بن مالك ابن سكر بن هَنِيء بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّئ بن أُدَدِ بن زيد بن يَشْجُبَ ابن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان. وكان أبو زُبَيْد نَصْرانياً وعلى دينه مات، وهو ممن أدرك الجاهليّة والإسلام فعُدّ(١) فى المخضرَمين. وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميّين، وهم العُجَيْر السَّلُولىّ(٢) وذووه. وقد مضى أكثرُ أخباره مع أخبار الوليد ابن عُقْبة بن أبى مُعَيْط(٣).

كان نصرانيا ومخضرما

جعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة

كان من زوّار الملوك، وكان عثمان يقرّبه

أخبرنى أبو خليفة الفضلُ بن الحُبَاب الجُمَحِىّ إجازةً قال: حدّثنى محمد ابن سَلّام الجُمَحِىّ قال حدّثنى أبو الغَرّاف قال:

كان أبو زُبَيْد الطائىّ من زُوّار الملوك وخاصّةً ملوك العجم، وكان عالماً بسِيَرِهم. وكان عثمان بن عفّان رضى الله تعالى عنه يُقَرِّبه على ذلك ويُدْنِى مجلسه، وكان نصرانيّاً. [(٤) فحضر ذاتَ يومٍ عثمانَ وعنده المهاجرون والأنصار]، فتذاكروا مآثرَ العربِ وأشعارَها. قال: فالتفتَ عثمانُ إلى أبى زُبَيد وقال: يا أخا تُبَّعِ المسيح أَسْمِعْنا بعضَ قولك، فقد أُنْبِئتُ أنك تُجِيد. فأنشده قصيدته التى يقول فيها:

استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد

مَنْ مُبْلِغٌ قومَنا النائين إذ شَحَطُوا * أنّ الفؤادَ إليهم شَيِّقٌ وَلِعُ(٥)

(١) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: «فمده» تحريف. (٢) هم العجير بن عبد الله السلولى، وعبد الله بن همام السلولى، ونافع بن لقيط الأسدى. (انظر طبقات ابن سلام ص ١٣٢). (٣) أخبار الوليد فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ١٢٢ ومابعدها). (٤) زيادة عن طبقات ابن سلام (ص ١٣٢). (٥) شحطوا: بعدوا. وشيق: مشتاق.

ووصَف [فيها][١] الأسدَ . فقال عثمان رضى الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكُر الأسدَ ماحَيِيتَ . والله إنّى لأحسَبُك جَبانًا هِدَانًا[٢] . قال : كلّا يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّى رأيتُ منه مَنْظَرًا وشَهِدتُ منه مَشْهَدًا لا يبرح ذِكْرُه يتجدّد ويتردّد فى قلبى ، ومعذورٌ أنا يا أميرَ المؤمنين غيرُ مَلُوم . فقال له عثمان رضى الله عنه : وأنَّى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ فى صُيَّابة[٣] أشرافٍ من أفناء[٤] قبائل العرب ذوى هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ ، ترتمى بنا المَهارِى[٥] بأكسائها[٦] ، ونحن نُريد الحارثَ بن أبى شَمِرٍ الغَسّانىّ ملك الشأم ، فاخْرَوَّطَ[٧] بنا السيرُ فى حَمارّة القَيْظ ، حتى إذا عَصَبتِ الأفواه[٨] ، وذَبَلتِ الشِّفاه ، وشالتِ المياه[٩] ، وأذْكتِ الجَوْزاءُ المَعْزاءَ[١٠] ، وذابَ الصَّيْهَد[١١] ، وصَرَّ[١٢] الجُنْدُبُ ، وضاف العُصْفورُ الضَّبَّ وجاوره فى جُحْره[١٣] ، قال قائل : أيُّها الرَّكْبُ غَوِّروا[١٤] بنا فى ضَوْج[١٥] هـذا الوادى ،

(١) زيادة عن طبقات ابن سلام (ص ١٣٣) . (٢) كذا فى ف ، وهامش ط ، وطبقات ابن سلام . وفى لسان العرب ، وفى حديث عثمان : « جبانا هدانا » . والهدان (بكسر الهاء) : الأحمق الثقيل . وفى سائر الأصول : « جبانا هرابا » . (٣) صياب القوم : خيارهم وسادتهم . (٤) كذا فى ف ، جـ ، وطبقات ابن سلام . ومن أفناء قبائل العرب ، أى لا يدرى من أى القبائل هم . وفى سائر الأصول : « أبناء » . (٥) المهارى : جمع مَهْرية ، منسوبة إلى مهرة ؛ حىّ من قضاعة من عرب اليمن ، وقيل نسبة إلى البلد . والإبل المهرية : نجائب تسبق الخيل . (٦) أكساء : جمع كسي (بالضم) وهو مؤخر العجز . وفى الطبقات : «أنسائها» . (٧) اخروّط : طال . (٨) عصبت الأفواه : جفت . (٩) شالت المياه : قلّت . (١٠) المعزاء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى . (١١) الصيهد : السراب الجارى وشدّة الحر . (١٢) صر : صوّت . والجندب : الصغير من الجراد . (١٣) كذا فى حـ ، ط ، م . وفى ف : « وضاف العصفور الضب فى جحره » . وفى ب ، سـ : « وأضاف العصفور الضب فى وكره وجاوره فى جحره » تحريف .

وقد جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٣٨ طبعة التقدّم) : « وما أكثر ما يذكرون الضب إذا ذكروا الصيف مثل قول الشاعر :

سار أبو مسلم عنها بصرمته والضب فى الجحر والعصفور مجتمع » .

(١٤) غوّر الرجل : أتى الغور ، وهو ما انحدر من الأرض . (١٥) الضوج : منعطف الوادى .

وإذا وادٍ قد بَدَا لنا كثيرُ الدَّغَلِ[1]، دائمُ الغَلَلِ[2]، شجراؤه مُغِنَّة، وأطياره مُرِنَّة[3]. فحَطَطْنا رِحالَنا بأُصولِ دَوْحاتٍ كَنَهْبَلاتٍ[4]، فأصبْنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماءَ البارد. فإنّا لَنَصِفُ حرَّ يومنا ومُماطلته[5]، إذ صَرَّ أقصى الخيل أُذُنَيه[6]، وفَحَصَ الأرضَ بيديه. فوالله ما لبث أن جال، ثم حَمْحَمَ[7] فبال، ثم فعل فِعْلَه الفرسُ الذى يليه واحدًا فواحدًا،

٥ فتضعضعت الخيلُ، وتكعكعت الإبلُ[8]، وتقهقرت البِغال، فمِنْ نافرٍ بشِكاله[9]، وناهضٍ بعِقاله؛ فعلمنا أن قد أُتينا وأنه السَّبُع؛ ففزِع كلُّ رجلٍ منّا إلى سيفه فاستلّه[10] من جِرِبّانه[11]، ثم وقفنا [له][12] رَزْدَقًا[13] (أى صفًّا). وأقبل أبو الحارث[14] من أَجَمَته يتظالع في مِشْيته[15] كأنه مجنوبٌ[16]، أو فى هِجَارٍ[17] [معصوب]؛ لِصَدْرِه نحيطٌ[18]، ولِبَلاعِمه غطيطٌ، ولِطَرْفه وميضٌ، ولأرساغه نقيضٌ[19]؛ كأنما يخبط هشيمًا، أو يطأ صريمًا[20]؛ وإذا هامةٌ كالمِجَنّ[21]، وخدٌّ كالمِسَنّ[22]، وعينان سَجْراوان[23]، كأنهما سِراجان

١٠

(١) الدغل: الشجر الكثير الملتف. (٢) الغلل: الماء الذى يجرى بين الأشجار.
(٣) مرنة: مصوتة، يريد مغردة. (٤) الكنهبل (كسفرجل، وتضم باؤه): شجر عظام.
(٥) مماطلته: طوله وامتداده. (٦) صر أذنيه: سواهما ونصبهما للاستماع.
(٧) الحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل. (٨) تكعكعت: تأخرت إلى وراء.

١٥ (٩) الشكال (بالكسر): الحبل الذى تشد به قوائم الدابة. (١٠) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «واحدا». وفى طبقات ابن سلام: «امرئ». (١١) كذا فى أكثر الأصول وطبقات ابن سلام. وجربان السيف: غمده. وفى ف، ب: «جرابه». (١٢) زيادة عن ف. (١٣) كذا فى ف. وفى أكثر الأصول: «أرسالا» بدل: «أى صفا». والأرسال: جمع الرسل (محركة) أى الجماعة. (١٤) أبو الحارث: كنية الأسد. (١٥) كذا فى أكثر

٢٠ الأصول. وفى طبقات ابن سلام: «من بعيد». (١٦) المجنوب: المصاب بذات الجنب.
(١٧) الهجار: حبل يشد فى رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه. (١٨) نحيط: زفير.
(١٩) نقيض الأرساغ: صوتها. (٢٠) الصريم: الحب المقطوع من الزرع. (٢١) المجن: الترس، وهو صفحة من الحديد مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه. (٢٢) المسن: الحجر الذى يسن به أو يسن عليه. (٢٣) عين سجراء: بينة السجر، وهو أن يخالط بياضها حمرة.

يَقدان[١] ، وقَصَرةٌ رَبِلة[٢] ، ولِهْزِمةٌ رَهِلة[٣] ؛ وكَتَد مُغبِط[٤] ، وزَوْر مُفْرِط[٥] ؛ وساعدٌ مجدول ، وعَضُدٌ مفتول ؛ وكَفٌّ شَثْنة البَرَاثن[٦] ، إلى مَخَالِب كالمَحَاجِن[٧] . فضرب بيده فأَرْهَج[٨] ، وكشَّر فأفْرَج ، عن أنيابٍ كالمَعَاوِل[٩] مصقولة ، غير مفلولة ؛ وفَمٍ أشْدَق[١٠] ، كالغار الأخرق ؛ ثم تمطَّى فأسرع بيديه ، وحفز[١١] وركَيه برجليه ، حتى صار ظِلُّه مِثلَيْه[١٢] ؛ ثم أقْعَى فاقشعرّ[١٣] ، ثم مَثَل[١٤] فاكفهرّ ، ثم تجهَّم[١٥] فازبأرّ . فلاوذُو[١٦] بيته فى السماء ما اتَّقيناه إلا بأوّل أخٍ لنا من فزارة[١٧] ، كان ضَخْمَ الجُزارة[١٨] ، فوقَصه[١٩] ثم نفضه نفضةً فقضْقَض متنيه[٢٠] ، فجعل يَلَغ فى دمه . فذَمَرْتُ أصحابى[٢١] ، فبعدَ لأيٍ ما استقدموا . فهجهجنا به[٢٢] ، فكرَّ مقشعرًّا بزُبْرته[٢٣] ، كأنّ به شَيْهمًا حوليًّا[٢٤] ، فاختلج رجلاً أعجَرَ ذا حوايا[٢٥] ، فنفضه

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س « يتقدان » . (٢) القصرة : أصل العنق إذا غلظت . والربلة : كل لحمة غليظة . (٣) اللهزمة : عظم ناتئ ، أو مضغة عليّة تحت الأذن . ورهلة : منتفخة . (٤) الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . ومغبط : مرتفع .

(٥) الزور : الصدر . ومفرط : جاوز قدره . يريد وصفه بضخامة الصدر . (٦) كذا فى أكثر الأصول . وشثن البراثن : خشنها . والبراثن : جمع البرثن ، وهو من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان . وفى ط : « شثن البراجم » . والبراجم : رءوس السلاميات من ظهر الكف .

(٧) المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان . (٨) أرهج : أثار الغبار .

(٩) المعاول : جمع المعول ، وهو الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر . (١٠) فم أشدق : واسع الشدقين . (١١) حفز : دفع . (١٢) فى ف : « طوله » .

(١٣) أقعى : جلس على استه . واقشعر : تقلص جلده وقف شعره . (١٤) مثل : قام منتصبا . واكفهر : كشر . (١٥) تجهم : صار وجهه كريها . وازبأر : تنفش حتى ظهرت أصول وبر شعره . (١٦) ذو : بمعنى الذى فى لغة طيئ . (١٧) كذا فى ف . وفى طبقات ابن سلام : « إلا بأخ » . وفى جـ ، ط ، م : « ما اتقيناه بأول أخ » . وفى ب ، س : « ما اتقيناه بأخ » . تحريف . (١٨) ضخم الجزارة : كبير الرأس واليدين والرجلين . يريد أنه عظيم الجسم . (١٩) وقصه : دق عنقه . (٢٠) قضقض متنيه : كسر متنى الظهر ، وهما مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم . (٢١) ذمر أصحابه : لامهم وحضهم وحثهم .

(٢٢) هجهجنا به : صحنا به وزجرناه ليكف . (٢٣) كذا فى ف . والزبرة : الشعر المجتمع بين كتفى الأسد . وفى سائر الأصول : « بزبره » . (٢٤) الشيهم : ما عظم شوكه من ذكور القنافذ . والحولى : ما أتى عليه حول . (٢٥) اختلج رجلا : انتزعه . وأعجر : ممتلئ جدا ، أو عظيم البطن . والحوايا : الأمعاء .

نفضةً تزايلتْ [منها](١) مفاصله، ثم نَهَم فَفَرفر(٢)، ثم زَفَر فبَربَر(٣)، ثم زَأَر فجَرجَر(٤)، ثم لَحَظ(٥)، فوالله لَخِلْتُ البَرْق يتطاير من تحت جُفونه، من عن شماله و يمينه. فأُرعشتِ الأيدى، واصْطَكَّتِ الأرجُل، وأطَّتِ الأضلاعُ(٦)، وارْتَجَّتِ الأسماعُ، وشَخَصتِ العيونُ، وتَحَقَّقتِ الظُّنونُ، وانْخَزلتِ المُتُون. فقال له عثمان: اُسْكُتْ قَطَع الله لِسانَك! فقد أرعبتَ قلوبَ المسلمين.

خوفه من الأسد

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنى العُمَرىّ قال حدّثنى شُعْبةُ قال:

قلتُ لِلطِّرِمّاح بن حَكِيم: ما شأنُ أبى زُبَيْد وشأنُ الأَسَد؟ فقال: إنّه لَقِيه بالنَّجَف(٧)، فلمّا رآه سَلَح من فَرَقِه(٨) — وقال مرة أُخرى: فَسَلَّحَه — فكان بعد ذلك يَصِفه كما رأيت.

شعره فى ضربة المكاء

أخبرنى أبو خَلِيفَة عن محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبى عمن يَثِق به أنّ رجلًا من طَيِّئٍ من بنى حَيَّة نَزَل به رَجُلٌ من بنى الحارث بن ذُهْل بن شَيْبان يقال له المُكَّاء(٩)، فذبح له شاةً وسقاه الخمر، فلما سكِر الطائىّ قال: هَلُمَّ أُفاخِرك: أبنو حَيَّة أكرمُ

(١) زيادة عن ف. (٢) نهم: أخرج صوتا كالأنين. وفرفر: صاح. (٣) زفر: أخرج صوتا بعد مدّه إياه. وبربر: صاح. (٤) جرجر: ردّد صوته فى حنجرته.
(٥) لحظ: نظر بمؤخر العين عن يمين و يسار غاضبا. (٦) أطت الأضلاع: صوّتت.
(٧) النجف (بالتحريك): قال السهيلى: بالفرع عينان يقال لأحدهما الربض وللأخرى النجف تسقيان عشرين ألف نخلة، وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها.
(راجع معجم البلدان). (٨) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: «لقيه».
(٩) فى ف هنا وفيما يأتى: «البكاء». تحريف (راجع خزانة الأدب ج ٢ ص١٥٣ — ١٥٤).

أم بنو شَيْبانَ ؟ فقال له الشيباني : حديثٌ [حسن](١)، ومُنادَمةٌ كريمةٌ أحبُّ إلينا من المفاخرة . فقال الطائي : والله ما مدّ رجلٌ قطُّ يدًا أطولَ من يَدى . فقال الشيباني : والله لئن أعدتَها لأخْضِبَنَّها من كُوعِها . فرفع الطائي يده، [فضربها الشيباني بسيفه فقطعها](٢) . فقال أبو زُبَيْد في ذلك :

٢٦
١١

خَبّرتْنا الرُّكبانُ(٣) أن قد فَخَرْتُمْ * وفَرِحتُمْ بضَرْبة المُكّاءِ
ولَعَمْرى لَعَارُها كان أدنَى * لَكُمُ من تُقًى وحَقّ وفَاء .
ظَلّ ضيفًا أخوكُم لأخينا * فى صَبُوحٍ(٤) ونَعْمةٍ وشِواء
ثم لما رآه رانتْ به الخمـ * ـرُ وأنْ لا يريبهُ باتّقاء(٥)
لم يَهَبْ حُرْمةَ النّديم وحُقّت * يالقَومٍ للسَّوْءة السَّوْءاء(٦)

ما قاله فى كلبه أكدر حين لقيه الأسد فقتله

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني عمى عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

كانَ لأبى زبيد كلبٌ يُقال له أَكْدَر، وكان له سلاحٌ يُلْبِسُه إياه، فكان لا يَقوم له الأسد، فخرج ليلةً قبل أن يلبِسَه سلاحَه، فلقيَه الأسد فقتله، و يقال: أخَذه فأفْلَتَ منه، فقال عند ذلك أبو زبيد :

---

(١) زيادة عن حـ، ف . (٢) زيادة عن ف . (٣) الركبان : جمع ركب . والركب : أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها . ويجمع على أركب أيضا .
(٤) الصبوح : ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه . والنعمة (بالفتح) : التنعم والتمتع .
(٥) أى ورأى أنه لا يريبه باتقاء . (٦) السوءة : ما يقبح كشفه . والسوءة السوءاء (مثل الليلة الليلاء) : الخصلة القبيحة . و يا لقوم : استغاثة من هذه الفضيحة ؛ وهى هتك حرمة النديم . ورواية الخزانة : « يا لقومى » .

أحَالَ أكْدرُ مُختَالًا كعادته (١) * حتى إذا كان بين البئر والعَطَن (٢)

لاقى لدى ثَلَلِ الأطواء داهيةً * أسرتْ وأكدرَ تحتَ الليل فى قَرَن (٣)

حطَّت به شيمةٌ وَرْهاءُ تطردُه * حتى تناهى إلى الحُولات فى السَّنَن (٤)

إلى مُقابَلِ خطْوِ السَّاعدَيْن له * فوق السَّراة كذِفرى الفالج القَمِن (٥)

٥ رئبالِ غابٍ فلا قَحْمٌ ولا ضَرَعٌ * كالبغل يحتطم العِلجين فى شَطَن (٦)

لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم

وهىَ قصيدةٌ طويلةٌ . فلامه قومُه على كثْرة وصفه للأسد ، وقالوا له : قد خفنا أن تَسُبَّنا العربُ بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لَقِيكم ما لَقِيَ أكدر لما لُمْتُمونى . ثم أمسك عن وصْفِه فلم يصفْه بعد ذلك فى شعره حتى مات .

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى أبو سعيد السكّرىّ قال حدّثنى
١٠ هارونُ بن مُسْلم بن سَعْدان أبو القاسم قال حدّثنا هشامُ ابنُ الكلبىّ قال : كان الأجلحُ الكِنْدىُّ يحدّث عن عمارةَ بن قابوس قال :

وصف النعمان ابن المنذر وذكر ما حدث فى مجلس له

لقيتُ أبا زُبَيْد الطائىّ فقلتُ له : يا أبا زبيد هل أتيتَ النُّعمانَ بنَ المنذر ؟ قال إى والله لقد أتيتُه وجالستُه . قال قلتُ : فصِفْه لى . فقال : كان أحمر أزرق أبرش قصيرا . فقلت له : بالله أخبرنى أيَسرُّك أنه سمع مقالتَك هذه وأنّ لك حُمْرَ
١٥ النَّعَم ؟ قال : لا والله ولا سُودَها ؛ فقد رأيتُ ملوكَ حِمير فى مُلْكها ، ورأيت ملوك غَسّانَ فى ملكها ، فما رأيتُ أحدًا قطُّ كان أشدَّ عزًّا منه . وكان ظهْرُ الكوفة يُنْبِت الشقائق ، فحَمَى ذلك المكانَ ، فنُسب إليه فقيل « شقائقُ النُّعمان » .

---

(١) أحال : أقبل . فى الأصول : « مشيا لا لعادته » . وانظر الحيوان (٢ : ٢٧٤) طبعة الحلبى .
(٢) العطن : مناخ الإبل حول الورد . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وثلة البئر : ما أخرج
٢٠ من ترابها ، جمعه : ثلل . والأطواء : واحده الطوىّ ، البئر المطوية بالحجارة . وأسرت : سارت ليلا . والقرن : الحبل يجمع به البعيران . (٤) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . وورهاء : حمقاء أو خرقاء . والحولات : جمع حولة ، بالضم ، وهى الداهية . (٥) الفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع . (٦) فى ف : « حطمه العلجان » .

بجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رءوسنا الطير، وكأنه باز فقام رجل من الناس فقال له : أبيت اللعن! أعطنى فإنى محتاج. فتأمله طويلا ثم أمر به فأدنى حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانة فاستخرج منها مشاقص[1] فجعل يجأ بها فى وجهه[2] حتى سمعنا قرع العظام، وخضبت لحيته وصدره بالدم، ثم أمر به فنحى. ومكثنا مليا.

٥

٢٧/١١

ثم نهض آخر فقال له : أبيت اللعن! أعطنى. فتأمله ساعة ثم قال : أعطوه ألف درهم، فأخذها وانطلق.

ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه، فقال : ما قولكم فى رجل أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة، أترون دمه سائلا حتى يجرى فى هذا الوادى؟ فقلنا له : أنت — أبيت اللعن — أعلى برأيك عينا. فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذبح.

١٠

ثم قال : ألا تسألونى عما صنعت؟ فقلنا : ومن يسألك — أبيت اللعن — عن أمرك وما تصنع؟ فقال :

أما الأول فإنى خرجت مع أبى تتصيد، فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من شراب أو لبن، فتناولته لأشرب منه، فثار إلى فهراق الإناء فملا وجهى وصدرى، فأعطيت الله عهدا لئن أمكننى منه لأخضبن لحيته وصدره من دم وجهه.

١٥

وأما الآخر فكانت له عندى يد كافأته بها، ولم أكن أثبته[3]، فتأملته حتى عرفته.

وأما الذى ذبحته فإن عينا لى بالشام كتب إلى : إن جبلة بن الأيهم قد بعث إليك برجل صفته كذا وكذا ليغتالك. فطلبته أياما فلم أقدر عليه، حتى كان اليوم،

٢٠

(١) المشقص : كنير : نصل عريض أو سهم فيه ذلك. (٢) الوجء : الضرب.
(٣) أثبته : عرفه حق المعرفة. والكلام من «ولم أكن» إلى هنا ساقط من ف.

مات نديم له فى غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره

أخبرنى الحسينُ بنُ يحيى عن حماد عن أبيه قال :

كان لأبى زُبَيدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة ، فغاب أبو زبيد غَيْبةً ، ثم رجع فأُخْبِر بوفاته ، فعَدَل إلى قبْره قبل دخوله منزلَه ، فوقَف عليه ثم قال :

يا هاجِرِى إذ جئتُ زائرَهُ * ما كان مِنْ عاداتك الهَجْرُ

٥ يا صاحبَ القبرِ السّلام على * مَنْ حال دون لِقائه القَبْرُ

ثم انصرَف . وكان بعد ذلك يجىءُ إلى قبره فيشرَبُ عندَه ويصُبُّ الشرابَ على قبره .

والأبيات التى فيها الغناءُ المذكور يقولُها فى غلامٍ له قتَلَتْه تغلِبُ ، وكان مجاورا فيهم ، فدَلَّ بَهْراءَ على عَوْرَتِهم وقاتَلَهم معهم فقُتِل .

شعره فى غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه

١٠ أخبرنى بخَبَره أبو خليفة قال حدّثنى محمد بن سلام . وأخبرنى محمدُ بنُ العباس اليزيدىّ عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال :

كان أخوالُ أبى زبيد بنى تَغْلِب ، وكان يقيم فيهم أكثرَ أيامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزتْ بهراءُ بنى تغْلِب ، فمرّوا بغلامه ، فدَفَع إليهم إبلَ أبى زبيد وقال : انطلقوا أَدُلّكم على عَوْرة القَوْم وأقاتل معَكم . ففعلوا ، والتقَوْا ، فهُزِمت

١٥ بهراءُ وقُتِل الغلامُ ، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهى :

هل كنتَ فى مَنْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ * عن نَصْرِ بَهْراء غيرَ ذى فَرَسِ (١)

تَسْعى إلى فِتْيةِ الأراقم واسْ * تعجلْتَ قَبْلَ الجُمان والقَبَس (٢) (٣) (٤)

فى عارِضٍ من جبال بهرائها الْ * أُولى مَرَين الحروب عن درس

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط : « الحمار والعبس » . وفى ف هنا وفيما سيأتى : « الجمار والعلس » . والجمان والقبس : ناقتان . (انظر ص ١٣٨ من هذا الجزء) . (٢) الأولى : الذين .

٢٠ (٣) كذا فى ف . ومرين الحروب : حلبنها ، والمراد أنهم تمرسوا بالحرب . وفى سائر الأصول : « مرين الحرور » . (٤) درس جمع درسة بالضم ، كغرفة وغرف ، وهى الرياضة .

فبهرةٌ مَنْ لَقُوا حَسِبْتَهُم * أحلى وأشهى من باردِ الدِّبِس (١)

لا ترة عندهم فتطلبها * ولا هُمُ نُهْزة لمختلِس

جُودٌ كرام إذا هُم نُدِبُوا * غيرُ لئامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُس (٢)

صُمْتٌ عظام الحلوم إن قعدوا * عن غير عِيٍّ بهم ولا خَرَس

تَقُود أفراسَهم نساؤهُم * يُزْجُون أجمالَهمْ مع الغَلَس

صادفتَ لمّا خرجتَ مُنْطلقاً * جَهْمَ المُحَيّا كباسلٍ شرِس

تخالُ فى كفّه مثقَّفةً * تلمع فيها كشُعْلة القبس (٣)

بكفّ حرّانَ ثائرٍ بدمٍ * طلّابِ وِترٍ فى الموت مُنغمِس

إمّا تقارَنْ بك الرماح فلا * أبكيك إلّا للدَّلو والمَرَس (٤)

حَمِدتَ أمرى ولمت أمرَك إذ * أمسك جلزُ السِّنان بالنفَس (٥)

وقد تصلّيتَ حرَّ نارهمُ * كما تصلّى المقرور من قرَس (٦)

تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمق * طيرا عكوفا كَزُوَّر العُرُس (٧)

عما قليلٍ علون جُثّته * فهنّ من والغ ومنتهِس (٨)

أخذ دية غلامه وثمن إبله من تغلب وقال شعرا

فلما فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله، فقال فى ذلك :

ألا أبلغ بنى عمرٍو رسولا * فإنّى فى مودّتكم نَفِيسُ

(١) بهرة، أراد بهراء. الدبس، بالكسر وبكسرتين: عسل التمر وعصارته. (٢) كسس: جمع أكس، أى ليس فيهم خروج الأسنان السفلى على الحنك الأسفل. (٣) مثقفة: ثقف الرمح أى قومه وسواه. (٤) للدلو: أى لمثها. والمرس: جمع مرسة بالتحريك، وهو الحبل. (٥) جلز السنان: الحلقة المستديرة فى أسفله. (٦) المقرور: الذى أصابه البرد. والقرس: البرد الشديد. (٧) الزور: جمع الزائر. والعرس: طعام الوليمة. (٨) الوالغ: الشارب بأطراف لسانه.

هكذا ذكر ابن سلّام فى خبره، والقصيدة لا تَدُلّ على أنها قِيلت فيمن أحسن إليه ووَدَى غلامه وردّ عليه ماله . وفى رواية ابن حبيب :

* ألا أبلِـغ بنى نصر بن عمرٍو *

وقوله أيضا فيها :

فمـا أنا بالضعيف فتظلمونى * ولا جافِى اللقاء ولا خَسِيسُ(١)

أفى حقٍّ مواسـاتِى أخاكم * بمـالى ثم يظلِمنى السَرِيسُ

— السريس : الضعيف الذى لا ولد له — وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعل ابن سلام وهِم .

من المعمرين

وأبو زبيد أحدُ المُعَمَّرين، ذكر ابن الكلبى أنه عمر مائة وخمسين سنة .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيـه قال : كان طول أبى زبيد ثلاثة عشر شبرا .

كان يدخل مكة متنكرا لجماله

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنـا محمدُ بن عبد الله العبدِىُّ أبو بكْرة قال حدّثنى أبو مِسعرٍ الجُشَمِىّ عن ابن الكلبىّ قال : كان أبو زبيد الطائىّ مِمَّنْ إذا دخل مكّة دخلها متنكّرا لجماله .

منادمته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية

وأخبرنى إبراهيمُ بن محمد بن أيوب قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال : لمـا صار الوليدُ بنُ عقبة إلى الرَّقّة واعتزل عليّـا عليه السلام ومعاوية ، صار أبو زبيد إليـه ، فكان ينادمه ، وكان يُحْمَل فى كل أحدٍ إلى البِيعة مع النصارى . فبينا هو يوم أحَدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال :

إذا جَعَل المـرءُ الذى كان حازما * يُحَـلُّ به حَلَّ الحُـوارِ ويحمـلُ(٢)

(١) خسيس : بالرفع عطفا على المحل بجعل ما تميمية ، وبالجر عطفا على اللفظ فيكون فى البيت إقواء .

(٢) الحوار بالضم والكسر : ولد الناقة قبل أن يفصل عنها . ويقال حل به حلا : جعله يحل .

فليس له فى العيش خير يريده * وتكفينه ميتا أعف وأجمل

دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه

ومات فدفن هناك على البليخ[1]. فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أن يدفن إلى جنب أبى زبيد. وقد قيل: إن أبا زبيد مات بعد الوليد، فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد.

٥

[قال ابن الكلبى فى خبره الذى ذكره إسحاق عنه:

هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيرا لإبله فكان يقبله[2] حلب الجمان والقبس[3]، وهما ناقتان كانتا له. فلما كان يوم حابس، وهو اليوم الذى التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجير أبى زبيد مع بهراء، فقتل وانهزمت بهراء، فمر أبو زبيد به وهو يجود بنفسه، فقال فيه هذه القصيدة[4]].

١٠

أخبرنى محمد بن يحيى ويحيى بن على الأبوابى المدائنى قالا حدثنا عقبة المطرفى قال:

كنا فى الحمام ومعى ابن السعدى[5] وأنا أقرأ القرآن، فدخل سعد الرواسى فغنى:

قد كنت فى منظر ومستمع * عن نصر بهراء غير ذى فرس

فقال ابن السعدى: اسكت اسكت! فقد جاء حديث يأكل الأحاديث.

١٥

أوصى له الوليد ابن عقبة حين احتضر بالخمر ولحوم الخنازير

[أخبرنى عمى والحسن بن على قالا حدثنى العمرى قال حدثنى أحمد ابن حاتم قال حدثنى محمد بن عمرو الجماز قال حدثنى أبو عبيدة عن يونس وأبى الخطاب النحوى: أن الوليد بن عقبة بن أبى معيط أوصى لما احتضر لأبى زبيد بما يصلحه فى فصحه وأعياده[6]، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك. فقال أهله وبنوه لأبى زبيد: قد علمت أنه لا يحل لنا هذا فى ديننا، وإنما فعله إكراما

٢٠

(١) البليخ: نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون (انظر معجم ياقوت).
(٢) من قولهم قبلت العامل العمل، أى جعلته فى كفالته. (٣) فى الأصول: «الجمار والعلس». وانظر ما سبق فى صفحة ١٣٥. (٤) التكلة من نسخة ف. (٥) ما عدا ف: «الرواس».
(٦) أى فى عيد الفصح، وهو عيد من أعياد النصارى. وانظر تحقيقه فى الحيوان (٤: ٥٣٤).

لك وتعظيماً لحقّك، فقدِّره لنفسك ماشئت أن تعيش، وقَوِّمْ ما أوصَى به لك حتّى نعطيك قيمتَه ولا تفضحْنا وتفضح آباءَنا بهـذا، واحفظه واحفظنا فيـه، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم [1]] .

* * *

صـــوت

٥

٢٩/١١

هَلْ تعرفُ الدار من عامين أو عام * دارٌ لهنـدٍ بجزع الخَـرج[2] فالدامِ

تحنو لأطلائهـا عِينٌ مُلَمَّعَـةٌ[3] * سُـفْعُ الخدود بعيدات من الرامى

الخرج والدام : موضعان ، ويروى «مذ عامين» . وهـذا الأجود ، وكلاهمـا رُوِى . وعِين : بقر . وأطلاؤها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات

١٠ من الذام» هو الذى يذم .

الحطيئة يمـدح أبا موسى الأشعرى حين توليته العراق

الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعرىَّ لما ولاّه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه العراق[4] . والغناءُ لمـالك ، خفيفُ رملٍ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أنّ فيه لابن جامع أيضا صنعةً .

قال محمد بن حبيب : أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معـه ، فأخبره

١٥ أنّ العدّةَ قد تمت ، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التى ذكرتها ، وأولهـا :

هل تعرف الدار من عامينِ أو عامِ * دار لهنـد بجـزع الخرج فالدامِ

وفيها يقول :

وجحفـلٍ كسواد الليـلِ منتجعٍ * أرضَ العـدوّ ببؤسٍ بعـد إنعامِ

جمعتَ من عامرٍ فيـه ومن أسـدٍ * ومن تمـيم ومن حاء ومن حامِ

٢٠ — حاء من مذحج، وحام من خثعم —

وما رضيتَ لهـم حتى رَفَدتهم * من وائل رهـطِ بِسطامٍ بأصرامِ[5]

(١) التكملة من ف . (٢) ف : «دارا» بالنصب . والخرج ضبطه ياقوت بالفتح، والبكرى بالضم . على أن الذى يقرن بالدام هو الخرج بالخاء، كما عند البكرى . (٣) الملمعة : التى فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة . (٤) ف : «الكوفة» . (٥) أصرام : جماعات .

فيه الرماح وفيه كلّ سابغة * جدلاءَ مُحكَمَةٍ من نسج سلّامِ

— يعنى سليمان النبى —

وكلُّ أجرَدَ كالسِّرحان أضمره * مسحُ الأكُفّ وسقى بعد إطعامِ[1]

مستحقبات[2] رواياها جحافلُها * يسمو بها أشعرىٌّ طرفه سامِ

— الروايا : الإبل التى تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب[3] الخيل إليها فتضع جحافلها[4] على أعجاز الإبل —

لا يزجُرُ الطّيرَ إن مرّت به سُنُحًا * ولا يُفيض على قِدْحٍ بأزلامِ[5]

وقال المدائنى : لما مدح الحطيئةُ أبا موسى رضى الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى — وقد كان كتب من أراد وكملت العدّةُ — فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب يلومُه، فكتب إليه : إنى اشتريت منه عِرضى ، فكتب إليه : أحسنتَ . قال : وزاد فيه حمّاد الراوية أنه — يعنى نفسه — أنشدها بلالَ ابن أبى بردة ولم يكن عرفها فوصله .

أخبرنى القاضى أبو خليفة إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلام قال أخبرنى أبو عبيدة عن يونس قال :

قدِم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبى بُرْدة وهو عليها فقال له : ما أطرفتنى شيئا يا حمّادُ! فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة فى أبى موسى، فقال له : ويحك! يمدح الحطيئةُ أبا موسى وأنا أروى شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أَدَعْها تذهبْ فى الناس .

وكانت ولاية أبى موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلُها سَعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألا يُوَلُّوا عليها إلا من يريدون[6] .

---

(١) السرحان : الذئب . (٢) مستحقبات ، من استحقب الشيء : شدّه فى مؤخر الرحل واحتمله خلفه . (٣) تجنب إليها : تقاد إلى جنبها . (٤) جحافلها : شفاها .
(٥) الأزلام : جمع زلم، وهو القدح الذي كان يستقسم به . (٦) فى ف : «يختارون» .

وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص واختلافهم فى تفضيل السهل على الجبل وما ترتب على ذلك

٣٠/١١

أخبرنى بالسبب فى ذلك أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرىُّ قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنى عن أبى مِخْنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال :

كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القُرّاء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوما السهلَ والجبل ، فقال حسانُ بنُ محدوج : سهلنا خير من جبلنا : أكثرُ بُرًّا وشعيرا ، فيه أنهارٌ مطَّرِدة ، ونخل باسقات ، وقلَّت فاكهةٌ يُنبِتُها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد الرحمن بن حبيش : صدقتم ، ودِدت أنه للأمير وأنّ لكم أفضلَ منه . فقال الأشتر : تمنّ للأمير أفضلَ ولا تتقرّب إليه بأموالنا ، فقال : ما ضَرَّكَ ذلك . والله لو يشاء أن يكون له لكان ، قال : كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السوادُ إلا بستانٌ لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشتر : أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ! ثم ضربوا عبد الرحمن ابن حُبَيْش حتى سقط .

قال المدائنى فحدّثنى علىُّ بنُ مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبى [ومجالد بن حمزة ابن بيض عن الشعبى(١)] قال : بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرا وزُبْدًا إذ قال سعيد : السواد بستان قريش ، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبدالرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد : صدق الأمير . فوثب عليه القرّاء فضربوه ، وقالوا له : يا عدوّ الله ، يقول الباطل وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من دارى ، فخرجوا ، فلما أصبحوا أتوا المسجدَ فداروا على الحِلَق فقالوا : إن أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئُنا ومركزُ رماحنا ، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد إلى عثمان رضى الله عنه : إنّ قِبَلى قوما يُدْعَون القرّاء وهم السفهاء ، وثبوا على صاحب

(١) التكملة من ف .

شرطتى فضربوه وآستخفوا بى . منهم عمرو بن زرارة، وكُمَيْل بنُ [زياد، والأشتر وحُرقوص بن هبيرة ، وشريح بن أوفى ، ويزيد بن] المكفَّف ، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجُندب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان رضى الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغزوا مغازِيَهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك الذى أردت فأقرِئهم كتابى فإنى أراهم لايخالفون إن شاء الله، واتق الله جَلَّ وعز وأحسن السيرة . فاقرأهم الكتاب، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال: إنكم قدمتم بلداً لا يعرف أهله إلا الطاعةَ فلا تجادلوهم فتدْخِلوا الشكَّ قلوبَهم . فقال له الأشتر: إن الله جل وعز قد أخذ على العلماء فى علمهم ميثاقا أن يبيِّنوه للناس ولا يكتموه، فإن سألنا سائل عن شىء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة، فاتقوا الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ . فقال عمرو بنُ زُرارة: نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيدُ بن صُوحان : إن الذين أشخصونا إليك لم يَعجِزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسِنُوا جِوارنا، وإن كنا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إنى لا أرى حبسك أمرا صالحا، فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكْتبَ إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال: حسبى أن تأذن لى وتكتبَ إلى سعيد . فكتب إليه، فأذن له، فلما أراد زيد الشخوص كلّمه فى الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمرا يكرهونه، ثم أشخصهم معاويةُ إلى حِمْص، فكانوا بها، حتى أجْمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائنى حدّثنى الوقاصى عن الزُّهرى :

أن أهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيدا قال لهم : أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه . ففعل، فلم يحققوا عليه شيئا إلا قولَه : « السوادُ بستانُ

(١) التكلة من ف .

قريش » ، وأثنى الآخرون عليه . فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلا كلمةً واحدة ، لم يَنْتهك بها لأحد حرمةً . ولا أرى عزله إلا أن تُثبتوا عليه ما لا يحلّ لأحد تركُه معه . فانصرفوا إلى مصركم . فرجع سعيدٌ والفريقان معه ، وتقدّمهم علىّ بنُ الهيثم السدوسىّ حتى دخل رحبَةَ المسجد فقال : يا أهل الكوفة إنا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا ، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا ، فردّه إلينا وهو يزعم أن السواد بستان له . وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى .

الأشتر يخطب محرضا على عثمان

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وذكر عثمان رضى الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : من كان يرى أن لله جل وعز حقا فليصْبِح بالجَرَعة ، ثم قال لكُمَيْل بن زياد : انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخَطيم ، فأخرجه . واستعمل أهلُ الكوفة أبا موسى الأشعرىّ .

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عفّانُ قال حدّثنا أبو مِحْصَن قال حدّثنا حصينُ بن عبد الرحمن قال حدّثنى جُهَيْمٌ قال :

عثمان يخضع لقوة الرأى فيعزل سعيدا و يولى أبا موسى

أنا شاهد للأمر ، قالوا لعثمان : إنك استعملت أقاربك . قال : فليقم أهلُ كلّ مصر فليُسْلِموا صاحبهم . فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنا سعيدا واستعمل علينا أبا موسى الأشعرىّ . ففعل .

ثناء امرأة على سعد بن أبى وقاص

قال أبو زيد : وكان سعيدٌ قد أبغضه أهل الكوفة لأمور : منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطّه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تذمّ سعيدا وتثنى على سعد بن أبى وقّاص :

فليتَ أبا إسحاق[1] كان أميرَنا * وليت سعيدا كان أولَ هالك

يُحَطِّطُ أشراف النساء ويتقى * بأبنائهن مُرْهَفَات النَّيازك[2]

(١) أبو إسحاق : كنية سعد بن أبى وقاص كما فى الإصابة (ج ٣ ص ٨٣) .
(٢) النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

هدية سعيد ابن العاص إلى على ابن أبى طالب

حدّثنى العباس بن على بن العباس ومحمدُ بن جرير الطبرى قالا حدّثنا يحيى بن معين قال حدّثنا أبو داود وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيْش قال: بعثنى سعيدُ بنُ العاص بهدايا إلى المدينة و بعثنى إلى على عليه السلام وكتب إليه: إنى لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئا فى خزائن أمير المؤمنين. قال: فأتيت عليًّا فأخبرته، فقال: لشدّ ما تَحْظُر بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وسلم. أما والله لَئِنْ وليتُها لَأَنْفُضَنَّها نفضَ القصّاب لتراب الوذَمة.

قال أبو جعفر: هذا غلط إنما هو لِوِذامِ[1] التَّرِبة.

قال أبو زيد وحدّثنى عبد الله بن محمد بن حكيم الطائى عن السعدى عن أبيه قال: بعث سعيد بن العاص مع ابن أبى عائشة مولاه بصلةٍ إلى علىٍّ بن أبى طالب عليه السلام؛ فقال: والله لا يزالُ غلامٌ من غِلْمان بنى أميّة يبعث إلينا مما أفاءَ اللهُ على رسوله بمثل قوتِ الأرْملة، والله لئن بَقِيتُ لَأَنْفُضَنَّها نَفْضَ القصّابِ لوذام التربة. هكذا فى هذه الرواية.

صـــوت

رُبَّ وَعدٍ منك لا أنساه لى * أَوْجَبَ الشُّكرَ و إن لم تَفْعلِ
أَقْطعُ الدَّهرَ بظنٍّ حَسَنٍ * وأُجَلِّى غَمْرةً ما تَنْجلى
كلّما أمّلتُ يومًا صالحًا * عَرَضَ المكروهُ لى فى أَمَلى
وأَرَى الأيّامَ لا تُدْنِى الّذى * أَرْتَجِى منك وتُدْنى أَجَلى

عروضه من الرمل؛ الشِّعرُ لمحمد بن أميّة، والغناءُ لأبى حَشيشة، رملٌ طُنْبوريّ. وفيه لحَنْ لحسين بن مُحْرِز ثانى ثقيلٍ بالوُسْطى عن أبى عبد الله الهشامى.

(١) الوذام: جمع وذمة: قطعة الكرش. والتربة: الكرش: اللسان (وذم).

أخبارُ محمّد بن أميّةَ وأخبارُ أخيه علىٍّ بن أمية وما يُغَنَّى فيه من شعرهما

نسب محمد بن أمية

سألتُ أحمدَ بنَ جعفرٍ جَحْظةَ عن نسبه قلتُ له : إنّ النّاسَ يقولون ٱبنُ أميةَ وابنُ أبى أمية ؛ فقال : هُوَ محمدُ بنُ أمية بن أبى أمّية .

منادمته إبراهيم بن المهدى

٥ قال : وكان محمدٌ كاتبا شاعرا ظريفا ، وكان ينادمُ إبراهيمَ بنَ المَهْدىِّ ، وربما عاشَرَ علىَّ بنَ هِشام ، إلّا أنّ ٱنقطاعَه كان إلى إبراهيمَ ، ورُبَّما كتبَ بين يديه . وكان حَسَنَ الخطّ والبَيان . وكان أميّةُ بنُ أبى أمية يكتُبُ للمَهْدىّ على بيْتِ المـال . وكان إليه خَتْمُ الكُتُبِ بِحَضْرته ، وكان يأنسُ به لأدبِه وفَضْلِه ، ومكانه من وَلائه ، فزامَلَه أرْبعَ دَفَعاتٍ حَجَّها فى ٱبتدائه ورُجُوعه .

١٠ قال جَحْظةُ : وحدّثنى بذلك أبو حَشِيشَة .

إعجاب أبى العتاهية به فى حضرة إبراهيم ابن المهدى

وحدّثنى جحظـة أيضا قال حدّثنى أبو حشيشة عن محمـد بن علىّ بن أمية قال حدّثنى عمى محمد بن أمية قال :

كنتُ جالسا بين يدىْ إبراهيم بن المهدىّ ، فدخل إليه أبو العتاهية وقد تَنَسَّك ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلّا فى الزُّهْد ، فرفعه إبراهيم وسُرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه

١٥ وحديثه ؛ فقال له أبو العتاهية : أيُّها الأمير بلغنى خبرُ فتًى فى ناحيتك ومن مواليك يُعْرَف بابن أمية يقول الشعرَ ، وأنْشِدْتُ له شعرا أعجبنى ، فما فَعَل؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعله أقربُ الحاضرين مجلسا منك . فالتفت إلىّ فقال لى : أنت هو فَدَيْتُك؟ فتشوّرت[1] وخجلت وقلت له : أنا محمد بنُ أميـة جُعلت فداءك ! وأمّا الشعر فإنّمـا أنا شابٌّ أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ ؛ فقال لى : فديتك ، ذلك

٢٠ (١) تشوّرت : استحييت .

والله زمانُ الشعر و إبّانه، وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعيونُه، وما قَصُر من الشعر وقيل فى المعنى الذى تومئ إليـه أبلغُ وأملحُ. وما زال ينشّطنى و يؤنسنى حتى رأى أنى قد أنِست به، ثم قال لإبراهيم بن المهدىّ : إنْ رأى الأمير — أكرمه الله — أن يأمره بإنشادى ما حضر من الشعر . فقال لى إبراهيم : بحياتى يا محمد أنشِده. فأنشدته :

رُبَّ وعد منـكِ لا أنساهُ لى * أوجبَ الشكر و إن لم تفعـلى

وذكر الأبيات الأربعـة . قال : فبكى أبو العتاهيةِ حتى جرت دموعُه على لحيتـه وجعل يُرَدّد البيت الأخير منها و ينتحِب ، وقام فخرج وهو يردّده و يبكى حتى خرج إلى الباب .

هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها

أخبرنى عمى قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قرقارةُ قال حدّثنى محمد بن علىّ ابن أمية قال :

كان عمى محمـدُ بنُ أمية يهوى جاريةً مغنّيـة يقال لهـا خِداعُ كانت لبعض جوارى خالِ[1] المعتصم، فكان يدعوها، و يعاشره إخوانه إذا دعوه بها اتّباعا لمسرته . وأراد المعتصم الخروجَ والتأهُّبَ للغزو، وأمر الناس جميعا بالخروج والتأهب، فدعاه بعضُ إخوانه قبل خروجهم بيوم، فلما أضحى النّهار جاءَ من المطرِ أمرٌ[2] عظيمٌ لم يقدِرْ معه [أحد][3] أن يُطلِعَ رأسَه من داره، فكاد محمد أن يموت غمًّا، فكتب إلى صديقه الذى دعاه [وقد كان ركب إليه ثم رجعَ لشدّة المطر][3]، ولم يقدِر على لقائه :

تمـادى القَطْرُ واْنقطع السبيلُ * من الإلفين إذ جرتِ السيولُ

على أنى ركبتُ إليـكَ شوقا * ووجهُ الأرض أوديةٌ تجـول

وكان الشوقُ يَقْدُمُنى دليـلًا * وللمشتاق معـترمًا دليـلُ

(١) كلمة « خال » ساقطة من ف . (٢) كذا فى ف . وفى سائر النسخ : «فلما أصبحوا جاء المطر أمرا عظيما » . (٣) التكلة من ف .

فلم أجد السبيلَ إلى حبيبٍ * أودّعه وقد أفِدَ[1] الرحيلُ

وأرسلتُ الرسولَ فغاب عنّى * فيالله ما فعل الرسول!

وقال فى ذلك أيضا :

مجلس يُشْفَى به الوطرُ * عاق عنه الغيمُ والمطرُ

٥ رَبِّ خُذْ لِى منهما فهُما * رحمةٌ عمّت ولى ضرر

ما على مولاى مَعْتَبةٌ[2] * عذره بادٍ ومستتِر

شُغِلتْ عينى بعبرتها * واستمالت قلبىَ الفِكر

قال : ثم بِيعت خِداعُ هذه فآشتراها بعضُ ولد المهدىّ وكان ينزل شارع الميدان، فحجبت عنه وآنقطع ما بينهما إلّا مكاتبةً ومُرَاسلةً .

١٠ قال محمدُ بن علىّ فأنشدنى يوما عمّى محمد لنفسه فيها :

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ * هِجْنَ شوقى لا دارساتُ الطلولِ

حُجِبتْ أن تُرَى فلستُ أراها * وأرى أهلَها بكل سبيل

وإذا جاءها الرسولُ رآها * ليْتَ عينى مكان عينِ الرسول

قد أتاكِ الرسول ينْعتُ ما بى * فآسمعى منه ما يقول وقولى

١٥ وقال فيها أيضا :

بناحية المَيْدان دربٌ لو آننى * أُسمِّيه لم أُرشَد وإن كان مُفْسدى

أخافُ على سكّانه قولَ حاسدٍ * يشير إليهم بالجفون وباليد

(١) أفد : دنا . (٢) المعتبة : الموجدة والسخط .

وصائفُ أبكارٌ وعُونٌ[1] نواطِقٌ * بألسنةٍ تشفِى جَوَى الهائم الصَّدِى
يُقَارِبْن أهلَ الوُدّ بالقول فى الهوى * وما النجمُ من معروفهن بأبعدِ
يزدن أخا الدنيا مُجُونا وفتنة * ويَشغفن[2] قلب الناسك المتعبِّد
وليلة وافى النوم طيف سَرَى به * إلىَّ الهوى منهن بعد تجرُّدِ
فقاسَمْتُه الأشجان نِصفين بيننا * وأوْرَدْتُه من لوعةِ الحب مَوْرِدى
ونِلْتُ الذى أمَّلتُ بعد تمنُّع * وعاهدتُه عهدَ آمرئ متوكِّدِ[3]
فلما آفترقنا خاس[4] بالعهد بيننا * وأعرضَ إعراضَ العروسِ من الغدِ
فوا ندما ألا أكونَ آرتهنتُه * لأخْبُرَهُ فى حفظِ عهدٍ وموعد

إعجاب أبى العتاهية بشعره

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمى قالا حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى حذيفةُ بن محمد قال قال لى محمدُ بن أبى العتاهية :

سمع أبى يوما مخارقا يغنِّى :

أحبُّك حُبًّا لو يُفَضُّ[5] يَسيرُهُ * على الخَلْق ماتَ الخلقُ من شِدَّة الحُبِّ
وأَعْلَمُ أنِّى بعدَ ذاكَ مقصِّرٌ * لأنَّك فى أعلى المَرَاتِبِ مِنْ قَلْبى

فطرِبَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المُهَنَّا ؟ قال : فتى من الكتّاب يخدُمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهدىّ . فقال : تَعْنِى محمدَ بنَ أمية ؟ قال : نعم . قال : أحْسَنَ والله ، وما يزال يأتى بالشَّىء المليح يبدُو له .

أخبرنى عمى قال حدّثنا أحمدُ بنُ أبى طاهر قال حدّثنى أحمد بن أمية بن أبى أمية قال :

(١) الوصائف : جمع وصيفة وهى الجارية دون المراهقة . عونٌ : جمع عوان وهى المرأة النصف .
(٢) فى ط : « ويشعفن » . (٣) فى س، ب : « متأكد » .
(٤) خاس بالعهد : نقضه وخانه . (٥) يفض : يفرق .

مزاحه مع مسلم ابن الوليد

لَقِيَ أخى مُحَمَّدُ بنُ أُمَيّة مُسْلِمَ بنَ الوليدِ وهُوَ يَمْشِى وطويلته[1] مع بعض رواته، فسلم عليه ثم قال له : قد حضرنى شىءٌ؛ فقال : هاتِه؛ فقال: على أنه مِزاحٌ لا يُغْضَبُ منه؛ قال : هاتِه ولو أنه شتم . فقال :

مَنْ رَأَى فيما خَلَا رجُلًا * تِيهُــهُ يُرْبِى على جِدَتِه[2]

٥ يَتَباهى راجـــلًا وله * شاكِرِىٌّ فى قُلَنْسِيَتِـــه[3]

فسكَتَ عنه مُسلِمٌ ولم يُجِبْه، وضحِك منه محمدٌ وٱفترقا .

مداعبة مسلم له حين نفق برذونه

قال: وكان لمحمد بن أمية بِرْذَوْن يركبه، فلقيَه مسلِمٌ وهو راجلٌ فقال: مافعل بِرذونُك؟ قال : نَفَق . قال : الحمدُ لله ، فَنُجَازِيك إذًا على ما كان منك إلينا . ثم قال مسلم :

قل لٱبن مىٍّ[4] لا تكن جازعا * لن يرجع البِرذونُ بالليْتِ[5]

١٠ طامَنَ أحشاءَك فِقـدانُه[6] * وكنتَ فيـــه عالىَ الصوت

وكنتَ لا تَنزِلُ عن ظهْــرِهِ * ولَوْ من الحُشِّ إلى البيتِ[7]

ما مات من حتف[8] ولكنّــهُ * مات من الشَّوْق إلى الموت

تعلقه بإحدى الجوارى وما كان بينهما

أخبرنى أحمـدُ بنُ عبيد الله بن عمـار قال حدّثنا يعقوبُ بن إسرائيل قال حدّثنى محمد بن علىّ بن أمية قال حدّثنى حسين بن الضحاك قال :

١٥ دخلت أنا ومحمـدُ بنُ أميّةَ منزل نَخّاس بالرَّقة أيامَ الرشيد وعنـده جارية تغنّى فوقعت عينُها على محمد، ووقعت عينُه عليها، فقال لها: يا جاريةُ، أتغنّين هذا الصوت:

---

(١) الطويلة : يراد بها قلنسوة طويلة . (٢) فى ف : « أربى على جدته » وجدته، أى مقدار ما هو عليه من الغنى . (٣) الشاكرى : الأجير والمستخدم . والقلنسية والقلنسوة : من لباس الرأس . (٤) كذا فى ف وديوان مسلم (ص ٢١٥) طبع ليدن . وفى سائر
٢٠ الأصول : « أمى » تحريف . (٥) الليت : أراد به التمنى . ورواية هذا الشطر فى الديوان : « ليت على البرذون من فوت » . (٦) رواية الديوان : « طأطأ من تيهك فقدانه » .
(٧) الحش (بتثليث الحاء) : يكنى به عن بيت الخلاء . (٨) فى ف : «من سقم» . والحتف : الهلاك ، تقول العرب : مات فلان حتف أنفه ، أى بلا ضرب ولا قتل .

خبِّرينى مَن الرسولُ إليكِ * واجعَليهِ من لا ينمّ عليكِ
وأشيرى إلىّ من هو بالحـ * ـظ ليخفى على الذين لديكِ
وأقلِّى المُزاح فى المجلس اليو * م فإن المزاح بين يديكِ

فقالت له : ما أعرفه ، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقفًا . فمكثا زمانا والخادمُ[1] الرسولُ بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أمية .

تغنى بشعر له عمرو الغزال فتطير إبراهيم بن المهدى وعلم من فى المجلس بنكبة البرامكة

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى ميمونُ بنُ هارون قال حدّثنى بعضُ من كان يختلط بالبرامكة قال :

كنتُ عند إبراهيمَ بنِ المهدىّ ، وقد اصطبحنا[2] وعنده عمرُو بن بانة ، وعبيدُ الله بن أبى غسان ، ومحمد بن عمرو الرومى ، وعمرو الغزّال ، ونحن فى أطيب ما كنا عليه إذغنّى عمرو الغزّالُ ، وكان إبراهيمُ بن المهدى يستثقله ، إلا أنه كان يتخفّف بين يديه ويَقْصِدُه ، ويَبْلُغه عنه تقديمٌ له وعصبيّة ، فكان يَحْتملُ ذاك منه ، فاندفع عمرٌو الغزال ، فتغنّى فى شعر محمد بن أمية :

ماتمّ لى يومُ سرورٍ بمَنْ * أهواهُ مُذْ كنتُ إلى اللّيلِ
أغبطَ ما كنتُ بما نلتُه * منهُ أتتنى الرسْلُ بالويْلِ
لَا والّذى يعلَمُ كلَّ الذى * أقولُ ذى العِزّة والطَّوْلِ
مارُمْتُ مذ كنتُ لكم سَخْطَةً * بالغَيْب فى فعْلٍ ولا قَوْلِ

قال : فتطيّر إبراهيمُ ، ووضع القدَح من يده ، وقال : أعوذُ بالله من شر ما قلتَ . فوالله ما سكَتَ وأخذنا نتلافى إبراهيمَ إذ أتى حاجبُه يعدو فقال : ما لكَ[3] ؟ فقال : خرج الساعةَ مسرورٌ من دار أميرِ المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى ، فلم يلبث أن خرج ورأسُه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته[4] . فقال إبراهيم : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ارفع يا غلام ارفع . فرفع ما كان بين أيدينا ، وتفرقنا فما رأيت عمرًا بعدها فى داره .

(١) فى ف : « والخادم الأسود » .
(٢) اصطبحنا : شربنا الصبوح .
(٣) فى ف : « ما الخبر » .
(٤) فى ف : « وإخوته وأهله » .

كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدّثني محمد بن يحيى بن بُسْخُنَّر قال :

كنت عند إبراهيم بن المهدي بالرَّقّة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أميّة في يوم من حَزيران ، فلما هممنا بذلك هبّت الجَنُوب ، وتلطّخت السماءُ بغيم ، وتكدّر ذلك اليوم ، فترك إبراهيمُ بنُ المهدي الشُّرْبَ ولحقه صُداع ، وكان يناله ذلك ٥ مع هبوب الجنوب ، فافترقنا ؛ فقال لي محمّدُ بن أمية : ما أَحَبَّ إليّ ما كرِهتُموه من الجنوب ! فإن أنشدْتُك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم ؟ قلت : نعم . فأنشدني :

إنّ الجنوبَ إذا هبّت وجدتُ لها * طيباً يذكّرني الفردوسَ إنْ نَفَحَا

لمّا أتتْ بنسيم منك أعرِفُه * شوْقًا تنفّستُ واستقبلْتُها فَرِحا ١٠

فانصرفتُ معه إلى منزله ، وغنّيتُ في هذين البيتين وشربنا عليهما بقيّةَ يومنا .

ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع

وجدْتُ في بعض الكتب بغير إسناد : أهدَتْ جاريةٌ يقال لها خداعُ إلى محمد ابن أُميّة — وكان يهواها — تفاحةً مُفَلَّجةً[1] منقوشةً مطيّبة حَسنةً ، فكتب إليها محمد :

خِداعُ أهديتِ لنا خُدْعةً * تُفّاحةً طيّبةَ النَّشْرِ

مازلتُ أرجوكِ وأخشَى الهوى * مُعتصِمًا بالله والصّبر ١٥

حتى أتتني منكِ في ساعةٍ * زَحْزَحَتِ الأحزانَ عن صَدري

حشوتِها مِسْكا ونقّشتِها * ونَقْشُ كفيكِ من السِّحر

سَقْيًا لها تفاحةً أُهْدِيَت * لو لم تكُنْ[2] من خُدَعِ الدَّهر

التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني عبدُ الله بنُ جعفر اليقطيني قال حدّثني أبي جعفر بن عليّ بن يقطينَ قال : ٢٠

(١) مفلجة : مقسمة . (٢) في ف : «إن لم تكن » .

كنتُ أسيرُ أنا ومحمدُ بن أمية فى شارع المَيْدان، فاستقبلتْنَا جاريةٌ — كان محمدٌ يهْوَاها ثم بِيعتْ — وهى راكبةٌ، فكلَّمها، فأجابتْه بجواب أخفَتْه فلم يفهمه، فأقبل علىّ وقد تغيَّر لونُه فقال :

ياجعفرُ بن علىّ وآبن يقطينِ * أليْسَ دونَ الذى لاقيتُ يكْفِينى
هــذا الذى لم تزلْ نفْسى تخوِّفُنى * منها فأينَ الذى كانتْ تُمَنِّينى
خاطَرْتُ إذ أقبلتْ نحوى وقلتُ لها * تَفْديكِ نفسى فداءً غيرَ ممْنون
فخاطبتنى بما اخْفَتْـه فانصرفتْ[1] * نفسى بظنَّيْنِ مخشىٍّ ومأمون

٣٦ / ١١

تمثل المنتصر ببيت

حدّثنى محمدُ بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمدُ بن يزيد المهلبىّ قال حدّثنى أبى قال :

كنت بين يدى المنتصر جالسًا فجاءتْه رُقْعَة لا أعلمُ ممَّن هى ، فقرأها وتبسَّم ثم إنه أقبل علىَّ وأنشد :

لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ * وفِطْنةُ شاعرٍ عندَ الجَوَاب

ثم أقبل علىّ فقال : من يقول هذا يايزيد ؟ فقلتُ : محمدُ بن أميّة يا أمير المؤمنين. فضحك وقال : كأنه والله يصفُ ما فى هذه الرُّقْعة .

عاتبه أخوه وابن قنبر لما لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يحبها

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا محمّدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنى حذيفةُ بنُ محمّد قال :

كنت أنا وابن قنْبر عندَ محمد بن أُميّة بعقِب بَيْع جاريةٍ كان يحبُّها وقد لحِقَه عليْها ولَهٌ كالجنون ، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه علىّ بنُ أمية يعاتبانه على مايظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال :

(١) فى ف : « وانصرفت » .

لو كنتَ جَرَّبْتَ الهوى يا بن قَنْبرٍ * كوصفك إياه لألهاك عن عذلى
أنا وأخى الأدنى وأنت لها الفدا * وإن لم تكونا فى مودّتها مثلى
أأنْ حُجِبتْ عنى أجود لغيرها * بودّى وهل يُغْرى المحبَّ سوى البُخْل
أسَرّ بأن قالوا تَضَنّ بودّها * عليك ومن ذا سُرّ بالبخل من قبلى

قال: فضحك ابنُ قَنْبر، وقال: إذا كان الأمْرُ هكذا فكن أنتَ الفداء لها، وإن ساعدك أخوك فاتّفقا على ذلك، وأما أنا فلستُ أنشط لأن أساعدك على هذا. وافترقنا.

قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعرا

أخبرنى على بن سليمان الأخفشُ قال أنشدنى محمد بن الحسن بن الحزوّر(1) لمحمد ابن أمية فى جارية كان يهواها، وقطَع الصومُ بينهما، فقال يخاطب محمدَ بن عثمان ابن خُرَيْمٍ المرّى:

قفا فابكيا إن كنتُما تجِدانِ * كوَجْدِى وإن لم تَبْكِيا فدَعانى
ففى الدَّمع مما تُضْمِر النفسُ راحةٌ * إذا لم أطِقْ إظهارَه بلسانى
أَغَصّ بأسرارى إذا ما لقيتُها * فأُبهتُ مشدوها أعضّ بنانى
فيا بن خُرَيم يا أخى دون إخوتى * ومن هُوَ لى مِثْلى بكل مكان
تأمّلْ أحظّى من خِداعَ وحُبِّها * سوى خُدَعٍ تُذْكى الهوى وأمانى
وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا * فياليتَ شوّالا أتى بزمان

شعر له فيها استحسنه ابن المعتز

أنشدنى جعفرُ بن قُدَامة قال أنشدنى عبدُ الله بن المعتزّ قال أنشدنى أبو عبد الله الهشامىُّ لمحمد بن أمية، وفيه غناء لمتيّم، قال واستحسنه عبد الله:

(1) فى ف: «الحرون».

صــــوت

عجبًا عجبتُ لمُــذنبٍ متغضِّبِ * لولا قبيــحُ فعــاله لم أعْجَبِ

أخداعُ، طالَ على الفراش تقلُّبى * و إليــكِ طولُ تشــوّقى وتطرّبى

لهــفى عليـــكِ وما يردّ تلهــفى * قصرت يداى وعزّ وجه المطلب(١)

الغناء لمتيّم، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتز، وخفيفُ رمل عن الهشامى . وهذا من شِعْر محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنتنا هَزَارُ(٢) هذا الصوت يومئذ .

٣٧/١١ أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها

حدّثنى عمّى قال حدّثنا أحمد بن محمد الفيرزان(٣) قال حدّثنى شيبةُ بنُ هِشَام قال: دعانا محمــدُ بن أُميّــةَ يوما ووَجَّه إلى جاريةٍ كان يحبها فدعاها ، وبعث إلى مولاها يُحْــدِرها(٤) مع رســوله ، فأبطأ الرسولُ حتّى ٱنتصف النهارُ ثم عاد وليسَتْ معــه وقال : أخذوا منى الدراهم ثم ردوها علىّ ، ورأيتهــم مُختَلِطين ، ولهم قصة لم يُعرِّفُونيها ، وقالوا : ليسَتْ ها هنا فإن عادت بَعَثْنا بها إليكم . فتنغّص عليــه يومُه وتغيّر وجهُه وتجمّل لنا ؛ ثم بكَرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هى قد بِيعت ، فوَجَم طويلا(٥) ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكيا . فما أنسى حُرْقَة بكائه وهو ينشدنى :

تخطّى إلىَّ الدهرُ من بين من أرى * وســوءُ مقــاديرٍ لهنَّ شــئونُ

فشتَّتَ شملى دون كلِّ أخى هوًى * وأقْصَــدَنى(٦) بلْ كلُّهم سيَبِين

ومهما تكُن من ضَحْكَة بعد فَقْدها * فإنّى وإن أظهرتُها لحزين

ســلامٌ على أيّامنــا قبــل هــذه * إذِ الدارُ دارٌ والسرورُ فنون

(١) هذا البيت ساقط من ط . (٢) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : « هذا اللحن » .
(٣) كذا فى ط ، ف . وفى سائر الأصول « أحمد بن المرزبان » . (٤) يحدرها : يريد يرسلها . (٥) فى ف : « قليلا » . (٦) أقصدنى : طعننى ولم يخطئنى

قال : ومضتْ على ذلك مدّةٌ ، ثم أخبرنى أنه آجتاز بها ، وهى تنظُرُ من وراء شُبّاك ، فسلَّم عليها فأومأتْ بالسلام إليه ودخلَتْ ، فقال :

تُطالِعُنى على وجَلٍ خِداعُ * من الشُّبّاكِ التى عُملت حديدَا
مُطالِعتى ، قِفِى بالله حتَّى * أزوِّدَ مقْلَتى نظرًا جديدا
٥ فقالتْ إنْ سَمِها الواشون عنَّا * رجَوْنا أن تَعُودَ وأن نَعودا

وأنْشَدنى أيضا فى ذلك :

صــــوت

يا صاحبَ الشُّبّاكِ الذى اسْـ * ـتَخْفَى ، مكانُكَ غيرُ خافِ
أفَمَا[1] رأيتَ تلدُّدى * بفِناء قَصْرِكَ وآختلافى
١٠ أو ما رحِمْتَ تخشُّعى[2] * وتلفُّتِى بَعْدَ آنصرافى

صــــوت

إنّ[3] الرجالَ لهم إليكَ وسيلةٌ * إنْ يأخُذوكِ تكحَّلى وتخضَّبى
وأنا آمْرُؤٌ إن يأخذونى عَنْوَةً * أُقْرَنْ إلى سَيْرِ الركاب وأُجْنَبِ
ويكون مَرْكَبُكِ القعودَ وحِدْجَه[4] * وآبْنُ النّعامةِ يومَ ذلك مَرْكبى

١٥ عروضه من الكامل . قال آبن الأعرابىّ فى تفسير قوله :

* وابنُ النعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبى *

آبن النعامة : ظِلّ الإنسان أو الفَرس أو غيْره . قال جرير :

إذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كلَّ شىءٍ[5] فارسا * ويرى نعامةَ ظِلِّه فيَحُولُ[6]

---

(١) تلددى : مكثى ووقوفى . واختلافى : ترددى . (٢) تخشعى : تضرعى . (٣) هذا الشعر وما يليه حتى أوّل ترجمة المتوكل وأخباره ساقط من نسختى ط ، م . (٤) الحدج (بالكسر) : ٢٠ مركب من مراكب النساء نحو الهودج . (٥) فى الديوان : « كل شخص » .
(٦) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « إن ضل ... ... * ورأى ... ... » .

يعنى بنعامة ظِلّه جسَدَه . وقال أبو عمرو الشيبانىّ : النَّعامةُ ما يلى الأصابع[1] فى مُقَدَّمِ الرِّجل . يقول: مَرْكَبِى يومئذٍ رِجْلِى . وقال الجاحظ : ذكر علماؤنا البصريون : أنّ النعامةَ اسمُ فرسه . يقول : إنّى أشُدُّ على ركابى السرج فإذا صارَ للفرس — وهو الذى يُسَمَّى النعامةَ — ظلٌّ وأنا مقرونٌ إليه صار ظله تحتى فكنتُ راكبًا له . وجعل ظلها ها هنا ٱبنَها .

٥

الشعر للحارث بنِ[2] لوذان بنِ عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبانَ بنِ ذهلِ ابن ثعلبة . وقال ٱبن سلام : لحُزَزِ[3] بن لَوْذان . ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عنترةَ ، وذلك خطأ . وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصلىّ . والغناء لعزةَ المَيْلاءِ . وأوّل لحنها :

٣٨ / ١١

لِمَنِ الديارُ عرفتها بالشُّرْبُبِ[4] * ذهب الذين بها ولمّا تذهبِ

١٠

و بعده « إن الرجال » .

وطريقتُه من خفيف الثقيل الأوّل بالبنصر من روايتى حمّادٍ وٱبن المكىّ . وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ . وفيه لعريبَ خفيفُ رمل . وفيه لعزةَ المرزوقيّة لحن . وقال هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيات : هذا اللحنُ لريق ، سلخت لحن « ومخنث شهِد الزفافَ وقبله » فجعلته لهذا ، وهو[5] لحنٌ محرَّك يشبه صنعة ٱبن سُرَيج وصنعةَ حَكَم فى محركاتهما ، فمن هنا يغلط فيه و يظن أنه قديم الصنعة .

١٥

ابن أبى عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدّثت عن صالح بن حسان قال : كان ٱبن أبى عتيق معجبا بغناء عزة الميلاء كثيرَ الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

* لمن الديار عرفتها بالشُّرْبُبِ *

٢٠

(١) فى ب ، س : « عامل الأصابع » . (٢) فى ف : « للحارث بن اوداد » . وفى سائر النسخ : « للحز بن اوذان » . والصواب ما أثبتنا من الجمع بينهما . (٣) كذا فى ف ، والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٣٦٣ طبعة الحلبى) . وفى سائر الأصول : « الجرور بالراء » . (٤) الشربب : وادفى ديار بنى ربيعة ، وفى س ، ب : « الشرنب » تحريف . (٥) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : « وله » .

فسألها يوما زيارته فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن آستقر بها المجلسُ : ياعزة، أحبُّ أن تغنيني صوتي الذي أنا له عاشق. فغنته هذا الصوت، فطرب كل الطرب وسر غاية السرور .

جارية ابن أبي عتيق ومعابثة فتى لها

وكانت له جارية، وكان فتى من أهل المدينة كثيرا ما يعبث بها، فأعلمتْ [ابنَ أبي عتيق بذلك، فقال لها : قولي له : وأنا أحبُّك، فإذا قال لك : وكيف لي بك ؟ فقولي له : مولاي يخرج غدًا إلى مال له، فإذا خرج أدخلتُكَ المنزل . وجمع][(1)] آبن أبي عتيق ناسا من أصحابه فأجلسهم في بيته [ومعهم عزة الميلاء][(1)]، وأدخلَت الجاريةُ [الرجلَ . وقال لعزة : غني فأعادت الصوت . وخرجت الجاريةُ][(1)] فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة، فقال لها : تعالىْ . فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فآعتلّت[(2)]، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[(3)]، فوثب آبنُ أبي عتيق عليه هو وأصحابُه ، فقال لهم وهو غيرُ مكترث: يافسّاقُ ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنية ! فضحك آبن أبي عتيق من قوله وقال له : آستر علينا ستر الله تعالى عليك . فقالت له عَزَّةُ : يابنَ الصِّدِّيق[(4)] ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج، وبلغه أن آبنَ أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان . فأقبل يعبث بها كلما خرجت، فشكت ذلك إلى مولاها، فقال لها: أو لم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فَهَيِّئي الرحى وهيئي من الطعام طحينَ ليلةٍ إلى الغداة . فقالت : أفْعَلُ يامولاي . فهيّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِديه الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البُرّ كلّه ثم آخرجي من البيت وآتركيه[(5)] . ففعلت، فلما دخل طحنت الجاريةُ قليلا، ثم قالت

(١) الزيادة عن ف . (٢) اعتلت : اعتذرت . (٣) الحجلة بالتحريك : بيت كالقبة يستر بالثياب و يكون له أزرار كبار، وحجلة العروس : بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور .

(٤) تريد ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر . تهذيب التهذيب (ج ٦ ص ١١) . (٥) في ب، س : « كفت » .

له : إن كفّتْ الرحى فإن مولاى جاءٍ إلىّ أو بعض من وكله بى ، فاطحن حتى نأمنَ أن يجيئنا أحدٌ ، ثم أصيرَ إلى قضاءِ حاجتك . ففعل الفتى ومضت الجاريةُ إلى مولاها وتركته ، وقد أمر آبنُ أبى عتيق عِدّة من مولياته أن يتراوحن[1] على سهر ليلتهن و يتفقّدن أمرَ الطحين ويحثثن الفتى عليه كلما أمسك ، ففعلن ، وجعلن ينادينه كلما كفّ : يافلانة إنّ مولاك مستيقظ ، والساعةَ يعلم أنك كففتِ عن الطحن ، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع من كانت نو بتها قبلك إذا هى نامت وكفّت عن الطحن . فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلامَ يجتهد فى العمل والجارية تتعهد وتقول : قد آستيقظ مولاى . والساعةَ ينام فأصير إلى ما تحِب . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت : قد أصبحت فانجُ بنفسك . فقال : أوقد فعلتِها يا عدوّة الله ! فخرج تعبا نصِبا فأعقبه ذلك مرضًا شديدا أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألّا يعودَ إلى كلامها ، فلم تر منه بعد ذلك شيئا يُنكر[2] .

صــــوت

أَجَدَّ اليومَ جيرتُك آحتمالا * وحثّ حُداتُهم بهمُ عِجالا
وفى الأظعان آنِسة[3] لعوب * ترى قتلى بغير دمٍ حلالا

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكل الليثىّ ، والغناء لآبن مُحرِز ثانى ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لآبن مِسْجَح ثانى ثقيل آخرُ بالخِنْصَر فى مجرى البِنصر عنه . وذكر حَبَشٌ أن هذا اللحن لآبن سُرَيْج ، وفيه لإسحاقَ هزجٌ .

(١) يتراوحن : يتناوبن . (٢) كذا فى ف . وفى سائر النسخ : «فلم ير بعد ذلك منه شيئا كثيرا» . (٣) الأظعان : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج ، سميت به على حد تسمية الشىء باسم الشىء لقربه منه ، لأن الظعينة : الهودج تكون فيه المرأة ، وقيل : « أو لم تكن » .

نسب المتوكّل الليثى وأخباره

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مُسافع بن وهْب بن عمرو بن لَقيط ابن يَعْمَر بن عَوْف[1] بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة[2] بن كنانة بن خُزَيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة . كان فى عصر معاوية وٱبنه يزيد ، ومدحهما . ويكنى أبا جهمة . وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن والق، ويقال عند عكرمة بن رِبْعىّ الذى يقال له الفيّاض ، فقدمه الأخطل .

وهذه القصيدة التى أولها الغناء قصيدة هجا بها عكرمة بن ربعى وخبره معه[3] يذكر بعد .

أخبرنى بذلك الحسن بن علىّ عن أحمد بن سعيد الدمشقىّ عن الزبير بن بكّار عن عمه .

تناشد هو والأخطل الشعر

وأخبرنى الحسن[4] بن علىّ عن أحمد بن سعيد الدمشقىّ قال حدّثنى هارون ابن محمد بن عبد الملك قال أخبرنى هارون بن مسلم قال حدّثنى حفص بن عمر العُمَرِىّ عن لَقيط بن بُكَير[5] المحاربىّ قال :

قدم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق ، فقال المتوكّل بن عبد الله الليثىّ[6] لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره . فأتياه فقالا : أنشدنا يا أبا مالك . فقال : إنى لخاثر[7] يومى هذا . فقال له المتوكل : أنشدنا أيها الرجل ، فوالله لا تُنشدنى قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من

(١) فى معجم الشعراء للرزبانى : «عوف بن كعب بن عامر» . (٢) إلى هذه الكلمة ينتهى النسب فى ف . (٣) فى ف : « وخبره يذكر بعد » . (٤) فى ف : «وأخبرنى الحسن قال» . وفى حـ : « عن محمد بن سعيد » . (٥) فى جـ : « ابن بكر » . وفى ف : « ابن بكير قال» . (٦) كلمة « الليثى » ليست فى ف . (٧) يقال خثرت نفسه بالفتح : غثت وخبثت وثقلت واختلطت .

شعرى . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا المتوكل[1] . قال : أنشدنى[2] ويحك من شعرك ! فأنشده :

للغانياتِ بذى المجاز[3] رسومُ * فببطنِ مكة عهدُهن قديمُ
فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المقلَّد من مِنًى * حِلَلٌ[4] تلوح كأنهنّ نجومُ
لاتنهَ عن خُلُقٍ وتأتىَ مثله * عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ[5]
والهَمُّ إن لم تُمضِه لسبيله * داءٌ تضمَّنه الضلوعُ مُقيمُ[6]

غنّى فى هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حمادٍ عن أبيه ولم يُجنّسه .

قال وأنشده أيضا :

الشِّعْر لُبُّ المرءِ يَعرِضُه * والقولُ مثلُ مواقع النَّبْلِ
منها المقصِّرُ عن رميَّتِه * ونوافذٌ يذهبْن بالخَصْلِ[7]

قال وأنشده أيضا :

إنّا معشرٌ[8] خُلِقْنا صُدُورا * من يسوِّى الصُّدورَ بالأذنابِ

فقال له الأخطل : ويحك يامتوكّل[9] ! لو نبحت الخمر فى جوفك كنت أشعر الناس .

ما قاله فى زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق

قال الطوسىّ قال الأصمعىّ : كانت للمتوكل بن عبد الله الكنانىّ امرأةٌ يقال لها رُهَيمة — ويقال أُمَيمة — وتُكْنى أمَّ بكرٍ ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حينَ طلاق . فأبت عليه ، فطلقها ، ثم إنها برِئت بعد الطلاق ، فقال فى ذلك :

(١) فى جـ : « قال : المتوكل » . (٢) فى ف : « ويحك ! أنشدنى » .
(٣) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة ، وماء لهذيل بعرفة . (٤) الحلل : جمع حلة ، وهى جماعة بيوت القوم . كأنهن نجوم ، أى تبدو بدوا ضئيلا كما يبدو النجم ، أو هى متفرقة تفرق النجم .
(٥) هذا البيت يروى لأبى الأسود الدؤلى . (٦) فى ف : « قديم » .
(٧) الخصل : الخطر ، وهو السبق الذى يتراهن عليه . (٨) فى جـ : « إنا معشر » .
(٩) هذه العبارة ، ساقطة من ف .

طربتُ وشاقنى يا أمَّ بكرٍ * دعاءُ حمامــةٍ تدعو حَماما
فبتُّ وبات همِّى لى نجِيًّا * أُعَزِّى عنكِ قلبا مُستَهاما
إذا ذُكِرتْ لقلبــكَ أمُّ بكرٍ * يبيت كأنما ٱغتبق المُداما
خَدَبلَّةٌ ترِفُّ غُروبُ فيها * وتكسو المَتْنَ ذا خُصَلٍ سُخاما (١)
أبَى قلبى فما يهوى سِواها * وإن كانت بموّدتها غراما (٢)
ينام الليــلَ كلُّ خــلِىِّ همٍّ * [وتأبَى العينُ منِّى أنْ تناما
أُراعِى التّاليـاتِ من الثُّريّا (٣)] * ودَمعُ العينِ مُنحدِرٌ سِجاما (٤)
على حين ٱرعويت وكان رأسى * كأنَّ على مفارقه ثَغاما (٥)
سعى الواشــون حتى أزعجوها * ورثَّ الحبل فٱنجذَم ٱنجذاما
فلستُ بزائلٍ ما دمتُ حيًّا * مُسِرًّا من تذكُّرِها هُيَاما
تُرجِّيها وقـــد شَحطت نواها * ومنّتْكَ المُـنَى عاما فعاما
خَدَبلّـــةٌ لها كَفَلٌ وثِير * ينــوءُ بها إذا قامت قِياما
مُخَصَّرةٌ ترى فى الكَشْحِ منها * على تثقيل أسفلِها ٱنهضاما
إذا ٱبتسمت تلألأ ضوءُ برق * تهــلّل فى الدُّجُنّـــة ثم دَاما
وإن قامت تأمّل رائياها * غمامة صيِّفٍ ولجت غماما (٦)

(١) الخدبلة : الممتلئة الذراعين والساقين . وترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والخُصَــل : جمع خُصلة ، وهى اللفيفة من الشعر . والسُّخام : اللين الحسن والأسود .

(٢) الغرام : العذاب . وصدر البيت فى ح : « أيا قلبى فما تهوى سواها » .

(٣) زيادة عن ف .

(٤) ورد هذا الشطر فى أكثر النسخ عجزا للبيت السابق وفيه تحريف . والتصويب عن نسخة ف .

(٥) الثغام كسحاب : نبت ، ويقال أثغم الرأس إذا صار كالثغامة بياضا .

(٦) الصيف : المطر الذى يجىء صيفا .

إذا تمشى تقولُ دبيبُ أَيْمٍ (١) * تعرَّجَ ساعةً ثم ٱستقاما

وإن جلست فدُمْيةُ بيتِ عيدٍ * تُصانُ ولا تُرى إلا لِماما

فلو أشكو الذى أشكو إليها * إلى حجرٍ لراجعنى الكلاما

أُحبُّ دُنُوَّها وتُحِبُّ نأيى * وتعتامُ التنائىَ (٢) لى ٱعتياما

كأنى من تذكُّرِ أم بكرٍ * جريحُ أَسِنَّةٍ يشكو كِلاما ٥

تَساقَطُ أنفُسا نَفْسِى عليها * إذا شَحَطت (٣) وتغتمّ ٱغتماما

غشيتُ لها منازلَ مقفراتٍ * عفتْ إلا الأياصرَ (٤) والثُّماما

ونُؤْيا (٥) قد تهدّم جانباه * ومبناها بذى سلمٍ خِياما

صِلينى واعلمى أنى كريمٌ * وأنّ حلاوتى خُلِطت عُراما (٦)

وأنى ذو مُجامحةٍ صَليبٌ * خُلِقت لمن يماكِسنى (٧) لِجاما ١٠

فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى * تُجاوِبَ هامتى فى القبر هاما (٨)

شعر آخر له فى امرأته يمدح فيه حوشبا الشيبانى

والقصيدة التى فيها الغناء المذكور فى أوّل خبر المتوكل يقولها أيضا فى ٱمرأته هذه ويمدح فيها حَوْشَبا الشَّيبانىّ، ويقول فيها : ٤١ / ١١

إذا وعدَتْكَ معروفا لَوَتْه * وعَجّلت التّجرُّمَ (٩) والمِطالا

لها بشرٌ نقىّ اللون صافٍ * ومتنٌ حُطَّ (١٠) فٱعتدل ٱعتدالا ١٥

(١) كذا فى ف . وفى ط ، ب ، م : «دبيب سيل» . وفى سائر النسخ : «دبيب شول» . والأيم : الحية .

(٢) فى ف : «وتعتام التباعد» . وتعتام : تختار . (٣) شحطت : بعدت . (٤) الأياصر : جمع أيصر، وهو وتد الطنب، أو حبل صغير يشد به أسفل الخباء . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حشى وسد به خصاص البيوت . (٥) النؤى : الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل . فى ف : «بذى السلم الخياما» . وفى ط ، م : «تهدم جانباها» . (٦) عراما : شراسة وأذى . وفى س ، ح : «عزاما» . (٢٠) (٧) يماكسنى : يشاكسنى . وفى ف : «يشاكسنى» .

(٨) الهامة : الرأس . والهام : جمع هامة ، وهى طائر يزعمون أنه يخرج من رأس القتيل فيظل يصيح : اسقونى اسقونى، حتى يؤخذ بثأره . (٩) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم .

(١٠) يقال : جارية محطوطة المتن ؛ أى ممدودة .

إذا تمشى تأوّدَ جانباها * وكاد الخصر ينخزل انخزالا[1]

تنوء بها روادفها إذا ما * وُشاحاها على المتْنين جالا[2]

فإن تصبح أميمةُ قد تولّتْ * وعاد الوصل صرْما واعتلالا

فقد تدنو النوى بعد اغتراب * بها وتفرّقُ الحىَّ الحِلالا[3]

تُعبِّسُ لى أميمة بُعد أُنس * فما أدرى أسخطا أم دلالا ٥

أبينى لى فربّ أخ مصافٍ * رزئتُ وما أحِب به بِدالا[4]

أصرمٌ منكِ هذا أم دلال * فقد عَنَّى الدلال إذًا وطالا[5]

أم استبدلتِ بى وملِلتِ وصلى * فبُوحى لِى به ودعى المِحالا[6]

فلا وأبيكِ ما أهوى خليلا * أقاتله علىَ وصلِى قتالا

وكم من كاشح يا أمّ بكرٍ * من البغضاء يأتكل ائتكالا ١٠

لبستُ على قناعٍ من أذاه * ولولا اللهُ كنتُ له نَكالا[7]

ومما يغنى به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذى حُدِّثتَ عنه * عِتاق الطير تنْدَخل اندخالا[8]

رأيت الغانياتِ صدفْن لما * رأين الشيبَ قد شَمل القَذالا ١٥

فلم يُلووا إذا رحلوا ولكن * تولّت عِيرُهم بهمُ عِجالا[9]

---

(١) تأود : انعطف . وينخزل : ينقطع . (٢) فى ف : « روادفها تنوء بها إذا ما » . والوشاح ينسج من أديم عريضا ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . (٣) النوى : البعد ، وهى مؤنثة . الحلال : القوم الذين يحلون موضعا وفيهم كثرة . (٤) المصافى : المخاص . (٥) عنى ، من العناء : وهو التعب والنصب . (٦) المحال : الكيد والمكر . (٧) لم يذكر هذا البيت فى حـ . (٨) عتاق الطير : جوارحها . (٩) فى ف : « وقد رحلوا » . ٢٠

غنّى فيه عمر الوادىّ خفيفَ رمل عن الهشامىّ . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحرِز ثانى ثقيل بالوسطى، وأحسبه مضافا إلى لحنه الذى فى أوّل القصيدة .

وقال الطوسى قال أبو عمرو الشيبانى :

هجاء معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر

هجا معنُ بن حمل بن جَعونة (١) بن وهب، أحد بنى لقيط بن يَعمر المتوكل بن عبد الله الليثى؛ وبلغ ذلك المتوكل، فترفع عن أن يجيبه، ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بنى الديل هجاء قَذِعا استحيا منه وندم، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية :

خليلىّ عُوجا اليومَ وانتظرانى * فإن الهوى والهمَّ أمُّ أبانِ
هى الشمسُ يدنو لى قريبا بعيدُها * أرى الشمس ما أسْطيعُها وترانى
نأت بعد قربٍ دارُها وتبدّلت * بنا بَدَلا والدهرُ ذو حَدَثانِ
فهاج الهوى والشوقَ لى ذكْرُ حُرّةٍ * من المرْجَحِنّات (٢) الثقالِ حَصانِ

غنى فى هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنسه (٣) :

سيعلم قومى أننى كنتُ سُورةً * من المجد إنْ داعى المنون دَعانى
ألا ربّ مسرورٍ بموتىَ لو أتى (٤) * وآخرَ لو أُنْعى له لبَكانى
خَليلىّ ما لاَمَ امرأً مثلُ نفسه * إذا هى لامت فاربَعَا (٥) ودعانى
ندمتُ على شتمِى العشيرةَ بعد ما * تغنّى (٦) بها غورِى وحنّ يمانى

---

(١) فى ف : « معونة » . (٢) مرجحنات : جمع مرجحنة، وهى المرأة السمينة . حصان : عفيفة . (٣) فى ف : «ولم يجنسه يقول فيها» . (٤) فى ف : «إذ أتى» .
(٥) اربعا : توقفا وكفا وارفقا . (٦) كذا فى ط ، وفيه تخفيف المشدد ثم إسكانه . وفى ب، س، حـ : « عود » ، وفى ف :
« ... ... بعدما * حدا بالقوافى مشئم ويمانى » .

قلبت لهم ظهرَ المِجَنّ وليتنى * رجعتُ بفضلٍ من يدى ولسانى

على أننى لم أرمِ فى الشعرِ مسلما * ولم أهجُ إلا من روى وهجانى [1]

هُمُ بَطِروا الحلمَ الذى من سجيّتى * فبدّلت قومى شدّةً بليانِ [2]

ولو شئتُمُ أولادَ وهبٍ نزعتُمُ * ونحنُ جميعٌ شملُنا أخوانِ

نهيتُمْ أخاكم عن هجائى وقد مضى * له بعد حول كاملٍ سنتان

فلجّ ومنّاه رجالٌ رأيتُهُم * إذا قارنونى [3] يكرهون قِرانى

وكنتُ امرأً يأبى لىَ الضيمَ أننى * صَرومٌ إذا الأمرُ المهمُّ عنانى [4]

وَصُولٌ صرومٌ لا أقول لمُدْبرٍ * هلمَّ إذا ما اغتشّنى وعصانى

خليلىّ لو كنتُ امرأً بى سقطةٌ * تضعضعْتُ أو زلّتْ بىَ القدمان

أعيش على بَغْىِ العُداةِ ورغمِهم * وآتى الذى أهوى على الشنآن

ولكنّنى ثَبْتُ المَريرة حازمٌ * إذا صاح طُلّابى ملأتُ عِنانى [5]

خليلىّ كم من كاشحٍ قد رميته * بقافيةٍ مشهورةٍ ورمانى

فكان كذات الحيض لم تُبْقِ ماءها * ولم تُنْقِ عنها غُسْلَها لأوان [6]

ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حنّت إليك مطيّتى * على بعد مُنْتاب وهَوْل جَنان

أبا خالد فى الأرض نأىٌ ومَفْسَح * لذى مِرّة [7] يُرمى به الرَّجَوان [8]

فكيفَ ينام الليلَ حرٌّ عطاؤه * ثلاثٌ لرأس الحولِ أو مائتان

---

(١) فى حـ : «ولا أهج إلا من ذوى وهجانى» . (٢) بطروا : كرهوا . (٣) كذا فى ف . وفى سائر النسخ : « صارمونى» . (٤) فى حـ : «دعانى» . (٥) فى ف : «جازم * إذا ماج» .

(٦) كذا فى أكثر الأصول ، وفى جـ : «لم يبق ماؤها * ولم يبق عنها» (٧) كذا فى حـ ، وفى سائر الأصول : «بذى مرة» . (٨) الرجا : ناحية كل شىء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، و يرمى به الرجوان ؛ أى استهين به ؛ فكأنه يرمى به هنالك و يطرح فى المهالك . انظر اللسان (رجا) .

تناهتْ قَلُوصى بعد إِسْآدِىَ السُّرى * إلى ملكٍ جزلِ العطاءِ هِجانِ (١)

ترى النـاس أفواجا ينوبون بابَه * لِبكرٍ من الحاجاتِ أو لعوانِ (٢)

معن أجابه مفتخرا

فأجابه مَعْن بن حَمَلٍ فقال :

ندِمتَ كذاك العبدُ يندم بعد ما * غُلِبتَ وسار الشعر كلَّ مكانِ

ولاقيْت قَرْما فى أُرُومةِ ماجدٍ * كريما عزيزا دائمَ الخطَرانِ (٣)

أنا الشاعر المعروف وجْهى ونسبتى * أَعَفُّ وتحميــنى يدى ولسانى

وأغلِبُ من هاجيتُ عفوا وأنتمى * إلى معشرٍ بِيضِ الوجوه حِسانِ (٤)

فهاتِ إذًا يابنَ الأتان كصاحبِ الـ * ـملوك أبِى ، أسيِّد كَهُمانِ !

فهاتِ كزيدٍ أو كَسَيْحانَ لا تجدْ * لهمْ كفُوًا أو يُبْعثَ الثقلانِ

هو وعكرمة بن ربعى

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا العتبىّ (٥) عن العباس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال :

٤٣/١١

أتى المتوكل الليثى عِكرمةَ بن رِبعىّ الذى يقال له الفياض ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفْتُه . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : حرمنى على رءوس الناس ويبعث إلىّ سرا .

نسيبه بحسناء وهو يعانى الرمد وهجاؤه عكرمة

فبينا المتوكل بالحيرة وقد رمِد رمَدا شديدا ، فمرّ به قَسٌّ منهم فقال : مالك ؟ قال : رمِدتُ . قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذَرّه (٦) ، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلْقٍ على ظهره ، يفكر فى هجاء عِكرمة — وذلك غير مطَّرِدٍ له ولا القولُ فى معناه — إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج إليها ، فسَفَرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً (٧)

(١) الإسآد : الإسراع فى السير . والسرى : السير آخر الليل . والهجان : الرجل الحسيب .
(٢) فى ح : «غير عوان» . (٣) القرم من الرجال : السيد المعظم . (٤) فى م ، ط ، ب ، س : « وانتمى » . (٥) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « العكلى » . (٦) الذر : طرح الذرور فى العين ، وهو الكحل ونحوه . (٧) فى ف : « فإذا الشمس حسنا » .

حُسْنا، فقال لها : ما اسمكِ ؟ قالت : أُمَيْمة. قال : فمن أنتِ؟ فلم تخبره. قال : فما حاجتكِ؟ قالت : بلغنى أنك شاعر فأحببت أن تنسب بى فى شعرك. فقال : أسفِرى . ففعلت فكرّ[1] طرفه فى وجهها مُصعِّدا ومصوِّبا، ثم تلثّمت وولّت عنه، فاطّرد له القولُ الذى كان استصعَبَ عليه فى هجاء عِكرمة وٱفتتحه بالنسيب فقال :

٥ أَجَدَّ اليومَ جيرتُكَ ٱحتمالا * وحثَّ حُداتُهم بِهِمُ الجِمالا[2]

وفى الأظعان آنِسةٌ لَعُوبٌ * ترى قتْلِى بغير دمٍ حَلالا[3]

أُمَيْمةُ يومَ دَيْرِ القَسِّ ضنَّت * علينا أن تُنوِّلنا نَوالا

أبِينى لى فربَّ أخٍ مصافٍ * رُزِئْتُ وما أحب به بِدالا

وقال فيها يهجو عِكرمة :

١٠ أقلنى يا ٱبنَ رِبعىّ ثنائى * وهبْها مِدحة ذهبت ضَلالا

وهبْها مِدحة لم تُغنِ شيئا * وقولاً عاد أكثرُه وَبالا

وجدنا العِزَّ من أولاد بكرٍ * إلى الذُّهْلَين يرجِع والفعالا[4]

أعكرِمَ كنتُ كالمبتاع دارًا[5] * رأى بيْعَ الندامةِ فٱستقالا

بنُو شيْبَان أكرمُ آل بكرٍ * وأمتَنُهم إذا عقدوا حِبالا

١٥ رجال أُعطِيتْ أحلامَ عادٍ * إذا نطقوا وأيدِيَها الطوالا

وتيمُ اللهِ حىٌّ حىُّ صِدقٍ * ولكنّ الرَّحَى تعلو الثِّفالا[6]

---

(١) كذا فى ف، ط . وفى سائر النسخ : « فكر » . (٢) فى ف : « عجالا » .

(٣) فى ف، حـ : « كعوب » . (٤) كذا فى ب، س، حـ . وفى ف، ط : « الغر » .

(٥) كذا فى ف، وهو الصواب . وفى سائر النسخ : « داء » .

٢٠ (٦) الثفال : ما وقيت به الرحى من الأرض .

صـــــوت

سـقى دِمنتين لم نجِـد لهما أهلا * بحقلٍ لكم يا عزّ قـد رابنى حَقْلا [(١)]

فياعزّ إن واشٍ وشى بىَ عنـدكم * فلا تُكرِميه أنـ تقولى له مهلا

كما نحن لو واشٍ وشى بِك عندنا * لقلنـا تزحزحْ لا قريبـا ولا سَهْلا

ألم يأْن لى ياقلبِ أن أترك الجهلا * وأن يُحدِث الشيبُ الملِمُّ لىَ العقْلا ٥

على حينَ صار الرأس منّى كأنمـا * علت فوقه [(٢)] ندّافةُ العُطُبِ الغـزْلَا

عروضه من الطويل . الدِّمَن : آثار الديار ، واحدتها دِمنة . والحقل : الأرض التى يزرع فيها . والعُطُب هو القطن .

الشعر لكثيِّر كلّه إلا البيت الأوّل فإنه آنتحله ، وهو للأفوه الأوْدِىّ . والغناء لأبن سريج ثانى ثقيـلٍ بالوسطى عن الهشامىّ فى الثلاثة الأبيات الأُوَل متوالية . ١٠

وذكر حبش أنه [(٣)] لمعبـد . وفى الرابع والخامس والثانى والثالث لحنين ثقيل أوّل بالسّبابة فى مجرى البنصر عن اسحاق ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر [(٤)] ؛ ذكر ابن المكىّ أنه لمعبد ، وذكر الهشامى أنه من منحول [(٥)] يحيى المكىّ .

٤٤ / ١١

(١) نسب ياقوت هذا البيت لكثير وقال : « حقل مكان دون أيلة بستة عشر ميلا كان لعزة صاحبة كثير فيه بستان » . وروايته : « قد زانتا » . (٢) كذا فى الأصول . والبيت لم يرد فى ف . ١٥

(٣) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « إنها » . (٤) فى ف : « الوسطى » .

(٥) فى س ، ط : « أنه منحول » .

نسب الأَفْوَه الأوديّ وشيء من أخباره

نســبه

الأفوه لقب، وآسمه صَلاءة[(١)] بن عمرو بن مالك بنِ عوف بنِ الحارث بن عوف ابنِ منبِّه بن أَوْد بن الصعب[(٢)] بن سعد العشيرة . وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء؛ وفى ذلك يقول الأفوه :

أبى فارسُ الشوهاء[(٣)] عمرو بن مالكٍ * غــداة الوغى إذ مال بالجـد عاثِر

كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا ابن أبى سعد عن علىّ بن الصَّباح[(٤)] عن هشام بن محمد الكلبىّ عن أبيه قال :

كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية، وكان سـيد قومه وقائدَهم فى حروبهم، وكانوا يصدُرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّ داليّته ؛

معاشر ما بنــوا مجــدا لقومهمُ * وإن بنى غيرُهم ما أفسدوا عادوا[(٥)]

أبياته التى أخذ منها كثير بيتا

من حكمة العــرب وآدابها[(٦)] . فأمّا البيت الذى أخذه كثيّر من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التى ذكرناها وفيها الغناء آنفا فإنّه من قصيدة يقول فيها :

نُقــاتِل أقواما فنسْبِى نساءَهم * ولم يرَ ذو عِزٍّ لِنسوتنا حِجْــلا[(٧)]

نقود ونأبى أن نُقاد ولا نرى * لقومٍ علينــا فى مُكارَمةٍ فضلا

وإنا بِطــاء المشى عند نسائنا * كما قَيَّدتْ[(٨)] بالصَّيف نَجْدِيَّةٌ بُزْلا

(١) فى ف : «كما قدت» . (٢) فى ف، ب، حـ : «صلاة» . وفى س : «صلات» .
(٣) فى ف : «بن صعب» . (٤) الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة .
(٥) فى ب، س، حـ : «الهشامى» . (٦) فى حـ : «يا معاشر لم يبنوا» . وفى ف :

لنــا معاشر لم يبنـــوا لقومهـــم * وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

(٧) من أوّل نسب الأفوه حتى هذه الكلمة لم يرد فى نسخة ط .
(٨) الحجل، بالكسر : الخلخال .

نظل غَيارَى عند كل سَتيرةٍ * تُقلِّب جِيدا واضحا وشَوًى عَبْلا [1]

وإنا لنعطِى المالَ دون دمائنا * ونأبى فما نَستام دون دمٍ عقلا [2]

سبب هذه الأبيات

قال أبو عمرو الشَّيبانى: قال الأفوه الأودِىّ هذه الأبياتَ يفخر بها على قومٍ من بنى عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم دِياتِ مَنْ قتِل فضلا على قتلى قومه، فقبِلوا وصالحوه.

بنو أود وبنو عامر

وقال أبو عمرو [3]: أغارت بنو أود — وقد جمعها الأفوه — على بنى عامر، فمرض الأفوه مرضا شديدا، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودىّ وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقِى بنى عامر بتُضَارِع [4]، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، فلما آلتقوا عرف بعضهم بعضا، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود — وقد أصابوا منهم رجلين —: لا والله حتى نأخذ بطائلتنا [5]. فقام أخو المقتول، وهو رجل من بنى كعب بن أود فقال: يا بنى أوْد، والله لتأخُذُنّ بطائلتى أو لأنحين على سيفى. فاقتتلت أود وبنو عامر، فظفرت أود وأصابت مغنما كثيرا. فقال الأفوه فى ذلك:

صـــوت

ألا يالهف لو شهدتْ قناتى * قبائلَ عامرٍ يوم الصبيب

غداة تجمعت كعبٌ إلينا * حلائبَ بين أفناء الحروب [6]

فلما أن رأوْنا فى وَغَاها * كآساد الغَريفة والجَبيب [7]

---

(١) الستيرة: المرأة المستورة. الشوى: اليدان. العبل: الممتلىء التام الخلق.

(٢) العقل: الدية. (٣) من هذه الكلمة حتى البيت الثانى من الصفحة التالية لم يرد فى ط.

(٤) هذه الكلمة ساقطة من جميع الأصول عدا س، ب، وفيهما «يتصارعون» تحريف. وتضارع: موضع بالحجاز ذكره الأفوه فى بيت من الأبيات المذكورة، قال:

وجرد جمعها بيضا خفافا * على جنبى تضارع فاللهيب

وانظر اللسان (لهب) وياقوت (اللهيب).

(٥) الطائلة: الثأر والوتر. (٦) كذا فى ف، وفى سائر النسخ: «بين أبناء الحريب». والحلائب: الجماعات، والأفناء: الأخلاط. (٧) ورد هذا البيت فى ف. والغريفة: الأجمة. والجبيب: موضع.

٤٥ / ١١

تداعَوْا ثم مالُــوا عن ذراها * كفعل الخامعات من الوجيب[1]
وطاروا كالنَّعــام ببــطن قَوٍّ * مُــواءلَةً على حــذر الرقيبِ[2]

صــــوت

كأن لم تَرَىْ قبلى أسيرا مُكَبَّلا * ولا رَجُلا يرمَى به الرَّجَوانِ[3]
كأنى جوادٌ ضَمَّه القيدُ بعدما * جرى سابقا فى حَلبــةٍ ورهان ٥

الشعر لرجل من لُصوص بنى تميم يعرف بأبى النَّشْنَاش، والغناء لابن جامع ثانى ثقيلٍ بالبنصر من روايتَى علىّ بن يحيى والهشامىّ .

*
* *

النشناش واعتراضه القــوافل وهربه بعد الظفر به، وما كان بينــه و بين اللهــبى

أخبرنى علىّ بن سـليمان الأخفشُ قال حدّثنا أبو سـعيد السكرىّ عن محمــد ابن حبيب قال : ١٠

كان أبو النَّشناش من مَلَاصِّ[4] بنى تميم، وكان يعترض القوافل فى شُذّاذٍ من العــرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها . فظفِر به بعض عمــال مروان فحبسه وقيده مدّة، ثم أمكنه الهربُ فى وقت غِرّة فهرب، فمر بغرابٍ على بانةٍ ينتِف ريشه وينعَب، فجزِع من ذلك[5]. ثم مر بحىٍّ من لِهْبٍ فقال لهم : رجل كان فى بلاءٍ وشرّ وحبسٍ وضيقٍ فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئا، ونظر عن يساره ١٥ فرأى غرابا على شجرة بانٍ ينتِف ريشــه وينعب . فقال له اللِّهْبىّ : إن صدقت

(١) كذا فى ف . والخامعات : الضباع ؛ سميت بذلك لأنها تخمع فى مشيتها، أى تعرج، وهى موصوفة بالحمق والجبن . والوجيب : الخوف . وفى سائر الأصول : «كفعل معانت أمن الرجيب» .

(٢) كذا على الصواب فى ف، وفى سائر النسخ : «كالبغام» . و بطن قو موضع والمواءلة : طلب النجاة .

(٣) انظر التعليق (رقم ٨ ص ١٦٥) من هذا الجزء . (٤) ملاص : جمع ملصة (بفتح الميم)، ٢٠ وهو اسم جمع للص . (٥) فى ح : «فجزع من ذلك ثم نظر عن يمينه» .

الطير يُعاد إلى حبسه وقيده[١]، ويطول ذلك به، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر[٢] . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

وسائلةٍ أين ٱرتحالى[٣] وسائلٍ * ومن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهِبُهْ!

مذاهبه أنّ الفِجاج عريضةٌ * إذا ضنّ عنه بالنَّوال أقاربُه

إذا المرءُ لم يسرحْ سَوَاما ولم يُرِح * سَواما ولم يبسُط له الوجهَ صاحبه[٤]

فَلَلموْت خيرٌ للفتى من قُعُوده * عديما ومن مولًى تُعاف مشاربُه[٥]

ودَوِّيّةٍ[٦] قفـرٍ تَحارُ بها القطا * سرَت بأبى النَّشْناش فيها ركائبُهُ

لِيُدرِكَ ثأرا أو ليكْسِب مغْنَما * ألا إنّ هذا الدهرَ تترى عجائبه

فلم أر مثلَ الفقرِ ضاجَعه الفتى * ولا كسواد الليل أخفق طالبُه

فعِش مُعذِرا[٧] أو مت كريما فإننى * أرى الموت لا يبقِى على من يطالبه

صوت

أصادرةٌ حُجّاج كعبٍ ومالكٍ * على كل فتلاء الذراعين[٨] محنِق

أقام قناة الودّ بينى وبينه[٩] * وفارقنى عن شيمة لم ترنّق

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف، وهو ضدّ الوارِد، وأصله من ورودِ الماء والصَّدَرِ عنه، ثم يقال لكل مقبِلٍ إلى موضع ومنصرِف عنه . وكعب : من خزاعة .

---

(١) فى ف : « فقال له اللهبي : يؤخذ فيعاد » . (٢) فى ف : « بفيك التراب » .

(٣) فى حـ ، ب : « ارتحال » . (٤) فى ف : « ولم يرح * إليه » .

(٥) فى ف : « من حياته * فقيرا » . وفى جـ : « تدب عقاربه » . (٦) الدوية : المفازة ، وفى ف : « ونائيــة الأرجاء طامسة الصوى » . (٧) المعــذر : الذى له عذر . وفى حـ : « مقترا » . (٨) فى أكثر الأصول : « الذراع » . وقد أثبتنا رواية ف ، حـ .

(٩) فى حـ : « أقيم قناة » .

ومالكِ : يعنى مالك بن النضر بن كِنانة . وكان كثير ينتمى[1] وينمى خزاعة إليهم .
ومحنِق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنّق : تكدر . والرَّنَق : الكدر .

الشعر لكثيِّر عزّة يرثى خَنْدقًا الأسدىّ ، والغناء للهذلىّ ثانى ثقيلٍ بالخنصر فى مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وفى الثانى من البيتين ثم الأوّل لِسياطٍ رملٌ بالبِنصر عنه وعن الهِشامىّ وعمرو . وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنسه . وفى رواية حماد عن أبيه أنّ لحن الهذلى من الثقيل الأوّل ، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثانى لمعبد . وذكر أحمد بن عبيد أن الذى صح فيه ثقيل أوّل أو ثانى ثقيلٍ .

٤٦
―
١١

(١) فى ف : « كان كثير ينتمى إليهم » .

خبر كثيّر وخَنْدَقٍ الأسدىّ

الذى من أجله قال هذا الشعر

كانا يقولان بالرجعة

حدّثنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنى محمد بن حبيب. وأخبرنى وكيع قال حدّثنا علىّ بن محمد النوفلىّ عن أبيه. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة عن ابن داحةَ، قالوا :

كان خَنْدَق بنُ مرة الأسدىّ — هكذا قال النوفلىّ. وغيره يقول : خندق ابن بدر — صديقا لكثيّر، وكانا يقولان بالرجعة[1]، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع. فقال خندق : لو وجدت من يضمن لى عِيالى بعدى لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلم، وظلم الناس لهم وغَصْبَهم إياهم على حقهم، ودعوت إليهم وتبرأت من أبى بكر وعمر. فضمِن كثيّر عِياله، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما.

قال عمر بن شبة فى خبره فقال : أيها الناس إنكم على غير حق، قد تركتم أهل بيت نبيكم، والحقّ لهم وهم الأئمة — ولم يقل إنه سب أحدا — فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه. ودفن خندق بِقَنَوْنَى[2]. فقال إذ ذاك كثيّر يرثيه :

أصادِرة حُجّاج كعبٍ ومالكٍ * على كل عَجْلَى ضامرِ البطن مُحْنِقِ[3]

بمرثيــةٍ فيهــا ثنــاء مُحَــبَّرٌ * لأزهرَ من أولاد مرة مُعْــرِق

كأنّ أخاه فى النوائب مُلْجَأً * إلى علمٍ من ركن قُدْسَ المُنطَّقِ[4]

ينــال رجالاً نفعــه وهْو منهــمُ * بعيدٌ كعَيُّوق[5] الثريّا المعلّقِ[6]

(١) بعده فى ف : «وكانا خَشَبيَّين جميعا». وفى حـ : «وكانا حسنيين». (٢) قنونى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة. (٣) فى ف : «على كل فتلاء الذراعين محنق». عجلى : مسرعة. (٤) قدس : جبل عظيم بنجد. والمنطق : المرتفع. (٥) العيوق : نجم أحمر مضىء فى أطراف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها. (٦) فى ف : «المحلق».

تقول ابنة الضَّمرىّ مالكَ شاحبا * ولونُك مصفرٌّ وإن لم تَخَلَّقِ (١)

فقلت لها لا تعجبى، من يَمُتْ له * أخٌ كأبى بدرٍ وجَدُّك يُشْفِقِ (٢)

وأمرٍ يَهُمُّ الناسَ غِبُّ نِتَاجِه * كفَيْتَ وكَرْبٍ بالدواهى مطرِّقِ (٣)

كشفتَ أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا * وعضّت ملاقى أمرهم بالمخنَّقِ (٤)

وخَصمٍ أبا بدرٍ ألدَّ أبَتَّه * على مثل طعم الحنظل المتفلِّقِ (٥)

جزى الله خيرا خَندقا من مكافئٍ * وصاحبِ صدقٍ ذى حفاظٍ ومَصْدَقِ

أقام قناةَ الودّ بينى وبينه * وفارقنى عن شيمةٍ لم تُرنَّقِ

حلفتُ – على أن قد أجنّتْكَ حفرةٌ * ببطن قَنُونَى – لو نعيش فنلتقِى (٦)

لألفيتنى بالوُدّ بعدك دائما * على عهدنا إذ نحن لم نتفرّقِ

إذا ما غدا يهتزّ للمجد والنّدى * أشمّ كغصن البانة المتورّقِ

وإنى لجازٍ بالذى كان بيننا * بنى أسدٍ رهط ابنِ مرة خَنْدَقِ

كثير وإنكار الطفيل انتسابه إلى كنانة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة (٧):

إن كثيّرا لما انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحَزِين الدِّيلىّ من المُواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطُّفيلَ بن عامر بن واثلةَ وهو بالكوفة، فأنكر أمر كثيّر وانتسابَه إلى كِنانة وتصييرَه خُزاعةَ منهم، وما فعله الحزين. فحلف لئن رأى كثيّرا ليضربنه

(١) فى جـ: «حاشبا». وتخلق: تطيب بالخلوق، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أكثر أجزائه من الزعفران. (٢) يشفق: يجزع، وفى ط: «يسبق». وفى ف: «يشتق». (٣) مطرق؛ من قولهم طرقت القطاة: حان خروج بيضها. (٤) المخنق: موضع حبل الخنق من العنق. (٥) أبته: الفعل أصله أبات ثم أسند إلى تاء المخاطب، يقال: أباتك الله إباتة حسنة. (٦) فى جـ: «عهدت». (٧) فى ف: «ابن عبد العزيز الجوهرى».

٤٧ / ١١

بالسيف أو ليطعننه بالرمح، فكلمه فيه خندق الأسدىّ — وكان صديقا له ولكثير — فوهبه له، وآجتمعا بمكة فجلسا مع آبن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفّيت لك بيمينى . فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته :

ونال رجالا نفعُــهُ وهو منهــمُ * بعيــدٌ كعيّوق الثريا المعــلق[1]

وذكر باقى الأبيات .

نسيبه بعزة

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العــلاء قال حدّثنــا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمد آبن إسماعيل[2] قال حدّثنى حُميــدُ بن عبد الرحمن أحد بنى عِتــوارة بن جُدَىّ قال :

كان كثيرّ قد سلّطه الله يَنْسِبُ بعزّةَ بنتِ عبد الله، أحدِ بنى حاجب بن عبد الله آبن غِفار[3]. قال: وكان نسوانهم قد لَقِينَها وهى سائرة فى نسائهم فى الجلاء[4]، فى عام أصابت أهلَ تِهامةَ فيه حَطْمةٌ شديدةٌ، وكانت عزّة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن[5]، ولا والله ما رأى لها وجها قطُّ، إلا أنه استُهيم بها قلبُه لمـا ذُكر له عنها. فلقيه رجال من الحى لمـا بلغهم ذلك عنه، فقالوا له : إنك قد شهرْتَ نفسك[6] وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال: فإنى لا أذكرها بما تكرهون. فخرجوا جالِينَ إلى مصرَ فى أعوام الجلاء، فتبعهم على راحلته فزجروه، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه، فجلس له فِتيةٌ من جُدَىّ، قال: وكان بنو ضَمْرةَ كلّهم يهونُ عليهم نسيبُه لمـا يعرفون من براءتها، إلا ما كان من بنى جدىّ فإنهــم[7] كانوا صُمْعا غُيُرا[8]. فقعد له عون، أحد بنى جدىّ فى تسعة نفر على مَحَالج[9]، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار

(١) فى ح ، ط ، ف : « المحلق » . (٢) لم يذكر محمد بن إسماعيل فى ح .
(٣) فى ح : «أحد بنى حاجب من بنى غفار» . (٤) فى بعض الأصول : «الحلاس» ، وصوابه فى ف . (٥) فى ح ، ط : «من أجمل نساء وآدبه وأعقله» . وفى ف : « من أجمل نساء الناس » . (٦) فى ح : «شهرت نفسك فاكفف» . (٧) ما بعده إلى «عون» ساقط من ف . (٨) صمع : ذوو حزم . غير : جمع غيور . (٩) فى ف : « مخالج» وفى ط : « محالج » . والمحالج : جمع محلج كمنبر ، وهو الخفيف من الحمر .

كانوا يعرفونها من النهار، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه، ثم أوثقوا بطن الحمار، فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوا عنه، فاجتاز به خندق الأسدىّ، فسمع استغاثته — وهو خَنْدق بن بدر — فعدل إلى الصوت حين سمعه، فوجد فى الجيفة إنسانا، فسأله مَنْ هو وما خبره؟ فأخبره. فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده. فقال كُثَيِّر فى ذلك — قال الزبيرُ أنشدنيها عُمر بن أبى بكر المؤمّلىّ عن عبدالله بن أبى عبيدة معْمَر بن المثنّى —

٥

أصادرةٌ حُجّاجُ كعبٍ ومالكٍ * على كلّ فتْلاءِ الذراعين مُحْنِقِ

وذكر القصيدة كلّها على ما مضت.

أخبرنى الحرَمىّ[1] بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبيرُ قال حدّثنا عمر بن أبى بكر المؤمّلى عن أبى عبيدة قال:

خَنْدقٌ الأسدىّ هو الذى أدخل كُثيِّرا فى مذهب الخَشَبيّة[2].

١٠

كثير يرثى خندقا حين قتل بعرفة

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا محمد بن حبيب قال:

لما قُتل خَنْدقٌ الأسدىّ بعرفةَ رثاه كُثيِّر فقال:

شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادى * بغير مَشُورةٍ عَرَضًا فؤادى

أغاضرُ لَوْ شهدتِ غداة بِنْتم * حُنُوَّ العائداتِ على وِسادى[3]

أويتِ لعاشقٍ لم تَشْكُميه * نوافذُه[4] تَلَذّع بالزّناد

١٥

ويومَ الخيلِ قد سفَرت وكفّت * رداءَ العَصْب عن رَتَلٍ بُرادِ[5]

(١) فى ط، ف: «الحرمى قال». (٢) الخشبية: قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم، وإن القرآن مخلوق. وقال ابن الأثير: هم أصحاب المختار بن أبى عبيد. ويقال: هم ضرب من الشيعة، سموا بذلك لأنهم حفظوا خشبة زيد بن على حين صلب. انظر شرح القاموس (مادة خشب).

(٣) فى حـ: «جنوء العائدات». (٤) أويت: رثيت وأشفقت. لم تشكميه: لم تجازيه. النوافذ: الفم وثقبا الأذنين والأنف. وفى الديوان: «جوانحه».

٢٠

(٥) البراد: البارد. وفى ف: «رداء العضب».

— الرَّتِل : الثغر المستوى النبت[1] —

وعن نجلاءَ تَدْمع[2] فى بيـاضٍ * إذا دَمعت وتنظُر فى سـوادِ

وعن متكاوِسٍ فى العَقْص جَثْلٍ * أثِيثِ النبتِ ذى عُذَرٍ جِعـادِ[3]

وغاضِرةُ الغـداةَ و إن نَأَتْنـا * وأصبح دونهـا قُطرُ البِـلادِ

أحبُّ ظعينةٍ وبنـاتُ نفْسِى * إليها لو بَلِلْن بهـا صَـوادِى[4]

ومِنْ دونِ الذى أمّلت وُدًّا[5] * ولو طالبتُهـا خَرْطُ القَتـادِ

وقال الناصحون تحلَّ منها * ببذلٍ قبْـلَ شيمتها الجمـادِ

— تحَلَّ : أصِب . يقال : ما حَلِيت من فلان بشىءٍ ولا تحلّيت منه بشىء ، ومنه حُلوان الكاهن والراقى وما أشبه ذلك[6] —

فقـد وعدَتْك لو أقبلتَ وُدًّا * فلجَّ بك التـدلُّل فى تَعَـادِ[7]

فأسررتَ النـدامةَ يوم نادَى * بردّ جِمـال غاضِرةَ المُنَـادِى

تمـادى البعدُ دونهمُ فأمستْ * دموعُ العين لجّ بها التمـادِى

لقـد مُنِع الرقادُ فبِتُّ لَيْـلِى * تجـافينى الهمومُ عن الوِسـادِ

عَدَانى أن أزورَكِ غيرَ بُغضٍ * مُقامُكِ بين مُصْفِحةٍ شِـدادِ[8]

و إنى قائل إنْ لم أزره * سَقَتْ دِيَمُ السَّوارى والغوادِى

محـلَّ أخى بنى أسدٍ قَنَـوْنَى * فـا والى إلى بِرْكِ الغِمـادِ[9]

---

(١) لم ترد هذه العبارة فى ف . (٢) فى ف : « تلمع فى بياض » . (٣) المتكاوس : المتراكب . والجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والعذرة : الناصية ؛ وقيل : الخصلة من الشعر .

(٤) فى ط : « لو تلين لها » . (٥) فى ف : « أملت منها » . (٦) العبارة : «وما أشبه ذلك» ساقطة من حـ ، ف . (٧) فى ف : «فى بعاد» . والتمادى : التباعد .

(٨) المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القـبر . (٩) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر .

مقيم بالمجازة[1] من قنونَى * وأهلك بالأجيفر[2] والثماد

فلا تبعَدْ فكل فتًى سيأتى * عليه الموتُ يطرُق أو يغادِى

وكلُّ ذخيرةٍ لابدّ يوما * ولو بقيتْ تصير إلى نفادِ

يعزُّ علىّ أن نغدو جميعا * وتصبِحَ ثاويا رَهْنا بِوادِ

٥ فلو فُودِيتَ من حدَث المنايا * وقيتُك بالطَّريف وبالتِّلادِ

فى هذه القصيدة عدّة أصوات هذه نسبتها قد جُمعت .

صوت

أغاضرَ لو شهدتِ غداةَ بِنتم * حُنوَّ العائداتِ على وسادى

رثيتِ لعاشقٍ لم تشكُميه * نوافِذُه تَلذَّع بالزناد

١٠ عدانِى أن أزورَكِ غير بغضٍ * مقامك بين مُصفَحةٍ شِدادِ

فلا تبعَدْ فكل فتًى سيأتى * عليه الموت يطرُق أو يُغادِى

لمعبد فى البيتين الأوّلين لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو وآبن المكىّ والهشامىّ . وفيهما لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ وأحمد بن عُبَيد . وفيهما للغريض ثانى ثقيل عن ابن المكىّ . ومن الناس من يَنسُب لحن مالكٍ إلى ١٥ معبد أيضا . وفى الثالث والرابع لابن عائشة ثانى ثقيل مطلق فى مَجْرَى الوُسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما . و يقال : إن لآبن سُريج وآبن محرِزٍ وآبن جامعٍ فيهما ألحانا .

غاضِرةُ هذه التى ذكرها كثيّر مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد رُوِى فى ذكره إيّاها غير خبرٍ مختلف .

(١) المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . (٢) الأجيفر : موضع فى أسفل السبعان ٢٠ من بلاد قيس . والثماد : موضع فى ديار بنى تميم .

فأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلى قال حدّثنى عبد الله بن أبى عبيدة قال :

٤٩ / ١١

أم البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثير

حجّتْ أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروانَ فقالت لكثيِّر ووضّاح : آنسُبابى .
فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأما كثير فنسب بجاريتها غاضرةَ حيث يقول :

شجا أَظعانُ غاضرةَ الغوادِى * بغير مشورة عرضا فؤادى (١)

٥

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك (٢) ، فقتل وضّاحا ولم يجد على كُثَيِّر سبيلا (٣) .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهرِىّ عن مُحرِز بن جعفر عن أبيه عن بُدَيح قال :

قدِمتْ أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ــ وهى عند الوليد بن عبد الملك ــ حاجّة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثيّر ووضّاح أن آنسُبا بى (٤) . فنسب وضّاح بها ونسب كثيّر بجارِيتها غاضِرة فى شعره الذى يقول فيه :

١٠

* شجا أظعانُ غاضرة الغوادى *

قال : وكان معها جَوارٍ قد فتَنَّ الناسَ بالوَضاءة .

لابن قيس الرقيات فى أم البنين

قال بُديح : فلقيت عُبيد الله بن قيس الرقيّاتِ فقلتُ له : بمن نسبتَ من هذا القطِين (٥) ؟ فقال لى :

١٥

ما تصنعُ بالشرِّ * إذا لم تك مجنونا
إذا قاسيت ثِقْل الشـ * ـرّ حَسّاكَ الأمرِّينا (٦)
وقد هِجتَ بما قد قُلْـ * ـتَ أمرا كان مدفونا

(١) فى ا ، حـ ، ط ، م ، ف : «مشية» مسهل مشيئة . (٢) فى ف : «وكانت أم البنين زوجة» .
(٣) كذا فى حـ ، ف . وفى سائر النسخ : «ولم يجد لكثير سبيلا» . (٤) فى حـ ، ط ، م : «انسيابى» . (٥) القطين : الحشم والإماء . (٦) الأمرين ؛ بكسر الراء مشدّدة : الشر والأمر العظيم . حساه : سقاه إياه . وفى حـ : «حباك» .

٢٠

قال بُديح : ثم أخذ بيدى نخلا بى وقال لى : يا بديح ، آحفظ عنى ما أقول لك فإنك موضع أمانة ؛ وأنشدنى :

أصحوتَ عن أمّ البنيـ * ـن وذِكرِها وعَنائها
وهجرتَها هجرَ امرئٍ * لم يَقْلِ حمـلَ إخائها
٥ من خيفةِ الأعداء أن * يُوهُوا أديمَ صفائها
قُرشيّة كالشّمس أشـ * ـرقَ نورُها ببهائها
زادت على البِيضِ الحسا * نِ بحسنها ونقائها
لما آسْبكَرّت للشّبا * ب وقُنِّعت بردائها [1]
لم تلتفت لِلِداتها * ومضت على غُلَوائها

١٠ غنّى آبن عائشة فى الثلاثة الأبيات الأُوَل لحنا من الثقيل الأول عن الهشامىّ عن يحيى المكىّ . وفى الرابع وما بعده لحُنينٍ لحنان : أحدهما ثانى ثقيل بالبنصر ، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن آبنه وغيره . وغنى إبراهيم الموصلىّ فى الأربعة الأول لحنا آخرَ من الثقيل الأول وهو اللحن الذى فيه آستهلال . وذكر الهشامىّ أن الثقيل الثانى لآبن مُحرز .

قال : فقتل الوليد وضّاحا ولم يجد على كثيّر سبيلا . قال : وحجّت بعد ذلك ١٥ وقد تقدّم الوليد إليها وإلى من معها فى الحجاب ؛ فلقينى آبن قيس حيث خرجَتْ ولم تكلّم أحدا ولم يرها ، فقال لى : يا بُديح :

صـــوت

بان الخليطُ الذى به نثِـقُ * وآشـتد دون المليحة القَلَقُ [2]
من دون صفراء فى مفاصِلها * لِينٌ وفى بعض بطْشها خُرُقُ
٢٠ إن خَتَمت جاز طينُ خاتَمها * كما تجـوز العَبْدِيّةُ العُتُقُ [3]

٥٠/١١

(١) اسبكرت : استقامت واعتدلت . (٢) كذا فى ف ، ط . ورواية الديوان : «العلق» .
(٣) العتق : جمع عتيق ، وهى كل نفيس قديم .

غنّى فى هذه الأبيات مالك بن أبى السَّمْح لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر، عن عمرو ويونس. وفيها لابن مسْجِح — و يقال لابن مُحرز، وهو ممايشبه غناءهما جميعا وينسب إليهما — خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر. والصحيح أنه لابن مِسجح. وفيها ثانى ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّىّ. وذكر حبش أن لسِياطٍ فيها لحنا ماخُورِياًّ بالوُسطى.

وفى هذه الأبيات زيادة يُغنَّى فيها ولم يذكرها الزبير فى خبره، وهى :

إنّى لأُخْلِى لها الفِـراش إذا * قَصَّعَ[1] فى حِضْنِ زوجه الحَمِق

عن غير بغضٍ لهـا لدىّ ولـ * ـكن تلك مِنّى سَجِيّـة خُلُق

قال الزبير: أراد بقوله فى هذه الأبيات:

* إن ختمت جاز طينُ خاتَمِها *

أنها كانت عند سلطان جائزِ الأمر. والعبدية هى الدنانير، نسبها إلى عبد الملك. ثم وصل ابنُ قيس الرقيات هذه الأبيات — يعنى الهائية — بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال:

صـــوت

اِسمــعْ أمير المؤمنيـ * ـن لِمدحتى وثنائها[2]

أنت ابن عائشــة التى * فَضَلت أُرُومَ[3] نسائهـا

متعطّف الأعْياصِ[4] حو * لَ سريرها و فِنائهـا

وَلَدَتْ أغرَّ مُبـاركا * كالبدر وسْطَ سمائهـا

غنّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنّسه. وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات فى عبد الملك لا الوليد.

(١) قصع : لزم البيت ولم يبرحه، وفى الأصـول: «قطع»، تحريف، صوابه عن الديوان ١٦١، ولسان العرب (مادة قصع). (٢) هذه الأبيات: ساقطة من جـ.

(٣) الأروم: جمع أرومة، وهى الأصل. (٤) الأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.

إصرار ابن قيس الرقيات على كلمة فى شعره وما كان بينه وبين عبد الملك فى ذلك

أخبرنى الحسين وابن أبى الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائنى: أن عبد الملك لما وهب لابن جعفر جُرمَ عبيد الله بن قيس الرقيات وأمّنه، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه، قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بى وأنا الذى أقول:

اسمع أمير المؤمنيـ * ـن لمدحتى وثنائها
أنتَ ابن مُعْتَلِج البِطا * ح كُدَيِّها وكَدائها[1]
ولِبَطْنِ عائشةَ التى * فضَلَت أرومَ نسائها

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك: قل «ولنسل عائشة». قال: لا بل «ولبطن عائشة»، حتّى[2] ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلّا «ولبطن عائشة». فقال له عبد الملك: اسْحَنْفِر[3] الآن. قال: وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس. هذه رواية الزبير بن بكّار.

وقد حدّثنا به فى خبر كثيّر مع غاضرةَ هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدىّ. قال: حدّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبىّ.

محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبىّ عن أبى عبد الرحمن الأنصارىّ عن السائب بن حكيم السَّدُوسى راويةِ كثيّر قال:

والله إنى لأسير يوما مع كثيّر، حتى إذا كنّا ببطن جِدار (جبلٍ من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة فى رِحالةٍ[4] متنقّبة، معها عبيد لها يسعون معها، فمرّت جَنَابِى فسلّمتْ ثم قالت: ممن الرجل؟[5] قلت: من أهل الحجاز. قالت: فهل تروى لكثيّر

٥١ / ١١

(١) كدى وكداء: موضعان بمكة. وقيل: جبلان. كذا ذكر فى اللسان واستشهد بالبيت.
(٢) فى ف، جـ: «ردد». (٣) اسحنفر الرجل فى منطقه: مضى فيه ولم يتمكث.
(٤) الرحالة: مركب من جلود لا خشب فيه. (٥) فى ط، ف، جـ: «من الرجل»؟

شيئا؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إلىّ من أن أرى كثيّرا وأسمعَ شعره، فهل تروى قصيدته :

* أهاجك برقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ *

قلت : نعم : فأنشدتها إياها إلى آخرها . قالت : فهل تروِى قوله :

كأنك لم تسمعْ ولم ترقبلها * تَفرُّقَ الآلاف لهنّ حنينُ ٥

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروى قوله أيضا :

* لعزةَ من أيام ذى الغُصْن شاقنى *

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروى قوله أيضا :

* أأطلالَ سُعدَى باللوى تتعهَّد *

قلت : نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله : ١٠

فلم أر مثلَ العـين ضنّت بمائها * علىّ ولا مثـلى على الدمـع يَحْسُدُ

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثير أحدٌ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيّرا، أوسمعتُ منه شعره[(١)] أحبّ إلىّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذَاكِ الراكبُ أمامكِ[(٢)]، وأنا السائب راويته . قالت : حياك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت : أنت كثيّر؟ قال : مالكِ ويلكِ ! فقالت : أنت الذى تقول : ١٥

إذا حُسرتْ عنه العِمامةُ راعها * جميلُ المحيَّـا أغفلتْه الدواهِن

والله ما رأيت عربيا قطّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألأمَ منكَ . قال : أنتِ والله أقبح منى وألأم . قالت له : أولستَ القائل :

---

(١) فى جـ : « شعرا » . (٢) فى ف : « هو والله ذلك الراكب أمامك » .

تَراهنّ إلا أنْ يؤدِّين نظرةً * بمؤْخرِ عينٍ أو يُقلِّبن معصَما

كواظِمَ ما ينطِقْن إلا مُحُورة * رجيعةَ قولٍ بعد أن يُتَفَهّما (١)

يحاذرْن منى غَيْرةً قد عرفْنها * قديماً فما يضحكْن إلا تبسُّما

لعن الله من يفرِّق (٢) منك . قال : بل لعنكِ الله . قالت : أو لست الذى تقول :

٥ إذا ضَمْرِيَّةٌ عَطست فنِكها * فإنَّ عُطاسَها طرَفُ الوِداقِ (٣)

قال : من أنتِ ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرفْنى ولا من أنا . قال : والله إنى لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرة . قالت : حَيَّاك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبّ إلىّ وجها ولا لقاء منك . قال : لا حياكِ الله ، والله ما كان (٤) على الأرض أحدٌ أبغض إلىّ وجها منكِ . قالت : أتعرفنى ؟ قال : أعرف أنك لئيمة من اللئام . فتعرّفتْ إليه

١٠ فإذا هى غاضرة أمّ ولدٍ لبِشْر بن مروان . قال : وسايَرها حتى سندنا (٥) فى الجبل من قِبَل زَرود (٦) . فقالت له : يا أبا صخر ، أضمن لك مائة ألف درهم عند بِشر بن مروان إن قدمتَ عليه . قال : أفى سبِّكِ إيّاى أو سبِّى إياكِ تضمنين لى هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلما قامت تودّعه سفَرَت ، فإذا هى أحسن من رأيتُ من أهل الدنيا وجها . فأمَرتْ له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شدٍّ (٧) ما قبلها وأمرتْ لى (٨)

١٥ بخمسة آلاف درهم . فلما ولَّوا قال : يا سائبُ أين نُعنّى أنفسَنا إلى عِكرِمةَ ، انطلِق بنا نأكلْ هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لمَّا فارقتْنا :

٥٢ / ١١

(١) المحورة : الجواب ، يريد أنهن لا ينطقن إلا بعد أن يسألن . (٢) يفرق : يخاف .
(٣) الوداق فى كل ذات حافر : الغلمة . (٤) كذا فى ف وفى سائر النسخ : «ولكن ما» .
(٥) سندنا : علونا . (٦) زرود : اسم جبل . (٧) فى ب ، س ، جـ : «سيرما» .
٢٠ (٨) فى ف : «له» .

شجا أظعانُ غاضِرةَ الغوادى * بغير مشيئةٍ[1] عرضا فؤادى

وقد روى الزبير أيضا فى خبر هذه المرأة غيرَ هذا، وخالف المعانى[2] .

كثير وامرأة لقيها بقديد

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى سليمان ابن عيّاش السعدىّ قال :

كان كثيّر يلق حاجّ المدينة من قريش بقُديد[3] فى كل سنة، فغفل عاما من الأعوام عن يومهم الذى نزلوا فيه قُدَيْدا[4] حتى ٱرتفع النهار، ثم ركب جملا ثقالا[5] وٱستقبل الشمس[6] فى يوم صائف، فجاء قُديدًا وقد كلّ وتعب، فوجدهم قد راحوا. وتخلّف فتى من قريش معه راحلتُه حتى يُبرِد[7] . قال الفتى القرشىّ : فجلس كثيّر إلى جنبى ولم يسلّم علىّ، فجاءت ٱمرأة وسيمة جميلة، فجلست إلى خَيْمة من خيام قُديد وٱستقبلت كثيّرا فقالت : أأنت كثيّر؟ قال : نعم : قالت : ابن أبى جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذى يقول :

* لعزّة أطلالٌ أبت أن تكلّما *

قال : نعم . قالت : وأنت الذى تقول فيها :

وكنتُ إذا ما جئتُ أجللن مجلسى * وأظهرن منّى هَيْبةً لا تجهُّما

فقال : نعم . قالت : أعلى هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فضجر وقال : من أنتِ؟ فلم تجبه بشىء، فسأل المولياتِ اللواتى

(١) فى ط : « بغير مشية » بالتسهيل . وفى ف : حذف الشطر الثانى من البيت .
(٢) فى ف : « فى خبر هذه المرأة غير هذه الرواية، وخالف فى معانيها » . (٣) قديد : اسم موضع قرب مكة . (٤) الكلام بعده إلى « قديدا » التالية ساقط من ط .
(٥) ثقالا : بطيئا . (٦) كلمة « الشمس » : ساقطة فى جميع الأصول ما عدا ف .
(٧) أبرد : دخل فى آخر النهار .

فى الخباء بقديد عنها ، فلم يخبرنه شيئا ، فضجر وآختلط . فلما سكن من شأوه [1]
قالت : أأنت الذى تقول :

متى تحسروا عنّى العمامة تُبْصروا * جميل المُحيّا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جَميل المحيّا ؟ إن كنتَ كاذبا فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين .
فآختلط وقال : والله ما عرفتك ، ولو عرفتك لفعلتُ وفعلت . فسكتت ، فلما سكن
من شأوه قالت : أأنت الذى تقول :

يروق العيونَ الناظراتِ كأنه * هِرَقْلِىٌّ وزنٍ أحمرُ التّبر راجحُ [2]

أهذا الوجهُ يروق العيونَ الناظراتِ؟ إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين
والملائكة والناس أجمعين . فآزداد ضجرا وغيظا وآختلاطا وقال لها : قد عرفتك
والله لأقطعنّك وقومَك بالهجاء . ثم قام فآلتفتُّ فى أثره ، ثم رجعت طرْفى نحو المرأة
فإذا هى قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقُديد : لكِ الله علىّ إن أخبرتِنى مَن
هذه المرأة لأَطْوِيَنّ لكِ ثوبىَّ هذين إذا قضيتُ حجّى ثم أُعطيكِهما . فقالت :
والله لو أعطيتنى زِنَتهما ذهبا ما أخبرتك مَنْ هى ، هذا كثيِّر وهو مولاى قد سألنى عنها
فلم أُخبره . قال الفتى القرشىّ : فرُحت والله وبى أشدُّ مما بكثيّر .

قال سليمان : وكان كُثَيّر دميما قليلا [3] أحمرَ أقيشرَ [4] عظيمَ الهامةِ قبيحا .

(١) فى ف : « سكن شأوه » . والشأو : الحزن ؛ يقال : شآه ؛ أى حزنه .
(٢) الهرقلى : الدينار ؛ نسبة إلى هرقل ملك الروم ، وهو أوّل من ضرب الدنانير
والراجح : الموزون . (٣) فى ف : « عظيما » . والقليل من الرجال : القصير الدقيق الجثة .
(٤) الأقيشر : مصغر الأقشر ، وهو الشديد الحمرة .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الشعر الذى يغنى به

صــــوت

منهـا :

أشاقك برقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ * تضمَّنه فَرْش الجَبَا فالمسارِبُ (١)

كما أَوْمضَتْ بالعين ثم تبسَّمت * خرِيعٌ (٢) بدا منها جبينٌ وحاجب

وَهَبْتُ لِليــلَى ماءه ونبـاتَه * كما كلُّ ذى وُدٍّ لمن ودَّ واهب

عروضه من الطويل . الواصب : الدائم ؛ يقال وَصَب يَصِب وُصُوبا أى دام . قال الله سبحانه : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ واصِبًا ﴾ أى دائمـا .

ومنهـا :

صــــوت

لِعزّةَ من أيّامِ ذى الغُصْنِ شاقنى * بِضَاحِى قَـرَارِ الرَّوضَتين رُسُــومُ (٣)

هى الدار وحْشًا غير أن قَدْ يَحُلُّها * ويَغْـنَى بهـا شخـصٌ علىَّ كريمُ

فمـا برسوم الدّار لوكنتَ عالمـا * ولا بالتِّـلاَع المُقْـوِياتِ أَهِـيمُ

سألت حكيما أين شطَّت بها النّوى (٤) * فخـبّرنى مالا أحبُّ حكـيم

أَجَــدّوا فأمّا آلُ عزّة غُـدوَة * فبانــوا وأمّا واســط (٥) فمقــيم

لعمرى لئن كان الفؤادُ من الهوى * بَــغَى سَــقَما إنّى إذًا لسَــقِيمُ

(١) فرش الجبا : موضع بالحجاز، ذكره ياقوت، واستشهد بالبيت . وفى الأصول : «فرش الحيا» . وفى ف : «فالمشارب» . (٢) الخريع : المرأة الحسناء . وفى جـ : «حنين» . وفى ف : « جبين وصاحب » . (٣) جاء فى معجم البلدان فى (روضة الجام) بعد هذا البيت الآتى :

فروضـة آجام تهيـج لى البكا * وروضات شوطى عهدهن قديم

(٤) فى جـ، ف : «شطت بك» . (٥) واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

حكيمٌ هذا[1] هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير . ذكر ذلك لنا اليزيدىّ عن ابن حبيب .

فى هذه الأبيات لمعبد لحنان ، أحدهما فى الثلاثة الأول خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى[2] عن الهشامى وابن المكّىّ وحَبش، وفى الثلاثة الأُخر التى أوّلها :

* سألت حكيما أين شطّت بها النوى *

٥

له أيضا ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبشٍ . وذكر حَبَشٌ خاصةً أن فيها لكَرْدم خفيف ثقيل آخر، وفى الثالث والثانى لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشامى . وقال أحمد بن عبيد : فيه ثلاثة ألحان : ثقيل أوّل وخفيفه ، وخفيفُ رمل .

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنى المؤمّلىّ أن ابن أبى عبيدة كان إذا أنشد قصيدةَ كثيّر :

١٠

لعزّةَ من أيامِ ذى الغصن شاقنى * بِضاحى قَرار الروضتين رسومُ

يَتحازنُ حتى نقول : إنّه يبكى .

تمثل الحزين الكنانى بشعر لكثير

أخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى عن الضَّحّاك ابن عثمان قال : قال عروةُ بن أذينة : كان الحزين الكنانى الشاعرُ صديقا لأبى، وكان عشيرا له على النبيذ[3]، فكان كثيرا ما يأتيه ، وكانت بالمدينة قَيْنةٌ يهواها الحزينُ ويُكثر غشيانَها ، فبيعت وأُخرجتْ عن المدينة ، فأتى الحزين أبى ، وهو كئيب حزين كآسمِه، فقال له أبى : يا أبا حكيمٍ مالك؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيّر :

١٥

(١) كلمة « هذا » ، ساقطة من ط . (٢) فى ط : « الأول بالوسطى » .

(٣) كذا فى ف ، وفى كل الأصول : « عشيرا على النسب » .

٢٠

لَعمرِى لئن كان الفؤادُ من الهَوى * بَغَى سَقَماً إنى إذًا لَسقيمُ
سألت حكيماً أين شطّت بها النوى * فخبّرنى مالا أُحبُّ حكيم

فقال له أبى : أنت مجنون إن أقمت على هذا .

قصيدة كثير فى عزة لما أخرجت إلى مصر

وهذه القصيدة يقولها كثيّر فى عزة لما أُخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها :

ولست براءٍ نحوَ مصرَ سحابةً * وإن بَعُدَتْ إلّا قعدتُ أشيم[1]
فقد يوجَدالنِّكْسُ الدنىّ عن الهوى * عَزُوفاً و يصبو المرء وهْو كريم[2]
وقال خليلى مالها إذ لقيتَها * غداةَ الشَّبا[3] فيها عليك وُجومُ
فقلت له إن المودّة بيننا * على غير فُحْشٍ والصفاءُ قديم
وإنى وإن أعرضتُ عنها تجلُّدا * على العَهْدِ فيما بيننا لَمقيمُ
وإن زماناً فرّق الدهرُ بيننا * وبينكُمُ فى صرفه لَمَشُومُ[4]
أفِى الحقِّ هذا أنّ قلبَك سالمٌ * صحيحٌ وقلبى فى هواكِ سَقِيمُ[5]
وأنّ بجسمى منك داءً مخامرا * وجسْمُك موفورٌ عليكِ سليم
لعمرُكِ ما أنصفْتِنِى فى مودّتى * ولكنّنى ياعزَّ عنكِ حليم
فإمّا تَرَيْنِى اليومَ أُبْدِى جَلادةً * فإنى لعمرى تحت ذاكِ كَليمُ
ولسْتُ ابنةَ الضَّمْرِىِّ منكِ بناقِمٍ * ذُنوبَ العِدَا إنى إذا لَظَلُوم
وإنّى لَذُو وجْدٍ إذا عاد وصلها * وإنّى على ربى إذا لكريم[6]

(١) أشيم : أنظر إليها . وفى ط ، حـ : « تشيم » . (٢) ماعدا ط ، ف : « فقد يقعد » .
(٣) الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة ، وفى الأصول : « السبا » ، وصوابه عن معجم البلدان . (٤) فى ف : « فيه لجد مشوم » . (٥) فى ف : « من هواك » .
(٦) فى ف ، ط : « لئن عاد » . وفى حـ : « فانى على ربى » .

ومنها :

صـــوت

لعـزّة أطـــلالٌ أبت أن تكلّما * تهيـــجُ مغانيهـــا الفـــؤادَ المتيّما

وكنتُ إذا ماجئتُ أجلَلْنَ مجلسى * وأظهـرن مـنّى هيبـةً لا تجهُّما

يُحـاذرْن منّى غَيْرةً قد عرفنهـا * قـديمـا فمـا يضحكْن إلّا تبسُّما ٥

عروضه من الطويل. غنّى فيه مالك بن أبى السَّمْح لحنين عن يونس، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق، وغيرُه ينسبه إلى معبد . والآخر ثانى ثقيلٍ بالوُسطى عن حبَشٍ، وفيه لابن مُحْرِز خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو والهشامى. وغيره يقول : إنه لحن مالك . وفيـه لابن سُرَيْج خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشامى وعلى بن يحيى . ١٠

الرشـيد ومسرور الخادم وما دار بينـه وبين جعفر ابن يحيى حين أمره بقتـله

وأخبرنى أحمـد بن جعفر جحظـة قال حدّثنى ميـونُ بنُ هارونَ قال حدّثنى من أثق به عن مسرور الخادم :

أن الرشيد[1] لـمـا أراد قتـل جعفرِ بن يحيى لم يُطْلِعْ عليه أحدا بَتّـةً[2] . ودخل عليه جعفر فى اليوم الذى قتله فى ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليـومَ بمن تأنس به واصطَبِح فإنى مصْطَبِح مع الحُرَم . فمضى جعفر، وفعل الرشيد ذلك . ولم يزل برّ ١٥ الرشـيد وألطافه[3] وتُحفه وتحياته تتَتـابع إليـه لئلا يستوحش . فلما كان فى الليـل دعانى فقال لى[4] : اذهب فجئنى الساعة برأس جعفر بن يحيى، وضَمّ إلىّ جماعةً من الغلمان، فمضيتُ حتى هجمتُ عليـه منزله . وإذا أبو زكّار[5] الأعمى يغنّيه بقوله :

فلا تَبْعَـــدْ فكل فتًى سيأتى * عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادى

(١) زايد فى جـ : « رحمه الله تعالى » . (٢) هذه الكلمة ساقطة فى ف . ٢٠
(٣) فى ط، ف : « ولطفه » والألطاف، بالتحريك : واحد الألطاف، وهو الهدية .
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى ف، جـ . (٥) هذه الكلمة ساقطة فى ط، ف .

فقلت له : فى هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم جعلنى الله فداءك ! قلت : قد أُمرتُ بأخذ رأسك . فأكبّ على رجلى فقبّلها وقال : الله الله ، راجعْ أمير المؤمنين فىّ . فقلت : مالى إلى ذلك سبيل . قال : فأعهَدُ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعتُه ، وقلت : اعهد فى موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفا على دَهَش ثم قال لى : يا أبا هاشم بَقِيتْ واحدة . قلت : هاتها . قال : خذنى معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه . قلت : مالى إلى ذلك سبيل . قال : ويحك لاتقتلنى بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ما شرب[1] اليوم شيئا . قال : فخذنى واحبسنى عندك فى الدار ، وعاوِدْه فى أمرى . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لى أبو زكّار الأعمى : نشدتُك الله إن قتلته إلّا ألحقتَنى به . قلت له : يا هـذا لقد آخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أعيش بعده وحياتى كانت معه وبه ، وأغنانى عمّن سواه ، فما أحب الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته فى بيت وأقفلت عليه ووكّلت به ، ودخلتُ إلى الرشـيد ، فلما رآنى قال : أين رأسـه ويلك ؟ فأخبرته بالخـبر . فقال : يآبن الفاعلة ، والله لئن لم تجئنى برأسه الساعة لآخذنّ رأسك ! فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبى زكّار الأعمى ، فلما كان بعد مدة أمرنى بإحضاره ، فأحضرته ، فوصله وبرّه وأمر بالجراية عليه .

* * *

صـــوت

شعر فى خولة غنى فيه

قفَا فى دار خـولةَ فاسألاها * تقـادمَ عهـدُها وهجرتُمـاها

بمِحْلالٍ يفوح المسـكُ منه * إذا هبَّت بأبْطَحه صَـباها[2]

(١) فى ط : « فقلت ما شرب » .

(٢) المحلال : الأرض السهلة المخصبة . والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

أترْعَى حيثُ شاءَت من حِمَانا * وتمنعُنـا فـلا نرعى حِمَـاها[1]

عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فزارة . والغناءُ ذكر حمادٌ عن أبيه أنه لمعبد، وذكر عنه فى موضع آخر أنه لابن مِسْجَح . وطريقتُـه من الثقيل الأوّل مطلق فى مجرى الوسطى .

نسب منظور بن زبان

٥ وهذا الشعر يقوله الفَزارىّ فى خَوْلة بنتِ منظور بن زَبّان بن سيّار بن عمرو ابن جابر بن عقيـل بن هـلال بن سُمَىّ بن مازن بن فَزارة بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان . وكان منظورُ بن زَبّانَ سيدَ قومه غيرَ مدافَع ، أمّه قِهطِم بنت هاشم بن حَرْمَلَة — وقد ولدَتْ[2] أيضا زُهيرَ بن جَذيمة — فكان آخذا بأطراف الشرف فى قومه . وهو أحد من طالَ حَمْلُ أمّه به .

سبب تسميته منظورا وشعر أبيه فى ذلك

١٠ قال الزبير بن بكّار فيما أجازلنا الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطّوسىّ روايتَه عنهما ممـا حدّثا به عنه حدّثتنى مُغيرةُ بنتُ أبى عَدِىّ . قال الزبير وقد حدّثنى هذا الحديث أيضا إبراهيمُ بن زِيادٍ عن محمد بن طلحة ، وحدّثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيى بن الحسن العلوىّ عن الزبير قالا جميعا :

حملت قِهْطِم بنتُ هاشمٍ بمنظور بن زبّانَ أربعَ سـنين ، فولدته وقد جَمع فاهُ

١٥ فسماه أبوه منظورا لذلك — يعنى لطول ما انتظره — وقال فيه على ما رواه محمد ابن طلحة :

ما جئتَ حتى قيـل ليس بواردٍ * فسُميتَ منظورا وجئتَ على قدْرِ

وإنّى لأرجو أن تكونَ كهاشمٍ * وإنى لأرْجُو أن تسودَ بَنى بَدْرِ

---

(١) فى جـ : « إذا نرعى » . (٢) كذا فى أخبار منظور التى طبعها ردلف برونو فى الجزء الحادى والعشرين . وفى الأصول : « ولده » تحريف .

٢٠

تزوّج مليكة زوج أبيـه ففرّق عمر بينهما فتبعتها نفسه وقال شعرا

ذكر الهيثم بن عدىّ عن ابن الكلبى وابن عيّاش، وذكر بعضه الزبير بن بكّار عن عمّه عن مجالد :

أنّ منظورَ بن زبّانَ تزوّج امرأة أبيه — وهى مُلَيْكَةُ بنتُ سِنانَ[(١)] بنِ أبى حارثة المُرّىّ — فولدت له هاشما وعبد الجبّار وخَوْلَةَ ، ولم تزلْ معه إلى خلافةِ عمر بن الخطّابِ رضى الله عنه . وكان يشربُ الخمرَ أيضا، فرُفع أمرُه إلى عُمَرَ، فأحضره وسأله عما قيل، فاعترف به وقال : ما علمت أنها حرامٌ[(٢)] . فحبسه إلى وقت صلاةِ العصر، ثم أحلفه أنّه لم يعلم أن الله جلّ وعزّ حرّم ما فعله . فحلف — فيما ذكر — أربعين يمينا . فخلّى سبيلَه ، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال: لولا أنك حلفتَ لضربت عنقَك .

قال ابن الكلبى فى خبره : إنّ عمرَ قال له : أتنكِحُ امرأة أبيك وهى أمك ؟ أو ما علمتَ أن هذا نِكاح المقتِ[(٣)] ! . وفرّق بينهما . فتزوّجها محمد بن طلحة .

قال ابن الكلبى فى خبره :

فلما طلّقها أسِف عليها وقال فيها :

ألا لا أُبالِى اليومَ ما صَنَع الدهرُ * إذا مُنِعتْ منّى مُلَيكَةُ والخمرُ

فإن تكُ قد أمستْ بعيدًا مَزارُها * فحىِّ ابنةَ المرّىِّ ما طَلَعَ الفجْرُ

لَعَمْرِى ما كانتْ مُلَيكَةُ سَوْءَةً * ولا ضُمَّ فى بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال أيضا :

لعمرُ أبى ، دِينٌ يُفَرِّق بيننا * وبينَك قَسْرًا إنّه لَعظيمُ

وقال حُجْرُ بن معاوية بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفةَ لمنظور :

(١) فى ف : « مليكة بنت خارجة بن سنان » . (٢) فى ف : «ما علمت أن هذا حرام» .
(٣) نكاح المقت : هو أن يتزوّج الرجل امرأة أبيه بعده .

لَبِئس ما خلفَ الآباءَ بعــدَهُمُ * فى الأمَّهاتِ عجّانُ[(١)] الكلبِ منظورُ

قد كنْتَ تغمِزُها والشيخ حاضِرُها * فالآن أنت بطُول الغمزِ معـذُور

تزوجت ابنته خولة الحسن بن على بعد موت زوجها

قال أبو الفرج الأصبهانى[(٢)]: أخطأ ابن الكلبى فى هذا، وإنما طلحةُ بنُ عبيد الله الذى تزوّجها؛ فأما محمد فإنه تزوّج خـولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرجَ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل، فتزوّجها الحسن بن علىّ عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام. وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازعَ بعضَ ولد الحُسين بن علىّ بعضَ ما كان بينهم وبين بنى الحسن من مال علىّ عليه السلام، فقال الحُسينِىّ لأمير المدينة: هذا الظالم الضالـع الظالِـع[(٣)] — يعنى إبراهيم — فقال له إبراهيم: والله إنى لأُبغِضُك[(٤)]. فقال له الحسينى: صادق، والله يحب الصادقين، وما يمنعك من ذلك وقد قتَلَ أبى أباك وجدَّك، وناكَ عمى أمّك؟ — لا يَكنِى — فأمر بهما فأُقيما من بين يدى الأمير.

أتى مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبى قال: فلما فرّق عمر رضى الله عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوما وهى تمشى فى الطريق — وكانت جميلة رائعة الحسن — فقال: يامُلَيكَةُ، لعن الله دينا فرّق بينى وبينك! فلم تكلمه وجازت، وجاز بعدها زوجها؛ فقال له منظور: كيف رأيت أثر أَيرى فى حِرِ مُليكة؟ قال: كما رأيتَ أَثَرَ أيرِ أبيك فيه، فأفحمه. وبلغ عمرَ رضى الله عنه الخبرُ فطلبه ليعاقبه، فهرب منه.

رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن

وقال الزبير فى حديثه: فتزوّج محمـد بن طلحة بن عبيد الله خولةَ بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم وداود وأمّ القاسم بنى محمد بن طلحةَ، ثم قتِل عنها يوم الجمـل، فخلَفَ عليها الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب عليهما السـلام، فولدت له الحسن بن الحسن رضى الله عنهما.

(١) العجان: الأست. (٢) فى ف: «قال مؤلف هذا الكتاب». (٣) الضالع: الجائر، والظالع: المتهم. (٤) فى ف: «الله يعلم أنى أبغضك».

قال الزبير : وقال محمد بن الضحاك الحزامىّ عن أبيه :

تزوّج الحسن عليه السلام خَولة بنت منظور، زوّجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختُها تحته .

وأخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنى يحيى بن الحسن قال حدّثنى موسى بن عبيد الله[1] بن الحسن قال :

٥

جعلت خولةُ أمرَها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها، فبلغ ذلك منظورَ بن زبّانَ فقال : أمثلى يُفتات عليه فى ٱبنته ! فقدِم المدينة، فركز راية سوداء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يبق قيسىّ بالمدينة إلا دخل تحتها، فقيل لمنظور بن زبان : أين يُذْهَبُ بك ! تزوّجها الحسن بن علىّ عليه السلام وليس مثله أحد. فلم يقبل. وبلَغ الحسن عليه السلام ما فعل، فقال له : ها، شأنك بها[2] . فأخذها وخرج بها . فلما كان بقُباءٍ جعلَت خولةُ تُندِّمه وتقول : الحسن بن علىّ سيد شباب أهل الجنة . فقال : تلبَّثى ها هنا، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا. قال : فلحِقه الحسن والحسين عليهما السلام وٱبن جعفر وٱبن عباس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففى ذلك يقول جفير العبْسىّ[3] :

١٠

٥٧/١١

إنّ النَّدَى من بنى ذُبيانَ قد عَلِموا * والجُودَ فى آل منظورِ بنِ سيَّارِ

١٥

المـاطِرين بأيديهم نَدًى دِيَمًا * وكلّ غيثٍ من الوَسْمِىّ[4] مِدرارِ

تَزُورُ جاراتِهم وهْنًا[5] فواضِلهُم * وما فَتَاهم لها سرًّا بزوّار

تَرضَى قريشٌ بهم صِهْرا لأنفسهم * وهُمْ رضًا لبنى أختٍ وأصهارِ

(١) فى ط ، ف : « عبد الله » . (٢) فى ف : « فقال له شأنك بها » .

(٣) كذا فى جميع الأصول، والذى يعرف من أسمائهم جيفر. (٤) الوسمى : مطر الربيع الأوّل .

٢٠

(٥) الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه ، والفواضل : الأيدى الجسيمة .

لما أسنت خولة بنته برزت للرجال وغناها معبد بشعر قيل فيها فطربت

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني ابن أبي أيّوب عن ابن عائشة المغنّي عن معبد :

أن خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلما أسنّت مات عنها أو طلّقها ، فكشفت قناعها و برزت للرجال . قال معبد : فأتيتها ذات يوم أطالبها بحاجة ، فغنّيتها لحنًا في شعر قاله فيها بعض بني فزارة ، وكان خطبها فلم ينكحها أبوها :

قفا في دار خولة فاسألاها * تقادم عهدها وهجرتماها
بمحلال كأن المسك فيه * إذا فاحت بأبطحه صباها[1]
كأنك مزنة برقت بليل * لحران يضيء له سناها
فلم تمطر عليه وجاوزته * وقد أشفى عليها أو رجاها
وما يملا فؤادى فاعلميه * سلوّ النفس عنك ولا غناها
وترعى حيث شاءت من حمانا * وتمنعنا فلا نرعى حماها

قال[2] : فطربت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد ابن قطن ، أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة في اللّيلة القرّة[3] .

صوت

لله در عصابة صاحبتهم * يوم الرّصافة مثلهم لم يوجد
متقلّدين صفائحا هندية * يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وغدا الرجال الثائرون كأنما * أبصارهم قطع الحديد الموقد

عروضه من الكامل . الشعر للجحّاف السّلمى الموقع ببني تغلب في يوم البشر . والغناء للأبجر ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

(١) كذا في ف ، وفي سائر الأصول : « باحت » . (٢) زاد في ف : « عروضه من الوافر » . (٣) القرة : الباردة .

خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر

نسبه

هو الجحّاف بن حَكِيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعيّ بن مُحَاربيّ (١) بن فالج ابن ذَكْوانَ بن ثَعْلَبَة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور .

قصته يوم البشر وسبب ذلك

٥٨ / ١١

وكان السببُ فى ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدى وعلىُّ بن سليمان الأخفش قالا حدّثنا أبو سعيد السكرىُّ عن محمد بن حبيبٍ عن ابنِ الأعرابى ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىُّ وحبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبيّ قالا حدثنا عمر بن شَبَّةَ ، وقد جَمَعْتُ روايتهم . وأكثرُ اللفظ فى الخبر لابن حبيب :

أن عُميرَ بنَ الحُباب لمـا قَتَلَتْهُ بنو تغلب بالحَشَّاك — وهو إلى جانب الثَّرْثار ، وهو قريبٌ من تَكْرِيتَ — أتى تميمُ بنُ الحُباب أخوه زُفَرَ بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكره ذلك زُفَرُ ، فسار تميم بن الحُباب بمن تَبِعه (٢) من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبى ربيعة العُقَيْلى . فلما توجهوا نحو بنى تغلِبَ لقيهم الهذيل فى زراعة لهم ، فقال : أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ، فقال : أمهلونى ألْقَ الشَّيخَ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر ، فقال : ما صنعت ! والله لئن ظُفِر بهذه العصابة إنه لعارٌ عليك ، ولئن ظفروا إنه لأشدّ ، قال زُفَر : فاحبِس علىّ القومَ ، وقام زفر فى أصحابه ، فحرّضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوْسا ، وسار حتى انتهى إلى الثّرثار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجّه زُفر بن الحرث يزيد بن حُمران فى خيل ، فأساء إلى بنى فَدَوْكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق فى ذلك الحىّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها . وبعث الهذيلَ إلى بنى كعبَ بن زهير فقتل فيهم قتلا

(١) فى ب ، س : « مخازى » وفى ط : « محارى » ، تحريف ، والتصحيح من المقتضب من جمهرة النسب (الورقة ٤٥) . (٢) فى ف : « بمن معه » .

ذريعا . وبعث مُسْلِمَ بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع فى القتل . وبلغ ذلك بنى تَغْلِبَ واليمن ، فآرتحلوا يريدون عبورَ دجلة ، فلحقهم زُفَرُ بالكُحَيْل — وهو نهرٌ أسفل الموصل مع المغرب — فاقتتلوا قتالا شديدا ، وتَرَجَّلَ أصحابُ زفرَ أجمعون ، وبقى زفر على بغلٍ له ، فقتلوهم من لَيْلَتِهِمْ ، وبَقَروا ما وجدوا من النساء . وذُكِر أن من غرِق فى دجلة أكثرُ ممّن قُتِل بالسيف ، وأنّ الدَّم كان فى دجلةَ قريبًا من رَمْيةِ سهم . فلم يزالوا يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ، فذُكِر أن زفرَ دخل معهم دجلةَ وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادى ولا يسمعه أصحابه[1] ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِل ، فتذامروا[2] وقالوا : لئن قتِل شيخُنا لمَا صنعْنا شيئًا ، فآتبعوه فإذا هو فى دجلة يصيح بالناس — وتغلبُ قد رمت بأنفسها تعبر فى الماء . فخرج من الماء وأقام فى موضعه . فهذه الوقعةُ الحَرَجِيَّةُ لأنهم أحرجوا فالقوا أنفسهم فى الماء . ثم وجّه يزيدَ بنَ حُمران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر فى أصحابه ، وأمرهم ألّا يلقَوْا أحدا إلا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشَّمال فى جماعة مِنْ أصحابه ، حتّى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلِّ[3] بالكُحَيل أحدًا — والكُحَيلُ على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب — فصعد قِبَلَ رأس الأثيل ، فوجد به عسكرا من اليمن وتغلب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تَغلب ليلة الهرير . ففى ذلك يقول زُفَرُ بنُ الحارث ، وقد ذُكِرَ أنها لغيره :

ولمّا أن نعى النّاعى عُمَيْرًا * حسبتُ سماءهم دُهِيت بليلِ

دهيت بليل ، أى أظلمت نهارا كأن ليلًا دهاها

وكان النجمُ يطلُعُ فى قَتَامٍ[4] * وخاف الذُّلَّ مِنْ يَمَنٍ سُهَيلُ

(١) كذا فى معظم الأصول ، وفى ف : «فلا يسمع صوته ففقده أصحابه» . (٢) تذامروا : حض بعضهم بعضا على القتال . (٣) كذا فى معظم الأصول ، وفى ف : «لم يخاف أحدا» ، وفى جـ : «لم يخاف أحد» . (٤) القتام : الغبار . وفي البيت إقواء .

وكنتُ قبيْلَها يا أُمَّ عمرٍو * أُرَجِّــلُ لِمَّتى(١) وأجــرُّ ذيلى
فلو نُبِش المقابرُ عن عمــير * فيخبَرَ مِنْ بلاء أبى الهذيل
غداةَ يقارعُ الأبطالَ حتى * جرى منهم دماً مَرْجُ(٢) الكُحَيْل
قبيلٌ يَنْهَــدون(٣) إلى قبيــلٍ * تساقَى الموتَ كَيْلاً بعد كَيل

وفى ذلك يقول جرير يعيِّر الأخطل :

أنَسيتَ يومَك بالجزيرة بعدما * كانت عواقِبُــه عليــك وبالا !
حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها * شُعْثًا عوابسَ تحمِــل الأبطالا
مازلتَ تحسِبُ كلَّ شىء بعدهم * خيلا تَكُرُّ عليكُــمُ ورجالا
زفرُ الرئيسُ أبو الهذيل أبادكم * فسَبَى النسَاء وأحرز الأمــوالا

أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثار من تغلب ففعل وفر إلى الروم

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين، وقُتِل عبدُ الله بنُ الزبير هدأتِ الفتنةُ واجتمع الناس على عبد الملك بنِ مروانَ ، وتكافَّتْ قيس وتغلِبُ عن المَغازى بالشام والجزيرة ، وظنّ كلُّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلا لصاحبه، وتكلم عبدُ الملك فى ذلك ولم يُحْكِم الصلح فيه؛ فبينا هم على تلك الحال إذ أنشــد الأخطلُ عبدَ الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قولَه :

ألا سائلِ الجحّــافَ هل هــو ثائرٌ * بِقَتْــلَى أُصِيبتْ مِنْ سُــلَيْمٍ وعامرِ !
أجحــافُ إنْ نهبِطْ عليــك فتلتقِ * عليــك بحــورٌ طاميــاتُ الزواخِر
تكن مثلَ أبداءِ(٤) الحَباب الذى جرى * به البحــرُ تزهاهُ(٥) رياحُ الصراصِر

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) المرج : الفضاء أو أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب . (٣) ينهدون : ينهضون .
(٤) كذا فى الأصول؛ وفى الديوان : « أقذاء الحباب » .
(٥) زهت الريح الشجر تزهاه : هزته وحركته . وفى ف : « ترفيه » .

فوثب الجحاف يجرّ مُطْرَفه وما يَعْقِلُ من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد كسَبْتَ قومك شرا . فافتعل الجحاف عهدا من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلب ، وصحبه من قومه نحوٌ من ألف فارس ، فسار بهم حتى بلغ الرُّصافة — قال : وبينها وبين شط الفرات ليلةٌ ، وهى فى قِبْلة الفرات — ثم كشف لهم أمرَه ، وأنشدهم شعر الأخطل ، وقال لهم : إنما هى النارُ أو العارُ ، فمن صبرَ فليَقْدَم ومن كره فلْيَرْجِع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحنُ معك فيما كنتَ فيه من خيرٍ وشرٍّ ، فارتحلوا فطرقوا صُهَيْنَ(١) بعد رُؤْبة(٢) من الليل — وهى فى قِبلة الرصافة وبينهما ميل . ثم صبَّحوا عاجنة الرَّحوب فى قِبلة صُهَيْن والبِشر — وهو وادٍ لبنى تغلب — فأغاروا على بنى تغلب ليلا فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملا ، ومن كانت غيرَ حامل قتلوها . فقال عمرُ بنُ شَبَّةَ فى خبره : سمعت أبى يقول : صعد الجحافُ الجبلَ — فهو يوم البِشر ، ويقال له أيضا يومُ عاجنة الرَّحوب ، ويومُ مُخاشن ، وهو جبلٌ إلى جنب البِشر ، وهو مرج السَّلُوطح لأنه بالرحوب وقُتِل فى تلك الليلة ابنا للأخطل يقال له أبو غياث ، ففى ذلك يقول جرير له :

شربتَ الخمر بعد أبى غياثٍ * فلا نعمت لك النَّشَواتُ(٣) بالا

قال عمرُ بنُ شَبَّة فى خبره خاصَّةً :

ووقع الأخطلُ فى أيديهم ، وعليه عباءةٌ دَنِسة ، فسألوه فذكر أنه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ، فقال ابنُ صفَّار فى ذلك :

لم تنجُ إلا بالتعبُّد نفسُه * لمَّا تيقن أنهم قومٌ عِدا
وتشابهت بُرْقُ(٤) العَباء عليهم * فنجا ولو عرفوا عباءته هوى

(١) هكذا ضبط فى ط . (٢) رؤبة : قطعة ، وأصلها القطعة تسد بها ثلمة الإناء .
(٣) كذا فى ط ؛ وفى جـ ، ب ، س : « السوءات » . (٤) الأبرق : كل شىء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهى برقاء والجمع برق .

وجعل يُنادى : من كانت حاملا فإلىّ ، فصعِدْنَ إليه ، فجعل يبقُر بطونهن . ثم إن الجحاف هرب بعد فعله ، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحق الجحافَ عُبَيْدَةُ ابنُ همامٍ التغلبىّ دون الدَّرْب ، فكرّ عليه الجحاف فهزمه ، وهزم أصحابَه وقتلهم ، ومكث زمنا فى الروم ، وقال فى ذلك :

فإن تَطْرُدونى تطردونى وقد مضى * من الوِرْدِ يومٌ فى دماء الأراقم (١)

لدن ذَرَّ قرنُ الشمس حتى تَلَبَّسَتْ * ظلاما بركض المُقْرَبات الصلادِم (٢)

٥

رجوعه بعد عفو عبد الملك عنه وتمثل بشعر الأخطل

حتّى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكلّمتْه القَيْسِية فى أن يُؤَمنه ، فَلَانَ وتلكأ ، فقيل له : إنا والله لا نأمنُه على المسلمين إن طال مُقامُه بالروم ؛ فأمَّنه ، فأقبل فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطلُ فقال له الجحاف :

أبا مالكٍ هل لمتنى إذ حضضتَنى * على القتل أَمْ هل لامنى لك لائمى (٣)

أبا مالكٍ إنى أطعتُك فى الّتى * حضضتَ عليها فعلَ حَرّانَ حازمِ

فإن تدعُنى أخرى أُجبْك بمثلها * وإنى لَطَبٌّ بالوغَى جِدُّ عالمِ (٤)

١٠

قال ابن حبيب :

فزعموا أن الأخطلَ قال له : أراك والله شيخَ سَوْءٍ . وقال فيه جرير :

فإنّك والجحافَ يوم تحُضُّه * أردتَ بذاك المُكثَ والوِرْدُ أعجلُ

بكى دَوْبَلٌ لا يُرْقِئُ اللهُ دمعَه * ألا إنما يبكى مِنَ الذُّلّ دوبل (٥)

وما زالت القتلى تمورُ دماؤهم * بدجلة حتى ماءُ دجلةَ أَشْكَل (٦)

١٥

(١) الأراقم : حىّ من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سموا كذلك تشبيها لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات. (٢) المقربات من الخيل : التى ضمرت للركوب فهى قريبة معدّة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .

(٣) فى معجم البلدان «على الثأر» . (٤) الطب : الخبير الحاذق .

(٥) الدوبل : الخنزير أو ولده ، ورقأ الدمع : جف وسكن . (٦) مار الدم : جرى ، والأشكل : ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .

٢٠

فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله! والله ما سمّتنى أمى دَوْبلا إلّا وأنا صبىّ صغير ثم ذهب ذلك عنى لما كبرت . وقال الأخطل :

لقد أوقع الجحّاف بالبِشْر وقعةً * إلى الله منها المُشْتكَى والمُعوَّلُ

فسائل بنى مروان ما بالُ ذمّةٍ * وحبلٍ ضعيف لا يزال يُوصَّلُ

٥ فإلّا تُغَيِّرْها قريش بمُلْكها * يكن عن قريش مستزادٌ ومَزْحلُ[1]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أينَ يابنَ النَّصْرانية ؟ قال : إلى النار قال : أولى لك لو قلتَ غيرها ! قال : ورأى عبدُ الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يُحْكِمِ الأمر ، فأمر الوليدَ بنَ عبد الملك ، فحمل الدماء التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمَّن الجحّاف قتلى البِشر، وألزمه إياها عقوبةً له ، فأدّى

حمله الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج

١٠ الوليد الحمالات ، ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل ، فلحق بالحجّاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنه من هوازن ، فسأل الإذنَ على الحجاج، فمنعه ، فلقى أسماءَ بنَ خارجة ؛ فعَصَبَ حاجته به فقال : إنى لا أقدرُ لك على منفعة ، قد علِم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا أُلزِمُها غيرك أنجحتْ أو أكْدت[2] ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال : ما له عندى شىء ، فأبلغه ذلك ؛ قال : وما عليك أن تكونَ أنت الذى تُؤنِّسه فإنه قد

١٥ أبى ، فأذن له فلمّا رآه قال : أعهدتنى خائنًا لا أبا لكَ ! قال : أنت سيدُ هوازن، وقد بدأنا بك ، وأنت أميرُ العراقين[3] ، وابنُ عظيم القريتين[4] ، وعُمالتُك فى كل سنة خمسمائة ألف درهم ، وما بِك بعدها حاجة إلى خيانة[5] ؛ فقال : أشهد أن الله تعالى وفّقك ، وأنّك نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفُها العام ، فأعطاه وأدّوا البقية ، قال : ثم تألّه[6] الجحاف

تنسك وخرج إلى الحج فى زى عجيب

(١) فى معجم البلدان : « ... بعدلها * يكن عن قريش مستماز ومزحل » . بملكها ، أى بقدرتها ، ٢٠ والمستزاد فى الأصل : المرعى ، من استرادت الدابة : رعت ، ومزحل : مبعد ، من زحل عن مكانه زال وتنحى . (٢) أكدى : أصله من أكدى الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهى الصخرة فانقطع عن الحفر . (٣) العراقان : الكوفة والبصرة . (٤) القريتان : مكة والطائف .
(٥) كذا فى ف ، وفى معظم الأصول « وما بك بعدها إلى خيانة فقر » . (٦) تأله : تعبد وتنسك .

بعد ذلك، واستأذن فى الحج، فأذن له، فخرج فى المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف وأحرموا، وأبْرَوا أنوفهم، أى خزموها وجعلوا فيها البُرى[1]، ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم، ويَعجبون منهم. قال: وسمع ابنُ عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللّهم اغفِرْ لى وما أراك تفعل! فقال له ابنُ عمر: يا هذا، لو كنت الجحافَ ما زدت على هذا القول؛ قال: فأنا الجحافُ، فسكت. وسمعه محمد بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وهو يقولُ ذلك؛ فقال: يا عبد الله، قُنوطُك من عفو الله أعظمُ من ذنبك!

قال عمرُ بن شبّة فى خبره: كان مولد الجحّاف بالبصرة.

دخل على عبد الملك بعد أن أمنه وأنشده شعرا

قال عبد الله بن إسحاق النحوىّ: كان الجحافُ معى فى الكتّاب، قال أبو زيد فى خبره أيضا: ولما أمّنه عبدُ الملك دخل عليه فى جُبَّة صوف، فلبث قائما، فقال له عبد الملك: أنشدْنى بعضَ ما قلتَ فى غزوتك هذه وفَخْرتك، فأنشده قوله:

صبرتْ سليمٌ للطعان وعامرٌ * وإذا جزِعنا لم نجد من يصبِرُ

فقال له عبدُ الملك بنُ مروان: كذبت، ما أكثرَ منْ يصبر! ثم أنشده:

نحنُ الذين إذا علَوا لمْ يَفْخَروا * يوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا

فقال عبدُ الملك: صدقتَ، حدّثنى أبى عن أبى سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يومَ فتح مكّةَ.

عود إلى قصة يوم البشر

حُدِّثْتُ عن الدمشقىّ عن الزبير بن بكار، وأخبرنى وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكارٍ عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عمرَ بن عبد العزيز بن مروان: أنه حضر الجحافُ عند عبد الملك بن مروان يوما والأخطلُ حاضرٌ فى مجلسه ينشد:

ألا سائِل الجحّافَ هل هو ثائرٌ * بِقتْلَى أصيبت من سليم وعامرِ

(١) البرى: جمع برة، وهى الحلقة فى أنف البعير.

قال : فتقبّض وجهُه فى وجه الأخطل . ثم إن الأخطل لمّا قال له ذلك قال له :

نَعَمْ سوفَ نَبْكِيهم بكل مُهَنَّدٍ * ونَبْكِى عميرا بالرماح الخواطرِ (١)

ثم قال : ظننتُ أنك يابنَ النصرانيــة لم تكن تجـترئ علىّ ولو رأيتنى لك مَأسورا ، وأَوْعده ، فما برح الأخطلُ حتى حُمَّ ، فقال له عبد الملك : أنا جارُك منه ؛ قال: هذا أجَرْتَنى منه يقظانَ ، فمن يُجيرنى منه نائما ؟ قال : فجعل عبدُ الملك يضحك . قال :

فأمّا قولُ الأخطل :

ألا سائل الجحّافَ هل هو ثائرٌ * بقتلى أصيبتْ من سُلَيم وعامرِ

فإنه يعنى اليوم الذى قَتَلَتْ فيه بنو تغلب عميرَ بنَ الحُبَاب السُّلمىّ .

وكان السببُ فى ذلك فـيما أخبرنى به علىّ بنُ سـليمان الأخفش قال حدّثنى أبو سعيد السكرىّ عن محمد بن حبيب عن أبى عبيدة عن ابن الأعرابىّ عن المفضل :

أن قَيْسًا وتغلب تحاشدوا لمـّا كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمَرْج راهطٍ ، فكانوا يتغاورون (٢) ، وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالثَّوْباذ وما حوله ، وَجَلَبَتْ إليها طوائفَ تغلب وجميع بطونها ، إلا أن بكربن جُشَم لم تجتمع أحلافُهم من النَّمِرِبن قاسط . وحشدت بكرفلم يأت الجمعُ منهم على قدر عددهم . وكانت تغلبُ بدوًا بالجزيرة لا حاضرة لهـا إلا قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعةَ وأخلاط مضر ، ففارقتهم قضاعةُ قبل حرب تغلب ، وأرسلت تغلبُ إلى مهاجِريها وهم بأَذْرَبِيجان ، فأتاهم شعيبُ بنُ مُلَيْل فى ألفى فارس . وآستنصر عمير تميما وأسدا فلم يأته منهم أحد ؛ فقال :

أيا أخَوَيْنا من تميم هُـدِيتُمَا * ومن أسـدٍ هل تسمعانِ المُنَادِيا

ألم تعلمـا مُذْ جاء بـكْرُبنُ وائل * وتغلبُ ألفـاًفا تَهُـزّ العـواليا

(١) خطر الرمح : اهتز فهو خاطر والجمع خواطر . (٢) يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

إلى قومكم قد تعلمون مكانهم * وهم قُرْبُ أدنى حاضرِين و باديا

وكان مَنْ حضر ذلك من وجوه بكر بن وائلٍ المُجَشِّرُ بنُ الحارث بنِ عامرِ بنِ مرّةَ ابن عبد الله بن أبى ربيعة بن ذُهلِ بنِ شيبان، وكان من سادات شيبانَ بالجزيرة فأتاهم فى جمع كثيرٍ من بنى أبى ربيعة . وفى ذلك يقول تميمُ بن الحباب بعد يوم الحشّاك .

فإن تحتجزْ بالماء بكرُ بنُ وائلٍ * بنى عمّنا فالدهر ذو مُتَغَيَّرِ

فسوف نُخيضُ[1] الماء أو سوف نلتقى * فنقتصَّ من أبناء عم المُجَشِّر

وأتاهم زِمامُ بنُ مالك بن الحصين من بنى عمرو بن هاشم بن مُرَّة[2] فى جمع كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار، فقُتِل . وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيدُ الله ابنُ زيادِ بن ظَبْيان، ورهصة بنُ النعمان بن سويد بن خالد من بنى أسعد[3] بن همّام، فلذلك تحامل المُصْعَبُ بنُ الزبير على أبانِ بن زياد أخى عبيد الله بن زياد فقتله . وفى هذا السببِ كانت فُرْقَةُ عبيدالله لمصعبٍ، وجمعت تغلِبُ فأكثرت، فلما أتى عميرا كثرةُ من أتى من بنى تغلِب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم :

أناديهم وقد خَذَلَتْ كلاب * وحولى من ربيعةَ كالجبالِ

أقاتِلُهم بحىّ بنى سُلَيْمٍ * ويَعْصُرَ[4] كالمصاعيب النِّهالِ

فِدًى لفوارس الثرثار قومى * وما جَمَّعْتُ من أهلى ومالى

فإمّا أمْسِ قد حانت وفاتى * فقد فارقت أعصرَ غير قالِ

---

(١) أخاضه فى الماء : جعله يخوضه . (٢) فى ف : «عمرو بن همام» . (٣) فى ب، س «أسد» ، وما أثبتناه عن باقى الأصول . (٤) يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب (كمكرم) : وهو الفحل الذى يترك من الركوب والعمل للفحلة، ونهل البعير كفرح : شرب حتى روى، وعطش : ضدّ، فهو ناهل و جمعه نهال، كنائم ونيام، ونهلان جمع نهال أيضا كعطشان وعطاش .

أَبَعْـدَ فوارسِ الثرثار أرجو * ثَرَاءَ المـال أو عددَ الرجال !

ثم زحف العسكرانِ ، فأتت قيسٌ وتغلبُ الثرثار ، بين رأس الأثيل والْكُحَيْل ، فشاهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بنُ مُلَيْلٍ وثعلبةُ بنُ نِياطٍ التغلبيان قدما فى ألفى فارس فى الحـديد ، فعبروا على قرية يقال لها لِـبَّى[1] على شاطئ دجلةَ بين تكريت وبين الموصل ، ثم توجهوا إلى الثرثار ، فنظر شعيبٌ إلى دواخن[2] قيس ، فقال لثعلبة بن نِياط : سِر بنا إليهم ، فقال له : الرأىُ أن نسير إلى جماعةِ قومنا فيكون مقاتلُنا واحدا ، فقال شعيبٌ : والله لا تَحَـدَّثُ تغلبُ أنى نظرت إلى دواخنهم ثم آنصرفتُ عنهم ، فأرسـل ناسا من أصحابه قُدَّامه وعمـيرٌ يقاتل بنى تغلب . وذلك يوم الخميس ، وعلى تغلب حنظلةُ بنُ هَوْبَرٍ ، أحدُ بنى كنانة بن تيم ، فجاء رجلٌ من أصحاب عميرٍ إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته ، وأنه قد عدل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكفونى قتال ابن هوبرٍ ، ومضى هو فى جماعة من أصحابه ، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ ، فقتلهم كلَّهم غيرَ رجل من بنى كعب بن زهير يقال له : قَتَبُ بنُ عبيد ، فقال عميرٌ : يا قتبُ ، أخبرنى ما وراءك؟ قال : قد أتاك شعيب بن مليل فى أصحابه . وفارق ثعلبةُ بنُ نِياطٍ شعيبا ، فمضى إلى حنظلة بن هوبرٍ ، فقاتل معه القيْسيَّةَ ، فقُتِل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالا شديدا ، فما صُلِّيت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون ، وقطعت رجلُ شعيب يومئذ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول :

قـد علِمت قيسٌ ونحن نعلم * أنَّ الفـتى يفتِك وهْو أجذم[3]

فلما قتِـل شعيب نزل أصحابه ، فعقروا دوابَّهم ، ثم قاتلوا حتى قُتِلوا ، فلما رآه عمير قتيلا قال : من سرّه أن ينظر إلى الأسد عقيرا فها هو ذا . وجعلت تغلبُ يومئذ ترتجز وتقاتل وهى تقول :

(١) كذا فى ف ؛ وهو الصحيح ، وفى سائر النسخ : « أبا » ، تحريف .
(٢) الدواخن : جمع داخنة ، وهى المدخنة .
(٣) أجذم : أقطع .

انْعَوا إياسًا واندُبوا مُجاشِعا * كلاهما كان كريما فاجعا
* وَيْهِ بنى تغلِبَ ضربا ناقِعا [(١)] *

وٱنصرف عُمَيرٌ إلى عسكره، وأبلغ بنى تغلِب مقتل شعيبٍ، فحميتْ على القتال وتذامرت على الصبر، فقال مِحصَنُ بنُ حصين بن جنجور أحدُ الأبناء : مضيت أنا ومن أَفْلَتَ من أصحاب شعيب بعد العصر، فأتينا راهبا فى صومعته، فسألنا عن حالنا، فأخبرْناه، فأمر تلميذا له، فجاءه بخِرَقٍ فداوى جِراحَنا، وذلك غداةَ يوم الجمعة. فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبرُ مقتلِ عمير وأصحابه، وهرب من أفلت منهم.

صــــوت

إنَّ جنبى على الفراش لنابِ * كتجافى الأَسَرِّ فوق الظِّرابِ
من حديثٍ نَمَى إلىّ فما أَطْـ * ـعَمُ غُمْضًا ولا أُسِيغُ شرابى
لِشُرَحْبِيلَ إذ تعاوَرَه الأر * ماحُ فى حال شِدَّة وشبابِ
فارس يطعَنُ الكُماةَ جرىء * تحته قارِحٌ [(٢)] كلون الغرابِ

عروضه من الخفيف. الأَسَرّ : البعيرُ الذى يكون به السَّرَرُ، وهى قرحةٌ تخرج فى كِرْكِرَتِه، لا يقدِرُ أن يَبْرُكَ إلا على موضعٍ مُسْتوٍ من الأرض، والظرابُ: النشوزُ والجبال الصغار، واحدها ظَرِبٌ. والشعرُ لِغَلْفَاءَ، وهو معديكربُ بنُ الحارث بن عمرو ٱبن حُجر آكلِ ٱلْمُرار الكِندىّ يرثى أخاه شُرَحبيل قتيلَ يوم الكُلاب الأول، والغناء للغريض ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو.

---

(١) كلمة ويه : إغراء وتحريض كما يقال : دونك يافلان. ضربا ناقعا : بالغا قاتلا.

(٢) القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل فى السادسة.

* * *

وكان السببُ فى مقتله وقصّة يوم الكُلاب فيما أخبرنا به محمدُ بنُ العباس اليزيدى وعلىُّ بن سليمان الأخفشُ قالا حدثنا أبوسعيد السكرىُّ قال أخبرنا محمد ابنُ حبيبٍ عن أبى عبيدة قال أخبرنى إبراهيم بن سَعدان عن أبيه عن أبى عبيدة قال أخبرنى دَماذ عن أبى عبيدة قال : ٥

كان من حديث الكُلاب الأوّل أن قُباذَ ملك فارسَ لمّا ملك كان ضعيف المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء — وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشَّقيِّقة — فأخرجوه ؛ وإنما سُمّى ذا القرنين لأنه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هاربا منهم حتى مات فى إيادٍ ، وترك ابنه المنذرَ الأصغر فيهم — وكان أذكى ولده — فانطلقت ربيعةُ إلى كِنْدةَ ، ١٠ فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار ، فملّكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظهَرَ على ما كانت العربُ تسكُنُ مِنْ أرض العراق ، وأبى قباذُ أن يُمِدَّ المنذرَ بجيش . فلما رأى ذلك المنذرُ كتب إلى الحارث ابن عمرٍو : إنى فى غيرقومى ، وأنت أحقُّ مَنْ ضَمَّنى ، وأنا مُتَحوِّلٌ إليك ؛ فحوله إليه وزوّجه ابنته هندا . ففرّق الحارث بنيه فى قبائل العرب ، فصار شُرَحبيلُ بن الحارث ١٥ فى بنى بكر بن وائل وحنظلة بن مالك و بنى أسيد[(1)] ، وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب ، وصار معدِ يكربُ بن الحارث — وهو غَلْفاء — فى قيس ، وصار سَلَمةُ بن الحارث فى بنى تغلب والنَّمِر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مَناة . فلما هلك الحارثُ تشتّت أمر بنيه ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ ٢٠ فسار شُرَحبيل ومَنْ معه من بنى تميم والقبائل ، فنزلوا الكُلاب — وهو فيما بين

٦٤ / ١١

(١) كذا فى ف ؛ وفى سائر الأصول : وحنظلة بن الحارث فى بنى أسد .

الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة — وأقبل سلمة بن الحارث فى تَغْلِبَ والنَّمِرِ ومن معه، وفى الصنائع — وهم الذين يقال لهم بنو رقيّة، وهى أمٌّ لهم ينتسبون إليها، وكانوا يكونون مع الملوك — يريدون الكُلاب. وكان نصحاء شُرَحبيل وسَلمة قد نَهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد، وحذّروهما عَثَرات الحرب وسوءَ مغبّتها، فلم يقبلا ولم يبرحا، وأبيا إلّا التتابُعَ واللجاجة فى أمرهم، فقال آمرؤ القيس بنُ حُجْرٍ[1] فى ذلك :

أَنَّى علىّ آستَتَبَّ لومُكما * ولم تلوما عَمْرًا[2] ولا عُصُما

كَلَّا يمينَ الإله يجمعنا * شىء وأخوالَنا بنى جُشَما

حتى تزور السباعُ ملحمةً * كأنها من ثمودَ أو إرَمَا

وكان أوّلَ من ورد الكُلابَ من جمع سلمةَ سفيانُ بن مُجاشع بن دارم، وكان نازلا فى بنى تَغْلب مع إخوته لأمّه، فقتلت بكرُ بنُ وائلٍ بنين له، فيهم مُرّةُ بنُ سفيان، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبى ربيعةَ بن ذُهْل بن شيبان؛ فقال سفيانُ وهو يرتجز:

الشيخُ شيخٌ ثكلانْ * والجوفُ جوفٌ حَرّانْ

والوِردُ وِردٌ عجلانْ * أَنْعَى مُرّةَ بنَ سُفيانْ[3]

وفى ذلك يقولُ الفرزدقُ :

شيوخٌ منهمُ عُدُسُ بنُ زيد * وسفيانُ الذى ورد الكُلابا

وأوّلُ من ورد الماء من بنى تغلِبَ رجلٌ مِنْ بنى عبيدِبنِ جُشَمَ يقال له النعمانُ بنُ قُرَيْعِ آبن حارثةَ بن معاويةَ بن عبد بن جشم، وعبدُ يغوث بن دَوْس، وهو عم الأخطل — دوسٌ والفَدَوْكَسُ أخوان — على فرس له يقال له الحَرُون، وبه كان يعرف

(١) كذا فى جميع الأصول، والذى فى شرح النقائض ص ٤٥٢، وشرح المفضليات ص ٤٢٨ : «فقال سلمة». (٢) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : «حجرا». (٣) هذا الشطر قد دخله الخزم بزيادة حرفين فى أوله.

٦٥/١١

ثم ورد سلمةُ، ببنى تغلب وسعد وجماعة الناس، وعلى بنى تغلب يومئذ السفاح — وآسمه سلمةُ بنُ خالد بن كعب بن زُهَير بن تيم بن أسامةَ بن مالك بن بكر بن حبيب — وهو يقول :

إنّ الكُلاب ماؤنا نخلّوهْ * وساجراً[1] والله لن تحُلّوهْ

فاقتتل القوم قتالا شديدا، وثَبَتَ بعضُهم لبعض، حتى إذا كان فى آخر النهار من ذلك اليوم خَذَلَتْ بنو حنظلةَ وعمرُو بن تميم والرِّبابُ بكرَ بنَ وائل، وانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بنى تغلب، وصبر ابنا وائلٍ : بكرٌ وتغلبُ ليس معهم غيرُهُم، حتى إذا غشيهم الليل نادى منُادى سلمةَ : مَنْ أتى برأس شرحبيلَ فله مائة من الإبل، وكان شُرَحْبِيل نازلا فى بنى حنظلةَ وعمرو بن تميم، فَفَرُّوا عنه، وعَرَف مكانه أبو حَنَش — وهو عُصْمُ بنُ النعمان بن مالكِ بن غياث بن سعد ابن زهيرِ بن جُشَم بن بكر بن حبيبٍ — فَصَمَدَ نحوه، فلما انتهى إليه رآه جالسا وطوائفُ الناس يقاتلون حوله، فطعنه بالرمح، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وألقاه إليه . ويقال إنّ بنى حنظلةَ وبنى عمرو بن تميم والرِّباب لمّا انهزموا خرج معهم شُرَحبيلُ، فلحقه ذو السُّنَيْنَة — واسمه حبيب بن عُتَيبة بن حبيب بن بعج ابن عتبةَ بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدةٌ — فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على رُكْبته، فأطنّ[2] رجلَه، وكان ذو السنينة أخا أبى حَنَش لأمه، أمُّهُما سَلْمى بنتُ عدىّ بن ربيعة بنتُ أخى كليبٍ ومهلهلٍ، فقال ذو السنينة : قتلنى الرجل! فقال أبو حنش: قتلنى الله إنْ لم أقتلْه، فحَمَلَ عليه، فلما غَشيَه قال : يا أباحنش، أمِلكًا بسوقة؟ قال: إنه قد كان مَلِكى، فطعنه أبو حنش، فأصاب رادفة[3]

(١) ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بنى تميم .
(٢) أطنّ رجله : قطعها .
(٣) رادفة السرج : مؤخرته .

السّرج، فورّعتْ[1] عنه، ثم تناوله فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فاحتزّ رأسه، فبعث به إلى سلمة مع ابنِ عم له يقال له أبو أَجَأ بنُ كعب بن مالك بن غياث، فألقاه بين يديه، فقال له سلمة : لو كنت ألقيته إلقاء رفيقا! فقال : ما صَنَع بى وهو حىٌّ أشدُّ من هذا، وعرف أبو أَجَأ الندامةَ فى وجهه والجزعَ على أخيه، فهرب وهرب أبو حنش فتنحى عنه، فقال معدِ يكربُ أخُو شرحبيل، وكان صاحبَ سلامةٍ معتزلا عن جميع هذه الحروب :

ألا أبلغْ أبا حنشٍ رسولًا * فما لك لا تجىءُ إلى الثوابِ!
تعلّمْ أن خيرَ النـاس طُرًّا * قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ
تداعت حوله جُشَمُ بن بكر * وأسلمه جعاسيسُ[2] الرِّبابِ
قتيلٌ ما قتيلُك يآبن سَلْمَى * تَضُرُّ به صديقك أو تُحابى

فقال أبو حَنَش مجيبا له :

أحاذر أن أجيئكمُ فتَحْبُو * حِباءَ أبيك يوم صُنَيْبِعاتِ[3]
فكانت غدرةً شنعاء تهفـو * تَقَلَّدَها أبوك إلى المماتِ

ويقال : إنّ الشعر الأوّل لسلمةَ بن الحارث .

وقال معد يكرب المعروفُ بغَلْفَاءَ يرثى أخاه شرحبيل بن الحارث :

إنّ جنبى عن الفراش لنـابى * كتجافى الأَسَرِّ فوق الظِّرابِ
من حديثٍ نَمَى إلىّ فـلا تر * قأُ عـينى ولا أُسيغُ شرابى

(١) ورّعت عنه : منعت . (٢) جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .

(٣) صنيبعات : موضع أو ماء نهشت عنده حية ابنا صغيرا للحارث بن عمرو، وكان مسترضعا فى بنى تميم؛ وبنو تميم وبكر فى مكان واحد يومئذ على صنيبعات، فأتاه منهما قوم يعتذرون إليه، فقتلهم جميعا .

مُرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمها النا * سَ على حَرِّ مَلَّةٍ كالشِّهابِ[1]

من شرحبيلَ إذ تَعاوَرُه الأر * ماحُ فى حال لَذّة وشبابِ

٦٦/١١

يآبن أمى ولو شهِدتُك إذ تد * عو تميما، وأنت غيرُ مجابِ

لتركتُ الحسام تجرى ظُباه[2] * من دماء الأعداء يوم الكُلابِ

ثم طاعنتُ من ورائك حتى * تبلغَ الرُّحْبَ أو تُبَزَّ ثيابى[3]

يوم ثارت بنو تميم وولّت * خيلُهم يتّقين بالأذنابِ

ويْحكم يا بنى أسَيِّدَ إنّى * ويحكم ربُّكم وربُّ الرِّبابِ

أين معطيكمُ الجزيلَ وحابيـ * ـكم على الفقر بالمئين الكُبابِ[4]

فارس يضرب الكتيبةَ بالسيـ * ـف على نحره كنَضْح المَلابِ[5]

فارسٌ يطعُنُ الكماة جرىء * تحته قارحٌ كلون الغرابِ

قال : ولما قتِل شرحبيلُ قامت بنو سعدِ بن زيد مناةَ بن تميم دون عِياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم. ولِيَ ذلك منهم عوفُ بنُ شَجْنَةَ بنِ الحارث بن عُطارِد بن عوف بن سعد بن كعب، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه، فأثنى عليهم فى ذلك آمرؤ القيس بن حُجْرٍ، ومدحهم به فى شعره فقال :

ألا إنّ قوما كنتُمُ أمسِ دونهم * هم آستنقذوا جاراتِكم آلَ غُدْرانِ

(١) الملة : الرماد الحار . (٢) الظبا : جمع ظبة، حدّ السيف . (٣) أى تنزع عنى بموتى .

(٤) كذا فى ف؛ والكباب : الكثير من الإبل، وفى سائر الأصول : «اللباب»، ولباب الإبل : خيارها .

(٥) الملاب : ضرب من الطيب، أو الزعفران .

عُوَيْرٌ ومَن مثلُ العـويرِ ورهطِه * وأسعدَ فى يوم الهَزاهِز صَفْوانُ[1]

وهى قصيدة معروفة طويلة :

صـــوت

وعينُ الرّضا عن كلّ عيب كليـلةٌ * ولكنّ عينَ السخط تُبدى المساويا

وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا

الشعرُ لعبدالله بن معاوية بن عبدالله الجعفرىّ، يقوله للحسين بن عبدِالله بن عبيد الله ابن العباس ؛ هكذا ذكر مصعبٌ الزبيرىّ . وذكر مؤرّج فيما أخبرنا به اليزيدىّ عن عمه أبى جعفر عن مُؤَرِّج — وهو الصحيح — أنّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر فى صديقٍ له يقال له قُصَىّ بن ذَكْوان، وكان قد عتب عليه . وأوّل الشعر :

رأيت قُصَيّاً كان شيئا مُلَفَّفاً * فكشَّفَه التمحيصُ حتّى بدا ليا

فلا زاد ما بينى وبينك بعدما * بلوتُكَ فى الحاجاتِ إلّا تنائيـا

والغناء لبنـان بن عمرون رملٌ بالوسـطى . وفيه الثقيـلُ الأوّل لعَريبَ من رواية أبى العنْبس وغيره .

---

(١) أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . عويروصفوان : رجلان من القوم الذين ذكر أنهم منعوه وتحزم بهم . وفى البيت إقواء .

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

نسبه

هو عبدُ الله بْنُ معاويةَ بنِ عبد الله بنِ جعفرِ بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . وأُمّ عبدِ الله بن جعفر وسائرِ بني جعفر أسماءُ بنتُ عُمَيْس ابنِ معد[1] بن تيم بن مالكِ بنِ قُحافةَ بن عامرِ بن ربيعةَ بن عامر بن معاويةَ بنِ زيد ابن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفْرِس بن أَفْتَل ، وهو خَثْعَمُ بن خَثْعَم ابن أَنمار . وأُمّها هند بنتُ عوفٍ ، امرأةٌ من جُرَش . هذه الجُرَشيّة أكرمُ الناس أحماء ، أحماؤها : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعليٌّ وجعفرٌ وحمزةُ والعباسُ وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنما صار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أَحْمائها أنه كان لها أربعُ بناتٍ : ميمونةُ زوجةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمّ الفضل زوجةُ العباس وأم بنيه ، وسَلْمى زوجةُ حمزةَ بن عبد المطلب ؛ بناتُ الحارث ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْس أختُهُنّ لأمّهنّ ؛ كانت عند جعفرِ بن أبي طالب ، ثم خلفَ عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنّ اللواتي قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهنّ : " إنهنّ مؤمناتٌ " .

حدّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدّثني يحيى بنُ الحسنِ العلويُّ قال حدّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدّثنا داودُ بنُ عبدالله قال : حدّثني عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيّ عن إبراهيم بن عُقبةَ عن كُرَيْبٍ عن آبن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الأخوات المؤمناتُ : ميمونةُ ، وأُمّ الفضل ، وسَلْمى ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْس أختُهُنّ لأمّهنّ " .

(١) في الأصول : « معقل » ؛ وهو تحريف .

حدّثنى أحمد قال حدّثنى يحيى قال حدّثنا الحسن بن على قال حدّثنى عبد الرزاق قال أخبرنى يحيى بنُ العَلاء البَجَلِىُّ عن عمه شعيب بن خالد عن حنظلة بن سَمُرة ابن المسيِّب عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس قال :

دخل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم على فاطمةَ وعلىٍّ، عليهما السلام — ليلةَ بَنَى بها — فأبصر خيالًا من وراء السِّتر، فقال : "من هذا ؟" فقالت : أسماءُ؛ قال : "بنتُ عميس"؟ قالت : نعم، أنا التى أَحْرُس بنتَكَ يا رسول الله؛ فإنّ الفتاة(1) ليلة بنائها لا بدّ لها من آمرأة تكون قريبًا منها، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فإنى أسأل إلهى أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك مِنَ الشيطان" .

طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه .

أدرك رسول الله وروى عنه

فمما رَوَى عنه ما حدّثنيه حامدُ بنُ محمد بن شعيب البَلْخىُّ وأحمدُ بن محمد بن الجَعْد قالا حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنى إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله ابن جعفر قال : رأيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يأكل البِطّيخ بالرُّطَبِ .

رآه النبىّ يلعب فداعبه

حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنا يحيى بن الحسن قال حدّثنا سلمة ابن شبيب قال حدّثنا عبد الرزاق قال أخبرنى آبن يحيى وعثمان بن أبى سليمان قالا :

مرّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بعبد الله بنِ جعفرٍ وهو يصنع شيئًا من طين من لُعَبِ الصبيان فقال : "ما تصنعُ بهذا"؟ قال : أبيعه، قال : "ما تصنع بثمنه"؟ قال : أشترى به رُطَبًا فآكُلُه؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "اللهم بارك له فى صَفْقَةِ يَمينه" . فكان يقال : ما آشترى شيئًا إلا ربح فيه .

(1) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : « المرأة » .

تعرض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثيابا

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمى مصعب عن جدّى عبد الله بن مصعب :

أنّ الحزين قُمِر (١) فى العقيق فى غداةٍ باردةٍ ثيابه ، فمرّ به عبدُ الله بن جعفر وعليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ ، فاستعار الحزينُ من رجل ثوبا ، ثم قام إليه فقال :

٦٨ / ١١

٥ أقولُ له حين واجهتُه * عليك السلام أبا جعفر

فقال : وعليك السلام ، فقال :

فأنت المهذّبُ من غالبٍ * وفى البيت منها الذى تُذْكَرُ

فقال : كذبتَ يا عدوّ الله ، ذاك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

فهذى ثيابىَ قد أخلَقتْ * وقد عضّنى زمنٌ منكر

١٠ قال : هاكَ ثيابى ، فأعطاه ثيابَه .

قال الزبير قال عمّى : أما البيتُ الثانى فحدّثنيه عمّى عن الفضل بن الربيع عن أبى ، وما بقى فأنا سمعته من أبى .

تعرض له أعرابى وهو على سفر فأعطاه راحلة بما عليها

حدّثنا أحمدُ بن محمد بنِ سعيدٍ قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال :

بلغنى أن أعرابيًّا وقف على مروان بنِ عبد الحكم أيامَ الموسم بالمدينة فسأله ، ١٥ فقال : يا أعرابىّ ، ما عندنا ما نصلُك ، ولكن عليك بآبن جعفر . فأتى الأعرابىُّ باب عبدِ الله بن جعفر فإذا ثَقَلُه (٢) قد سار نحوَ مكة ، وراحلتُه بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلّق ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابى يقول :

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوّة * صلاتُهمُ للسلمين طَهورُ

أبا جعفرٍ إن الحجيجَ ترحّلوا * وليس لرحلى فاعلمنّ بعير

٢٠ (١) قمر : غلب فى القمار .

(٢) الثقل : المتاع والحشم .

أبا جعفر ضنّ الأميرُ بماله * وأنت على ما فى يديك أميرُ

وأنت امرؤٌ من هاشم فى صميمها * إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصير

فقال : يا أعرابى ، سار الثَّقلُ فدونك الراحلةَ بما عليها، وإياك أن تُخْدَعَ عن السَّيفِ فإنى أخذتُه بألف دينار . فأنشأ الأعرابىّ يقول :

حبانىَ عبدُ الله ، نفسى فداؤهُ * بأعيسَ مَوّارٍ سِباطٍ مَشافِرُهْ (1)

وأبيضَ من ماء الحديد كأنه * شِهاب بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهْ (2)

وكل آمرئ يرجو نوال آبن جعفر * سيجرى له باليُمن والبشر طائرُهْ

فيا خيرَ خلق الله نفسا ووالدا * وأكرَمَه للجار حين يجاوره

سأثنى بما أوليتنى يابن جعفر * وما شاكرٌ عُرْفاً كمن هو كافره

ذكر له شاعر أنه كساه فى المنام ، فكساه جبة وشى

وحدّثنى أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدّثنى شيخٌ من بنى تميم بخراسان قال: جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر فى المنام * كسانى من الخزِّ دُرَّاعَهْ (3)

شكوتُ إلى صاحبى أمرها * فقال ستؤتى بها الساعه

سيكسُوكَها الماجدُ الجعفرىّ * ومَن كفُّه الدهرَ نفَّاعه

ومن قال للجود لا تَعْدُنى * فقال لك السمع والطاعه

(1) أعيس : واحد العيس وهى الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . الموار : النشيط فى سيره المفتول العضل يمور عضداه إذا ترددا فى عرض جنبيه . المشافر ، جمع مشفر كمنبر : ما يقابل الشفة فى الإنسان . وسباط ، يريد أنها لينة .

(2) عسكر الليل : ظلمته .

(3) الدرّاعة : جبة مشقوقة المقدّم .

فقال عبدُ الله لغلامه : ادفع إليه دُرّاعتى الخزّ ثم قال له : كيف لو ترى جبتى المنسوجةَ بالذهب التى اشتريتها بثلثمائة دينارٍ! فقال له الشاعر: بأبى دعنى أغفى إغفاءةً أخرى فلعلّى أرى هذه الجبة فى المنام، فضحك منه وقال : يا غلام ادفع إليه جبّتى الوشى .

٦٩ / ١١

اعترض ابن دأب على شعر الشماخ فى مدحه بأنه دون شعره فى عرابة

٥ حدّثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دَأْبٍ : وسمِع قولَ الشمّاخ بنِ ضِرارٍ الثعلبىّ فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رحمه الله :

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى * ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى

وجار ضيفٍ طرق الحىّ سُرَى * صادَفَ زادا وحديثا يُشْتَهَى

* إن الحديث طَرَفٌ من القِرى *

١٠ فقال ابن دأب : العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لَعَرابة الأوسى :

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ * تلقّاها عَرابةُ باليمين

عبد الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة .

جوده على أهل المدينة

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بنُ الحسن يقول كان أهلُ المدينة ١٥ يَدّانُون بعضُهم من بعض إلى أن يأتى عطاءُ عبد الله بن جعفر .

جوده على رجل جلب إلى المدينة سكرا كسد عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى يحيى قال : حدّثنى أبو عبيد قال حدّثنى يزيدُ بنُ هارونَ عن هشام عن ابن سِيرين قال :

جلبَ رجلٌ إلى المدينة سُكّرا فكَسَدَ عليه فقيل له : لو أتيت ابنَ جعفر قبِله منك وأعطاك الثمن، فأتى ابنَ جعفرٍ فأخبره، فأمره بإحضاره وبُسِطَ له، ثم أمرَ به

فنُثر، فقال: للناس انتهبوا، فلما رأى الناسَ ينتهبون قال : جعِلتُ فداءك ! آخذ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرجل يَهِيلُ فى غرائره ، ثم قال لعبد الله : أَعطنى الثمنَ فقال : وكم ثمنُ سكّرك ؟ قال : أربعة آلافِ درهم، فأمر له بها .

أخبرنا أحمدُ قال حدّثنى يحيى بنُ على ، وحدّثنى ابن عبد العزيز قال حدّثنا أبو محمد الباهلىّ حسنُ بنُ سعيد عن الأصمعىّ نحوه وزاد فيه ، قال : ٥

فقال الرجل : ما يدرى هذا وما يعقِلُ أخذَ أم أعطى ! لأطلبَنّه بالثمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمنُ سكّرى ، فأطرق عبدُ الله مليّا ثم قال : ياغلامُ، أعطه أربعةَ آلاف درهم ، فأعطاه إياها ، فقال الرجل : قد قلتُ لكم : إن هذا الرجلَ لا يعقل : أخذ أم أعطى ! لأطلبنّه بالثمن . فغدا عليه فقال: أصلحك الله ! ثمنُ سكّرى ، فأطرق عبدُ الله مليّا ، ثم رفع رأسه إلى رجل، فقال : ادفع إليه أربعة آلاف درهم . ١٠ فلما ولّى ليقبضها قال له ابن جعفر : يا أعرابى، هذه تمام اثنىْ عشرَ ألفَ درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

باعه رجل جملا وأخذ ثمنه مرارا فمدحه

وأخبرنى أبو الحسن الأسدىّ عن دَماذ عن أبى عبيدة :

أن أعرابيًّا باع راحلةً من عبدِ الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثا ، وذكر فى الخبر مثلَ الذى قبله وزاد فيه : فقال فيه : ١٥

لا خير فى المُجتَدِى[1] فى الحين تسألُهُ * فاستمطِروا من قريش خيرَ مُختَدَعِ
تخال فيه إذا حاورته بَلَهًا[2] * من جوده وهْو وافى العقل والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيسِ الرُّقيّات .

(١) المجتدى : الذى تطالب جدواه أى عطيته .

(٢) فى ف : « حاولته » . ٢٠

وفاته عام الجحاف

أخبرنى الحَرَمِىُّ بنُ أبى العلاء والطوسىّ قالا حدّثنا الزبير قال حدّثنى مصعبُ ابنُ عثمان قال :

لمـا ولى عبـدُ الملك الخلافة جفا عبـدَ الله بنَ جعفر، فراح يوما إلى الجمعـة وهو يقول : اللهـمَّ إنك عوّدتنى عادةً جريتُ عليهـا ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضنى إليك، فَتوُفِّىَ فى الجمعة الأخرى. قال يحيى : تُوفِّى عبد الله وهو ٱبنُ سبعين سنة فى سـنةِ ثمانين وهو عامُ الجُحَاف لسيلٍ كان بمكة جَحَفَ الحاجَّ فذهب بالإبل عليها الحُمولةُ، وكان الوالى على المدينة يومئذ أبانُ بنُ عثمان فى خلافة عبدِ الملك ٱبنِ مروان، وهو الذى صلّى عليه .

٧٠ / ١١

وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه

حدّثنى أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدّثنا الحسينُ بنُ محمد قال أخبرنى محمدُ بنُ مُكْرَمٍ قال أخبرنى أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ قال أخبرنى الأصمعى عن الجعفرىّ قال :

لمّـا مات عبـدُ الله بنُ جعفر شهـده أهل المدينـة كلُّهـم ، وإنمـا كان عبدُ الله بنُ جعفر مأوى المساكينِ وملجأً الضعفاءِ ، فما تنظر إلى ذى حِجًا إلّا رأيته مُسْتَعْبِرًا قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شَفِير القـبر فقال : رحمك الله يابنَ جعفر! إن كنتَ لِرَحِمك لواصلا، ولأهل الشر لمبغضا ، ولأهل الرّيبة لقاليا، ولقد كنتَ فيما بينى وبينك كما قال الأعشى :

رعيتَ الّذى كان بينى وبينكم * من الوُدِّ حتى غيّبتْك المقـابِرُ

فرحِمك الله! يوم ولِدتَ و يوم كنتَ رجلا و يوم متَّ و يوم تُبعثُ حيًّا، والله لئن كانت هاشمٌ أُصيبَتْ بك لقـد عمّ قريشًا كلَّها هُلْكُك، فمـا أظنّ أن يُرَى بعـدك مثـلُك .

وقوف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه

فقام عمرُو بنُ سعيد بن العاص الأشدقُ فقال : لا إله إلا الله الذى يرث الأرضَ ومَنْ عليها و إليه تُرْجعون، ما كان أحلى العيشَ بك يا بن جعفر ! وما أسْمَجَ ما أصْبَحَ بعدك ! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمَعتْ عليك، كان والله حديثُك غيرَ مشوبٍ بكَذِبٍ، ووُدُّك غيرَ ممزوج بكدرٍ .

نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمه وأسكته

فوثب ٱبنٌ للمُغيرة بنِ نوفلٍ ــ ولم يُثبِت الأصمعيُّ اسمه ــ فقال : ياعَمْرو، بِمَنْ تُعَرِّضُ بمزج الودّ وشَوْبِ الحديث ؟ أفبابْنَيْ فاطمةَ ؟ فهما والله خيرٌ منك ومنه ، فقال : على رِسْلِكَ يالُكَع(١) ! أردتَ أن أُدخلَك معهم ؟ هيهات لستَ هُناكَ، والله لو متَّ أنتَ ومات أبوك ما مُدِحتَ ولا ذُمِمْتَ، فتكلمْ بما شئتَ فلن تجد لك مجيبا؛ فما هو إلا أن سمعهما الناسُ يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا . قال يحيى :

شعر ابن قيس الرقيات فى علته التى مات فيها

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات فى علةِ عبدِ الله بنِ جعفر التى مات فيها :

بَاتَ قلبي تَشُفُّه(٢) الأوجاع * من همومٍ تُجِنُّها(٣) الأضلاعُ
من حديث سمعتُه مَنَعَ النو * مَ فقلبي مما سمعتُ يُرَاعُ
إذ أتانا بما كرِهْنا أبو ٱللّسْـ * ـلاسِ، كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريعًا * أدركتْ نفسَه المنايا السِّراعُ
قال يشكو الصُّداعَ وهو ثقيلٌ * بك لا بالذى عَنيتَ الصُّداع
ابنَ أسماءَ لا أبالكَ تَنْعَى * أنه غيرُ هالكٍ نفّاعُ
هاشميًّا بكفّه من سِجال الـ * ـمجد سَجْلٌ يهون فيه القُبَاع(٤)

(١) اللكع : اللئيم والأحمق . (٢) شفه الحزن : لذعه وأحرقه . (٣) أجنه : ستره .
(٤) السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : مكيال ضخم واسع .

نشر النـاسُ كلَّ ذلك منــه * شيمة المجـد ليس فيـه خِداعُ

لم أجِد بعـدك الأخِلّاءَ إلّا * كثِمادٍ[(١)] به قَــذًى أو نِقـاعُ

بيتُـه من بيوت عبـدِ منافٍ * مدّ أطنـابَهُ المكانُ اليَفـاعُ[(٢)]

منتهى الحمـدِ والنبـوة والمجـ * ـدِ إذا قصّر اللئام الوِضـاعُ[(٣)]

٥ فستأتيك مِدحةٌ من كريم * ناله من نَدَى سِجالك باعُ

من هذا الشعر الذى قاله ابن قيس فى عبد الله بن جعفر بيتان يغنّى فيهما ، وهما : ٧١/١١

صـــــوت

قـد أتانا بمـا كرِهنـا أبو الأسـ * ـلاس كانت بنفســه الأوجاع

قال يشكو الصداع وهو ثقيـل * بك لا بالّذى ذكرتَ الصُّــداع

١٠ غَنّاه عمرُو بنُ بانةَ خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى على مذهب إسحق . ويقال إن عمرو ابن بانة صاغ هذا اللحنَ فى هذا الشـعر وغنّى به الواثقَ بعقب علّة نالتْـه وصُداعٍ تشكّاه ؛ قال : فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم . وأمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أمُّ ولد . وكان من رجالات قريش ، ولم يكن فى ولد عبد الله مثلُه .

بشروه وهو عنـد معاوية بولد فسماه باسمه

حدّثنا محمد بنُ العبّـاس اليزيدىّ قال حدّثنا أحمـدُ بن الحارث الخرّازُ عن

١٥ المدائنىّ عن أبى عبد الرحمن القرشىّ :

أنّ معاوية بن عبدِ الله بنَ جعفر وُلِدَ وأبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك وعرف معاويةُ الخبرَ فقال : سمِّه معاويةَ ولك مائةُ ألفِ درهم ، ففعل ، فأعطاه المـال ، وأعطاه عبدُ الله للّذى بشّره به . قال المدائنىّ : وكان عبدُ الله بن جعفر

(١) الثماد : الماء القليل لا مادّ له . النقاع جمع نقع : وهو الغبار .

٢٠ (٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . (٣) الوضاع : جمع وضيع .

لا يؤدّب ولده، ويقول : إن يُرِدِ الله جلّ وعزّ بهم خيرا يتأدّبوا ، فلم يُنْجِبْ فيهم غيرُ معاوية .

خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر

أخبرنى محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال حدّثنا هرونُ بنُ محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال هارونُ وحدّثنى محمدُ بنُ عبد الله بن موسى آبن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدّثنى عمرُو بنُ الحكم السّعيدىُّ و إبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معنِ بنِ عَنْبسةَ قالوا :

كان معاويةُ بنُ عبد الله بن جعفر قد عوّد آبنَ هَرْمةَ البِرَّ، فجاءه يوما وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين دينارا بدَيْنٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضا بِرّا ، فقال للجارية : قولى له : أيدينا ضَيِّقةٌ، وما عندنا شىءٌ إلّا شىءٌ أخذناه بكُلْفَةٍ، فرجعتْ جاريتُه بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها :

فإنى ومدحَك غيرَ المصيـ * ـب كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ
مدحتك أرجو لديك الثوابَ * فكنتُ كعاصر جَنْبِ الحَجَرْ

و بعث بالرقعة مع الجارية ، فدفعتْها إلى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علِم بها أحدٌ ! قالت : لا والله إنما دفعها من يده إلى يدى ؛ قال : فخذى هذه الدنانير فادفعيها إليه ، فخرجت بها إليه ، فقال : كلّا ، أليس زَعَم أنه لا يدفع إلىّ شيئا ؟

كان ابنه معاوية صديقا ليزيد بن معاوية فسمى ابنه باسمه

أخبرنى الحَرَمِىّ بنُ أبى العلاء والطوسىُّ قالا حدّثنا الزبير قال حدّثنى عمّى مصعب قال :

سمّى عبدُ الله بن جعفر آبنَه معاويةَ بمعاويةَ بن أبى سفيان . قال : وكان معاويةُ بنُ عبد الله بن جعفر صديقا ليزيدَ بن معاوية خاصة ، فسمى آبنه بيزيدَ آبن معاوية .

وصيته لابنه معاوية عند وفاته

قال الزبير : وحدّثنى محمدُ بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد :

أن عبدَ اللهِ بنَ جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنْفًا[1] كان فى أذنه وأوصى إليه — وفى ولدِه مَنْ هو أسنُّ منه — وقال له : إنى لم أزل أؤمِّلُك لها . فلما تُوُفى احتال بدَيْنِ أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقَسَمَ أموالَ أبيه بين ولَدِه، ولم يستأثِر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

٧٢
١١

وأمُّ عبدِ الله بن معاوية أمُّ عون بنتُ عباس بنِ ربيعةَ بن الحارث بن عبدِ المُطَّلب . ويقال : بنت عياش بن ربيعة . وقد روى عباسٌ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وكان معه يومَ حُنَيْنٍ ، وهو أحد من ثَبَتَ معه يومئذ .

بعض صفات عبدالله بن معاوية

وكان عبدُ الله من فتيانِ بنى هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم، ولم يكن محمودَ المذهب فى دينه، وكان يُرْمى بالزندقة ويستولى عليه من يُعْرَف ويُشْهَرُ أمرُه فيها ، وكان قد خرج بالكوفة فى آخرِ أيام مروانَ بنِ محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحى الجبل ثم إلى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر

ويُكْنَى عبدُ الله بن جعفر أبا معاوية ، وله يقول ابن هَرْمة :

أُحْبُ مدحًا أبا معاويةَ الما * جدَ لا تلقَه حَصُورا[2] عَيِيّا

بل كريمًا يرتاح للمجد بسّا * مًا إذا هزّه السؤال حَيِيا

إنّ لى عنده وإن رَغِمَ الأعـ * ـداءُ حظًّا من نفسه وقَفِيّا

— قفيا : أثرة ، يقول : إن لى عنده لأثرة على غيرى ، وقال قوم آخرون : القفىّ : الكرامة[3] —

إن أمت تَبْقَ مِدحتى وإخائى * وثنائى من الحياة مَلِيّا

يأخذ السبقَ بالتقدّم فى الجر * ى إذا ما النَّدى انتحاه عليا

ذو وفاءٍ عند العِدات وأوصا * ه أبوه ألّا يزالَ وفيّا

(١) الشنف : الذى يلبس فى أعلى الأذن . (٢) الحصور : الممسك البخيل الضيق ، والضيق الصدر .
(٣) هذا التفسير لم يرد إلا فى ف وط .

فَرَعَى عقـدةَ الوَصاة فأكرِم * بهما مُوصِـيًا وهـذا وصِـيّا
يا بن أسماءَ فاْسقِ دَلوى فقد أو * ردتهـا مَنْهَـلاً يشُـجُّ رَوِيّا

يعنى أمه أسماءَ، وهى أمُّ عون بنتُ العباس بن ربيعةَ بن الحارثِ بن عبد المطلب.
وأوّلُ هذه القصيدة :

عاتِبِ النفسَ والفؤادَ الغَوِيّا * فى طِلاب الصِّبا فلستَ صبيّا ٥

قال يحيى بن علىّ فيما أجازه لنا :

أخبرنى أبو أيوب المدينىُّ وأخبرَنَاه وكيعٌ عن هارونَ بن محمـد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاقَ عن أبيه قالا : مدح ابن هَرْمَة عبدَ الله بن جعفر بن أبى طالب فأتاه، فوجدالناس بعضَهم على بعض على بابه. قال ٱبن هَرْمة: ورآنى بعض خدمه فعرفنى، فسألته عن الذين رأيتُهم ببابه فقال : عامّتُهم غُرماءُ له، فقلت: ذاكشرٌّ. ١٠ وٱستؤذِن لى عليـه فقلت : لم أعلم واللهِ بهـؤلاء الغرماءِ ببـابك، قال : لا عليك أنشِدنى. قلت: أعيذُك بالله . وٱستحييت أن أُنشد، فأبى إلا أن أنشده قصيدتى التى أقول فيهـا :

حَلَلْتَ محـلَّ القلب من آل هاشم * فعُـشُّك مأوَى بيضِها المتفَـلِّقِ
ولم تك بالمُعْـزَى إليهـا نِصـابُهُ[1] * لِصـاقا ولا ذا المركب المُتَعلِّقِ ١٥
ثمن مثـلُ عبد الله أو مثلُ جعفر * ومثـل أبيك الأريَحِىِّ المُرَهَّقِ[2]

فقال : مَنْ ها هنا من الغرماء ؟ فقيل : فلانٌ وفلان، فدعا باثنين منهـم فسارَّهما وخرجا، وقال لى[3] : اِتْبَعهما . قال : فأعطيانى مالا كثيرا . قال يحيى : ومن مختار مدحه فيه منها قوله :

(١) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : «ولم تك فيها بالمعرى نصابه». (٢) المرهق : ٢٠
الكريم الجواد الذى يغشاه الناس. (٣) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : « وقال لابن هرمة ».

فإلّا تُواتِ اليومَ سلمى فربما * شربنا بحوض اللهو غيرِ المرنَّق

فدعها فقد أَعْذَرْتَ(١) فى ذكر وصلها * وأجريت فيها شأْوَ غربٍ ومشرق

ولكن لعبد الله فأنطق بمدحة * تُجيرُكَ من عُسْر الزمانِ المُطبِّق(٢)

أخ قلت للأدنين لمّا مدحته(٣) * هَلُمُّوا وسارى الليل مِ الآن فاطْرُق(٤)

شديدُ التأنّى فى الأمور مجرَّب * متى يَفْرِ أمرَ القوم يَفْرِ ويخلُق(٥)

ترى الخير يجرى فى أسرَّة(٦) وجهه * كما لألأتْ فى السيف جريةُ رَوْنق

كريم إذا ما شاء عدَّ له أبا * له نسبٌ فوق السِّماك المحلِّق

وأمًّا لها فضلٌ على كلّ حرّة * متى ما تسابِق بأبنها القومَ تَسْبِق

ومما يغنى فيه من قصيدة ٱبن هرمة اليائيّة التى مدح بها ٱبن معاوية قوله :

صوت

عجِبتْ جارتى لشيبٍ علانى * عَمْرَكِ اللهَ هل رأيتِ بَدِيّا(٧)

إنما يُعْذر الوليد ولا يُعـ * ـذَر من عاش فى الزمان عتيّا(٨)

غنّى فيهما فُلَيحٌ رملا بالبنصر مِنْ روايةِ عمرو بن بانةَ ومن روايةِ حبشٍ فيهما لأبن محرزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

---

(١) أعذر : بلغ أقصى الغاية فى العذر، والشأو : الغاية . (٢) طبق الشىء : عمّ . (٣) فى ف : «لما صحبته» . (٤) ورد فى هامش ط أمام هذا البيت : «كأنه قال : قلت لأصحابى : هلموا من الآن ولسارى الليل أطرق» . (٥) فى ف : «متى يعم» . ويفرى : يشق ويقطع . ويخلق : يقدّر، من خلق الأديم : قدّره لما يريد قبل القطع . (٦) أسرة الوجه : خطوطه، جمع سرار كسنان . لألأ البرق والنجم : أضاء ولمع، أو اضطرب بريقه، والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . (٧) بدى مسهل بدىء، والبدىء : العجيب . (٨) عتا الشيخ عتيا : أسن وكبر .

خروج عبد الله ابن معاوية على بنى أمية

حدّثنا بالسبب فى خروجه أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمارٍ قال حدّثنا علىُّ بنُ محمد النوفلىُّ عن أبيه وعمه عيسى، قال ٱبن عمار وأخبرنا أيضا ببعض خبره أحمدُ بن أبى خَيْثَمَةَ عن مصعبٍ الزبيرى، قال ٱبن عمار وأخبرنى أحمدُ بنُ الحارث الخرّازُ عن المدائنىّ عن أبى اليقظانِ وشهابِ بن عبد الله وغيرهما، قال ٱبن عمار وحدّثنى به سليمانُ ٱبن أبى شيخ عمن ذكره. قال أبو الفرج الأصبهانى: ونسخت أنا أيضا بعضَ خبره من كتابِ محمد بن على بن حمزة عن المدائنى وغيره، فجمعت معانىَ ما ذكروه فى ذلك كراهةَ الإطالة :

أنّ عبد الله بنَ معاويةَ قدم الكوفة زائرا لعبد الله بن عُمَرَ بن عبد العزيز ومستميحا[1] له، فتزوج بالكوفة بنتَ الشرقى بن عبد المُؤْمن بن شَبَث بن رِبْعِىٍّ الرياحى، فلما وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بنى أمية، وقالوا له : ٱخْرُجْ فأنت أحقُّ بهذا الأمرِ مِنْ غيرك، وٱجتمعت له جماعةٌ، فلم يشعر به عبدُالله بنُ عمر إلا وقد خرج عليه. قال ٱبن عمارٍ فى خبره : إنه إنما خرج فى أيام يزيدَ بنِ الوليد، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد صلّى الله عليه وسلم ولبس الصوفَ وأظهر سِيمى الخَيْر، فاجتمع إليه وبايعه بعضُ أهل الكوفة، ولم يبايعه كُلُّهُمْ وقالوا : ما فينا بَقِيَّةٌ، قد قُتِل جمهورنا مع أهل هذا البيتِ، وأشاروا عليه بقصدِ فارسَ وبلادِ المشرق فقبِل ذلك، وجمع جموعا من النواحى، وخرج معه عبدُ الله بنُ العباس التميمىُّ. قال محمدُ بنُ علىّ بن حمزةَ عن سليمانَ بن أبى شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة : إن ٱبن معاوية قَبْلَ قَصْدِه المشرِقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه، وعلى الكوفة يومئذ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبدُالله بنُ عمر، فخرج إلى ظهر الكوفة مما يلى الحَرّة، فقاتل ٱبن معاوية قتالا شديدا. قال محمدُ بن علىّ بن حمزة عن المدائنى عن عامر بن حفصٍ، وأخبرنى به ٱبن عمار

(١) استماحه : سأله العطاء.

عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أن ابن عمر هـذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَنْ وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزمَ الناسُ بهزيمته ، فبلغ ذلك آبنَ معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا آنهزم آبن حمزة فلا يهولنكم ، فلما آلتقوا آنهزم آبن حمزة وآنهزم الناسُ معه فلم يبق غير آبن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تفرّقتِ الظباءُ على خِداشٍ * فما يدرى خِداش ما يصيد

ثم ولى وجهه منهزما فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحى مَن أجابه ، حتى صار فى عِدّة ، فغلب على ماهِ الكوفة وماهِ البصرة[1] وهَمَذَان وقُمّ والرّىّ وقُومَس وأصبَهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بنى يَشْكُر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء وآجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ، فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكرِهتم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبـد الله بن معاوية فيما ذكر محمـدُ بنُ علىّ بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبى هريرة ومحرِز بن جعفر : أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وآستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر ، وأخاه يزيدَ على شِيرازَ ، وأخاه عليا على كَرْمانَ ، وأخاه صالحا على قُمّ ونواحيها ، وقَصَدَتْهُ بنو هاشم جميعا منهم السّفاحُ والمنصورُ وعيسى بن علىّ . وقال آبن أبى خيثمةَ عن مصعب : وقصده وجوهُ قريش من بنى أمية وغيرهم ، فمِمَّنْ قصده من بنى أميـة سليمانُ بنُ هشامِ بن عبد الملك وعمـرُ بنُ سُهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فمن أراد منهم عملا قلّده ، ومن أراد منهم صِلة وصله .

(١) يراد بماه البصرة نهاوند ، وبماه الكوفة الدينور (معجم البلدان : نهاوند) .

وجه إليه مروان ابن محمد جيشا لمحاربته بقيادة ابن ضبارة

فلم يزل مقيما فى هذه النواحى التى غَلَب عليها حتى ولِىَ مروانُ بنُ محمد الذى يقال له مروان الحمار، فوجّه إليه عامرَ بنَ ضُبَارَة فى عسكر كثيف، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابَه وحضهم على الخروج إليه، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصدِين لخراسان ــ وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر ابن سيار ــ فلما صار فى بعض الطريق نزل على رجل من التُّنَّاء[1] ذى مروءة ونعمة وجاهٍ[2]، فسأله معونته، فقال له : من أنت مِنْ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أأنت إبراهيمُ الإمامُ الذى يُدْعى له بخراسان؟ قال: لا، قال فلا حاجة لى فى نصرتك.

التجأ إلى أبى مسلم فحبسه

فخرج إلى أبى مسلم وطمِع فى نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده، وجعل عليه عينا يرفع إليه أخباره، فرفع إليه أنه يقول : ليس فى الأرض أحمقُ منكم يا أهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليدَ أموركم من غير أن تراجعوه فى شىء أو تسألوه عنه، والله ما رضِيت الملائكةُ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدمَ عليه السلام، فقالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾، حتى قال لهم : ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

كتابه إلى أبى مسلم وهو فى حبسه

٧٥ / ١١

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التى يقول فيها : «إلى أبى مسلم، من الأسير فى يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه[3]. أما بعد، فإنك مستودَع ودائع، ومُولِى صنائع؛ وإن الودائع مرعِيَّةٌ، وإن الصنائع عارِيَّةٌ؛ فاذكر القصاص، واطلب الخلاص؛ ونبِّه للفكر قلبَك، واتقِ الله ربَّك؛ وآثِر ما يلقاك غدا على ما لا يلقاك أبدا؛ فإنك لاقٍ ما أسلفتَ، وغيرُ لاقٍ ما خلَّفتَ؛ وفقك الله لما ينجيك، وآتاك شُكْرَ ما يُبليك[4]» .

(١) التناء جمع تانئ : وهو الدهقان؛ زعيم فلاحى العجم، أو رئيس الإقليم .
(٢) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : « وجاه » .
(٣) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : « بلا ذنب ولا خلاف عليه » .
(٤) الإبلاء هنا : الإنعام والإحسان .

قتله أبو مسلم ووجه برأسه إلى ابن ضبارة

قال: فلما قرأ كتابه رمى به. ثم قال: قد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتنا وهو محبوس في أيدينا، فلو خرج وملك أمرنا لأهلَكَنا، ثم أمضى تدبيره في قتله. وقال آخرون: بل دسّ إليه سمّا فمات منه، ووجّه برأسه إلى آبن ضبارة فحمله إلى مروان. فأخبرني عمر بن عبد الله العَتَكِيُّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا محمد بن يحيى أنّ عبد العزيز بنَ عمران حدّثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جَعْدة ابن هُبيرةَ أنه حضر مروانَ يوم الزاب وهو يقاتل عبد الله بن علىّ، فسأل عنه فقيل له: هو الشابُّ المُصْفرُّ الذى كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جىء برأسه إليك فقال: والله لقد هممتُ بقتله مرارا، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه، ﴿وكان أمرُ الله قَدَرًا مقدورا﴾.

كانت الزنادقة من خاصته

حدّثني أحمد بن عبد الله بن عمار قال حدّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمه قال: كان عُمارة بنُ حمزة يُرْمى بالزندقة، فاستكتبه آبنُ معاوية، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بنِ إياس، وكان زنديقًا مأبونا، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقلىّ وإنما سمى بذلك لأنه كان يقول: الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه. فكان هؤلاء الثلاثةُ خاصّته، وكان له صاحبُ شُرْطة يقال له قيسٌ، وكان دُهريا[1] لا يُؤمن بالله معروفا بذلك، فكان يَعُسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتله، فدخل يوما على ابن معاوية فلما رآه قال:

إنّ قيسا وإن تقنَّع شيبا * لَخبيثُ الهوى على شَمَطِه[2]

ابنُ تسعين منظرا ومشيبًا * وآبنُ عشرٍ يُعَدّ في سَقَطِه

وأقبل على مطيع فقال: أجِزْ أنت، فقال:

وله شُرْطَةٌ إذا جنّه اللي * ـل فعوذوا بالله من شُرَطِه

(١) رجل دهرى: ملحد لا يؤمن بالآخرة، ويقول ببقاء الدهر.

(٢) الشمط: بياض الرأس يخالط سواده.

قسوته

قال ابن عمّار: أخبرنى أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ عن أبى اليقظان وشباب[1] بن عبد الله وغيرهما، قال آبن عمار وحدّثنى به سليمان بن أبى شيخ عمن ذكره:

أنّ آبن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط، وأنه فعل ذلك برجل، فجعل يستغيث فلا يلتفت إليه، فناداه: يا زنديق، أنت الذى تزعم أنه يُوحَى إليك! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات.

حدّثنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثنى النوفلىّ عن أبيه عن عمه عيسى قال:

كان آبن معاوية أقسى خلق الله قلبا، فغضب على غلام له وأنا جالس عنده فى غرفة بأصبهان، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل، ففعل ذلك به فتعلّق بدرابزين كان على الغرفة، فأمر بقطع يده التى أمسكه بها، فقطعت ومر الغلام يهوى حتى بلغ إلى الأرض فمات.

بعض شعره

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بنى هاشم وشعرائهم، وهو الذى يقول:

ألا تزع[2] القلبَ عن جهله * وعما تُؤنَّبُ من أجله!

فأبدل بعد الصبا حلمَه * وأقصر ذو العذل عن عذله

فلا تركبنّ الصنيعَ الذى * تلوم أخاك على مثله

ولا يعجبنّك قولُ امرئٍ * يخالف ما قال فى فعله

ولا تُتبِع الطَّرْفَ ما لا تنال * ولكن سل اللهَ من فضله

فكم من مُقِلٍّ ينال الغنى * ويحمد فى رزقه كلِّه

(١) فى ف: «شبيب». (٢) وزعه: كفه.

أنشدنا هذا الشعر له ابنُ عمار عن أحمد بن خَيْثمة عن يحيى بن معين . وذكر محمد بن عليّ العلوىّ (١) عن أحمد بن أبى خيثمةَ أن يحيى بنَ معين أنشده أيضا لعبد الله ابن معاوية :

إذا افتقرت نفسى قَصَرْتُ افتقارَها * عليها فلم يظهر لها أبدا فَقْرى
وإن تلقنى فى الدهر مندوحةُ (٢) الغنى * يكن لأخلّائى التوسُّعُ فى اليسر ٥
فلا العسرُ يُزْرى بى إذا هو نالنى * ولا اليسر يوما إن ظفرتُ به فَخْرى

وهذا الشعر الذى غنى به — أعنى قوله :

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة *

يقوله ابن معاويةَ للحسين بنِ عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان ١٠ الحسين أيضا سيئ المذهب مطعونا فى دينه .

شعره فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرىُّ قال حدّثنى علىُّ بنُ محمد بن سليمان النوفلىُّ قال حدّثنى إبراهيم بنُ يزيدَ الخشاب قال :

كان ابن معاوية صديقا للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بنُ معاوية يُرْمَيان بالزندقة ، فقال ١٥ الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شىء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية :

وإنّ حسينا كان شيئا ملفَّفا * فمحّصه التكشيفُ حتى بدا ليا
وعين الرضا عن كلّ عيب كليلةٌ * ولكن عين السخط تبدى المساويا
وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

٢٠ (١) فى ف : « محمد بن يحيى » . (٢) المندوحة : السعة .

وله فى الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات، فمنها ما أخبرنى به أحمدُ بن محمد بن سعيد ابن عُقدة . قال : أنشدنى يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية؛ يقوله فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب :

قل لذى الودّ والصفاء حسينٍ * أُقــدُرِ الــوُدَّ بيننا قَــدَرَهْ

ليس للدابغ المُقَــرِّظِ بُــدٌّ * من عتاب الأديم ذى البَشَرَه (١)

قال وقال له أيضا :

إنّ آبن عمــك وآبنَ أُمْــ * ـمِكَ مُعْلِمٌ شاكِى السلاح (٢)

يَقِص العــدوَّ وليس يَرْ * ضَى حين يَبْطُش بالجناح (٣)

لا تحسـبن أذى آبن عمّــ * ـكَ شربَ ألبـان اللِّقاح (٤)

بل كالشجا تحت اللَّهــا * ةِ إذا يُسَــوَّغ بالقَــراح (٥)

[فانظر لنفسك من يجيـ * ـبك تحت أطراف الرماح] (٦)

من لا يزال يسـوءُه * بالغيب أن يلحاك لاحِ (٧)

خبره مع جده عبد الحميد بن عبيد الله

أخبرنى الحرمىّ والطوسىّ قالا حدّثنا الزبير وحدّثنى أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنا يحيى بن الحسن قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى :

(١) قرظ الأديم : دبغه بالقرظ . ضمن البيت المثل : « إنما يعاتب الأديم ذو البشرة » والمعاتبة هنا : المعاودة، و بشرة الأديم : ظاهره الذى عليه الشعر، وأصله أن الجلد إذا لم تصلحه الدبغة الأولى أعيد إلى الدباغ إذا سلمت بشرته إذ يكون فيه محتمل وقوّة ، أما إذا نغلت بشرته فإنه يصير ضعيفا و يترك لئلا يزيد ضعفا ، ومعناه : إنما يراجع من تصلح مراجعته و يعاتب من الإخوان من لا يحمله العتاب على اللجاج . (٢) أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان . والشاكى : ذو الشوكة . (٣) وقصه : كسره ودقه . (٤) اللقاح : جمع لقحة ، وهى الناقة الحلوب . (٥) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، والقراح : الماء الخالص ، ويقال : أساغ الغصة بالماء . (٦) هذا البيت لم يذكر إلا فى ف . (٧) لحاه : لامه .

أنّ عبد الله بن معاوية مرّ بجدّه عبد الحميد فى مزرعته بصِرام[1] وقد عطِش فاستسقاه، فخاض[2] له سَويق لوزٍ فسقاه إياه، فقال عبد الله بن معاوية :

شربتُ طَبَرْزَذًا[3] بغريض مُزنٍ * كذوب الثلج خالطه الرُّضابُ

قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك، ورضاب كل شئ : ماؤه . فقال ٥ عبد الحميد بن عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله :

ما إن ماؤُنا بغريض مُزْنٍ * ولكنّ المِلاح بكم عِذابُ

وما إن بالطَّبرزذ طاب لكن * بمَسِّك لا به طاب الشراب

وأنت إذا وطئت تراب أرض * يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ

لأن نداك يُطفِى المَحْلَ[4] عنها * وتُحييها أياديك الرِّطاب

تغنى إبراهيم الموصلى فى شعره

١٠ قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم الموصلى قال :

بينا نحن عند الرشيد أنا وآبن جامع وعمرو الغَزّالُ إذ قال صاحب السِّتارة لآبن جامع : تَغَنَّ فى شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، قال : ولم يكن آبنُ جامعٍ يغنى فى شئ منه، وفطنت لِما أراد من شعره، وكنت قد تقدّمت فيه، ١٥ فأُرْتِج على آبن جامع، فلما رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت :

صوت

يَهِيم بجُمْلٍ وما إن يرى * له من سبيل إلى جُمْلِهِ

كأن لم يكن عاشق قبله * وقد عشِق الناس من قبله

فمنهم مَن الحب أودَى به * ومنهم مَن آشْفَى[5] على قتله

٢٠ (١) صرام، قال فى معجم البلدان : « هو رستاق بفارس وأصله چرام فعربوه هكذا » .
(٢) خاض : خلط، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير . (٣) الطبرزذ : السكر، والغريض : ماء المطر . (٤) المحل : القحط والجدب . (٥) أشفى : أشرف .

فإذا يد قد رفعت الستارة، فنظر إلىّ وقال: أحسنت والله! أعِد، فأعدته فقال: أحسنت! حتى فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ، ثم قال لصاحب الستارة كلاما لم أفهمه، فدعا صاحب الستارة غلاما فكلمه، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرةٌ دنانيرَ قد جاءت يحملها فرّاش، فوضِعَتْ تحت فخذى اليسرى وقيل لى: آجعلها تُكَأَتَك[1]، قال: فلما آنصرفنا قال لى آبن جامع: هل كنتَ وضعت لهذا الشعر غناءً قبل هذا الوقت؟ فقلت: ما شِعر قيل فى الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحنا خوفا من أن ينزل بى ما نزل بك. فلما كان المجلسُ الثانى وحضرنا قال صاحب الستارة: يابن جامع، تغنّ فى شعر عبد الله بن معاوية، فوقع فى مثل الذى وقع فيه بالأمس، قال إبراهيم: فلما رأيت ما حلّ به آندفعت فغنيت:

صــــوت

يا قوم كيف سِواغُ عيـ * ـشٍ ليس تؤمَن فاجِعاتُهْ
ليست تزالُ مطِـلَّةً * تغـدو عليك منغِّصاته
المـوت هولٌ داخـلٌ * يوما على كُرْهٍ أناتُهْ
لا بـدّ للحـذِر النَّفـو * رِ منَ آن تَقَنَّصَهُ رُماتُهْ
قـد أمنح الود الخليـ * ـلَ بغـير ما شئ رزاته[2]
وله أقـيمُ قنـاةَ و * دّى ما آستقامت لى قناته

قال: فأومأ إلىّ صاحب الستارة أن أمسك، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إلىّ أنه يبكى، قال: فأمسكت ثم آنصرفنا[3]، فقال لى آبن جامع: ما صبَّ أميرُ المؤمنين

(١) كذا فى م: وفى سائر الأصول «تكأك». (٢) أصله رزأته فسهل، ورزأه ماله: أصاب منه شيئا. (٣) كذا فى ف، وفى سائر الأصول: «ثم انصرفت».

على ابن جعفر؟ قلتُ : صبه الله عليه لبدرةِ الدنانير التى أخذتُها . قال : ثم حضر بعد ذلك، فلما اطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفىّ : اللهم أَنْسِه ذِكْرَ ابن جعفر، قال فقلت : اللهم لا تستجب، فقال صاحبُ الستارة : يابن جامع تَغَنَّ فى شعر عبد الله بن معاوية، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم فى عبد الله ابن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه (١) ولم يُقْبِل على الشعر، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أغنى فى شعره :

صــــوت

سَلا رَبَّةَ الخِدر ما شأنُها * ومن أيِّما شأنِنَا تعجب ؟
فلستُ بأوّل من فاته * على إرْبِه (٢) بعضُ ما يَطْلُبُ
وكائن تعرَّض من خاطب * فَزُوِّج غيرَ التى يخطب
وأُنكِحَها (٣) بعده غيرُه * وكانت له قبله تُحجَب
وكنا حديثًا صَفِيَّيْن لا * نخاف الوشاةَ وما سبَّبوا
فإن شطَّتِ الدار عنّا بها * فبانت وفى الناس مُسْتَعْتَبُ (٤)
وأصبح صدعُ الذى بيننا * كصدع الزجاجةِ ما يُشْعَبُ (٥)
وكالدَّرِّ (٦) ليست له رجعة * إلى الضَّرع من بعدما يُحْلَبُ

غنى فى البيتين الأوّلين إبراهيمُ الموصلىُّ خفيف ثقيل الأوّل بالوسطى من روايةِ أحمد ابن يحيى المكّىّ ووجدتهما فى بعض الكتب خفيف رملٍ غيرَ منسوب . قال : فقال

---

(١) يريد جده جعفر بن أبى طالب وكان يلقب بالطيار وبذى الجناحين لأنه قاتل يوم مؤتة حتى قطعت يداه فقتل ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث يشاء . (٢) الإرب : العقل والدهاء . (٣) أنكحها : زوّجها (٤) شطت : بعدت . مستعتب : استرضاء . (٥) يشعب : يصلح . (٦) الدر هنا : اللبن .

لى صاحب الستارة: أعد فأعدته، فأحسبُ أميرَ المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسفَ البـالِ، فأمر له بمثل الذى أمر لى بالأمس، وجاءونى ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذى اليسرى أيضا، وكان ابنُ جامع فيه حسد ما يستتر منه، فلمـا انصرفنا قال: اللهم أرحنا من ابنِ جعفرٍ هذا، فمـا أشدَّ بُغْضِى له، لقد بَغَّضَ إلىّ جدَّه، فقلت: ويحك! تدرى ما تقول! قال: فمن يدرى ما يقول؟ إذًا لوددتُ أنى لم أر إقباله عليك وعلى غنائك فى شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأنى تصدّقت بها — يعنى البدرة.

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية فى زوجته أم زيد بنت زيد[1] بن على بن الحسين عليهما السلام.

أخبرنى الطوسى والحرمىّ قالا حدّثنا الزبير بن بكار عن عمه قال:

شمتت به امرأته حين خطب امرأة وتزوّجها غيره فقال فى ذلك شعرا

خطب عبدُ الله بنُ معاوية رُبَيْحَـةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن علىّ بن عبد الله ابن جعفر، وخطبها بكّارُ بن عبـد الملك بن مروان، فتزوّجت بكارا، فشمتت بعبد الله امرأتُه أمّ زيد بنتُ زيد[1] بن على بن الحسين، فقال فى ذلك:

سلا ربّةَ الخِـدْر ما شأنُها ٭ ومِنْ أيِّمـا شأننـا تعجب

فقال ابن أبى خيثمة فى خبره عن مصعب قالت له: والله ما شمِتُّ ولكنى نَفِست[2] عليك، فقال لها: لا جَرَم! والله لا سُؤْتِك أبدا ما حييتُ:

صـــــوت

طاف الخيال من امّ شيْبَةَ فاعترى ٭ والقومُ من سِـنةٍ نَشاوى[3] بالكرى

طافت بخُوصٍ[4] كالقِسِىّ وفتيـةٍ ٭ هجعوا قليـلا بعـد ما ملُّوا السُّرى

الشعر لأبى وَجْزة السعدىّ، والغناء لإسحاق، ثقيل أوّل بالبنصر.

(١) كذا فى ب، س، جـ، وفى باقى الأصول: «أم زيد بنت على». (٢) نفس عليه بخير: حسد.
(٣) نشاوى: جمع نشوان، وهو السكران. (٤) الخوص: جمع أخوص وهو الغائر العينين.

أخبارُ أبي وجزة ونسبه

نسبه

آسمه يزيدُ بنُ عُبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسابين أنّ اسمه يزيد بن أبي عبيد، وأنه كان له أخٌ يقال له عبيد، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

دخل مع أبيه في بني سعد

٥ وأصله من سُليم من بني ضَبيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثة ابن سُلَيم ، ولكنه لحق أباه وهو صبي سِباءٌ في الجاهلية ، فبيع بسوق ذي المجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد، وآستعبده ، فلما كبر آستعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته ، فقال له : إنه لا سِباء على عربيّ ، وهذا الرجل قد آمتنّ عليك فإن شئت فأقم عنده ، وإن شئت فالحق بقومك ، فأقام في بني سعد وآنتسب إليهم هو وولده[1] .

كان بنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٠ وبنو سعد أظآرُ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان مُسْتَرْضَعًا فيهم عند آمرأة يقال لها حليمة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يَفَعَ ، ثم أخذه جدّه عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة ، وجاءته حليمةُ بعد الهجرة ، فأكرمها وبرّها وبسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تَفْتخِرُ بذلك على سائر هوازن ، وحقيقٌ بكل مَكْرُمَةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدنى سبب أو وسيلةٍ .

آثر أبوه الانتساب إلى بني سعد دون قومه بني سليم

١٥ أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملا منه في نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكيّ قال حدّثنا محمدُ بنُ سلّام الجمحيّ عن يونس . وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلّام عن يونس وأخبرني به عمي عن الكُرَانيّ عن الرِّياشيّ عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ عن أبي سعيد السكّريّ عن يعقوب بن السِّكّيت قالوا

٢٠ جميعا سوى يعقوب .

(١) كذا في ف ، وفي سائر الأصول : « والده » .

(٢) أظآر : جمع ظئر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

كان عبيدٌ أبو أبى وجزة السعدىُّ عبداً يبيع بسوق ذى المجاز فى الجاهلية فابتاعه وُهَيبُ بن خالدِ بنِ عامرِ بنِ عُمَيرِ بنِ ملّانَ بنِ ناصرةَ بنِ قُصَيّةَ بنِ نصيرِ بنِ سعدِ بنِ بكرِ بنِ هوازن، فأقام عنده زمانا يرعى إبله، ثم إن عبيدا ضرب ضَرْعَ ناقةٍ لمولاه فأدماه، فلطم وجهه، فخرج عبيدٌ إلى عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه مستعديا فلما قدم عليه قال : يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من بنى سُلَيمٍ، ثم من بنى ظَفَر أصابنى سِباء فى الجاهلية كما يصيب العرب بَعْضَها من بعض، وأنا معروفُ النسب، وقد كان رجل من بنى سعد آبتاعنى، فأساء إلىّ وضرب وجهى، وقد بلغنى أنه لا سِباء فى الإسلام، ولا رِقَّ على عربىّ فى الإسلام. فلمّا فرَغَ مِنْ كلامه حتّى أتى مولاه عمرَ آبن الخطاب رضى الله تعالى عنه على أثره، فقال : يا أمير المؤمنين، هذا غلامٌ آبتعتُه بذى المَجاز، وقد كان يقومُ فى مالى، فأساء فضربته ضربة والله ما أعلمُنى ضربتُه غيرَها قطّ، و إن الرجل ليضرب آبنَه أشدَّ منها فكيف بعبده، وأنا أُشهدك أنه حرٌّ لوجه الله تعالى، فقال عمر لعبيد : قد آمتن عليك هذا الرجل، وقطع عنك مؤنة البيّنة، فإن أحببت فأقم معه، فله عليك مِنّة، و إن أحببت فالحق بقومك، فأقام مع السعدىّ وآنتسب إلى بنى سعدِ بنِ بكر بن هوازن، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرْفُطَة المُزَنيَّة، فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقال يعقوب : « وأخاه عبيدا » وذكر أن أباهما كان يقال له أبو عبيد، ووافق من ذكرتُ روايته فى سائر الخبر، فلما بلغ آبناه طالباه بأن يَلْحق بأصله ويَنْتَمِى إلى قومه من بنى سليم، فقال : لا أفعلُ ولا أَلْحَقُ بهم فيعيّرونى كلَّ يوم ويدفعونى، وأترك قومًا يُكرمونى ويشرّفونى، فوالله لئن ذهبتُ إلى بنى ظَفَرٍ لا أرعى طُمَّةَ[1]، ولا أرِد جَمّة، إلا قالوا لى : يا عبدَ بنى سعدٍ قال : وطُمّة : جبل لهم. فقال أبو وجزة فى ذلك :

(١) كذا ضبط فى ط، وفى معجم ما استعجم : « طمية »، بضم الطاء وفتح الميم.

أنْمى فأعْقَلُ فى ضَبيس مَعقلًا * ضخمًا مناكِبُه تمــيمَ الهــادى[1]

والعَقــدُ فى مَلّان غــير مُزَلَّجٍ[2] * بقُوَى متينات الحبال شِــدادِ

وكان أبو وجزةَ من التابعين، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، ورأى عُمَرَ بنَ الخطاب رضى الله تعـالى عنه، ولم يسنِد إليـه حديثا؛ ولكنه حدّث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء، ونقل عنه جماعة من الرواة .

كان من التابعين وروى عن جماعة من أصحاب رسول الله

أخبرنى محمدُ بن خَلَفٍ وكيعٌ وعمى قالا حدّثنا عبــدُ الله بنُ شبيبٍ قال حدّثنى إبراهيم بن حمزة قال حدّثنى موسى بنُ شَيْبَةَ قال :

سمعتُ أبا وجزة السعدىَّ يقول قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: " ليس شعرُ حسانَ بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبدِ الله بن رَواحةَ شعرا، ولكنه حكمةٌ " .

فأما خبرُ الاستسقاء الذى رواه عن أبيه عن عمر فإن الحسنَ بنَ علىّ أخبرَنا به قال حدّثنا محمــد بنُ القاسم قال حدّثنى عبدُ الله بن عمــرو عن على بن الصبّاح عن هشامِ بن محمدٍ عن أبيــه عن أبى وجزة السعدىّ عن أبيــه قال :

شهِدتُ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنــه وقد خرج بالناس ليستسقىَ عامَ الرَّمادة؛ فقام وقام الناس خلفه، فجعل يستغفرُ الله رافعا صوتَه لا يزيد على ذلك؛ فقلت فى نفسى : ماله لا يأخذ فيما جاء له؛ ولم أعلم أنّ الاستغفار هــو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت[3] سحابة وأظلّتنا ، فسقِى الناس ، وقلَّدتنا[4] السماء قَلْدا، كل خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأَرِينَةَ[5] تأكلها صِغارُ الإبل من وراء حِقاقِ العُرْفُط[6] .

---

(١) نماه ينميه : نسبه ، وعقل : لجأ إلى معقل ، والهادى : العنق ، والتميم : التام والشديد .
(٢) المزلج : كل مالم تبالغ فيه ولم تحكمه .   (٣) نشأ السحاب : ارتفع وبدا ، وذلك فى أول ما يبدأ .
(٤) قلدتنا : مطرتنا ، والقلد (بالكسر) : الحظ من الماء ، و (بالفتح) المصدر .   (٥) الأرينة : نبت عريض الورق .   (٦) العرفط : شجر العضاه ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيها بحقاق الإبل ، والحق (بالكسر) : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل فى الرابعة ، والأنثى حقة .

مات سنة ثلاثين ومائة

وأخبرنى أبو الحسن الأسدىّ وهاشمُ بن محمد الخزاعىّ جميعا عن الرياشىّ عن الأصمعىّ عن عبدالله بن عمر العُمَرىّ عن أبى وجزة السعدىّ عن أبيه، وذكر الحديث مثله. وأخبرنى به إبراهيمُ بنُ أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبةَ، واللفظ متقارِب وزاد الرياشىُّ فى خبره: فقلت لأبى وجزة: ما حِقاق العُرْفُط؟ قال: نبات سنتين وثلاث. وزاد ابن قتيبة فى خبره عليهم قال: ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة.

٨١/١١

هو أحد من شبب بعجوز

وهو أحد من شبّب بعجوزٍ حيث يقول:

يأيها الرجلُ الموكَّلُ بالصبا * فيم ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من ددِ؟[1]

حتّام أنت موكَّلٌ بقديمة * أمست تَجَدَّدُ كاليمانى الجيّد

زان الجلالُ كمالها ورسا بها * عقلٌ وفاضلةٌ وشيمةُ سيّد

ضنّت بنائلها عليك وأنتما * غِرّان فى طلب الشباب الأغيد

فالآن ترجو أن تُثيبك نائلا * هيهات! نائلُها مكانَ الفرقَدِ

روى صورة استسقاء عمر عن أبيه

وأخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء والطوسىّ جميعا قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمدُ بن الحسن المخزومىّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبى وجزة السعدىّ عن أبيه قال:

استسقى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فلما وقف على المنبر أخذ فى الاستغفار، فقلت: ما أراه يعمل فى حاجته! ثم قال فى آخر كلامه: اللهم إنى قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم. ثم أخذ بيد العباس رضى الله تعالى عنه، ثم قال: وهذا عمّ نبيّك، ونحن نتوسل إليك به. فلما أراد عمر رضى الله تعالى عنه أن ينزل قَلَب رداءه، ثم نزل فتراءى الناس طُرّةً[2] فى مغرب الشمس، فقالوا: ما هذا!

(١) الدد: اللهو واللعب. (٢) الطرة: الطريقة من السحاب.

وما رأينا قبلَ ذلك قَزَعة[(١)] سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سمعنا الرعد، ثم انتشر، ثم اضطرب، فكان المطر يَقلِدنا قَلْدا فى كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرِينَة خارجة من حِقاق العُرْفُط تأكلها صغار الإبل .

مدح بنى الزبير وأكرموه

أخبرنى الحرمىّ بنُ أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمى عن جدّى قال :

خرج أبو وَجْزة السعدىّ وأبو زيد الأسلمىّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومىّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك فى أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشارِكنى فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلا والله، لَرجائى فى الأمير أعظم من رجائك فى آل الزبير. فقدِما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلَب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : أخرِج إلى هذا الأعرابى الِجلف فاَضربه وأخرجه ، فأُخرِج وضرِب . وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[(٢)] أن يعطى منه ستين وَسْقا[(٣)] من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم :

راحت قَلُوصى رواحا وهى حامدة * آلَ الزبير ولم تَعدِل بهم أحدا
راحت بستّين وَسْقا فى حقيبتها * ما حُمِّلت حِملَها الأدنى ولا السَّدَدا[(٤)]
ذاك القِرى لا كأقوامٍ عهِدتهمُ * يَقْرون ضيفَهم الملويّةَ الجُدُدا

يعنى السياط .

(١) القزعة : القطعة من السحاب . (٢) الفرع : قرية من نواحى الربذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة . وفى ف : « العرج » ، وهى قرية من عمل الفرع .
(٣) الوسق : حمل بعير . (٤) السدد : الوفق .

قال أبو الفرج الأصفهانى : قول أبى وجزة :

* راحت بستّين وسقا فى حقيبتها *

أنهـا حملت ستّين وَسْقا ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا نصفَه، وإنمـا عَنَى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستّين وسقا فركب ناقته والكِتاب معه بذلك قد حملتْه فى حقيبتها، فكأنّهـا(١) حاملة بالكتاب ستّين وَسْقا، لا أنها أطاقت حَمْـلَ ذلك. وهذا بيت معنى يُسأل عنه.

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التى ذكرها الأخفش لنا عن السكرى فى شعر أبى وجزة وأخباره :

٨٢ / ١١

أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه

كان أبو وجزة قد جاور مُزَيْنَة، وانتجع بلادهم لِصِهْره فيهم، فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيْل بن مُكَدَّم بن عُقَيل بن وهب بن عمـرو بن مُرَّة بن مازن بن عوف ابن ثور بن هُـذْمة بن لاطم بن عثمان، فأحسن عمرو جِواره وأكرم مثواه، فقال أبو وجزة يمدحه :

لمن دِمنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صَعيدُها * تَغَـيَّر باقيهـا وَمَحَّ جـديدُها(٢)

لِسَعدة من عام الهـزيمة إذ بنـا * تصافٍ وإذ لمـّا يَرُعْنا صُدودُها

وإذ هى أمّا نفسُهـا فأَرِيبـة(٣) * لِلَهوٍ، وأما عن صِبًا فتَذُودُها

تَصَيَّدُ ألبـابَ الرجالِ بِدَلِّهـا * وشيمتُهـا وَحْشيةٌ لا نَصيـدها

كباسـقه الوَسْمِيِّ ساعةَ أَسبلتْ * تلألأ فيها البرقُ وابيضّ جِيدُها(٤)

ـــ الباسقة : التى فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه، قال الله تبارك وتعـالى : ﴿ والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ(٥) ﴾ ـــ

(١) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : « فكانت ». (٢) النعف : موضع، وأصله : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى. عاف : دارس ممحو. مَحّ : بلى.
(٣) كذا فى جميع الأصول ما عدا جـ ففيها « فأبية ». (٤) الوسمى : مطر الربيع الأوّل. أسبلت : أمطرت. (٥) هذا التفسير لم يرد إلا فى « ف ».

كبِكرٍ تُرانى فَرقَــدين بقَفْرة * من الزمل أو فَيْحانَ لم يَعْسُ عُودُها (١)

لعمرو الندى عمرو بن آل مكدَّم * [كثيرُ علِيّاتِ الأمور جليدها] (٢)

[فتًى بين مَسْروجٍ وآلِ مُكدَّمٍ] (٢) * وعمْرٌو فتى عثمانَ طُرًّا وسيدُها (٣)

حليم إذا ما الجهلُ أفرط ذا النهى * على أمره، حامى الحَصاة شديدُها (٤)

وما زال ينحو فعلَ مَنْ كان قبله * مِنَ آبائه يَجنى العــلا ويُفيدها ٥

فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ * وقرَيْتَ مِنْ أدماءَ وارٍ قصيدُها (٥)

وذى كربةٍ فرّجتَ كُربةَ همّــه * وقد ظل مُسْتَدًّا عليــه وصيدُها (٦)

تزوج زينب بنت عرفطة وقال فيها رجزا فأجابته برجز مثــله

أخبرنى عمى قال حدّثنى العنَزِىّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبى مسروج قال :

١٠ تزوج أبو وجزة السعدىّ زينب بنت عُرْفُطة بن سهــلِ بن مكدَّم المزنيّــة فولدت له عُبيدا وكانت قد عنّست (٧)، وكان أبو وجزة يُبغضها ، و إنمــا أقام عليها لشرفها، فقال لها ذات يوم :

أُعطَى عُبيــدًا وعبيــدٌ مقْنَعُ * من عِرمِسٍ مَحْــزِمُها جَلنْفَعُ (٨)

(١) بقرة بكر : فتيــة . ترانى : من الرنو ، وهو إدامة النظر مع سكون الطرف . الفــرقد : ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يبس وصلب . (٢) ما بين المربعين تكملة من ف . ١٥

(٣) السيد : الأسد . (٤) أفرطه : أعجلـه ، والحصاة : العقل .

(٥) ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمن . وفى ف : « قريت قرى » . (٦) الوصيد : فناء الدار . (٧) عنست : طال مكثها فى منزل أهلها بعد إدراكها . (٨) العرمس : النــاقة الصلبة الشديدة . المحزم : ما وضع عليــه الحزام ، يعنى البطن . جلنفع : واسعة البطن . ٢٠

ذاتِ عساسٍ ما تكاد تَشْبَع * تجتَــلِدُ الصحْنَ وما إنْ تَبْضَع (١)
تمـــرّ فى الدار ولا تَوَرَّعُ * كأنهـــا فيهـــمْ شجاعٌ أقـــرعُ (٢)

فقالت زينب أمّ وجزة تجيبه :

أعْطى عُبيدا من شُيَيْخ ذى عَجَرْ * لا حَسَنِ الوجه ولا سمْحٍ يَسرْ (٣)
يشرب عُسَّ المَذْقِ فى اليوم الخَصِر * كأنمـا يقــذف فى ذات السُّعُر (٤)
* تقاذفَ السيلِ من الشِّعبِ المُضِرّ (٥) *

قال فى ابنه عبيد رجزا فأجابه برجز أيضا

قال : وقال أبو وجزة لابنه عُبيد :

يا راكبَ العَنْسِ كمِرداة العَلَمْ * أصلحك الله وأدنى ورحِمْ (٦)
إن أنت أبلغتَ وأدّيتَ الكَلِمْ * عنى عُبيــدَ بنَ يزيدَ لو عَلِمْ
قــد علِم الأقــوام أن سيَنْتَقِم * منـــك ومن أمّ تلقّتك وعم
ربٌّ يجازى السيئاتِ مَن ظَلَمْ * أنذرتُك الشَّدّةَ مِن لَيثٍ أَضِمْ (٧)
عادٍ أبى شِبلين فُرْفارٍ لَحِمْ * فارجع إلى أمّك تُفْرِشك ونَمْ (٨)
إلى عجوز رأسُها مثــل الإرَم * واطعَمْ فإنّ الله رزّاق الطُّعَمْ (٩)

٨٣
١١

(١) عساس : جمع عس (بالضم)، وهو القدح الضخم . اجتــلد الإناء : شرب كل ما فيــه . والصحن : العس العظيم ، وفى جميع الأصول عدا ف : « الصخر » تصحيف . بضع من المـاء وبه : روى وامتلأ . (٢) تتورّع : تتحرّج . الشجاع : ضرب من الحيات دقيق ، وشجاع أقرع : قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره . (٣) العجر (بالتحريك) : عظم البطن . (٤) المذق : اللبن المخلوط . الخصر : البـارد . السـعر : حرّ النار . (٥) الشعب : مسيل المـاء فى بطن الأرض . المضرّ : الدانى القريب يقال : سحاب مضر : مسف ، وأضر السيل من الحائط : دنا منه .
(٦) العنس : الناقة الصلبة . المرداة : الحجر الثقيل . العلم : الجبل .
(٧) الشدّة : الحملة . أضم : غضوب . (٨) فرفار : يفرفر كل شىء ، أى يكسره . لحم : كثير لحم الجسد . وأفرشه : فرش له . (٩) الإرم : الحجارة .

فقال عبيد لأبيه :

دعْها أبا وجزةَ واقعــد فى الغنمْ * فسوف يكفيك غــلامٌ كالزَّلَمْ [(١)]

مشــمِّر يُرقِــلِ فى نعــلٍ خَــذِمْ [(٢)] * وفى قفــاه لقمــة من اللقم [(٣)]

قـــد ولِهَتْ أُلّافها غــيرَ لَمَــمْ * حتى تناهت فى قفــا جَعْــدٍ أحَمْ [(٤)]

قال يعقوب : وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيِّره بنسبه :

هجاه أبو المزاحم وعيره بنسبه فردّ عليه

[دَعَتْك سُليمٌ عبــدَها فأجبتَهــا * وسعدٌ، وما ندرى لأيهما العبــدُ؟

فأجابه أبو وجزة فقال [(٥)]] :

أعيَّرتمونى أنْ دعتــنى أخاهمُ * ســليمٌ وأعطتنى بأيمــانها سعدُ

فكنتُ وسيطا فى سُــلَيم معاقِداً * لسعد، وسعدٌ ما يُحَلُّ لهــا عقــدُ [(٦)]

مدح عبد الله بن الحسن وإخوته فأكرموه

أخبرنى أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبَعىّ إجازةً قال حدثنا محمدُ بن مسعود الزُّرَقِىّ عن مسعود بن المفضّل مولى آل حسن بن حسن قال :

قدم أبو وجزة السعدى على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيْقةَ [(٧)]، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه :

---

(١) الزلم : القدح (بالكسر) الذى لا ريش عليه .

(٢) أرقل : أسرع فى سيره ، خذم : مقطع .

(٣) كذا فى معظم الأصول . وفى ف : « لمة من اللهم » ، وهو غير واضح .

(٤) ولهت : أحزنت وحيرت . واللم : الجنون . الجعد : البخيل اللئيم . الأحم : الأسود .

(٥) ما بين القوسين ساقط من جميع الأصول ما عدا ف .

(٦) الوسيط : الحسيب فى قومه .

(٧) سويقة : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل على بن أبى طالب رضى الله عنه .

أُثْنِي على ابْنَىْ رسول الله أفضلَ ما * أَثْنَى به أحـدٌ يوما على أحـد
السيدينِ الكريمَىْ كلِّ مُنْصَرَفٍ * من والدَين ومن صِهرٍ ومن ولد
ذريّةٌ بعضُها من بعضها عَمِرت * فى أصلِ مجد رفيعِ السَّمْك والعَمَدِ
ما ذا بنى لهـمُ من صالحٍ حسنٌ * وحَسَنٌ وعلىٌّ وابتنَوْا لغَـد(١)
فكرَّم الله ذاك البيتَ تكرِمةً * تَبقَى وتخلُد فيه آخرَ الأبد
هُمُ السَّدَى والنَّدَى، ما فى قناتِهمُ(٢) * إذا تعوّجت العيدانُ من أَوَد
مهذَّبون هِجانٌ أمّهاتُهمُ * إذا نُسِبن زُلالُ البارق البَرِدِ(٣)
بين الفواطم ماذا تمّ من كرم * إلى العواتك مجد غيرُ منتقَد(٤)
ما ينتهى المجد إلا فى بنى حسن * وما لهـم دونه من دار ملتحَد(٥)

---

(١) هذا البيت دخله الخبل فى أوّل الشطر الثانى، وهو حذف الثانى والرابع من مستفعلن .

(٢) فى جميع الأصول «ثم» وهو تحريف . والسدى : المعروف، يقال : أسدى إليه سدى . والأود : الاعوجاج .

(٣) هجان : كرام . البارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرد .

(٤) يقال للحسن والحسين رضى الله عنهما ابنا الفواطم : أمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدّتهما فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ أبيهما على بن أبى طالب وكانت أسلمت، ومن الفواطم : فاطمة بنت عبد الله بن عمرو بن عمران بن مخزوم جدّته صلى الله عليه وسلم لأبيه . والعواتك : جدّات النبى صلى الله عليه وسلم، قال يوم حنين : "أنا ابن العواتك من سليم" والعواتك من سليم ثلاث وهنّ : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أمّ عبد مناف بن قصى جدّ هاشم، وعاتكة بنت مرّة ابن هلال بن فالج بن ذكوان أمّ هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص بن مرّة بن هلال بن فالج ابن ذكوان أمّ وهب بن عبد مناف بن زهرة جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) الملتحد : الملجأ .

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائة وخمسين دينارا وأوقروا له رواحله (١) بُرًّا وتمرا، وكسوه ثوبين ثوبين .

فرض له عبدالملك ابن يزيد السعدى عطاء فى الجند وندبه لحرب أبى حمزة فقال فى ذلك رجزا

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو غسان والمدائنىّ جميعا :

٥ أن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدىّ كان قد نُدب لقتال أبى حمزة الأزدى الشارى لما جاء إلى المدينة فغلب عليها ، قال : و بعث إليه مروانُ بن محمد بمال ، ففرّقه فيمن خفّ معه من قومه ، فكان فيمن فُرِض (٢) [له] منهم أبو وجزة وابناه ، فخرج معترضا للعسكر على فرس ، وهو يرتجز ويقول :

قل لأبى حمزة هِيدِ هِيدِ * جئناك بالعادية الصِّنْديد (٣)

١٠ بالبطل القَرْم أبى الوليد * فارس قيس نَجدِها المعدود (٤)

فى خيل قيس والكُماة الصِّيد (٥) * كالسيف قد سُلَّ من الغُمود

محض هِجانٍ ماجدِ الجدود * فى الفَرع من قيس وفى العمود (٦)

فِدًى لعبد الملك الحميد * مالى من الطارف والتليد

يوم تَنادى الخيل بالصعيد * كأنه فى جُنَن (٧) الحديد

١٥ * سِيدٌ مُدِلٌّ عَزَّ كلّ سِيد (٨) *

٨٤
١١

(١) أوقر الدابة : حملها وقرا (بالكسر) ؛ وهو الحمل الثقيل . (٢) فرض له فى العطاء : جعل له فريضة ونصيبا . (٣) هيد هيد ؛ كتب فوق هاتين الكلمتين فى ط : « النجا ، النجا » ، وهو تفسير لهما ، وأصله فى زجر الإبل . و « جئناك » فى جـ ، وهامش ط ، وفى سائر الأصول : « أتاك » والتاء فى « العادية » للمبالغة . (٤) القرم : السيد المعظم . النجد : الشجاع الشديد

٢٠ البأس الماضى فيما يعجز عنه غيره . (٥) الصيد : جمع أصيد وهو الذى يرفع رأسه كبرا .

(٦) محض : خالص . رجل هجان : كريم الحسب نقيه . فرع كل شىء : أعلاه .

(٧) جنن جمع جنة ، وهى : كل ما وقى . (٨) السيد : الأسد . عز : فاق وغلب .

قال : وسار ابن عطية فى قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشأم ، فلق أبا حمزة فى آثنى عشر ألفا ، فقاتله يوما إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه : يابن عطية ، إن الله جل وعز قد جعل الليل سَكَنًا ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعا .

كان منقطعا لابن عطية مداحا له

قال : وكان أبو وجزة منقطعا إلى ابن عطية ، يقوم بقوت عياله وكسوته و يعطيه و يُفْضِلُ عليه ، وكان أبو وجزة مداحا له ، وفيه يقول :

حَنَّ الفؤاد إلى سُعدى ولم تُذَبِ * فيم الكثيرُ من التَّحْنَان والطربِ

قالت سعادُ أرى من شيبه عجبًا * مهلًا سعادُ فما فى الشيب من عجب

غنّى فى هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى فى مجراها من كتابه :

إمّا تَرَينى كسانى الدهرُ شيبتَه * فإن ما مرّ منه عنك لم يَغِبِ

سَقْيًا لسعدى على شيب ألمّ بنا * وقبل ذلك حين الرأسُ لم يشبِ

كأنّ رِيقتَها بعد الكرى اغتبقت * صوبَ الثريا بماء الكَرْم من حَلَبِ (١)

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

أَهدِى قِلاصًا عناجيجًا أضرّ بها * نَصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ (٢)

يقصِدْن سيّدَ قيسٍ وابنَ سيّدها * والفارسَ العِدَّ منها غيرَ ذى الكذب (٣)

(١) اغتبق : شرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشى . والصوب : المطر .

(٢) العناجيج هنا : الإبل ، واحده عنجوج كعصفور . نص ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير . والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل . والتقحيم : أن تقتحم الإبل المراحل واحدة بعد الأخرى تطويها فلا تنزل فيها . والعقب : جمع عقبة وهى قدر فرسخين ، أو قدر ما تسيره .

(٣) العدّ هنا : الذى لا تنفد شجاعته ، من قولهم ماء عدّ ، أى دائم لا تنفد مادّته .

محمد وأبوه وابنه صنعوا * له صنائعَ من مجد ومن حَسَب
إنى مدحتهمُ لمّا رأيت لهمْ * فضلا على غيرهم من سائر العرب
ألّا تُثِبْنِي به لا يَجْزِنِي أحد * ومَن يُثِيبُ إذا ما أنت لم تُثِب!

والأبيات التى ذكرتُ فيها الغناءَ المذكورَ معه أمرُ أبى وجزة من قصيدة له مدح بها أيضا عبدَ الملك بن عطية هذا . ومما يختار منها قوله :

حتى إذا هَجَدوا ألمَّ خيالُها * سَرًّا ، ألا بإلمامه كان المُنَى
طَرَقَتْ برَيَّا روضةٍ من عالجٍ[1] * وَسْمِيَّةٍ عذُبت وَبيَّتها النَّدى
يا أمّ شيبة أىَّ ساعةِ مَطْرَقٍ * نَبَّهتِنا ، أين المدينة مِن بَدَا؟[2]
إنى متى أقض اللُّبانة أجتهدْ * عَنَقَ العِتاق الناجيات على الوجى[3]
حتى أزورك إن تيسَّر طائرى * وسلمتُ من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول :

فلأمدحنّ بنى عطيةَ كلَّهم * مدحا يوافى فى المواسم والقُرَى
الأكرمين أوائلًا وأواخرا * والأحلمين إذا تُخُولِجَت الحُبا[4]
والمانعين من الهَضيمة جارَهم * والجامعين الراقعين لما وَهَى[5]
والعاطفين على الضَّريك بفضلهم * والسابقين إلى المكارم مَنْ سعى[6]

(١) الريا : الرائحة الطيبة . عالج : رملة بالبادية . وسمية : مطرت الوسمى وهو مطر الربيع الأوّل .
(٢) بدا : موضع بالشام قرب وادى القرى . (٣) العنق : ضرب من سير الإبل . الناجيات : المسرعات . الوجا : شدّة الحفا . (٤) تخولجت : تنوزعت . الحبا : جمع حبوة ، من احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وتنازع الحبا يكون عند الخصومة ؛ يريد أنهم يحلمون حين يجهل غيرهم .
(٥) الهضيمة : الظلم والغصب . وهى : تخرّق وتشقق .
(٦) الضريك : الزمن والضرير والفقير السيئ الحال .

٨٥
١١

مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه فيه

وهى قصيدة طويلة يمدح فيها بنى عطية جميعا و يذكر وقعتهم بأبى حمزة الخارجى، ولا معنى للإطالة بذكرها .

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدى قال .

كان أبو وجزة السعدىّ منقطعا إلى آل الزبير، وكان عبدُ الله بن عروة بن الزبير خاصّةً يُفْضِل عليه و يقوم بأمره ، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبدَ الله بنَ الحسَن آبنِ الحسن بنِ علىّ بنِ أبى طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فآطّرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه ، نسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ، ولا يَرْجِعُ له عبدُ الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه :

آل الزبير بنو حُرّة * مَرَوا بالسيوف صدورا خِنافا[1]
سَلِ الجُرْدَ عنهم وأيّامها * إذا امتعطوا المُرهَفاتِ الخِفافا

— آمتَعَطُوا : سَلّوا، ومنه ذئبٌ أمعطُ، مُنْسَلٌّ من شعره —

يموتونَ والْقتلُ داءٌ لهم * ويَصلَوْنَ يومَ السِّياف السِّيافا[2]
إذا فرج الْقتلُ عَنْ عِيصِهِمْ * أبى ذلكَ العيصُ إلّا التفافا[3]
مطاعيمُ تُحمَدُ أبياتُهُمْ * إذا قُنِّعَ الشاهقاتُ الطِّخافا[4]
وأَجبَنُ مِنْ صافِرٍ كلبُهُمْ * إذا قرعتْه حصاةٌ أَضافا[5]

فلما أنْشد ابن عروة هذه الأبيات رضى عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

(١) هذا البيت دخله الخرم . مرى الدم : استخرجه وأساله ومنه قوله :
* مروا بالسيوف المرهفات دماءهم *
خنافا : جمع خانف، خنف بأنفه : شمخ بأنفه من الكبر .
(٢) سايفه : جالده بالسيف وضاربه . (٣) العيص : الشجر الكثير الملتف .
(٤) قنعت : غطى رأسها . والطخاف : السحاب المرتفع .
(٥) الصافر : طائر يتعلق من الشجر برجليه و ينكس رأسه خوفا من أن ينام فيؤخذ، فيصفر منكوسا طول ليلته . وأضاف : خاف وأشفق وحذر، وفى الأصول : « أصاف » تصحيف .

صــــوت
من المـائة المختــارة

ألا هَلْ أسيرُ المـالكيّة مُطْلَقُ * فقد كاد لو لم يُعْفِهِ الله يَغْلَقُ[1]

فلا هو مقتولٌ، ففى القتل راحة * ولا مُنْعَمٌ يوما عليــه فَمُعْتَــقُ

الشــعر لعقيل بن عُلَّفَــةَ البيتُ الأوّلُ منه، والثانى لشبيب بنِ الْبَرْصاء، والغناء لأحمدَ بنِ المَكّىّ، خفيف ثقيل بالوُسْطى من كتابه، وفيه لدُقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانةَ، وأوّله :

ســلا أمّ عمرو فيمَ أَضْحَى أســيرُها * يُفَادَى الأسارى حَوْله وهو مُوثَقُ

وبعده البيتُ الثّانى وهو :

فلا هو مَقتولٌ ففى القَتْلِ راحةٌ * وَلا مُنْعَمٌ يَوْمًا عليــه فَمُعْتَــقُ

والبيتان على هذه الرواية لِشبيب بن البَرْصاءِ .

---

(١) يغلق، من غلق الرهن : إذا بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

أخبار عَقِيل بن عُلَّفة

نسبه

عَقِيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَرْبوع بن غَيْظ ابن مرة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان ابن مُضر، و يكنى أبا العَمَلَّس(١) وأبا الجَرباء .

وأمّ عَقِيل بن عُلَّفة العَوْراء ، وهى عَمْرة بنتُ الحارث بن عوف بن أبى حارثة ابن مُرّة بن نُشْبَة بن غَيْظ بن مُرَّة . وأمها زينبُ بنتُ حِصن بن حذيفة . هذا قولُ خالد بن كُلثوم والمدائنىّ . وقال ابنُ الأعرابى : كانت عَمْرة العَوْراء أمّ عَقِيل ابن عُلَّفة والبرصاءُ أمُّ شبيب بن البَرْصاء أختين ، وهما ابنتا الحارث بن عوف . واسم البَرْصاء قِرْصافة، أمها بنت نَجَبة بن ربيعةَ بن رِياح بن مالك بن شَمْخ .

كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب فى مصاهرته

وعَقِيل شاعر مُجيد مقلّ، من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج جافيا شديدَ الهوَج والعَجْرَفية والبَذَخ(٢) بنسَبِه فى بنى مرّة ، لا يرى أنّ له كفئا . وهو فى بيتِ شرف فى قومِه من كلا طرفيه . وكانت قريشٌ ترغبُ فى مصاهرته . تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك، تزوج ابنته الجَرْباء ، وكانت قبله عندَ ابن عم لعَقِيل يقال له مُطيعُ بن قُطْعةَ بن الحارث بن معاوية . وولدت ليزيد بُنَيًّا دَرَجَ(٣) . وتزوّج بنته عَمْرَةَ سَلَمةُ بنُ عبد الله بن المغيرة، فولدت له يعقوب ابن سلَمة، وكان من أشرافِ قريش وجُودَائها . وتزوّج أمَّ عمرو بنتَه ثلاثةُ نفر من بنى الحَكَم بن أبى العاص : يحيى والحارث وخالد .

---

(١) فى ب، س: «أبا العميس» ، تحريف .

(٢) البذخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره .

(٣) درج : مات .

خطب إليه والى المدينة إحدى بناته فأنكر عليه فضربه فقال شعرا

اخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابىّ عن المفضّل قال :

دخل عَقيل بن عُلَّفة على عثمان بن حَيّان وهو يومئذ على المدينة ، فقال له عثمانُ : زوّجنى ابنتك ، فقال : أَبَكْرَةً من إبلى تَعْنى ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنونٌ أنت ! قال : أىّ شىء قلتَ لى؟ قال : قلتُ لك : زوّجنى ابنتك ، فقال : أفعلُ إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرةً من إبلى . فأمر به فوُجِئَت[1] عُنُقه . فخرج وهو يقول :

كنّا بنى غَيْظ الرجالِ فأصبحتْ * بنو مالك غَيْظًا وصرنا كمالكِ
لحى الله دهرًا ذَعْذَع[2] المالَ كلَّه * وسوَّد أشباه الإماء العَوارك[3]

خطب إليه رجل من بنى سلامان فكتفه وألقاه فى قرية النمل

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزاعى قال حدّثنا أبو غسان دَماذ عن أبى عبيدة قال:

كان لعَقيل بن عُلَّفة جارٌ من بنى سَلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عَقيل ، وأخذ السَّلامانىّ فكَتَّفَه[4] ، ودهن استَهُ بشحم ، وألقاه فى قرية النمل[5] ، فأكل خُصْيَيْه حتى ورم جَسَدُه ، ثم حلّه وقال : يخطب إلىّ عبد الملك فأردّه ، وتجترئُ أنت علىّ ! قال : ثم أجدبتْ مراعى بنى مُرّة ، فانتجع عَقيل أرض جُذامَ وقُربهم عُذْرة . قال عَقيل : فجاءنى هُنَيٌّ مثلُ البعرة ، فخطب إلىّ ابنتى أمّ جعفر . فخرجتُ إلى أكمة قريبة من الحىّ ، فجعلت أنبحُ كما ينبحُ الكلب ، ثم تحملت وخرجت ، فاتّبعنى جمعٌ من حُنّ (بطن من عُذْرة) فقالوا : اختر ، إن شئت

(١) وجأه باليد وبالسكين : ضربه . والعنق يذكر ويؤنث .

(٢) فى الأصول : « أستاه » ، وهو تحريف . (٣) ذعذع المال : فرّقه وبدّده . وسوّده : جعله سيدا . والعوارك : الحيّض ، ومنه قول بعضهم :

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أمثال النساء العوارك

والبيت فى اللسان (ذعع) ينسبه إلى علقمة بن عبدة .

(٤) كتف الرجل يكتفه (بالكسر) ، وكتّفه (بالتشديد) : شدّ يديه من خلفه بالكتاف وهو ما شدّ به . (٥) قرية النمل : مجتمع ترابها .

حبسناك، وإن شئت حدرناك[1] وبعيرةً من رأس الجبل، فإن سبقتها خلّيناعنك. فأرسلوا بعيرةً فسبقتُها، فخلّوا سبيلى، فقلت لهم: ما طمعتم بهذا من أحد! قالوا: أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتَ عنّا. فقلت فيهم:

لقد هزئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ * وما لعبتْ حُنٌّ بذى حسَب قبلى

رويدًا بنى حُنّ تَسيحوا وتأمنوا * وتنتشر الأنعامُ فى بلد سهلِ

والله لأموتنّ قبل أن أضعَ كرائمى إلّا فى الأكْفاء.

خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعرا أجازه ابنه وابنته فرمى ابنه بسهم فعقره

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العلاء قال حدّثنا الزبيرُ بنُ بكّار قال حدّثنى محمد ابن الضحّاك عن أبيه قال:

وجدتُ فى كتاب بخطّ الضحّاك قال: خرج عَقيل بن علّفة وابناه: عُلَّفة وجَثّامةُ، وابنتُه الجرباء حتى أتوا بنتا له ناكحًا[2] فى بنى مروان بالشام فآمت[3]. ثم إنهم قفلوا بها حتّى كانوا ببعض الطريق، فقال عَقيل بنُ عُلّفة:

قضتْ وطرا من دير سعدٍ[4] وطالما * على عُرُضٍ ناطحْنَه بالجماجم

إذا هبطتْ أرضا يموت غرابُها * بها عطشا أعطينَهم بالخزائم[5]

ثم قال: أنفِذ ياعلّفة، فقال علّفة:

فأصبحن بالمَوماة يحملن فِتْيةً * نَشاوَى من الإدلاج مِيلَ العمائم[6]

إذا عَلَمٌ[7] غادرْنَه بتَنُوفة * تذارعن بالأيدى لآخر طاسِم

(١) حدرناك، من الحدر: وهو الحط من علو إلى سفل. (٢) ناكح وناكحة: ذات زوج.
(٣) آمت المرأة: فقدت زوجها. (٤) دير سعد: بين بلاد غطفان والشام.
(٥) الخزائم: جمع خزامة، وهى حلقة من شعر تجعل فى أحد جانبى منخرى البعير لينقاد بها. يريد أن الإبل منقادة. ومنه الحديث: «ومرهم أن يعطوا القرآن بخزائمهم». قال ابن الأثير: يريد الانقياد لحكم القرآن. (٦) الموماة: المفازة الواسعة. نشاوى: سكارى. الإدلاج: السير من أوّل الليل. (٧) العلم: شىء ينصب فى الفلوات تهتدى به الضالة. التنوفة: المفازة. تذارعن: سرن، وأصله أن يذرع البعير بيديه فى سيره ذرعا، إذا سار على قدر سعة خطوه. رسم طاسم: دارس.

ثم قال : أنفذى يا جرباء، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :

كأنّ الكرى سقّاهمُ صَرْخَدِيَّةً * عُقَارا تمشّى فى المطا والقوائم[1]

فقال عَقيل : شربتِها وربِّ الكعبة ! لولا الأمانُ لضربت بالسيف تحت قُرْطك، أما وجَدْتِ من الكلام غير هذا ! فقال جَثّامة : وهل أساءت ! إنما أجازتْ، وليس غيرى وغيرُك . فرماه عَقيل بسهم فأصاب ساقَه وأنفذ السهم سَاقَه والرَّحلَ، ثم شدّ على الجَرْباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جَثّامة وتركه عَقيرًا مع ناقة الجرباء. ثم قال : لولا أن تسبّنى بنو مرّة ما ذقتِ الحياة . ثم خرج متوجّها إلى أهله وقال : لئن أخبرتِ أهلَك بشأنِ جثّامة ، أو قلتِ لهم إنه أصابه غيرُ الطاعون لأقتلنك . فلما قدِموا على أهل أُبَيْر (وهم بنو القَيْن) ندِم عَقيل على فعله بجثّامة . فقال لهم : هل لكم فى جَزور آنكسرت؟ قالوا : نعم . قال : فآلزموا أثر هذه الراحلةِ حتى تجدوا الجَزور، فخرج القوم حتّى انتهوا إلى جَثّامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسّموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أبى عبد الله اليزيدىّ بخطه ولم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال :

قرِئ على علىّ بن محمد المدائنى عن الطِّرِمّاح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جَثّامة ليلحقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريبا منهم تغنى جَثّامة :

أيُعْذَر لاهِينا[2] ويُلْحَيْن فى الصِّبا * وما هنّ والفِتيانُ إلا شقائقُ

[1] الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . العقار : الخمر . المطا : الظهر .

[2] فى الأصول : «لاحينا» وهو تحريف، صوابه من الأمالى لأبى على القالى فى حديث رجل كان قد عضل بناته (٢ : ١٠٥) ، وروايته فيه :

أيزجر لاهينا ونلحى على الصبا * وما نحن والفتيان إلا شقائق

فقال له القوم : إنما أفلتّ من الجراحة التى جرحك أبوك آنفا، وقد عاودتَ ما يكرهُه، فأمسِكْ عن هذا ونحوِه إذا لقِيته لا يلحقك منه شرّ وعرّ[1] . فقال : إنما هى خَطْرةٌ خَطَرتْ، والراكب إذا سار تغنّى .

أصابه القولنج فى المدينة فنعتت له الحقنة فأبى فقال ابنه شعرا فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمدُ بنُ سعيد الدمشقىّ قال حدّثنا الزبير ابنُ بكار قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجمحىّ قال : ٥

قدِم عَقيلُ بنُ عُلَّفة المدينةَ فنزل على آبن بنته يعقوب بن سلمةَ المخزومىّ، فمرِض وأصابه القولنج[2]، فنُعِتَتْ له الحُقنة ، فأبى . وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك، فقال :

لقـد سرنى واللهُ وقّاكَ شرَّها * نجاؤك منها حين جاء يقودُها

كفى خِزْيةً ألّا تزال مُجَبِّيًا[3] * على شَكْوة[4] تُوكَى وفى آستك عُودُها

شد على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عبيد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا علىُّ بنُ محمد عن زيد بن عياش التغلبى والربيع بن ثُمَيْل قالا : ١٠

غدا عَقيل بن عُلَّفة على أفراس له عنـد بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناتِه وأمِّهم مجتمعون، فشدّ على عملّس فحاد عنه ، وتغنى علّفة فقال : ٨٨ ١١

قفى يا آبنةَ المُرِّىّ أسألْكِ ما الذى * تريدين فيما كنتِ مَنَّيْتِنا قبـلُ

نخـبِّرْك إن لم تنجزى الوعدَ أننا * ذَوَا خُلّة لم يبـق بينهما وصـلُ ١٥

فإن شئتِ كان الصُّرم ما هبّت الصبا * وإن شئتِ لا يفنى التكارم والبذل

---

(١) عرّه بمكروه : أصابه به وساءه . (٢) القولنج : مرض معوىّ .

(٣) كذا فى ب، س، ط، م . وفى جـ «مجنبا» ، وفى ف «محببا» ، تصحيف ، يقال : جبّى فلان، إذا أكب على وجهه باركا . (٤) الشكوة : القربة الصغيرة . وتوكى : تربط .

فقال عَقيل: يا ابن الخَنَّاء[(١)]، متى منّتْك نفسك هذا! وشدّ عليه بالسيف — وكان عملّس أخاه لأمه — فحال بينه وبينه، فشدّ على عملّس بالسيف وترك عُلّفة لا يلتفت إليه[(٢)]، فرماه بسهم، فأصاب ركبته؛ فسقط عَقيل وجعل يتمعّك[(٣)] فى دمه ويقول:

٥ إنّ بَنِيَّ سَرْبَلُونى[(٤)] بالدَّمِ * من يَلْقَ[(٥)] أبطالَ الرجال يُكْلَمِ
ومَنْ يكن ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ * شِنْشِنَةٌ[(٦)] أعرِفها من أَخْزَمِ

قال المدائنى: "شِنشنة أعرِفها من أخزم" مَثَلٌ ضربه. وأخزمُ: فحلٌ كان لرجل من العرب، وكان منجِبًا، فضرب فى إبل رجلٍ آخر — ولم يعلم صاحبه — فرأى بعد ذلك من نسله جملا، فقال: شِنْشِنة أعرِفها من أَخْزَمِ[(٧)].

عاتبه عمر بن عبد العزيز فى شأن بناته فأجابه

١٠ أخبرنى محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال حدّثنى سليمانُ المدائنىّ قال حدّثنى مصعب ابن عبد الله قال:

قال عمر بن عبد العزيز لعَقيل بن عُلَّفة: إنك تخرج إلى أقاصى البلاد وتدع بناتك فى الصحراء لا كالئَ لهنّ، والناس يَنْسُبُونك إلى الغيرة، وتأبى أن تزوّجهنّ إلا الأكفاء. قال: إنى أستعين عليهنّ بخَلّتين تَكْلآنهنّ، وأستغنى
١٥ عن سواهما. قال: وما هما؟ قال: العُرْىُ والجوعُ.

نسخت من كتاب محمدِ بنِ العباس اليزيدىّ:

---

(١) الخناء: من الخن، (بالتحريك)، وهو النتن. (٢) كذا فى ف، وفى سائر الأصول: «عليه». (٣) يتمعك فى دمه: يتمرغ. (٤) رواية اللسان مادة شنن: «زملونى». (٥) رواية اللسان: «آساد». (٦) الشنشنة: الخليقة. (٧) المثل فى اللسان
٢٠ منسوب إلى أبى أخزم الطائىّ، قال: «قال ابن برى: كان أخزم عاقا لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك».

رماه ابنه عملس فأصاب ركبتـه، فغضب وخرج إلى الشام، وقال فى ذلك شعرا

قال خالدُ بنُ كلثوم : لمـا رمى عملّس بنُ عَقيـل أباه فأصاب ركبتـه غضب وأقسم ألّا يساكن بنيه، فآحتمل وخرج إلى الشّام، فلما آستوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنّت ناقته، فقال :

ألم تريا أطـلالَ حَنَّتْ وشاقَها * تفرُّقُنا يـومَ الحَبيبِ على ظهـر (١)

وأسبل مـن جرباءَ دمعٌ كأنّه * جُمانٌ أضاع السلك أجْرَتْه فى سطرِ (٢)

لعمرُك إنى يـوم أغذو عَمَلّسا * لكالمتربِّى حَتفَه وهو لا يدرى (٣)

و إنى لأسـقيه غَبـوقى و إننى * لَغَرْثانُ منهـوكُ الذِّراعين والنحرِ (٤)

خرج ابنه علفة إلى الشام أيضا وكتب إلى أبيه شعرا

قال : ومضى علّفة أيضا، فافترض بالشام وكتب إلى أبيه : (٥)

ألا أبلغا عنّى عَقيـلًا رسالةً * فإنك مـن حربٍ علىّ كريمُ

أما تذكر الأيامَ إذ أنت واحد * و إذ كلُّ ذى قُربى إليك ذميمُ

و إذ لايَقيك الناسُ شيئا تخافُه * بأنفسهم إلا الذين تَضـيمُ

تَناول شأْوَ الأبعـدين ولم يقم * لشأوك بيـن الأقربين أديمُ

فأمّا إذا عضّتْ بك الحرب عَضّةً * فإنك معطوفٌ عليك رحـيمُ

وأمّا إذا آنستَ أمنا ورِخْوَةً * فإنك للقُـرْبَى ألدُّ ظَـلُومُ (٦)

فلما سمـع عقيل هذه الأبيات رضى عنه، و بعث إليه فقدِم عليه .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن محمد بن سـلّام قال حدّثنى ابن جُعْدُبة قال :

---

(١) حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام . (٢) الجمان : اللؤلؤ الصغار أو حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ . (٣) تربه وترباه : أحسن القيام عليه ووليه . (٤) غرثان : جائع . النحر : الصدر . (٥) افترض الجند : أخذوا عطاياهم . (٦) الألد : الخصم الجدل الذى لايرجع إلى الحق .

٨٩
١١

سب عمر بن عبد العزيز ابن أخته فعاتبه فى ذلك

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش، أمّه أختُ عَقيل بن عُلَّفة فقال له: قَبَحك الله! أشبهتَ خالَك فى الجفاء. فبلغتْ عَقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدْتَ لابن عمِّك شيئا تُعَيِّره به إلا خُؤولتى! فقبَح الله شرَّكما خالا. فقال له صُخَير بنُ أبى الجَهْم العَدَوىُّ (وأمّه قُرشية): آمين يا أمير المؤمنين. فقبح الله شرَّكما خالا، وأنا معكما أيضا. فقال له عمر: إنك لأعرابىٌّ جِلْف جافٍ، أما لو كنتُ تقدّمتُ إليك لأدّبتك. والله لا أراك تقرأُ من كتاب الله شيئا، قال: بلى، إنى لأقرأُ، قال: فاقرأ. فقرأ: ﴿إذا زُلْزِلتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى بلغ إلى آخرها فقرأ: فمن يعمل مثقال ذرةٍ شرا يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيرا يره، فقال له عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ؟ قال: أولم أقرأ؟ قال: لا، لأنّ الله جلّ وعزّ قدّم الخير وأنك قدّمت الشر. فقال عَقيل:

قرأ شيئا من القرآن فأخطأ فاعترض عليه عمر فأجابه

خذا بطْن هَرْشَى أو قَفاها فإنه * كِلا جانبىْ هَرْشى لهنّ طريق[1]

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفيّته.

وروى هذا الخبر علىُّ بنُ محمد المدائنىّ، فذكر أنه كان بين عُمَرَ بنِ عبد العزيز وبين يعقوب بن سلَمة وأخيه عبد الله كلامٌ، فأغلظ يعقوبُ لعمر فى الكلام فقال له عمر: اسكت فإنك ابنُ أعرابيّة جافيةٍ. فقال عَقيل لعمر: لعن الله شرَّ الثلاثة، منى ومنك ومنه! فغضب عمرُ، فقال له صُخَير ابنُ أبى الجَهْم: آمين. فهو والله أيها الأمير شرُّ الثلاثة. فقال عمر: والله إنى لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها. فقال: بلى والله إنى لقارئٌ لآية وآياتٍ فقال: فاقرأ، فقرأ: إنّا بعثنا نوحا إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك

(١) هرشى: ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة.

أنك لا تُحْسِن . ليس هكذا قال الله، قال : فكيف قال ؟ قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾
فقال : وما الفرق بين أرسلنا و بعثنا !

خذا أنف هَرْشَى أو قَفاها فإنه * كلا جانبى هَرْشى لهنّ طريقُ

دخل المسجد بخفين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه

أخبرنى عُبيد الله بن أحمد الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنى على بن محمد المدائنىّ عن عبد الله بن أسلم القرشىّ قال :

قدِم عقيل بن عُلَّفة المدينة، فدخل المسجد وعليه خُفَّانِ غليظانِ، فجعل يضربُ برِجْلَيْه، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بنُ الحكم — وكانت ٱبنة عَقيل تحته — : يضحكون من خُفَّيك وضَرْبك برجليك وشدّة جفائك . قال : لا، ولكن يضحكون من إمارتك؛ فإنّها أعجبُ من خُفّى . فجعل يحيى يضحك .

خبره مع يحيى بن الحكم أمير المدينة وزواج ابنته

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ قال حدّثنى عمى عن عبد الله بن مُصْعَب قاضى المدينة قال :

دخل عَقِيلُ بن عُلَّفة على يحيى بنِ الحكم، وهو يومئذ أميرُ المدينة . فقال له يحيى : أَنكِح ٱبن خالى — يعنى ابنَ أوفَى — فلانةَ ٱبنتك ؟ فقال : إنّ ٱبنَ خالك لَيَرْضَى منى بدون ذلك، قال : وما هو ؟ قال : أن أَكُفَّ عنه سَنَنَ(١) الخيل إذا غشِيَتْ سَوَامَه(٢) . فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه : أخرِجاه، فأخرجاه، فلما ولّى قال : أعيداه إلىّ، فأعاداه، فقال عقيل له : مالك تُكرِّرنى إكرارَ الناضح(٣) ؟ قال : أما والله إنى لأُكرّك أعرج جافيا . فقال عَقيل : كذلك قلت :

(١) السنن : استنان الخيل، وهو عدوها لمرحها ونشاطها .
(٢) السوام : كل ما رعى من المال فى الفلوات إذا خلى يرعى حيث شاء .
(٣) الناضح : الدابة يستقى عليها الماء .

تَعَجَّبَتْ إذ رأت رأسي تَجَلَّلَه * من الروائع شيبٌ ليس من كِبَرِ

ومِن أديمٍ تولَّى بعد جِدّته * والجفنُ يَخلُق فيه الصَّارِمُ الذَّكَرُ[1]

٩٠ / ١١

فقال له يحيى، أنشدنى قصيدتَك هذه كلها . قال : ما انتهيتُ إلّا إلى ما سمعت. فقال : أما والله إنك لتقول فتقصّر، فقال: إنّما يكفى من القلادة ما أحاط بالرقبة . قال : فأنكحنى أنا إحدى بناتك. قال: أمّا أنت فنعم. قال : أما والله لأملأنّك مالا وشرفا. قال: أما الشّرف فقد حمّلتُ ركائبى منه ما أطاقت، وكلفتها تجشُّمَ ما لم تطِق، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاحَ الأيِّم ورضا الآبى. فزوّجه ثم خرج فهداها إليه ، فلما قدمت عليه بَعَث إليها يحيى مولاةً له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضُدَها. فرفعت يدها، فدقّت أنفها. فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثتنى إلى أعرابية مجنونةٍ صنعتْ بى ما ترى ! فنهض إليها يحيى، فقال لها : مالك ؟ قالت : ما أردتَ أن بَعَثْتَ إلىّ أمة تنظر إلىّ ! ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نظرك إلىّ قبل كلّ ناظر، فإن رأيتَ حسنًا كنتَ قد سبقتَ إلى بهجته، وإن رأيتَ قبيحا كنتَ أحق مَنْ ستره . فسرّ بقولها وحظِيتْ عنده .

وذكر المدائنى هذا الخبر مثلَه ، إلا أنه قال فيه : فإن كان ما تراه حسنا كنت أوّلَ من رآه، وإن كان قبيحا كنت أوّلَ من واراه .

زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء

أخبرنى ابنُ دريد قال حدّثنا عبدُ الرحمن عن عمه قال :

خطب يزيدُ بنُ عبد الملك إلى عَقيل بن عُلَّفة ابنتَه الجرباء، فقال له عَقيل : قد زوّجتكها، على أن لا يزُفَّها إليك أعلاجُك[2]، أكونُ أنا الّذى أجىءُ بها إليك .

(١) الذكر والذكير من الحديد : أيبسه وأشده وأجوده، وفى البيت إقواء .

(٢) أعلاج : جمع علج (بكسر فسكون) : الرجل الشديد الغليظ .

قال : ذلك لك . فتزوّجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابىٌّ على بعيرٍ ، معه آمرأةٌ فى هَوْدج قال : أراه والله عَقيلا . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرَها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعنت ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتما وُدِنَ[1] بينكما ، فبارك الله لكما ، و إن كرهتَ شيئا فضع يدها فى يدى كما وضعتُ يدها فى يدك ثم برِئت ذمتك . فحملت الجرباء بغلام ففرِح به يزيد ونَحَله[2] وأعطاه . ثم مات الصبىّ ، فورِثت أمُّه منه الثُّلث ، ثم ماتت فورِثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن آبنك وآبنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرةَ آلافِ دينارٍ ، فهَلُمَّ فاقبِضه . فقال : إن مصيبتى بابنى وآبنتى تَشغَلنى عن المال وطلبه ، فلا حاجةَ لى فى ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرسًا سَبقتَ عليه الناس ، فأعطِنيه أجعله لخلا لخيلى . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها

قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدّثنا الخراز عن المدائنىّ عن إسحاق بن يحيى قال :

رأيت رجُلًا من قريش يقول له عَقيل بن عُلَّفة : بالرِّفاء والبنين والطائرِ المحمود . فقلت له : يابن عُلَّفة ، إنه يُكرَه أن يُقالَ هذا . فقال : يآبن أخى ، ما تريد إلى ما أُحدِثَ ! إنّ هذا قولُ أخوالِك فى الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره . قال : فحدّثتُ به الزُّهرىّ فقال : إن عَقيلا كان من أجهل الناس . قال : وإنما قال لإسحق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول أخوالك» ، لأن أم يحيى بنِ طلحةَ مُرِّيّة .

---

(١) الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ و يقال : ودن العروس : أحسن القيام عليها .

(٢) نحله ، من النحل (بالضم) ، وهو العطية والهبة .

خطب إليه رجل كثير المال مغموز فى نسبه فقال فيه شعرا

٩١ / ١١

قال المدائنى وحدّثنى علىُّ بنُ بشير الجُشَمِىُّ قال قال الرُّمَيْحُ :

خطب إلى عَقِيلٍ رجل من بنى مرّة كثيرُ المال، يُغْمَزُ فى نسبه، فقال :

لَعَمْرى لئن زوّجتُ من أجل ماله * هجينًا[1] لقـد حُبَّتْ إلىَّ الدراهم

أأُنكِحُ عبـدا بعـدَ يحيى وخالدٍ * أولئك أكفائى الرجالُ الأكارمُ

٥ أبى لِىَ أنْ أرضى الدنيّـةَ أننى * أُمـدُّ عِنـانا لم تخنْـه الشـكائمُ[2]

خطب إليه رجل من بنى مرة فطعن ناقته بالرمح فصرعته

نسخت من كتاب محمـد بن العباس اليزيدىّ بخطّـه يأثُره[3] عن خالد بنِ كلثوم بغير إسـناد متصل بينهما :

أن رجلاً من بنى مُرّة يقال له داودُ أقبـل على ناقة له ، فخطب إلى عَقِيـل ابن عُلَّفة بعضَ بناته ، فنظر إليه عَقِيل — و إنّ السيف لا يناله — فطعن نَاقَتَهُ بالرمح

١٠ فسـقطت وصرعته ، وشـدّ عليه عَقِيلٌ فهرب ، وثار عَقِيلٌ إلى ناقتـه فنَحَرها ، وأطعمها قومه وقال :

ألم تقـلْ يا صـاحبَ القَـلُوص * داودَ ذا السـاج وذا القميـص[4]

كانت عليه الأرض حِيصٍ بيصِ[5] * حـتى يَلُفّ عِيصَـه بعيصى[6]

* وكنتُ بالشبان ذا تقميص *

١٥ فقال داود فيه من أبيات :

أراه فـتى جَعْـلَ الحـلالَ ببيته * حرامًا و يَقْرِى الضيفَ عَضْباً مهنّدا

---

(١) الهجين : العربىّ ابن الأمة . (٢) الشكيمة فى اللجام ، الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

(٣) يأثره : ينقله ويرويه . (٤) الساج : الطيلسان الضخم الغليظ .

(٥) حيص بيص فى الأصل : جحر الفأر؛ ويقال : إنك لتحسب علىّ الأرض حيصا بيصا ، بفتح

٢٠ الحاء والباء ، وحيص بيص بكسرهما : أى ضيقة ، وفى اللفظتين لغات عدّة لاتنفرد إحداهما عن الأخرى .

(٦) عيص المرء : أصله .

فرت منه زوجته الأنمارية فردها إليه عامل فدك

وقال المدائنى حدثنى جوشن بن يزيد قال :

لما تزوج عَقِيلُ بن عُلَّفة زوجَته الأنمارية — وقد كَبِر — فرّت منه ، فلقيها جحّافٌ ، أحدُ بنى قِتالِ بنِ يَرْبوع ، فحملها إلى عامل فَدَك ، وأصبح عقيلٌ معها ، فقال الأمير لعَقِيل : ما لهـذه تستعدى عليك يا أبا الجَرْباء ؟ فقال عقيلٌ : كَلَّ ذَكَرِى ، وذهب ذَفَرِى[1] ، وتغايبَ نَفَرِى ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك عُلَّفة الأصغر .

شعره يحرض بنى سهم على بنى جوشن

أخبرنى هاشمُ بنُ محمـد الخُزاعىّ قال حدثنا دَماذ عن أبى عبيـدة قال :

لما نشبت الحرب بين بنى جوشن وبين بنى سهمِ بنِ مرة رهط عَقِيل بن عُلَّفة المرىّ — وهو من بنى غَيْظ بن مرة بن سهم بن مُرَّةَ إخوتهم — فاقتتلوا فى أمر يهودىٍّ خَمّارٍ كان جارالهم ، فقتلته بنو جَوْشَنٍ من غطفان ، وكانوا متقاربى المنازل وكان عقيل بن عُلَّفة بالشأم غائبا عنهم ، فكتب إلى بنى سهم يُحَرِّضهم[2] .

فإمّا هلكتُ ولم آتِكُمْ * فأَبْلِغْ أماثلَ سَهْمٍ رَسُولا
بأن التى سامكُمْ قومُكُمْ * لقـد جعلوها عليكم عُدولا
هوان الحياة وضَيْمُ الممات * وكلّا أراه طعـاماً وبيـلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما * فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنّـةٌ * كفى بالحوادث للمرء غُولا[3]

قال : فلما وردت الأبياتُ عليهم تكفّلَ بالحربِ الحُصينُ بن الحُمام المرّىّ أحد بنى سهم ، وقال : إلىّ كتبَ وبى نَوّهَ ، خاطَبَ أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم . فأبلى فى تلك الحروبِ بلاءً شديدا . وقال الحصين بن الحُمام فى ذلك من قصيدة طويلة له :

(١) الذفر : شـدة ذكاء الريح . (٢) وردت بعض هذه الأبيات فى المفضليات (طبع أوربا ص ٨٨) منسوبة إلى بشامة بن عمرو ، مع اختلاف فى بعض ألفاظها .
(٣) الغول : كل ما أهلك الإنسان .

يَطَأن من القَتْلى ومن قِصَدِ القَنا * خَبارًا فما ينهضْنَ إلا تَقَحُّما (١)
عليهنّ فِتْيانٌ كساهم مُحرِّقٌ * وكان إذا يَكْسو أجادوأ كرما (٢)
صفائحَ بُصْرَى أخلصَتْها قُيونُها * ومطَّرِدًا من نسج داود محكما (٣)
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجدْ * لنفسى حياة مثلَ أن أتقدما

٩٢
١١

٥ وقال المدائنى قال جَرّاح بن عِصام بن بُجَيْر :

نهب بنو جعفر إبلا لجاره فردها إليه وقال شعرا فى ذلك

عَدَتْ بنو جعفر بن كلاب على جار لعَقيل فأطردتْ إبله وضربوه ، فغدا عَقِيل على جار لهم فضربه ، وأخذ إبلَه فأطردها ، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال فى ذلك :

إن يَشْرَقِ الكلبىّ فيكم بريقه * بنى جعفر يُعْجَلْ لجاركُمُ القتلُ
١٠ فلا تحسبوا الإسلام غَيَّر بعدكم * رماحَ مواليكم فذاك بكم جهلُ
بنى جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا * نَدِنْكم كما كنا نَدِينكُمُ قبلُ
بدأتم بجارى فانثنيتُ بجاركم * وما منهما إلا له عندنا حَبْلُ

وذكر المدائنى أيضا :

أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين

أن عَقيلا كان وحده فى إبله ، فمر به ناس من بنى سَلامان فأسروه ، ومروا به ١٥ فى طريقه على ناس من بنى القَيْن ، فانتزعوه منهم ، وخلَّوا سبيله . فقال عقيل فى ذلك :

أسعدَ هُذَيْم إنّ سعدا أباكُمُ * أبى لا يوافى غاية القَيْن من كلبِ

---

(١) القصد : جمع قصدة ، وهى القطعة من القناة المتكسرة . الخبار من الأرض : مالان واسترخى .
(٢) محرق : لقب عمرو بن هند و إنما سمى بذلك لأنه حرق مائة من بنى تميم .
(٣) قيون : جمع قين : وهو الحداد ، ومطردا : أى درعا مطردا (والدرع قد تذكر) . اطرد الشىء :
٢٠ تبع بعضه بعضا ، والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت .

وجاء هُـذيمٌ والركاب مُناخـةٌ * فقيل تأخّر ياهـذيمُ على العَجْبِ(١)

فقال هذيم إن فى العَجْبِ مركبى * ومركب آبائى وفى عَجْبِها حَسْبِى

قال : وسعد هذيم هم عُذرةُ وسَلامان والحارثُ وضَبّة .

مات ابنه علفة بالشام فرثاه

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرُويَه قال حدثنى أبو مسلم عن المدائنى عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُمَيْلة قال :

مات عُلَّفة بن عَقيل الأكبر بالشأم ، فنعاه مُضَرِّس بن سَوادة لعَقِيل بأرض الجنَاب ، فلم يصدّقه وقال :

قَبَح الآلهُ ولا أقبِّح غيره * ثَفَرَ(٢) الحمار مضرِّس بنَ سَوادِ

تَنْعَى امرأ لم يَغْلُ أمّـك مثلُه * كالسَّيف بين خَضارِمٍ(٣) أنجاد

ثم تحقق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه :

لَعَمْرى لقد جاءتْ قوافل خبّرت * بأمرٍ من الدنيا علىّ ثقيـلِ

وقالوا ألا تبكى لمصرع فارس * نعتْه جنودُ الشام غـيرِ ضئيل

فأقسمتُ لا أبكى على هُلْك هالكٍ * أصاب سبيلَ الله خـيرَ سبيلِ

[كأن المنايا تبتغى فى خيارنا * لها نسباً أو تهتـدى بدليـل](٤)

تَحُـلُّ المنايا حيثُ شاءت فإنهـا * مُحَلَّلةٌ بعـد الفتى ابن عَقيـل

فـتًى كان مـولاه يَحُـلُّ بربْوةٍ * فحَـلَّ المـوالى بعـده بمَسِيل

(١) العجب : أصل الذنب وهو العصعص .

(٢) الثفر : السير الذى فى مؤخر السرج تحت ذنب الدابة .

(٣) خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

(٤) هذا البيت لم يرد فى ط و ج .

حطم رجل من بنى صرمة بيوته فأقبل ابنــه عماس من الشــام فانتقم له

أخبرنى محمــد بنُ الحسن بنُ دريد قال حدثنــا أبو حاتم عن أبى عبيــدة : قال : كانَ عَقِيل بن عُلّفة قد أطردَ بنيه ، فتفرقوا فى البلاد و بقى وحده . ثم إن رجلا من بنى صِرْمة، يقال له بَجِيل — وكان كثير المــال والماشية — حَطَم بيوتَ عَقِيل بماشيته، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرُب من بيوت عَقِيل إلا لَقِيَ شرا . فطردت صافنةُ (أمةٌ له) المــاشيةَ، فضربها بَجِيلٌ بعصا كانت معه فشجّها . فخرج إليه عَقِيل وحده — وقد هرِم يومئذ وكبرتْ سِنّه — فزجره فضربه بجِيل بعصاه، وآحتقره. فجعل عَقِيل يصيح : يا عُلّفة ، يا عَمَلّس ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغيثا بهم ، وهو يحسبهم لهرمه أنهم معه . فقال له أرطاة بن سُهَيّة :

٩٣ / ١١

أكلتَ بنيــكَ أكلَ الضبِّ حتى * وجدتَ مرارةَ الكلأ الوبيــلِ
ولو كان الألى غابوا شهــودا * منعتَ فِنــاءَ بيتِــك من بَجِيــلِ

و بلغ خبرُ عَقِيلٍ آبنَه العمَلّس وهو بالشام، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمَد إلى بَجِيل فضربه ضربا مبرِّحا ، وعقر عِدّة من إبله وأوثقه بحبل، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدى أبيــه ، ثم ركب راحلتَه ، وعاد من وقته إلى الشام، لم يَطعَم لأبيه طعاما، ولم يشرب شرابا .

خبر ابنه المقشعر مع أعرابى نزل .

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرانى قال حدّثنا آبن عائشة قال :

نزل أعرابى على المُقْشَعِرّ بن عَقيل بن عُلّفة المرّى فشربا حتى سكرا وناما ، فانتبه الأعرابىّ مُرَوَّعا فى الليــل وهو يهذِى ، فقال له المُقْشَعِرُّ : مالك ؟ قال : هذا ملك الموتِ يقبِض روحى . فوثب آبن عقيل فقال: لا والله ولا كرامة ولا نِعمة (١)

(١) نعمة عين : قرتها .

عينٍ له! أيقبِض رُوحَك وأنت ضيفى وجارى! فقال: بأبى أنتم وأمى! طال والله ما منعتم الضّيم. وتلفّف ونام.

تمت أخبار عِقيل ولله الحمد والمِنة.

قد مضت أخبارُ عقيلٍ فيما تقدّم من الكتاب، ونذكرها هنا أخبارَ شَبيب ابن البَرْصاء ونسبه، لأن المُغَنين خلطوا بعضَ شعره ببعض شِعر عَقِيل فى الغناء الماضى ذكرُه، ونعيدُ ها هنا من الغناء ما شعرُه لشبيبٍ خاصةً وهو:

صــــوت

من المـائة المختارة

سَلَا أمّ عمرٍو فيم أضحى أسيرُها * تُفادَى الأسارى حوله وهو موثَقُ
فلا هو مقتول ففى القتل راحةٌ * ولا منعَمٌ يوما عليه فمطْلَقُ[1]

ويروى:

* ولا هو مَمْنونٌ عليه فمطلَقُ *

الشعرُ لشبيبِ بن البَرْصاء، والغناءُ لِدُقاق جاريةِ يحيى بن الرّبيع. رملٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر حبشٌ أن فيه رملا آخر لطويس.

(١) فى جـ «فمعتق»

أخبار شَبيب بن البَرْصاء ونسبه

نســــبه

هو شبيبُ بنُ يزيد بنِ جَمرةَ، وقيل جبرة بن عوف بن أبى حارثةَ بن مرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مرة بن سعد بن ذُبيان. والبَرْصاء أمه، واسمها قِرْصافة[1] بنتُ الحارث آبن عوف بن أبى حارثة، وهو آبن خالة عقيل بن عُلّفة، وأم عقيلٍ عَمْرة بنت الحارث آبن عوف، ولُقِّبَتْ قِرْصافةُ البَرْصاءَ لبياضِها، لا لأنها كان بها برص .

٥

هاجى عقيــل بن علفـــة

وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إســلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية، بَدَوِىّ لم يَحْضُر إلا وافدا أو منتجعا . وكان يُهاجى عَقِيلَ بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت فى عَقيل وشر عظيم . وكلاهما كان شريفا ســيّدا فى قومه، فى بيت شرفهم وسُؤْدُدهم . وكان شَبيب أعور، أصاب عينه رجل من طيئ فى حَرْب كانت بينهم .

هاجى أرطاة بن سهيــة

١٠

أخبرنا محمدُ بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانىّ عن أبى عُبيدة قال :

دخل أَرْطَاة[2] بن سُهَيّة على عبــد الملك بن مروان — وكان قد هاجى شَبِيب بن البرصاء — فأنشده قوله فيه :

٩٤ / ١١

أبِى كان خيرا من أبيك ولم يزلْ * جَنِيبًا[3] لآبائى وأنت جَنيبُ

١٥

فقال له عبد الملك : كذبت! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيرًا منك مذ عضّ كارها * برأسِــكَ عادِىُّ النِّجاد[4] رَكُوبُ[5]

---

(١) وقيل : إن اسمها أمامة وهو قول ابن الكلبى وقيل إنها لقبت البرصاء لأن أباها الحرث بن عوف جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فخطب إليه صلى الله عليه وسلم ابنته فقال : إن بها وضحا فرجع وقد أصابها ولم يكن بها وضح (تاج العروس وشرح الأمالى وشرح الحماسة للتبريزى) .

٢٠

(٢) الخبر فى الأمالى لأبى على القالى جـ ٢ ص ٣، ٤ طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) الجنيب : المنقاد التابع . (٤) كذا فى جـ، وفى سائر النسخ «البجاد» بالباء . تصحيف .

(٥) قال أبو على القالى فى شرح البيت : « ما زلت خيرا منك مذ عض برأسك فعــل أمك (والفعل بالفتح : فرج كل أنثى)، أى مذ ولدت . والعادىّ : القديم، والنجاد : جمع نجد : وهو الطريق =

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أرطاة أفضل من شبيب نفسا، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتا .

فاخره عقيل بن علفة فقال شعرا يهجوه

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدّثنا الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال :

فاخر عَقِيل بن عُلَّفة شَبِيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه، ويعيّره برجلٍ من طيئ كان يأتى أمه عَمْرَةَ بنتَ الحارث يقال له حَيَّانُ، ويهجو غيظ بن مرّة :

ألسنا بفُرْعٍ قد علمتم دِعامةً * ورابيةً تنشقّ عنها سيولُها[1]

وقد علمتْ سعد بن ذُبيان أننا * رحاها[2] الذى تأوى إليها وجُولها[3]

إذا لم تَسُسْكم فى الأمور ولم نَكُنْ * لحربٍ عَوانٍ لاقحٍ مَنْ يَئُولُها[4]

فلستم بأهدَى فى البلاد مِن التى * تَرَدَّدُ حَيْرَى حين غاب دليلُها

دعت جُلّ يربوع عقيلا لحادثٍ * من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلُها

فقلت له : هلّا أجبتَ عشيرةً * لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُها!

وكائن لنا من رَبْوة لا تنالها * مَراقيك أو جُرثومةٍ لا تطولُها

نخَرْتَ بأيامٍ لغيرك نخرُها * وغُرَّتُها معروفةٌ وحُجُولُها

إذا الناس هابوا سَوْءَةً عَمَدتْ لها * بنو جابرٍ شُبّانُها وكُهولُها

= المرتفع . والركوب : المركوب الموطوء، وهو فعول فى معنى مفعول . وإنما هذا تشبيه؛ جعل ما عض برأسه من فرجها مثل الطريق القديمة المركوبة فى كثرة من يسلكها؛ يريد أنه قد ذلل حتى صار كتلك» .

(١) الفرع (بضم الفاء وسكون الراء المهملة ثم عين مهملة) : عدة قرى آهلة على أربعة أيام من المدينة .

(٢) رحى القوم : سيدهم الذى يصدرون عن رأيه وينتهون إلى أمره . (٣) الجول : الصخرة التى فى الماء يكون عليها الطىّ فإن زالت تلك الصخرة تهوّر البئر . (٤) حرب عوان : قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا، وحرب لاقح : من لقحت الناقة إذا حملت فهى لاقح، على التشبيه بالأنثى الحامل التى لا يدرى ما تلد ، قال الحرث بن عباد : * لقحت حرب وائل عن حيال *

وقال الأعشى : إذا شمرت بالناس شهباء لاقح * عوان شديد همزها وأظلت

يئولها : يسوسها، و « من » خبر « نكن »؛ أى سائسين لها .

فهلا بنى سعد صبحت بغارة * مسومة قد طار عنها نسيلها![1]

فتدرك وترا عند ألأم واتر[2] * وتدرك قتلى لم تتمم عقولها[3]

افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه

وقال أبو عمرو : اجتمع عقيل بن علفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكم فتكلما فى بعض الأمر، فاستطال عقيل على شبيب بالصهر الذى بينه و بين بنى مروان

٥ وكان زوج ثلاثا من بناته فيهم، فقال شبيب يهجوه :

ألا أبلغ أبا الجرباء عنى * بآيات التباغض والتقالى

فلا تذكر أباك العبد وافخر * بأم لست مكرمها وخال

وهبها مهرة لقحت ببغل * فكان جنينها شر البغال

إذا طارت نفوسهم شعاعا * حمين المحصنات لدى الحجال[4]

١٠ بطعن تعثر الأبطال منه * وضرب حيث تقتنص العوالى[5]

أبى لى أن آبائى كرام * بنوا لى فوق أشراف طوال[6]

بيوت المجد ثم نموت منها[7] * إلى علياء مشرفة القذال

تزل حجارة الرامين عنها * وتقصر دونها نبل النضال

أبالحفاث[8] شر الناس حيا * وأعناق الأيور بنى قتال

١٥ رفعت مساميا لتنال مجدا * فقد أصبحت منهم فى سفال

(١) الغارة : الخيل المغيرة . مسومة : مرسلة وعليها ركبانها ، أو معلمة . النسيل : ماسقط من شعر وصوف . (٢) كذا فى ط ، ف ، م ، وفى س ، ب «آلم» . (٣) العقول : جمع عقل ، وهو الدية . (٤) شعاعا : متفرقة . والحجال جمع حجلة كرقبة : وهى الكلة تهيأ للعروس (٥) العوالى : جمع عالية وهى أعلى الرمح . (٦) أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالى .

٢٠ (٧) كذا فى جـ ، وفى ط ، م « بنيت » وفى ب ، س « نبوت » تصحيف .

(٨) الحفاث : حية ، على تشبيه قوم عقيل بها .

٩٥ / ١١

قال أبو عمرو: بنو قِتال إخوةُ بنى يربوع رهط عقيل بن علّفة وهم قوم فيهم جفاء، قال أبو عمرو: مات رجل منهم فلفّه أخوه فى عباءة له، وقال أحدهما للآخر: كيف تحمِله؟ قال: كما تُحْمَلُ القربة. فعمَد إلى حبل فشدّ طرَفَه فى عنقه وطرفه فى ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمل القِربة، فلما صار به إلى الموضع الذى يريد دفنه فيه حفر له حَفِيرةً، وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه. فلما انصرفا قال له: يا هناه، أنَسِيتُ الحبل فى عنق أخى ورجليه، وسيبقى مكتوفا إلى يوم القيامة. قال: دعه يا هناه، فإن يرد الله به خيرا يَحُلُّهُ.[1]

خطب بنت يزيد ابن هاشم فردّه ثم قبله فأبى

وقال أبو عمرو: خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حَرْملة المُرّىّ ثم الصِّرْمىّ ابنتَه، فقال: هى صغيرة، فقال شبيب: لا، ولكنك تبغى أن تردّنى، فقال له يزيد: ما أردتُ ذاك، ولكن أَنظِرنى هذا العام، فإذا انصرم فعلىّ أن أزوّجك. فرحل شَبيبٌ من عنده مُغْضَبًا، فلما مضى قال ليزيدَ بعضُ أهله: والله ما أفلحتَ! خطب إليك شبيبٌ سيّدُ قومك فرددتَه! قال: هى صغيرة، قال: إن كانت صغيرة فستكبَر عنده. فبعث إليه يزيد: ارجع فقد زوّجتك، فإنى أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك، فأبى شبيبٌ أن يرجع وقال:

لَعَمْرى لقد أشرفتُ يوم عُنَيْزةٍ[2] * على رغبةٍ لو شدّ نفسى مَرِيرها
ولكنّ ضعفَ الأمرِ ألّا تُمِرَّه[3] * ولا خير فى ذى مِرّةٍ لا يُغِيرها
تَبَيَّنُ أدبارُ الأمورِ[4] إذا مضت * وتُقبِلُ أشباهًا عليك صدورُها

(١) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل، وقد تزاد الألف والهاء فى آخره فى النداء خاصة فيقال: يا هناه أقبل، أى يا فلان، وتضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وتكسر لاجتماع الساكنين. (٢) المرير والمريرة: العزيمة. وعنيزة: موضع، وهى هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية. (٣) أمر الحبل: أحكم فتله. والمرة: القوة من قوى الحبل. وأغار الحبل: أحكم فتله. (٤) رواية الحماسة: «أعقاب».

تُرَجّى النفوسُ الشيءَ لاتستطيعُه * وتَخشى من الأشياء ما لا يَضيرُها

ألا إنما يَكْفى النفوس إذا ٱتَّقت * تُقَى الله ممـا حاذَرتْ فيُجـيرُها

ولا خَير فى العِيدان إلا صِلابُها * ولا ناهِضاتِ الطيرِ إلا صُقورُها

ومستنبِحٍ يدعو وقد حال دونه * من الليل سِجْفَا ظُلمةٍ وسُتورُها(١)

رفعتُ له نارى فلما اهتدى لها * زجرتُ كلابى أن يَهِرّ عَقُورُها(٢)

فبات وقد أسرَى من الليل عُقْبَةً * بليلةِ صِدْق غاب عنها شُرورُها(٣)

وقد علِم الأضياف أنّ قِراهُمُ * شِـواءُ المَتَالِى عنـدنا وقَديرُها(٤)

إذا ٱفتخرت سعدُ بنُ ذُبيانَ لم يَجِد * سـوى ما بنينا ما يَعُـدّ فَخُورها

و إنى لتَرّاكُ الضغينةِ قـد بدا * ثَراها من المَوْلَى فـلا أستثيرها(٥)

مخافةَ أن تجنى علىّ وإنمـا * يَهِيج كبيراتِ الأمور صـغيرُها

إذا قيلت العَوراءُ ولَّيتُ سمعَها * سواى ولم أسمع بهـا ما دَبِيرُها(٦)

وحاجةِ نفسٍ قد بلغتُ وحاجةٍ * تركتُ إذا ما النفس شحّ ضميرها

حيـاءً وصبرا فى المـواطن إننى * حيِيٌّ لَدَى أمثـالِ تلك سَـتِيرها(٧)

وأحبِس فى الحق الكريمةَ إنمـا * يقوم بحق النائبات صَـبورها(٨)

أُحابِى بهـا الحىَّ الذى لا تُهِمُّه * وأحسابَ أمواتٍ تُعَـدّ قبورها(٩)

ألم تر أنّا نورُ قـوم وإنمـا * يُبَيِّن فى الظلمـاء للناس نورُها

---

(١) السجف : الستر. (٢) هرير الكلب : صوته وهو دون النباح. (٣) العقبة : قدر فرسخين، أو قدر ما تسيره. (٤) ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أى يتبعها، أو هى التى تنتج فى آخر النتاج. والقدير : اللحم المطبوخ فى القدر. (٥) ثراها : أثرها، يقال: إنى لأرى ثرى الغضب فى وجه فلان : أى أثره، والمولى : الصاحب وابن العم. (٦) العوراء : الكلمة القبيحة. ويريد بدبيرها ما وراءها، وأصل الدبير فى الفتل ضد القبيل، فالقبيل : ما أقبل به الفاتل على صدره، والدبير ما أدبر به عن صدره. (٧) الستير : العفيف. (٨) يريد الناقة الكريمة. (٩) حاباه : نصره.

تمثل محمد بن مروان بشعره

أخبرنى محمد بن عِمران الصَّيْرفى قال حدّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبدىّ قال :

كانت بين بنى كلب وقوم من قيس دِياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بنى أمية يستعينون بهم فى الحَمالة (١) ، فحملها محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين ، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء :

ولقد وقفتُ النفسَ عن حاجاتِها * والنَّفسُ حاضرةُ الشَّعاع تَطَلَّعُ (٢)

وغرِمت فى الحَسَب الرفيع غَرامةً * يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويَظْلَعُ (٣)

إنّى فتًى حرٌّ لِقَدْرِىَ عارفٌ * أُعْطِى به وعليه مِمَّا أَمنَعُ

نزل هو وأرطاة ابن زفر وعويف القوافى على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال، حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعى قال، حدّثنى الحِرمازىُّ قال :

نزل شبيبُ بن البرصاء وأرطاةُ بنُ زُفَر وعُوَيْف القوافى برجل من أَشْجَع كثيرِ المال يُسَمَّى عَلْقَمة ، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ (٤) ولم يَذْبح لهم ، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا : تعالَوْا حتى نهجوَ هذا الكلب . فقال شبيب :

أَفِى حَدَثانِ الدهر أَمْ فى قديمه * تعلّمتَ ألَّا تَقْرِىَ الضيفَ علقما؟ (٥)

(١) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . (٢) نفس شعاع : متفرقة قد تفرقت هممها ، قال قيس بن ذريح :

فلم ألفظك من شبع ولكن * أقضى حاجة النفس الشعاع

(٣) الحصر : البخيل ، وظلع كمنع : غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرج . (٤) ممذوقة : مخلوطة بالماء . (٥) حدثان : مصدر حدث ، وهو هنا بمعنى حديث ، وفى المعجمات : « وأما حدثان الأمر (أى أوله وابتداؤه) فبكسر الحاء وسكون الدال » وهنا موضعه ، لكن يمنع منه وزن البيت .

وقال أرطاة :

لبثنا طويلًا ثم جاء بمَذْقَةٍ * كماء السَّلاَ فى جانب القَعْبِ أَثْلَمَا(١)

وقال عُوَيف :

فلما رأينا أنه شرّ منزلٍ * رمينا بهنّ الليلَ حتى تَخَرَّمَا(٢)

عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بنى عمه فرثاهم

٥ أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعىّ قال : حدّثنا عيسى بنُ إسماعيلَ عن القَحْذَمىّ قال : غاب شبيبُ بنُ البرصاء عن أهله غيبةً، ثم عاد بعد مدّة، وقد مات جماعة من بنى عمّه، فقال شبيب يرثيهم :

تخرَّم الدهرُ إخوانى وغادرنى * كما يُغَادَرُ ثورُ الطاردِ الفَئِدُ(٣)

إنى لباقٍ قليلا ثم تابِعُهُم * ووارِدٌ مَنْهلَ القومِ الذى وَرَدُوا

هاجى رجلا من غنى فأعانه أرطاة ابن سهية عليه

١٠ قال أبو عمرو : هاجَى شبيبُ بنُ البرصاء رجلا من غَنِىّ ، أو قال من باهلةَ ، فأعانه أرطاة بن سُهَيّة على شبيب ، فقال شبيب :

لعمرى لئن كانت سهيّةُ أوضَعَت * بأرطاةَ فى رَكْبِ الخيانة والغدر(٤)

فما كان بالطِّرْف العَتيقِ فيُشْتَرَى * لِفِحلته، ولا الجوادِ إذا يجرى(٥)

أتَنْصُرُ منى معشرا لستَ منهم * وغيرُك أولى بالحِياطةِ والنصر!

١٥ ويروى : « وقد كنت أولى بالحياطة » وهو أجود — .

استعدى عليه رهط أرطاة عثمان بن حيان لهجائه إياهم فهدده ابن حيان بقطع لسانه

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أرطاةَ بن سُهَيّة على شبيب بن البرصاء إلى عثمان ابن حَيّان المرّى وقالوا له : يعُمُّنا بالهجاء ويشتُمُ أعراضنا ، فأمر بإشخاصه إليه

(١) السلا : الجلدة الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشى ، إن لم تنزع عن وجه الولد قتلته . والقعب : القدح يروى الرجل ، وثلم الإناء كفرح : صارت فيه ثلمة فهو أثلم . (٢) تخرم : استؤصل وانقضى . (٣) الفئد : الذى يشكو فؤاده . (٤) أوضعت : أسرعت .
(٥) الطرف : الفرس الكريم الأطراف ، أى الآباء والأمهات .

فأُشخِص ، ودخل إلى عثمان وقد أُتِى بثلاثة نفرٍ لصوصٍ قد أفسدوا فى الأرض يقال لهم بَهْدَل ومَغْورٌ وهَيْصَم ، فقتل بهدلا وصلبه ، وقطع مثغورا والهيصم ، ثم أقبل على شبيبٍ فقال : كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم ! أُقسِمُ قسما حقا لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك ، فقال شبيب :

سجنتَ لسانى يا بن حيّانَ بعدما * تولّى شبابى، إنّ عَقْدك مُحْكَمُ ٥

وَعيدُك أَبقى من لسانى قُذَاذَةً[1] * هَيُوباً، وصمتا بعدُ لا يتكلم

رأيتك تَحْلَوْلِى إذا شئت لامرئٍ * ومُرًّا مُرَارًا فيه صابٌ وعَلْقَم[2] ٩٧/١١

وكلّ طريدٍ هالكٌ مُتحيِّرٌ * كما هلك الحيرانُ والليل مظلم

أصبتَ رجالا بالذنوب فأصبحوا * كما كان مثغورٌ عليك وهَيْصَمُ

خطاطيفُك اللاتى تخطّفن بَهْدَلًا * فأوفى به الأشرافَ[3] جِذْعٌ مقوَّمُ ١٠

يداك يدَا خير وشرٌّ فمنهما * تَضُرُّ وللاخرى نوالٌ وأنعُمُ

ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج فى طلبها فرماه دعيج فأصاب عينه

وقال أبو عمرو : استاق دُعَيجُ بن سيف[4] بن جَذِيمة بن وهب الطائىُّ ثم الجَرْمىُّ إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء فى الطلب ، فلما واجهوا بنى جَرْم قال شبيب : اغتنموا بنى جَرْم، فقال أصحابه : لسنا طالبين إلا أهل القَرْحة[5]، فمضوا حتى أتوا دُعيجا وهو برأس الجبل، فناداه شبيب : يادعيج، إن كانت الطِّراف حَيَّة فلك سائر الإبل، فقال : يا شبيب، تبصَّرْ رأسها من بين الإبل، فنظر ١٥

(١) القذاذة من كل شىء : ما قطع منه . (٢) احلولى : حلا . المرار : شجر مر .

(٣) أشراف الإنسان : أعلاه . (٤) فى الأصول «شبيب» تحريف . (٥) القرحة فى الأصل : الجراحة والمراد هنا الذين استاقوا إبلهم وآذوهم .

فأبصَرَها، فقال شبيب: شدّوا عليه واصعدوا وراءه، فأبوا عليه، فحمل شبيب عليه وحده، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينَه، فذهب بها — وكان شبيبٌ أعورَ ثم عمِىَ بعد ما أسنّ — فانصرف وآنصرف معه بنو عمه، وفاز دعيج بالإبل، فقال شبيب:

أَمرتُ بنى البرصاء يومَ حُزَابَةٍ * بأمرٍ جميعٍ لم تَشتَّتْ مصادرُهْ

بشَوْل ابن معروف وحَسَّانَ بعدما * جَرَى لى يُمنٌ قد بدا لى طائرُهْ[1]

أيرجع حُرٌّ دون جَرْم ولم يكن * طِعانٌ ولا ضربٌ يُذَعْذِع عاسرُهْ؟[2]

فأذهَبَ عينى يوم سفح سَفيرةٍ * دُعَيجُ بنُ سيف، أعوزتْه معاذرُه[3]

ولمّا رأيت الشَّولَ قد حال دونها * من الهَضْب مُغْبَرٌّ عنيفٌ عمائرُهْ[4]

وأعرض ركنٌ من سَفيرةَ يتّقى * بشُمِّ الذُّرا لا يعبُدُ اللهَ عامرُه[5]

أخذتُ بنى سيف ومالكَ مَوْقَعٍ * بما جرّ مولاهمْ وجرّت جرائرُه[6]

ولو أنّ رَجْلى يوم فرّ ابنُ جَوْشنٍ * عَلِقن آبن ظبى أعوزتْه مَغاوِرُه[7]

أخبرنى عمى قال حدّثنى الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىُّ عن عاصم بن الحَدَثان قال:

هجاء أرطاة بن سهية ونفاه عن بنى عوف

هجا أرطاةُ بن سهيّة شبيبَ بن البرصاء ونفاه عن بنى عوف فقال:

فلو كنتَ عَوْفِيا عَمِيتَ وأَسْهَلَتْ * كُدَاكَ ولكنّ المُريب مُرِيبُ[8]

---

(١) الشول: النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فشال لبنها أى ارتفع. (٢) يذعذع: يبدّد ويفرّق. العاسر: الناقة ترفع ذنبها فى عدوها، والضمير فيه يعود على «حر». (٣) سفيرة: ناحية من بلاد طيء، وقيل: صهوة لبنى جذيمة من طيء يحيط بها الجبل، كذا فى جـ، وفى سائر الأصول «شفيرة» تصحيف. (٤) الهضب: جبل ينبسط على الأرض. عمائر جمع عمارة (بالفتح والكسر) وهى أصغر من القبيلة. (٥) الذرا الشمّ: العالية الرءوس. عامره: يعنى به دعيجا.

(٦) موقع: اسم موضع. جر جريرة: اقترف ذنبا. (٧) الرجل: جماعة الرجالة. (٨) فى الأصول ماعدا ف: طبع الدار. والكدىّ: جمع كدية وهى الأرض الصلبة. «كشاك»، وفى ف «لذاك» وهو تحريف، والتصويب عن الأمالى ج ٢ ص ٣، والتنبيه ص ٨٨

قال : فعمى شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهيّة ، فكان يقول : ليت ابن سهية حيًّا حتى يعلم أنى عَوِفٌ ، قال : والعمى شائع فى بنى عوف ، إذا أسنّ الرجل منهم عمِىَ ، وقلّ من يفلت من ذلك منهم .

امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل

وحدّثنى عمى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى علىّ بن الصباح عن ابن الكلبىّ قال : ٥

أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله :

بَكَر العواذل يبتدِرْن ملامتى * والعاذلون فكلُّهم يَلْحانى (١)

فى أن سبقتُ بشَربة مَقَدِيَّةٍ * صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماءِ شُنانِ (٢)

فقال له عبد الملك : شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول :

وإنى لسهلُ الوجه يُعرَف مجلسى * إذا أحزَنَ القاذورةُ المتعبِّسُ (٣) ١٠

يضىءُ سَنا جودى لمن يبتغى القِرَى * وليلُ بخيل القوم ظلماءُ حِندِسُ

ألينُ لذى القُربى مِرارا وتلتوى * بأعناقِ أعدائى حبالٌ تَمَرَّسُ (٤)

٩٨ / ١١

كان عبد الملك يتمثل بشعره فى بذل النفس عند اللقاء ويعجب به

قال : وكان عبد الملك يَتمثّل بقول شبيبٍ فى بذل النفس عند اللقاء ويُعجَب به :

دعانى حِصنٌ للفِرار فساءنى * مواطِنُ أن يُثْنَى علىّ فأُشْتَما

فقلت لِحصنٍ نَحِّ نفسَك إنما * يذُود الفتى عن حوضه أن يُهدَّما ١٥

---

(١) يلحانى : يلومنى . (٢) مقدية : فى الأصول « مقذية » وهو تصحيف ، وخمر مقدية : نسبة إلى مقد وهى قرية بالأردن . صرف : خالصة . مشعشعة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد . (٣) أحزن : صار فى الحزن (بالفتح) ، وهو ضد السهل ، والمراد هنا تشدد ، والقاذورة : السيئ الخلق . (٤) تمرس : يشتدّ التواؤها .

تأخرتُ أَستبقِى الحيـاةَ فلم أجِد * لنفسى حياةً مثـلَ أن أتقدّما

سيكفيك أطرافَ الأسنّة فارسٌ * إذا رِيعَ نادَى بالجـواد وبالحِمَى

إذا المرءُ لم يَغْشَ المكارهَ أوشكَتْ * حبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَجَـذَّما (١)

نُسِختُ من كتاب أبى عبد الله اليزيدىّ ولم أقرأه عليه، قال خالدُ بنُ كلثوم:

سبب مهاجاته عقيل بن علفة

كان الذى هاج الهجاءَ بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علّفة أنه كان لبنى نُشْبَة جار من بنى سَلامان بن سعد، فبلغ عقيلا عنه أنه يطوف فى بنى مرّة يتحدّث إلى النساء فامتلأ عليه غيظا، فبينا هو يوما جالس وعنده غلمان له وهو يجُزّ إبلا له على المـاء ويَسِمُها إذ طلع عليه السّلامانى على راحلته، فوثب عليه هو وغلمانه فضربوه ضربا مبرِّحا، وعقر راحلته، وآنصرف من عنـده بشرّ، فلم يعد إلى ذلك الموضع، ولجَّ الهجاء بينهما. وكان عقيلٌ شَرِسا سيّئ الخلق غَيُورا.

(١) تجذم: تقطع.

أخبار دُقاق [1]

تزوجت يحيى بن الربيع ثم بعدة من القواد والكتاب فماتوا وورثتهم

كانت دقاقُ مُغَنِّيَةً محسنة جميلةَ الوجهِ قد أخذت عن أكابر مُغَنِّى الدولة العباسية ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمدَ ٱبنَه ، وعُمِّر عمرا طويلا وحدّثنا عنه جحظةُ ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالما بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغنّى غناء ليس بمُسْتَطاب ولكنه صحيح . ومات يحيى بنُ الربيع فتزوّجت بعده من القوّاد والكتّاب بِعدّة ، فماتوا وورِثَتْهم .

هجاها عيسى بن زينب

فحدّثنى عمى قال حدّثنى أحمدُ بن الطيب السَّرَخْسِىُّ قال :

كانت دقاق — أمّ ولد يحيى ٱبن الربيع أحمد المعروف بآبن دقاق — مغنيةً محسنة متقِنةَ الأداءِ والصّنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حَمْدونةَ بنتِ الرشيد ثم إلى غَضِيض ، وكانت مشهورة بالظَّرف والمجون والفتوّة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقَتْ [2] دقاق فتزوّجها بعدَ مولاها ثلاثةٌ من القوّاد من وجوههم ، فماتوا جميعا ، فقال عيسى بنُ زينبَ يهجوها :

قلتُ لمّا رأيتُ دارَ دقاقِ * حسنُها قد أضرّ بالعشّاقِ
حذِّروا الرابع الشَّقِيَّ دقاقا * لا يكوننَّ نجمُه فى مِحاقِ [3]
أُلْهُ عن بَضْعها فإن دُقاقا * شُؤْمُ حِرْها قد سار فى الآفاق [4]
لم تضاجع بعلا فهبّ سليما * بل جريحا وجُرحُه غير راقى [5]

(١) كذا فى ف ، وهو يوافق ما فى تاج العروس وفى سائر الأصول : « دقاق » تصحيف .
(٢) عتق العبد كضرب : خرج عن العتق .
(٣) المحاق : آخر الشهر ؛ إذا امحق الهلال فلم ير .
(٤) البضع (بالفتح) : التزويج ، والبضع (بالضم) النكاح .
(٥) راق مسهل راقئ ، من رقأ الدم أو الدمع : جف .

كتبت إلى حمدون تصف هنها فرد عليها

٩٩ / ١١

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني الهدادي الشاعر قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون — ورواية الكوكبي أتمّ — قال :

كتبت دقاق إلى أبي تصف هنها[1] صفة أعجزه الجواب عنها ، فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المخنّثين حتى يصف متاعك ، فيكون جوابها ، فأحضر بعضهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عندي القوق البوق[2] ، الأصلع المزبوق[3] ، الأقرع المفروق ، المنتفخ العروق ، يسدّ البثوق[4] ، ويفتق الفتوق ، ويرمّ[5] الخروق ، ويقضي الحقوق ، أسدٌ بين جملين ، بغلٌ بين حملين ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصله مترس[6] درب ، إذا دخل حفر ، وإذا خرج قشر ، لو نطح الفيل كوّره ، ولو دخل البحر كدّره ، إذا رقّ الكلام ، وتقاربت الأجسام ، والتفت الساق بالساق ، ولطخ باطنها[7] بالبصاق ، وقرع البيض بالذكور[8] ، وجعلت الرماح تمور ، بطعن الفقاح[9] ، وشقّ الأحراح[10] ، صبرنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نخدع . قال : فقطعها .

مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس اليعقوبيّ

حدّثني عمي قال حدّثني أحمد بن الطيب قال حدّثني أحمد بن عليّ بن جعفر قال : حضرت مرّة مجلسا وفيه ابن دقاق وفيه النصرانيّ المعروف بأبي الجاموس اليعقوبيّ البزّاز قرابة بلال قال : فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس ، فلما أكثر عليه

(١) هن المرأة : فرجها . (٢) القوق : الفاحش الطول . والبوق : الذي ينفخ فيه ويزمر .

(٣) المزبوق : المنتوف ، وفي ف « المربوق » وفي سائر الأصول « المزنوق » تصحيف .

(٤) البثوق : الشقوق . (٥) يرم : يصلح . (٦) المترس : خشبة توضع خلف الباب .

(٧) في ب ، جـ ، س : « رأسه » . (٨) أخذه من قول مهلهل يرثي أخاه كليبا :

فلولا الريح أسمع أهل حجر ⁂ صليل البيض تقرع بالذكور

والبيض في البيت : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور : السيوف من حديد غير أنيث .

(٩) الفقاح : جمع فقحة (بالفتح) ، وهي حلقة الدبر .

(١٠) الأحراح : جمع حرح (بكسر فسكون) وهو الفرج .

قال: اسمعوا منى، ثم حلف بالحنيفية أنه لا يكذب، وحدثنا قال: مضيت وأنا غلام مع أستاذى إلى باب حمدونة بنت الرشيد، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع، فخرجت إلينا دقاقُ أمُّ هذا تُقاوِلنا[1] فى ثمن المتاع، وفى يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ: الحِرُ إلى أَيْرين أحوجُ من الأيرِ إلى حِرَين، وعلى الوجه الآخر: كما أن الرّحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رَحَوَيْن، قال: فأسكته والله سكوتًا علمنا معه أنه لو خرِس لكان الخرَس أصونَ لعرضه مما جرى.

كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما

قال أحمد: وفى دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خِلاسيان[2] يروّحانها فى الخَيش، فتحدّث الناس أنها قالت لواحد منهما أن يَنيكها، فعجَز فقالت له: نِكنى وأنت حرّ، فقال لها: نيكِينى أنتِ و بيعينى فى الأعراب، فقال فيها عيسى بن زينب:

أحسنُ من غَنّى لنا أو شَدَا * دقاقُ فى خفضٍ من العيش

لها غلامان يَنِيكانِها * بعِلّة الترويح فى الخيش

قال فيها إبراهيم ابن المهدى شعرا

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدى قال:

كانت دقاقُ جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُرى كلّ واحد منهم أنها تهواه، وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وجها، وأشأمهم على من رَابطها[3] وتزوّجها، فقال فيها أبو إسحاق — يعنى أباه:

صــوت

عدِمتُكِ يا صديقةَ كلِّ خَلْقٍ * أكلَّ الناسِ ويحكِ تعشَقينا؟

فكيف إذا خلطتِ الغثّ منهم * بلحمِ سمينِهم لا تبشَمِينا[4]

(١) تقاولنا: تفاوضنا. (٢) الخلاسىّ: الولد بين أبوين أبيض وأسود. (٣) رابطها: لازمها. (٤) بشم، كفرح: اتخم وفى ط، ب: «تسمينا».

قال فيها أبو موسى الأعمى شعرا

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدى والى رَيّق والى شارِيَة .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنا أبو هَفّان قال :

خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق — وكانت قد ولدت منه آبنه أحمد بن يحيى — إلى بعض النواحى، وترك جاريته دقاق فى داره، فعملت بعــده الأوابِد [1]، وكانت ٥ من أحسن الناس وجها وغناء، وأشأمه على أزواجها ومواليها ورُبَطائها، فقال أبو موسى الأعمى فيه :

١٠٠ / ١١

قل ليحيي نعمْ صَبَرْتَ على المــو * ت ولم تخشَ سهْمَ ريبِ المَنونِ
كيف قل لى أطَقْتَ ويحك يايحـ * ـيى على الضَّعف منك حملَ القُرونِ!
ويحُ يحيى ما مرّ باســت دُقاقٍ * بعــد ما غاب من سِياط البطونِ

صوت من المــائة المختارة

١٠

تكاشرنى كُرْهًا كأنك ناصحٌ * وعينُك تُبْدى أنَّ صدرك لى دَوِى [2]
لسانُكَ لى حــلوٌ وعينك علقمٌ * وشَرُّك مبسوط وخيرُك مُلْتَوِى [3]

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفىّ والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشامىّ :

١٥ (١) الأوابد : جمع آبدة، وهى الداهية يبقى ذكرها على الأبد .
(٢) كاشره : ضحك فى وجهه و باسطه . دوى كفرح : مرض، يقال إنه لدوى الصدر .
(٣) كذا فى أكثر الأصول، وفى ف : « منطوى » .

نسب يزيد بن الحكم وأخباره

نسبه وبعض أخبار آبائه

هو يزيدُ بنُ الحكم بنِ عثمان بن أبى العاص صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، كذلك وجدت نسبه فى نسخة ابن الأعرابىّ . وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم ابن أبى العاص ، وأن عثمان عمُّه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بنُ بِشر ابنِ عبد دُهْمان بن عبد الله بن همّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم ابن قَسِىّ وهو ثقيفُ .

روى جدّه عثمان الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعثمان جدُّه أو عم أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بَكْرَة ، وشطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ؛ كانت له هناك أرض أُقْطِعهَا وابتاعها وقد رَوَى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديث ، وروى عنه الحسن بن أبى الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين .

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا بشر بن موسى قال حدّثنا الحُمَيْدىّ قال حدّثنا سفيان ، سمعه من محمد بنِ إسحاق ، وسمعه محمدٌ من سعيد بن أبى هند ، وسمعه سعيدُ بن أبى هند من مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال :

سمعت عثمانَ بنَ أبى العاص الثقفىّ يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أُمَّ قومَك واقدُرْهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجة " . قال الحُمَيدىّ وحدّثنا الفُضَيْل بن عِياض عن أشعبَ عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتخذوا مؤذّنا ولا يأخذ على أذانه أجرا " .

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا العلاء بنُ الفضل قال حدّثنى أبى قال :

مرّ به الفرزدق وهو ينشد شعرا فامتدحه

مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفىّ وهو يُنْشِد فى المجلس[1] شعرا فقال: من هذا الذى يُنشِد شعرا كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيدُ بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد بالله أن عمّتى ولدته. وأم يزيد بَكرةُ بنتُ الزِّبْرِقان بن بدر، وأمها هُنَيدةُ بنتُ صَعْصَعة بن ناجية. وكانت بكرة أوّلَ عربيّة ركِبت البحر فأخرِجَ بها إلى الحكم وهو بتَوَّج[2]، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون منهم العباسُ وعيّاش.

خبره مع الحجاج وقد ولاه كورة فارس

أخبرنى حبيبُ بنُ نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا الحزامى قال:

دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفىّ، فولّاه كورةَ فارسَ، ودفع إليه عهدَه بها، فلما دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج: أنشِدْنى بعضَ شعرك، وإنّما أراد أن يُنشِده مديحًا له، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول:

وأبى الذى سلب ابنَ كسرى رايةً * بيضاءَ تَخْفِقُ كالعُقاب الطائر

فلما سمع الحجّاج فخره نهض مُغْضَبًا، فخرج يزيدُ من غير أن يودّعه، فقال الحجّاج لحاجبه: ارتجِع منه العهد، فإذا ردّه فقل له: أيهما خيرٌ لك: ما ورّثك أبوك أم هذا؟ فردّ على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورِثْتُ جدّى مجدَه وفَعالَه * وورِثتَ جدَّك أعنُزًا بالطائف

خرج عن الحجاج مغضبا ولحق بسليمان ابن عبد الملك ومدحه

وخرج عنه مغضبا، فلحق بسليمانَ بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التى أوّلها:

---

(١) فى ف: «فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

(٢) توج: بلد بفارس.

أمسَى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمُودَا * إذَا أقولُ صَحَا يَعْتادُه عِيدَا[1]

يقول فيها :

سُمِّيتَ باسم امرئٍ أشبهْتَ شيمَتَه * عدلا وفضلا سليمانَ بنَ داوُدا[2]

أَحْمِدْ به فى الوَرَى الماضينَ من مَلِكٍ * وأنت أصبحت فى الباقين محمودا

لا يَبْرأُ الناس من أن يحمدوا مَلِكا * أولاهُمُ فى الأمورِ الحلمَ والجودا[3]

فقال له سليمان : وكَمْ كان أجرَى لك لعِمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفا . قال : فهى لك علىّ ما دمتَ حيا . وفى أوّل هذه القصيدة غناء نسبته :

صــوت

أمسى بأسماءَ هذا القلب معمودا * إذا أقول صحا يعتاده عِيدا

كأنّ أحورَ من غِزلان ذى بَقَرٍ * أهدَى لها شَبَهَ العينين والجيدا[4]

أَجرِى على مَوعدٍ منها فتُخْلِفُنى * فلا أَمَلُّ ولا تُوفِى المواعيدا

كأننى يوم أُمْسِى لا تُكَلِّمُنِى * ذُو بُغْيةٍ يبتغى ما ليس موجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبى ربيعة وذلك خطأ .

---

(١) معمود : هدّه العشق .

(٢) رواية لسان العرب « عود » :

سميت باسم نبى أنت تشبهه * حلما وعلما سليمان بن داودا

(٣) رواية اللسان : « لا يعذل الناس فى أن يشكروا ملكا » .

(٤) ذو بقر : موضع ، والحور : شدّة سواد المقلة فى شدّة بياضها ، وفى اللسان : « سنة العينين والجيدا » — والسنة : الصورة — وقد عقب على البيت فقال : « وكان أبو على يرويه : « شبه العينين والجيدا » — كما فى رواية الأغانى — أراد وشبه الجيد فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقد قيل : إن أبا علىّ صحفه » .

عَروضُه من البسيط ، والغناءُ للغريض، ثقيل أوّل بالبنصر فى مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانَةَ أنه لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى .

حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره فى رثاء ابنه عنبس

أخبرنا محمدُ بنُ العباس اليزيدى قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنى العمرىّ عن الهيثم بن عدى قال أخبرنا ابنُ عياش عن أبيه قال :

٥ سمعت الحجّاج — واستوى جالسا — ثم قال : صدق والله زهيرُ بن أبى سُلْمَى حيث يقول :

وَمَا العفوُ إلّا لامرئٍ ذى حفيظة * متى يَعْفُ عن ذنب امرئ السَّوءِ يَلْجَجِ

فقال له يزيد بن الحَكَم : أصلح الله الأمير ، إنى قد رثيت ابنى عَنْبَسا ببيت ، إنه لشبيهٌ بهذا . قال : وما هو؟ قال قلت :

١٠ ويأمنُ ذو حِلْمِ العشيرة جهلَه * عليه ، ويخشَى جهلَه جُهَلاؤها

قال : فما منعك أن تقولَ مِثلَ هذا لمحمد ابنى ترثيه به ؟ فقال : إن ابنى والله كان أحبَّ إلىّ من ابنك .

وهذه الأبياتُ من قصيدة أخبرنى بها عمّى عن الكُرانىّ عن الهيثم بن عدىّ .

١٠٢ / ١١

قال : كان ليزيد بن الحكم ابنٌ يقال له عَنْبَس ، فمات فجزِع عليه جزعا شديدا

١٥ وقال يرثيه :

جزَى الله عنى عَنْبَسا كلَّ صالحٍ * إذا كانت الأولادُ سَيْئًا[1] جزاؤها

هو ابنى وأمسَى أجرُه لى وعزَّنى * على نفسه ربٌّ إليه وَلاؤها

جهولٌ إذا جَهْلُ العشيرة يُبتغى * حليمٌ ويَرْضَى حلمَه حُلَماؤها

(١) كذا فى ف ، جـ ، وفى باقى الأصول : « شيئا » تحريف .

فضله عبد الملك بن مروان على شاعر ثقيف فى الجاهلية

وبعد هذا البيتُ المذكور فى الخبر الأوّل .

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرَانى قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقيطٍ قال قال عبد الملك ابنُ مروان :

كان شاعرُ ثَقيفٍ فى الجاهليّة خيرا من شاعرهم فى الإسلام، فقيل له : من يَعْنى أميرُ المؤمنين؟ فقال لهم : أمّا شاعرهم فى الإسلام فيزيدُ بنُ الحكم حيث يقول : ٥

فما منك الشبابُ ولستَ منه * إذا سألتْــك لحيتُــك الخضَابا

عقائلُ من عقائل أهلِ نَجْــد * ومكّــةَ لم يُعقِّلْنَ الرِّكابا

ولم يَطْردُن أبقعَ يوم ظعنٍ * ولا كلبا طَــردن ولا غرابا (١)

وقال شاعرهم فى الجاهليّة :

والشيب إن يظهرْ فإنّ وراءه * عُمُــرًا يكون خــلالَه مُتَنَفَّسُ ١٠

لم يَنتقص مــنّى المَشيبُ قُلامَةً * وَلَمَا بَـقِى مِنّى أَلَبُّ وأكيَسُ (٢)

شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم الثقفى ليزيدَ بن المهلب حين خَلَعَ يزيد بن عبد الملك :

أبا خالد قــد هِجْتَ حربا مريرةً * وقــد شمرتْ حربٌ عوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيد بنُ المهلّب : بالله أستعين ، ثم أنشده ، فلمّا بلغ قوله : ١٥

فإنّ بنى مروان قــد زال مُلْكُهُمْ * فإن كنتَ لم تَشْعُر بذلك فاْشعُرِ

فقال يزيدُ بن المهلب : ما شعَرت بذلك ، ثم أنشده فلما بغ قوله :

فمت ماجدا أوعش كريما فإن تَمُتْ * وسيفك مشهور بكفك تُعــذَرِ

فقال : هذا ما لا بدّ منه .

(١) كذا فى ف ، وفى م ، ط : « كلب » ، وفى ب ، جـ : « نجد » . والغراب الأبقع : ما كان فيه سواد و بياض . (٢) ألب وأكيس : أكثر عقلا وحزما . ٢٠

قال العمرى : وحدّثنى الهيثم بن عدى عن ابن عيّاش أن يزيدَ بن المهلّب إنّما كتب إليه يزيدُ بن الحكم بهذه الأبيات ، فوقّع إليه تحت البيت الأوّل : أستعين بالله . وتحت البيت الثانى : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أمّا هذه فنعم .

مدح يزيد بن المهلب وهو فى سجن الحجاج فأعطاه نجما حل عليه

أخبرنى محمدُ بنُ خلفٍ وكيعٌ قال حدّثنى الغَلّابى قال حدّثنى ابنُ عائشة قال : دخل يزيدُ بنُ الحكم على يزيد بن المهلّب فى سجن الحجّاج وهو يعذَّب ، وقد حلّ عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم عليه[1] ، وكانت نجومه فى كلّ أسبوع ستّة عشر ألف درهم فقال له :

أَصْبَح فى قَيْدِك السماحةُ والجو * دُ وفضلُ الصَّلاح والحَسَبُ
لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نِعَمٌ * وصابرٌ فى البلاء محتسِبُ
بَرَزْتَ سَبْقَ الجيادِ فى مَهَلٍ * وقَصَّرتْ دون سَعْيك العرَبُ

قال : فالتفت يزيدُ بنُ المهلب إلى مولًى له ، وقال : أعطه نجمَ هذا الأسبوع ، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر .

وقد رُويتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزةَ بنِ بِيْضٍ مع يزيد .

روى ابنه العباس بعض شعره لجرير فأكرمه

أخبرنى عمى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى هارونُ بنُ مُسلِم قال حدّثنى عثمانُ بنُ حفص قال حدّثنى عبد الواحد عَرِيفُ ثقيف بالبصرة :

أن العباسَ بنَ يزيد بن الحكم الثقفىّ هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست فى مسجدها وغشِيَنى قومٌ من أهلها ، قال : فوالله إنى لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجّح فى مشيته ، فلما رآنى أقبل إلىّ ، فقال القومُ : هذا جريرٌ

[1] تنجيم الدين : أن يقدر دفعه فى أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة ، وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر مواقيت حلول دينها .

فأتانى حتى جلس إلى جنبى، ثم قال لى : السَّلامُ عليك، مِمَّنْ أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيف . قال : أعْرَضْتَ الأديمَ (١)، ثمّ ممن؟ قلت :] رجل من بنى مالك، فقال: لا إله إلا الله ! أمثلُك يعرَفُ بأهل بيته ! فقلت : أنا رجل من ولد أبى العاصى، قال : ابن بِشْر؟ قلت : نعم . قال : أيُّهُمْ أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحكم . قال: فمن الذى يقول :

فَنِىَ الشّبابُ وكلُّ شىء فانِ * وعلا لِدَاتى شيبهُم وعلانى

قلت : أبى، قال : فمن الذى يقول :

ألا لا مرحبا بفراق ليلى * ولا بالشيب إذ طَرَدَ (٢) الشبابا

شبابٌ بان محمودا وشَيبٌ * ذميمٌ لم نجِد لهما اصطحابا

فما منك الشبابُ ولستَ منه * إذا سألتك لِحيتُك الخضابا

قلت : أبى ، قال : فمن الذى يقول :

تعالَوْا فعُدّوا يعلمِ الناسُ أيُّنا * لصاحبه فى أوّل الدهر تابعُ

تزيّدُ يربوعٌ بكم فى عِدادها * كما زِيد فى عَرْضِ الأديمِ الأكارعُ (٣)

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبى أصْوَنَ لنفسه وعِرضه من أن يدخل بينك و بين ٱبن عمك ، فقال : رحم اللهُ أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم ٱنصرف ، فنزّلنى بكبشين ، فقال لى أهل اليمامة : ما نزّل أحدا قبلك قط .

أخبرنى محمد بنُ مَزْيد بنِ أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلى عن يزيد حَوْراءَ المغنّى قال :

---

(١) أعرض الشىء وعرّضه : جعله عريضا أى وسّعه . وما بين القوسين وارد فى ف ، ساقط من غيرها . (٢) كذا فى ف و جـ . وفى باقى الأصول : « طرق » .

(٣) الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق .

شعره فى جارية مغنية كان يهواها وقد ارتحلت عنه

كان يزيدُ بنُ الحكم الثقفى يَهْوَى جاريةً مغنّية، وكانت غيرَ مطاوِعةٍ له، فكان يهيم بها، ثم قدِم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرّت بيزيد بن الحكم مع غِلمة لمولاها وهى راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال:

يأيها النازحُ الشَّسُوع * ودائعُ القلب لا تَضيع[1]

أَستودِعُ اللهَ مَنْ إليه * قلبى على نأيه نَزوع[2]

٥

إذا تذكرتُه آستهلت * شوقا إلى وجهه الدموعُ

كتاب الجارية إليه

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له: أأنت يزيدُ بنُ الحكم؟ قال: نعم، فدفع إليه كتابا مختوما، ففضّه فإذا كتابها إليه وفيه:

١٠

لئن كوى قلبَكَ الشُّسوعُ * فالقلبُ منّى به صُدوعُ

وبى وربِّ السماءِ فاعلم * إليك يا سيدى نُزُوعُ

١٠٤/١١

أعزِزْ علينا بما تلاقى * فينا وإن شفَّنا الوَلوعُ

فالنفس حَرَّى عليك وَلْهَى * والعين عَبْرَى لها دموع

فموتنا فى يد التنائى * وعيشُنا القربُ والرجوعُ

١٥

وحيثما كنتَ يا منايا * فالقلب مِنّى به خُشوعُ

ثم عليك السلام منّى * ما كان من شمسها طلوعُ

قال: فبكى والله حتى رحمه من حضر، وقال لنا الكهل: ما قصتُه؟ فأخبرناه بما بينهما، فجعل يستغفِر الله مِنْ حَمْلِه الكتاب إليه، وأحسب أن هذا الخبر مصنوع؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبى الأزهر.

(١) الشسوع: الشاسع البعيد.
(٢) النزوع: المشتاق.

شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا أبو غسان دَماذُ عن أبى عبيدة قال أنشدنى أبو الزعراء — رجلٌ من بنى قيس بن ثعلبة — لطرفة بن العبد :

تُكاشرنى كرها كأنك ناصح * وعينك تُبدى أن صدرك لى جَوِى

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إنى كنت أرويه ليزيدَ بن الحكم الثقفىّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفةَ بن العبد، فقال لى أبو عمرو : إنّ أبا الزعراء فى سنّ يزيد بن الحكم ، ويزيد مولَّد يجيد الشعر، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقا .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه، لأنّ العلماء من رواة الشعر رَوَوْها ليزيد بن الحكم، وهذا أعرابى لا يحصِّل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكا فيه أنه ليزيد بن الحكم — وليس كذلك — لكان معلوما أنه ليس لطرفة، ولا موجودا فى شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضا مشبها لمذهب طرفة ونمطه، وهو بيزيد أشبه، وله فى معناه عِدّة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحكم وآبن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبى العاصى . ومن قال إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنّ عمه عبد الرحمن هو الذى عاتبه، وفيه يقول :

وَمَوْلًى كذئبِ السَّوء لو يستطيعنى * أصاب دمى يومًا بغير قتيل
وأُعْرِضُ عما ساءه وكأنما * يقاد إلى ما ساءنى بدليل
مجامَلةً منّى وإكرامَ غيره * بلا حَسنٍ منه ولا بجميل
ولو شئت لولا الحلمُ جدّعتُ أنفه * بإيعاب جَدْعٍ بادئٍ وعليل (١)
حفاظًا على أحلام قوم رُزِئْتهم * رِزانٍ يَزِينون النَّدِىَّ كُهول

(١) جدعت : قطعت . وأوعبه إيعابا : استوعبه .

وقال فى أخيه عبد ربّه :

أخى يُسِرُّ لىَ الشَّحناءَ يُضْمِرها * حتى وَرَى جَوْفَه من غِمْرِه الداءُ(١)

حَرّانُ ذو غُصّة جُرِّعتُ غُصَّتَه * وقد تعرّض دون الغصة الماءُ

حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلنى * منه كما يُنزِل الأعداءَ أعداءُ

٥ أسعى فَيكفُرُ سعيي ماسعيتُ له * إنى كذاك من الإخوان لَقّاءُ

وكم يدٍ ويدٍ لى عنده ويدٍ * يعدّهن تِراتٍ وهْىَ آلاءُ

فأمّا تمام القصيدة التى نسِبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُختارها ليُعْلَم أنّ مرذول كلام طرفة فوقه :

١٠٥ / ١١

تُصَافِحُ من لاقيتَ لى ذا عداوةٍ * صِفاحاً وعنّى بينُ عينيك مُنْزَوِى(٢)

١٠ أراك إذا لم أهْوَ أمرًا هَوِيتَه * ولستَ لِما أهوَى من الأمر بالهَوِى

أراك ٱجتويتَ الخيرَ منى وأجتوِى * أذاكَ، فكلٌّ يجتوى قُرْبَ مجتوِى(٣)

فليت كَفافا كان خيرُك كلّه * وشرُّك عنى ما ٱرتوى الماءَ مرتوِى(٤)

عدوّك يخشى صولتى إن لقيتُه * وأنت عدوّى، ليس ذاك بمستوِى

وكم موطنٍ لولاىَ طِحتَ كما هَوَى * بأجرامه من قُلّة النِّيق مُنْهوِى(٥)

١٥ (١) يقال : ورى القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغل . (٢) بين ، مرفوع بالابتداء، ومنزوى خبره (وانظر الخزانة ١ : ٤٩٧) . (٣) اجتواه : كرهه .

(٤) الكفاف : الذى لا يفضل عن الشيء و يكون بقدر الحاجة إليه ، وهو خبر مقدّم لكان واسم ليت محذوف أو ضمير الشأن .

(٥) طاح يطيح ويطوح : هلك . هوى وانهوى : سقط . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة :
٢٠ أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع فى الجبل .

إذا ما ابتنى المجدَ ٱبنُ عمك لم تُعِن * وقلتَ ألا ياليت بنيانَه خَوِى[1]

كأنك إن نال ٱبنُ عمك مَغْنَمًا * شَجٍ أو عميدٌ أو أخو غُلّةٍ لَوِى[2]

وما برِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشيتَها * تُذيبُك حتى قيل هل أنت مكتوى[3]

جمعتَ وفُحْشًا غِيبةً ونميمةً * ثلاثَ خصال لست عنهن ترعوى

ويدحو بك الداحى إلى كلّ سَوْءةٍ * فيا شرَّ من يدحو إلى شرِّ مُدْحوِى[4]

بدا منك غِشٌّ طالما قد كتمتَه * كما كتمتْ داءَ ٱبنها أمُّ مُدَّوِى[5]

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَنْ له فى العِلم أدنى سَهْمٍ عرَف أنّه لا يَدخل فى مذهب ظَرفة ولا يقاربه .

صوت من المائة المختارة

أبَى القلبُ إلا أُمَّ عوفٍ وحُبَّها * عجوزا، ومن يعشَقْ عجوزا يُفَنَّدِ

كثوبِ يمانٍ قد تقادمَ عهدُه * ورُقعتُه ما شئتَ فى العين واليد

الشَعر لأبى الأسودَ الدّؤلى والغناء لعَلّويه ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة .

---

(١) خوى المنزل : خلا من أهله . (٢) شج : حزين . العميد : المريض لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يعمد من جوانبه بالوسائد (أى يقام) . لوى : أصابه اللوى ؛ وهو وجع فى الجوف ، والغلة : حرارة الجوف . (٣) يقال حشى الرجل بنفسه وحشيها ، (بالبناء للجهول) من حشا الوسادة إذا ملأها . (٤) فى جميع الأصول :

ويدعو بك الداعى الى كل سوءة * فيا شر من يدعو الى شر من دعى

والتصويب عن الخزانة (ج ١ ص ٤٩٩) .

(٥) ادّوى : أكل الدواية (بالضم والكسر) ، وهى جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق ، وذلك أن خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أأدوى يا أمى ؟ فقالت : اللجام معلق بعمود البيت ، أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عادته .

أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

نسبه

آسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَندل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفاثة بن عدِىّ ابن الدِّئل بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر ابن نِزار، وهم إخوة قريش، لأن قريشا مختلَف في الموضع الذي آفترقت [فيه][1] مع أبيها، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم، وأبعَدُ مَن قال في ذلك مَدًى مَن زعم أن النضر ابن كِنانة منتهى نسبِ قريش؛ فأمّا النّسابون منهم فيقولون إن من لم يلِده فِهْر ابن مالك بن النضر فليس قرشيًّا .

كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم

وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدِّثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما[2] فأكثر، وروى عن ابن عباس وغيرِه، وآستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة عليّ . وذكر أبو عبيدة أنه أدرك أول الإسلام وشهِد بدرا مع المسلمين[3]. وما سمعتُ بذلك عن غيره .

ولاه عليّ البصرة

وأخبرني عمي عن آبن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَمىّ عن أبي عبيدة مِثلَه .

وآستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد آبن عباس ، وهو كان الأصلَ في بناء النحو وعَقَدِ أصوله .

١٠٦ / ١١

كان أول من وضع النحو ورسم أصوله

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتم الطَّبَرى النحوىّ بذلك عن أبي عثمان المـازِنيّ عن أبي عمر الجَرْمِىّ عن أبي الحسن الأخفش عن سِيبويه عن الخليل بن أحمد

(١) زيادة من ف . (٢) الدعاء في ف : « صلوات الله عليه وآله » .

(٣) في ف : « مع المشركين » .

عن عيسى بن عمــر عن عبدالله بن أبى إسحاق الحَضْرمىّ عن عَنْبَسة الفِيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعْمُر الليثى .

أنّ أبا الأسود الدؤلى دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ!. (رفَعَتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أىُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجِرٍ ، [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمى شهور السنة بهذه الأسمــاء [1]] . فقالت : يا أبتِ إنمــا أخبرتك ولم أسألك . فأتى أميرَ المؤمنين علىَّ بن أبى طالب عليــه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتْ لغة العرب لمــّا خالَطَت العَجَم ، وأوشك إن تَطاولَ عليهــا زمان أن تضمحلَّ ، فقال له : وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنتــه ، فأمره فاشترى صحفا بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى . (وهذا القول أول كتاب سيبويه)، ثم رسم أصول النحو كلّها، فنقلها النحويّون وفرّعوها . قال أبو الفرج الأصبهانىّ : هــذا حفِظته عن أبى جعفر وأنا حديث السنّ، فكتبتُه من حِفْظى، واللفظ يزيد ويَنقص وهذا معناه .

أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها

أخبرنى عيسى بن الحسين قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنى قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلى أن ينقط المصاحف، فنقَطَها ورَسَم من النحــو رسوما، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليــه فى حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عَنبسةُ بن مَعْــدانَ المَهْرىّ ، ثم جاء عبــد الله بن أبى إسحاق الحضرمىُّ وأبو عمرو ابن العلاء فزادا فيه، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدىُّ وكان صليبة [2] فلحب الطريق . ونَجَم على بن حمزة الكسائى مولى بنى كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفيّين رسوما هم الآن يعملون عليها .

(١) هذه الزيادة عن ف . (٢) صليبة : فى أساس البلاغة « عربى صليب : خالص النسب . وامرأة صليبة : كريمة النسب عريقة » والمعنى : وكان ذا نسبة صليبة . لحب الطريق : بينه .

أخذ النحو عن على ابن أبى طالب

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال حدّثنا التّوّزىّ والمَهْرىّ قالا حدّثنا كَيْسان بن المعرّف الهُجَيْمىّ أبو سليمان عن أبى سفيان ابن العلاء عن جعفر بن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلىّ عن أبيه قال :

قيل لأبى الأسود : من أين لك هذا العِلم ؟ — يعنون به النحو — فقال : أخذت حدوده عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

٥

خبره مع زياد فى سبب وضع النحو

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرىّ قال حدّثنى عبيد الله بن محمد عن عبدالله بن شاكر العنبرىّ عن يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عيّاش عن عاصم بن أبى النجود قال :

أوّل مَنْ وضع العربيّة أبو الأسود الدؤلىّ ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إنى أرى العرب قد خالطتْ هذه الأعاجم ، وتغيّرتْ ألسنتهم ، أفتأذن لى أن أضع لهم عِلما يقيمون به كلاَمهم ؟ قال : لا . قال : ثم جاء زيادا رجل فقال : مات أبانا وخلّف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلّف بنون ! ردّوا إلىّ أبا الأسود الدؤلىّ ، فرُدّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتُك عنه . فوضع لهم النحو . وقد رَوى هذا الحديث عن أبى بكر بن عياش يزيدُ بن مِهْران ، فذكر أنّ هذه القصّة كانت بين أبى الأسود و بين عبيد الله بن زياد .

١٠

أول باب وضعه فى النحو باب التعجب

أخبرنى أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزىّ عن أبى عثمان المازنىّ عن الأخفش عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبى إسحاق عن أبى حرب بن أبى الأسود قال :

١٥

أوّل باب وضعه أبى من النحو باب التعجب .

كان معدودا فى طبقات من الناس وهو فى كلها مقدم

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤلىّ معدود فى طبقات من الناس ، وهو فى كلّها مقدّم ، مأثورٌ عنه الفضلُ فى جميعها ؛ كان معدودا فى التابعين والفقهاء

١٠٧/١١

٢٠

والشعراء والمحدّثين والأشراف والفُرسان والأمراء والدُّهاة والنحويّين والحاضرى الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلْع الأشراف والبُخْر الأشراف .

حديثه عن عمر ابن الخطاب

فمما رواه من الحديث عن عمر مسندا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم، حدّثنا حامد بن محمد ابن شعيب البَلْخىّ قال حدّثنا أبو خَيْثمة زُهير بن حرب قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا داود بن أبى الفُرات عن عبد الله بن أبى بُرَيْدة عن أبى الأسود الدؤلى قال: ٥

أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتا ذريعا ، فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمرّت به جنازة فأُثْنِىَ على صاحبها خير ، فقال عمر رضى الله عنه : وَجَبتْ ، ثم مرّ بأخرى فأثنى على صاحبها بشرّ، فقال عمر: وَجَبتْ ، فقال أبو الأسود : ما وَجَبتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيُّما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة" فقلنا : ١٠ وثلاثة؟ قال: "وثلاثة"، فقلنا: واثنان؟ قال: "واثنان"، ثم لم نسأله عن الواحد.

حدّثنى حمّاد بن سعيد قال حدّثنا أبو خيثمة قال حدّثنا معاذ بن هشام قال حدّثنى أبى عن قَتادة عن أبى الأسود الدؤلىّ قال :

خطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الناسَ يوم الجمعة فقال : إنّ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تزال طائفةٌ من أمّتى على الحقّ منصورة حتى ١٥ يأتى أمر الله جلّ وعزّ " .

حديثه عن على ابن أبى طالب

ومما رواه عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمىّ قال حدّثنا هَنَّاد بن السَّرِىّ قال حدّثنا عَبْدة بن سليمان عن سعيد بن أبى عَرُوبة عن قَتادة عن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلىّ عن أبيه أبى الأسود الدؤلىّ عن علىّ كرم الله وجهه أنه قال فى بول الجارية : يُغْسَل ، وفى بول الغلام: ٢٠ يُنْضَح ما لم يأكلا الطعام .

تبع ابن عباس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليردّه فأبى

أخبرنى محمّد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا البَغَوىّ قال حدّثنا علىّ بن الجَعْد قال حدّثنا مُعَلًّى بن هلال عن الشَّعْبىّ وأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا المدائنىّ جميعا قالوا :

لما خرج ابن عباس رضى الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود فى قومه ليردّه، فاعتصم عبد الله بأخواله من بنى هلال فمنعوه، وكادت تكون بينهم ٥ حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَنْشُدكم الله ألّا تَسفِكوا بيننا دماء تَبقَى معها العداوة إلى آخر الأبد، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كِنانة عنه، وكتب أبو الأسود إلى علىّ عليه السلام فأخبره بما جرى، فولّاه البصرة.

كان كاتبا لابن عباس على البصرة

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى ووكيع وعمى قالوا جميعا حدّثنا عبد الله بن ١٠ أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عِمران الضِّبّىّ قال حدّثنى خالد بن عبد الله قال حدّثنى أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى قال :

كان أبو الأسود الدؤلى كاتبا لابن عباس على البصرة، وهو الذى يقول :

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً * فادعُ الإله وأحسِن الأعمالا
فَلَيُعْطِيَنَّك ما أراد بقدرة * فهو اللطيف لما أَراد فعالا
١٥ إن العبادَ وشأنَهم وأمورَهم * بيد الإله يقلّب الأحوالا
فدع العبادَ ولا تكن بِطلابِهم * لَهِجًا تَضَعْضَعُ[(١)] للعباد سؤالا

١٠٨ / ١١

كان يكثر الخروج والركوب فى كبره وتعليله ذلك

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ عن محمد بن سلام قال :

كان أبو الأسود الدؤلى قد أسنّ وكبِر، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود، أراك تُكثر الركوب وقد ضَعُفتَ عن ٢٠ الحركة وكبِرتَ ، ولو لزمتَ منزلك كان أودَعَ لك . فقال له أبو الأسود : صدقتَ

(١) تضعضع : تخضع وتذل، وحذفت التاء الأولى .

ولكنّ الركوب يشدّ أعضائى ، وأسمعُ من أخبار الناس ما لا أسمعه فى بيتى ؛ وأستنشى الريح ، وألقَى إخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغتمّ بى أهلى ، وأنِس بى الصبىّ ، وٱجترأ علىّ الخادم ، وكلّمنى من أهلى من يَهاب كلامى ، لإلفهم إيّاى ، وجلوسهم عنــدى ؛ حتى لعلّ العنز أن تبول علىّ فلا يقول لها أحد : هُس[1] .

سأله بنــو الديل المعــاونة فى دية رجل فأبى وعلل امتناعه

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنا أبو عِكرمة قال : كان بين بنى الديل و بين بنى ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلا ، ثم ٱصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دِيته ، فاجتمعوا إلى أبى الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارِضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ العشيرةِ وسيّدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قِلةُ ذاتِ يدٍ ولا سؤددٍ ولا جودٍ ، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، ثم قال له : قد أكثرت يابن أخى فٱسمع منى : إن الرجل والله ما يعطى مالَه إلا لإحــدى خِلالٍ : إما رجلٌ أعطَى مالَه رجاءَ مكافأةٍ ممن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بمــاله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده فى الدار الآخرةِ ، أو رجل أحمقُ خُدِع عن ماله ، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم فى شىء من هــذا ، ولا عمُّك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ، ولَمَــا أفدتُك إياه فى عقلك خيرٌ لك من مال أبى الأسود لو وصل إلى بنى الديل ؛ قوموا إذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

استهزأ به رجل فردّ عليــه فأفحمه وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : كان طريق أبى الأسود الدؤلىّ إلى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبــة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به ، فمرّ به أبو الأسود الدؤلىّ يوما

(١) هس : زجر للغنم .

فقال لقومه : كأنّ وجهَ أبى الأسود وجهُ عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ ، فضحك القوم، وأعرض عنهم أبو الأسود. ثم مرّ به مرّة أخرى، فقال لهم : كأنّ غُضونَ قفا أبى الأسود غُضونُ الفِقاحِ (١) . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف فَقْحةَ أمّك فيهنّ ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبى الأسود، فاعتذروا إليه مما كان، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله :

وأهْوَجَ مِلْجاجٍ تصاممْتُ قبله * أنْ أسمعه وما بِسَمْعِىَ من باسِ
ولوشئت قد أعرضتُ حتى أصيبَه * على أنفه حَدباءَ تُعْضِل بالآسى (٢)
فإن لسانى ليس أهونَ وَقْعةً * وأصغرَ آثارا من النحتِ بالفاس
وذى إحنةٍ لم يُبْدِها غيرَ أنه * كذى الحَبْل تأبى نفسُه غيرَ وَسواس (٣)
صفَحتُ له صفحا جميلا كصفحه * وعينى ــ وما يدرى ــ عليه وأحراسى
وعندى له إن فار فوّارُ صدرِه * فَحًا جَبلِيٌّ لا يعاوده الحاسى (٤)
وخَبٍّ لجومُ الناس أكثرُ زادِه * كثيرِ الخنا صَعْبِ المَحالةِ همّاس (٥)
تركتُ له لحمى وأبقيت لحمه * لمن نابه من حاضر الجنّ والناس
فكرّ قليلا ثم صدّ كأنما * يَعَضُّ بصُمٍّ من صَفَا جبلٍ راسى (٦)

(١) الفقاح : جمع فقحة وهى حلقة الدبر .
(٢) حدباء : صعبة شديدة . الآسى : المداوى . أعضل به الأمر : ضاقت عليه الحيل فيه .
(٣) الإحنة : الضغينة والعداوة . (٤) الفحا : توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما . (٥) الخب : الخداع .
(٦) صم : جمع أصم وهو الحجر الصلب المصمت . وفى الأصول « من صدى » وهو تحريف .

خبره مع أعرابى جاء يسأله

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

خرج أبو الأسود الدؤلى ومعه جماعةُ أصحابٍ له إلى الصيد، فجاءه أعرابىّ فقال له : السلام عليك . فقال له أبو الأسود : كلمة مَقُولة . قال : أَدخلُ ؟ قال : وراؤك أوسعُ لك . قال : إن الرَّمْضاء قد أحرقتْ رِجلى، قال : بُلْ عليها أو آئتِ الجبل يَفِىء عليك . قال : هل عندك شىء تُطعِمُنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العِيال، فإن فضَل شىء فأنت أحقّ به من الكلب ، فقال الأعرابى : ما رأيت قطُّ ألأمَ منك . قال أبو الأسود : بلى قد رأيت ؛ ولكنك قد أُنسيتَ .

خبره مع ابن أبى الحمامة

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنىّ بهذا الخبر فقال فيه :

كان أبو الأسود جالسا فى دِهليزه وبين يديه رُطَب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له آبن أبى الحمامة، فسلّم ثم ذكر باقى الخبر، مثلَ الذى تقدّمه ، وزاد عليه فقال : أنا آبن أبى الحمامة . قال : كن آبن أبى طاوُسة[1]، وآنصرف . قال : أسألك بالله إلا أطعمتنى مما تأكل ، قال : فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطَبات ، فوقعت إحداهنّ فى التراب ، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذى تمسحها منه أنظف من الذى تمسحها به، فقال : إنما كرِهتُ أن أدَعَها للشيطان ، فقال له : لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعُها .

أخبرنى محمد بن عِمران الضبىُّ الصَّيْرفىُّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسدىّ قال ذَكر الهيثمُ بنُ عدىّ عن ابن عياش قال :

(١) كذا فى أكثر الأصول، وفى ف : « كن ابن أبى طائر شئت » .

خطب امرأة من عبد القيس فمنعها أهلها وزوجوها ابن عمها فقال أبو الأسود شعرا فى ذلك

خطب أبو الأسود الدؤلى آمرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ابن غنيم ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدّث به ابن عم لها كان يخطبها — وكان لها مال عند أهلها — فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبى الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ، ومن مالها الذى فى أيديهم ، ففعلوا ذلك ، وضارّوها حتى تزوّجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود الدؤلى فى ذلك :

لعمرى لقد أفشيتُ يوما فخاننى * إلى بعض من لم أخشَ سِرّا مُمَنَّعا

فمزّقه مَزْقَ العَمِى وهو غافل * ونادى بما أخفيتُ منه فأسْمعا

فقلت ولم أفحش لَعًالك عاثرا (1) * وقد يعثُر الساعى إذا كان مسرعا

ولستُ بجازيك الملامةَ إننى * أرى العفو أدْنَى للرشاد وأوسَعا

ولكن تعلَّمْ أنه عهدُ بيننا * فبِنْ غيرَ مذموم ولكن مُودَّعا (2)

حديثا أضعناه كلانا فلا أرَى * وأنت نَجِيًّا (3) آخرَ الدهر أجمعا

وكنتَ إذا ضيعتَ سرك لم تجد * سواك له إلا أشَتَّ وأضيَعا

قال : وقال فيه :

أمِنتُ امرأ فى السرّ لم يك حازما * ولكنه فى النصح غيرُ مُرِيب

أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياءَ نارٌ أوقدتْ بثَقُوب (4)

وكنتَ متى لم تَرْعَ سرَّك تلتبسْ * قوارعُه (5) من مخطئ ومُصيب

فما كل ذى نصح بمؤتيك نُصحَه * وما كل مؤتٍ نصحَه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ * فحُقَّ له من طاعة بنصيب

(1) لعالك : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش . (2) البين : الفراق . (3) النجىّ : المسارّ . (4) الثقوب : ما أثقبت به النار أى أوقدتها به . (5) القارعة : النازلة الشديدة .

اشترى جارية حولاء فعابها أهله فمدحها فى شعره

أخبرنى عمى قال حدّثنى الكُرانى قال حدّثنا العمرى عن الهيثم بن عدىّ عن ابن عيّاش قال :

اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته — وكانت حولاء — فعابها أهله عنده بالحوَل، فقال فى ذلك :

يَعيبونها عندى ولا عيبَ عندها ﴿﴾ سوى أن فى العينين بعضَ التأخّر
فإن يك فى العينين سوء فإنها ﴿﴾ مُهفْهَفَة الأعلى رَدَاحُ المؤخّر[1]

تحاكم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد الأزدى قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال :

كان لأبى الأسود الدؤلىّ صديق من بنى تميم ثم من بنى سعد يقال له مالك بن أصرم ، وكانت بينه و بين ابن عمّ له خصومة فى دار له ، وأنهما اجتمعا عند أبى الأسود فحكّماه بينهما ، فقال له خصم صديقه : إنى بالذى بينك و بينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تَحيف علىّ فى الحكم — وكان صديق أبى الأسود ظالما — فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له صديقه : والله ما بارك الله لى فى صداقتك ، ولا نفعنى بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت علىّ بغير الحقّ ، فقال أبو الأسود :

إذا كنتَ مظلوما فلا تُلْفَ راضيا ﴿﴾ عن القوم حتى تأخذ النِّصفَ[2] واغضبِ
وإن كنت أنت الظالمَ القوم فاطَّرِحْ ﴿﴾ مقالتهم واشغَبْ بهم كلَّ مَشْغَبِ
وقارِبْ بذى جهل وباعد بعالم ﴿﴾ جَلوبٍ عليك الحقَّ من كل مَجْلَبِ
فإن حدِبوا[3] فاقعَسْ و إن هم تقاعسوا ﴿﴾ ليستمكنوا مما وراءك فاحدَبِ

(١) مهفهفة : ضامرة البطن . رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك . (٢) النصف : الانتصاف . (٣) حدب : خرج ظهره ودخل بطنه . وقعس : نقيضه .

ولا تدْعُنِي للجَورِ واصــبِر على التي * بهــا كنتُ أقضِي للبعيــد على أبي
فإني امرؤ أخشى إلهــي وأتّــقِي * مَعــادى وقد جرّبتُ ما لم تجــرّبِ

كتب مستجديا إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحر فرمى كتابه فقال في ذلك شعرا

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أن محمد بن سلام حدّثه ، وأخبرني محمد بن يحيى الصولى عن أبي ذَكوان عن محمد بن سلام قال :

٥ وجه أبوالأسود الدؤلي إلى الحصين بن أبي الحُرّ العَنبريّ جد عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمــال الخراج لزياد ، وإلى نُعَيم بن مسعود النَّهْشَليّ وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه إليهما وأراد أن يَبَرّاه ، ففعل ذلك نعيم بن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحر بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين :

١٠ حسبت كتابي إذ أتاك تعرُّضــا * لسَيْبك(١) ، لم يذهب رجائي هنالكا
وخبَّرني من كنتُ أرسلتُ أنمــا * أخذتَ كتابي مُعــرِضًا بشمالكا
نظــرتَ إلى عنــوانه فنبــذتَه * كنبذِك نعلا أخلقتْ من نعالِكا
نُعَيمُ بن مسعود أحقُّ بمــا أتى * وأنت بمــا تأتي حقيق بذلكا
يصيبُ ومايدرى ويُخطِي ومادرى * وكيف يكون النَّــوْكُ(٢) إلا كذلكا؟

١٥ قال محمد بن سلام : فتقدّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر — وهو قاضي البصرة — مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يَدْري ويُخطي وما درى * وكيف يكون النَّوْكُ إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رَأَى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئا فعل . فقال له : ادنُ ، فقال له : إن أحق الناس بستر هــذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل ، فتبسم

٢٠ (١) السيب : العطاء . (٢) النوك : الحمق .

عبيد الله وقال له : إنى أرى فيسك مُصْطَنعا[(١)] فقم إلى منزلك، وقال لخصمه : رح إلىّ، فغرم له ما كان يطالب به .

أراد السفر إلى فارس فى الشتاء فأبت عليه ابنته فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكرانى عن ابن عائشة قال :

أراد أبو الأسود الدؤلى الخروج إلى فارس، فقالت له ابنته : يا أبت إنك قد كبِرت، وهذا صميم الشتاء، فانتظر حتى ينصرم وتَسلك الطريق آمنا، فإنى أخشى عليك، فقال أبو الأسود :

إذا كنتَ معنيّا بأمرٍ تُريده * فما للمَضاءِ والتوكل من مِثْلِ
توكّلْ وحمّـلْ أمرَك اللهَ إنّ ما * تُرادُ به آتيك فاقنع بذى الفضل
ولا تحسبنّ السيرَ أقربَ للردى * من الخفض فى دار المُقامة والثَّمْل[(٢)]
ولا تحسبينى يا بُنَتى عزّ مذهبى * بظنك، إن الظن يَكذِبُ ذا العقلِ
وإنى ملاقٍ ما قضى اللهُ فاصبرى * ولا تجعلى العِـلْمَ المحقّق كالجهـلِ
وإنك لا تدرين : هل ما أخافه * أبعـدِىَ يأتى فى رحيـلى أو قبلى؟
وكم قـد رأيتُ حاذرا متحفّظا * أُصيبَ وألفتْه المنيةُ فى الأهلِ

خبره مع صديقه نسيب بن حميد وشعره فى ذلك

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إبراهيم العَتكى[(٣)] قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال :

كان لأبى الأسود صديق من بنى سُليم يقال له نُسَيب بن حُمَيْد، وكان يغشاه فى منزله، ويتحدث إليه فى المسجد، وكان كثيرا ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثَرَ عنده منه، فرأى أبو الأسود يوما معه مُسْتُقة[(٤)] مُخْمَلة أصبهانية

(١) أى محلا للصنيعة والجميل . (٢) الثمل : الإقامة والمكث . (٣) فى ف « اسماعيل » . (٤) المستقة : فروة طويلة الكم، معربة وأصلها بالفارسية مشته . وثوب مخمل : له خمل (كشمس)، أى هدب كهدب القطيفة .

من صوف، فقال له أبو الأسود : ما تصنع بهذه المُستُقة ؟ فقال : أريد بيعها، فقال له أبو الأسود : انظر ما تبلغ فعرِّفنيه حتى أبعثَ به إليك، فإنها من حاجتى، قال : لا بل أكسوكَها، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتى درهم، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم، فردّها وقال: لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهما، فقال أبو الأسود :

٥

يَعْـنِي نُسَـيبُ ولا تُثِبْـنِي إننى * لا أستثيبُ ولا أُثيبُ الواهبـا
إن العطيـة خيرُ ما وجَّهتَها * وحسِبتَها حمـدا وأجرا واجبـا
ومن العطية ما يعود غرامةً * وملامـة تَبـقَى ومَنًّا كاذبا
وبلوتُ أخبـارَ الرجال وفعلَهـم * فمُلئتُ علمـا منهـمُ وتجاربا
فأخذتُ منهم ما رضيتُ بأخذه * وتركتُ عَمْـدا ما هنالك جانبـا
فإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ * دَينًـا أقـرّ به وأحضر كاتبـا
حتى أنفِّـذَه على ما قلتُـه * وكفى علىّ به لنفسِىَ طالبـا
و إذا فعلتُ فعلت غيرَ محاسِب * وكفى بربك جازيا ومحاسِبا
و إذا منعتُ منعتُ منعا بيِّنـا * وأرحتُ من طول العَنَاء الراغبـا
لا أشـترى الحمـدَ القليـلَ بقاؤه * يوما بذم الدهرِ أجمـعَ واصـبا (١)

١٠

١٥

١١٢
١١

ضرط فى مجلس معاوية فطلب منه أن يسترها عليه، فوعده، ولكنه لم يفعـل

أخبرنى أحمـد بن عبيد الله بن محمد الرازى ومحمد بن العباس اليزيدى وعمى قالوا حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنى قال :

زعم أبو بكر الهذلى أن أبا الأسود الدؤلى كان يحدّث معاوية يوما فتحـرك فضَرَط، فقال لمعاوية : استرها علىّ، فقال : نعم، فلمـا خرج حدّث بها معاوية

(١) واصبا : دائما .

٢٠

عمرو بن العاص ومروانَ بن الحكم، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلَتْ ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبتْ كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكل أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال : إن آمرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمن على أمور المسلمين .

تزوج أمرأة برزة فخانتـه وأفشت سره ، فطلقها وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال :

كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها، وكانت بَرْزة[1] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود، هل لك فى أن أتزوّجك ؟ فإنى صَناع الكفّ[2] ، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، قال : نعم ، فجمعت أهلها فتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت فى ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته ، وأفشت سرّه ، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا ، فقال لهم :

أَرَيتَ[3] امرأً كنت لم أَبْلُهُ * أتانى فقال اتّخذنى خليلا

فخاللتُه ثم أكرمته * فلم أستفد من لدنه فتيلا

وألفيتُه حين جرّبتُه * كَذُوبَ الحديث سروقا بخيلا

فذكّرته ثم عاتبتُه * عتابا رفيقا وقولا جميلا

فألفيتُه غيرَ مستعتِبٍ[4] * ولا ذاكرِ الله إلا قليلا

ألستُ حقيقا بتوديعه * وإتباعِ ذلك صَرما طويلا؟

(١) امرأة برزة : كهلة جليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويتحدّثون . (٢) امرأة صناع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين . (٣) أريت : أصله أرأيت ، يقولون : أرأيتك (والتاء مفتوحة) بمعنى أخبرنى . بلاه يبلوه : اختبره وامتحنه . (٤) استعتبه : استرضاه .

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها لكم ، وأنا أحبّ أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .

أنكر عليه معاوية بخره فرد عليه

حدّثنا اليزيدى قال حدّثنا البَغَوىّ قال حدّثنا العمرى قال :

كان أبو الأسود أبخر ، فسارّ معاوية يوما بشيء فأصغى إليه ممسكا بكمّه على أنفه ، فنحّى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البُخْر .

عابه زياد عند علىّ فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنىّ عن أبى بكر الهذلىّ قال :

كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة ، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يَسبع[1] أبا الأسود عند علىّ ويقع فيه ويبغى عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه :

رأيت زيادا ينتحيني بشرّه * وأُعرِض عنه وهو بادٍ مَقاتِلُهْ

وكل امرئ ، والله بالناس عالم * له عادة قامت عليها شمائلُهْ

تعوَّدها فيما مضى من شبابه * كذلك يدعو كلَّ أمرٍ أوائلُهْ

ويُعجِبُه صفحى له وتجمُّلى * وذوالجهل يحذو[2] الجهلَ مَن لا يعاجِلُهْ

فقلت له دعنى وشأنَى إننا * كلانا عليه مَعْمَلٌ[3] هو عامِلُهْ

فلولا الذى قد يُرتَجَى من رجائه * لجرّبتَ منى بعضَ ما أنت جاهله

لجربتَ أنّى أمنح الغَىَّ مَن غَوَى * علىّ وأجزِى ما جَزَى وأطاولُهْ

(١) سبعه : شتمه ووقع فيه . (٢) حذاه : أعطاه . (٣) معمل : عمل .

وقال لزياد أيضا فى ذلك :

نُبِّئْتُ أن زيادا ظلّ يَشْـتُمنى * والقولُ يُكْتَبُ عند الله والعملُ

وقـد لقِيتُ زيادا ثم قلت له * وقبلَ ذلك ما خَبَّت به الرسـل (١)

حتّـام تَسرِقنى فى كل مَجْمَعَـة * عِرضى، وأنت إذا ماشئت منتفِل

كل امرئ صائر يوما لشيمته * فى كل منزلة يُبْـلَى بهـا الرجلُ

قال : فلما ادّعى معاوية زيادا وولّاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربمـا قضاها وربمـا منعها لمـا يعلمه من رأيه وهواه فى علىّ بن أبى طالب عليـه السـلام ، وما كان بينهما فى تلك الأيام وهما عاملان ، فكان أبو الأسـود يترضّاه ويداريه ما استطاع ويقول فى ذلك :

رأيت زيادا صـدّ عنّى وجهَه * ولم يك مردُودا عن الخير سائلُهْ

ينفِّذ حاجاتِ الرجال ، وحاجتى * كداء الجَـوَى فى جوفه لا يزايلُهْ

فـلا أنا ناسٍ ما نسِيتُ فآيِسٌ * ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعِـلُهْ

وفى اليأس حزم للَّبيب وراحـة * من الأمر لا يُنْسَى ولا المرء نائلُهْ

أكرمه عبد الرحمن ابن أبى بكرة وأفضل عليه فقال يمدحه

وقال المدائنىّ : نظر عبـد الرحمن بن أبى بَكْرة (٢) إلى أبى الأسـود فى حال رثّة فبعث إليـه بدنانير وثياب ، وساله أن ينبسط إليـه فى حوائجه ويستمنحه إذا أضاق (٣) ، فقال أبو الأسود يمدحه :

أبو بحـرٍ أمَنُّ النـاس طُـرًّا * علينـا بعـد حىِّ أبى المُغـيره (٤)

لقـد أبقى لنـا الحَدَثانُ منـه * أخا ثقـةٍ منافعُـه كثيره

(١) خبت : سارت .
(٢) أبو بكرة : هو أخو زياد لأمه .
(٣) أضاق : ذهب ماله .
(٤) ورد هذا البيت فى اللسان مادة « حيى » ، وأبو المغيرة كنية زياد (انظر الطبرى ٦ : ١٣١) .

قريبَ الخير سهلاً غيرَ وعرٍ * وبعضُ الخير تمنعُه الوُعورهْ
بَصُرتَ بأنّنا أصحابُ حقٍّ * نُدِلّ به وإخوانٌ وجِيره
وأهلُ مَضيعةٍ فوجدتَ خيرا (١) * من الخُلّان فينا والعشيره
وإنك قد علمت وكلُّ نفسٍ * تُرَى صَفَحاتُها ولها سريره
لذو قلبٍ بذى القُربَى رحيم * وذو عين بما بلَغتْ بصيره
لعمرك ما حَباك الله نفسا * بها جَشَعٌ ولا نفسا شَريره (٢)
ولكن أنت لا شَرِسٌ غليظ * ولا هَشِمٌ تُنازِعه خُئوره (٣)
كأنا إذ أتيناه نزلنا * بجانب رَوضةٍ رَيّاً مَطِيره

كان عبيد الله بن زياد يماطله فى قضاء حاجاته فعاتبه فى ذلك

قال المدائنيّ : وكان أبو الأسود يدخل على عُبيد الله بن زياد ، فيشكو إليه أنّ عليه دينا لا يجد إلى قضائه سبيلا ، فيقول له : إذا كان غد فارفع إلىّ حاجتك فإنى أحب قضاءها ، فيدخل إليه من غد ، فيذكر له أمره ووَعْده فيتغافل عنه ، ثم يعاوده فلا يصنع فى أمره شيئا، فقال فيه أبو الأسود :

دعانى أميرى كى أفوه بحاجتى * فقلت فما ردّ الجواب ولا استمَعْ
فقمت ولم أُحْسِس بشىء ولم أَصُنْ * كلامى وخير القول ما صِينَ أو نفَعْ
وأجمعتُ يأسا لا لُبانة بعده * ولَلياسُ أدنَى للعفاف من الطمع

سأله رجل فنعه فأنكر عليه فاحتج ببيت لحاتم

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةُ قال حدّثنى ابن عائشة قال :

(١) مضيعة : ضياع واطراح وهوان . (٢) شريرة : ذات شرّ .
(٣) هشم : هشيم رخو . خئورة : ضعف وفتور .

سأل رجل أبا الأسود شيئا فمنعه، فقال له : يا أبا الأسود ما أصبحتَ حاتميا ؟ قال : بلى قد أصبحت حاتميا من حيث لا تدرى، أليس حاتم الذى يقول :

أماوِىّ إمّا مانِعٌ فمبيِّنٌ * وإمّا عطاء لا يُنَهْنِهُه الزجرُ (١)

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا آبن عائشة قال :

شعره فى جار له كان يحسده ويذمه

كان لأبى الأسود جار يحسدُه وتبلغه عنه قوارِصُ ، فلما باع أبو الأسود داره فى بنى الديل ، وآنتقل إلى هُذَيل ، قال جار أبى الأسود لبعض جيرانه من هذيل : هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لا تزال عنده لِقْحة (٢) أو لَقْحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله ، فقال فيه :

إن امرأً نُبِّئْتُه من صديقنا * يسائل هل أسقِى من اللبن الجارا؟

وإنى لأَسقى الجار فى قعر بيته * وأشرب ما لا إثمَ فيه ولا عارا

شرابا حلالا يترك المرء صاحِيًا * ولا يتولَّى يَقْلِسُ الإثمَ والعارا (٣)

أخبرنى عبيد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

قصد صديقه حوثرة ابن سليم فأعرض عنه فهجاه

كان لأبى الأسود صديق من بنى قيس بن ثعلبة يقال له حَوْثَرة بن سُلَيْم ، فآستعمله عبيد الله بن زياد على جَىٍّ (٤) وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس ، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدّره ، وجفاه حوثرة ؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه :

(١) نهنهه : كفه . (٢) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٣) أصله من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدّة الامتلاء ، وقلست النحل العسل : مجته ، والمعنى هنا : يعقب الإثم . (٤) جىّ : مدينة ناحية أصبهان .

تروحتَ من رُستاق جَىٍّ عشيةً * وخَلَّفتَ فى رستاق جَىٍّ أخًا لكا
أخا لك إن طال التنائى وجدتَه * نسيًّا وإن طال التعاشُرُ مَلّكا
ولو كنتَ سيفا يُعجِب الناسَ حدُّه * وكنتَ له يوما من الدهر فَلَّكا[1]
ولو كنتَ أهدى الناس ثم صحبتَه * وطاوعته ضلَّ الهوى وأضلّكا
٥ إذا جئته تبغى الهدى خالف الهدى * وإن جُرت عن باب الغَواية دلّكا

ساومه جار له فى شراء لقحة وعابها فأبى عليه وقال فى ذلك شعرا

قال المدائنى : وكان لأبى الأسود جار، يقال له وَثاق من خُزاعة، وكان يحبّ آتّخاذ اللقاح و يغالى بها و يصفها، فأتى أبا الأسود وعنده لَقْحة غزيرة يقال لها : الصَّفوف[2] فقال له : يا أبا الأسود ما بلقحتك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا، فهل لك فى بيعها ؟ فقال أبو الأسود : على ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال : إنى أغتفر ذلك لها لِما أرجوه من غزارتها، فقال له أبو الأسود : بئست الخَلّتان فيك؛ ١٠ الحِرص والخِداع، أنا لعيب مالى أشدّ آغتفارا؛ وقال أبو الأسود فيه :

يريد وَثاقٌ ناقتى ويعيبها * يخادِعنى عنها وثاقُ بن جابرِ
فقلت تعلَّمْ يا وثاقُ بأنها * عليك حِمًى أُخرى الليالى الغَوابرِ
بصُرتَ بها كَوماءَ حَوساءَ جَلْدةً[3] * من المُولياتِ الهامَ حدَّ الظواهرِ
١٥ فحاولتَ خَدْعى والظنونُ كواذبٌ * وكم طامعٍ فى خَدعتى غيرُ ظافرِ

ساومه رجل من سدوس فى لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها وقال فى ذلك شعرا

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطَّيفاء، وكان يقول : ما ملكت مالا قط أحبّ إلىّ منها، فأتاه فيها رجل من بنى سَدوس يقال له أوس بن عامر، فجعل

(١) فل السيف : ثلمه . (٢) كذا فى جـ، وفى باقى الأصول : « الصعوف »، تصحيف .
(٣) الكوماء : الناقة العظيمة السنام، والحوساء : الشديدة النفس، والجلدة : القوية .

يماكر أبا الأسود ويَعِيبها ، فألفاه بهـا بصيرا وفيها منافِسا ، فبذل له فيها ثمنا وافيا ، فأبى أن يبيعه وقال فيه :

أتانِىَ فى الطيفاء أوسُ بن عامرٍ * ليخدعنى عنهـا بجِنّ ضِراسِهـا (١)

فسام قليـلا ناسئا غـير ناجز * وأُحصِر نفسا وآنتهى بمِكاسِها (٢)

فأُقسمُ لو أعطيتَ ما سمتَ مِثلَه * وضِعفا له لمـا غَدوتَ براسِها

أغرّك منهـا أن نَحرتُ حُوارها * لجيرانِ أمّ السَّكْنِ يوم نِفاسِها (٣)

فولّى ولم يطمع وفى النفس حاجةٌ * يردّدها مردودةً بإياسِـها

جوابه لسائل ملحف

أخبرنا اليزيدىّ قال حدّثنا عيسى عن آبن عائشة والأصمعىّ :

أنّ رجلا سأل أبا الأسود الدؤلىّ فردّه فألحّ عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل المُلحِف مثل الردّ الجامِس . قال : يعنى بالجامس الجامد .

خطب امرأة من بنى حنيفة فعارضه ابن عم لها فقال فى ذلك شعرا

وقال المدائنى : خطب أبو الأسود آمرأة من بنى حنيفة — وكان قد رآها فأعجبته — فأجابته إلى ذلك وأذنت له فى الدخول إليها ، فدخل دارها فخاطبها بما أراد ، فلمـا خرج لقيه آبن عمّ لها قد كان خطبها على أخيـه ، فقال له : ما تصنع ها هنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرصادا ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم وآجتاز بقبيلتهم ، فدسّوا إليه رجلا يوبّخه فى كل محفِل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو فى نادى قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سنّ وخَطَر وعِرْض ، وما أرضى لك أن تلِمّ بفلانة ، وليست لك بزوجة

(١) يقولون فى الناقة : « هى بجِنّ ضراسها » ، أى بحدثان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعضت حالبها . وفى اللسان (ضرس) « الضبعاء » ، وأورد البيت .

(٢) فى الأصـول : « بانسا غير ناجز * وأحضر » وهو تصحيف ، ونجـز الحاجة : قضاها ، وأحصره العدوّ : ضيق عليـه . والماكسة والمكاس فى البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

(٣) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفطم . وفى ف بعد هذا البيت : « وأم السكن امرأته » .

ولا قرابة، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتَشَكّوه، فإمّا أن تتزوّجها أو تُضرِب عنها، فقال له أبو الأسود:

لقد جدّ فى سَلمى الشكاةُ وللّذى * يقولون ـ لو يبدو لك الرشدُ ـ أرشدُ
يقولون لا تَمذُلْ[1] بعرضك واصطنع * مَعادَك إنّ اليوم يتبعه غد
وإياك والقومَ الغِضابَ فإنهم * بكل طريق حولهم تترصّد
تلام وتُلحَى كل يوم ولا تُرَى * على اللوم إلا حولَها تتردّد!
أفادَتْكها العينُ الطموحُ وقد ترى * لك العينُ ما لا تستطيع لك اليدُ

وقال أبو الأسود:

دعُوا آلَ سلمى ظِنّتى[2] وتعنّتى * وما زَلّ منى، إنّ ما فات فائتُ
ولا تُهلِكونى بالملامة إنما * نطقتُ قليلا ثم إنى لساكتُ
سأسكت حتى تحسبونىَ أننى * من الجهد فى مَرْضاتكم متماوتُ
ألم يكفكم أنْ قد منعتم بيوتكم * كما منع الغِيلَ الأسودُ النواهتُ[3]!
تصيبون عِرضى كل يوم كما علا * نشيطٌ بفأسٍ معدِنَ البُرْم[4] ناحتُ

جفاه ابن عامر لهواه فى على بن أبى طالب فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال حدّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدىّ عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال:

كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلى لما كان عاملا لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام على البصرة ويقضى حوائجه، فلما ولِى ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه فى علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود:

---

(١) مذلت نفسه بالشىء: سمحت. (٢) الظنة: التهمة. (٣) النواهت: جمع ناهت؛ يقال: نهت الأسد نهيتا، وهو صوت الأسد دون الزئير. الغيل: الأجمة وموضع الأسد.
(٤) البرم: جمع برمة، وهى قدر من حجارة.

ذكرتُ ٱبنَ عباس بباب ٱبنِ عامر * وما مَرَّ من عيشى ذكرتُ وما فَضَلْ

أميرين كانا صاحِبيَّ كلاهما * فكلٌّ جزاه الله عنى بما فعل

فإن كان شرا كان شرا جزاؤه * وإن كان خيرا كان خيرا إذا عدل

كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقته له

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا عبدالله بن شبيب قال حدّثنا إبراهيم ٱبن المنذر الحِزامىّ قال حدّثنا محمد بن فُلَيح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال قال أبو الأسود الدؤلى لابنه أبى حرب — وكان له صديق من باهِلة يكثر زيارته — فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه : ٥

أحبِبْ إذا أحببتَ حبا مُقارِبا * فإنك لا تدرى متى أنت نازِع

وأبغِض إذا أبغضت بغضا مقاربا * فإنك لا تدرى متى أنت راجِع

وكن معدِنا للحلم وٱصفح عن الخنا * فإنك راءٍ ما عمِلتَ وسامِع ١٠

آذاه جار له فباع داره واشترى دارا فى هذيل وقال فى ذلك شعرا

وقال المدائنى حدّثنى أبو بكر الهذلىّ قال :

كان لأبى الأسود جار من بنى حُلَيس بن يَعمُر بن نُفاثة بن عدِىّ بن الديل، من رهطه دِنيةً — ومنزل أبى الأسود يومئذ فى بنى الديل — فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه، فكان ما ٱعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه، وإنما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم فى بخله بماله، فقال أبو الأسود: والله ما أجاور رجلا يقطع رحِمى ويكذب على ربى . فباع داره وٱشترى دارا فى هذيل، فقيل له : يا أبا الأسود، أبِعت دارك! قال: لم أبع دارى، ولكن بِعت جارى، فأرسلها مثلا وقال فى ذلك: ١٥

رمانِىَ جارى ظالمًا برميَّة * فقلتُ له مهلا فأنكَرَ ما أتى

وقال الذى يرميك ربُّك جازيا * بذنبك، والحَوْباتُ تُعقِب ما ترى (١)

فقلت له لو أن ربى يرميه * رماني لما أخطا إلهىَ ما رمى

جزى الله شرّا كلَّ من نال سوءة * ويَنْحَلُ فيها ربَّه الشرَّ والأذى (٢)

وقال فيه أيضا :

لَحَى الله مولى السَّوء لا أنت راغب * إليه ولا رامٍ به من تحاربه

وما قُربُ مولى السوء إلا كبُعده * بل البعدُ خير من عدوٍّ تُصاقِبه (٣)

وقال فيه أيضا :

وإنى لَتَثْنِينى عن الشتم والخَنا * وعن سبِّ ذى القربى خلائقُ أربعُ

حياء وإسلام ولطف وأننى * كريم، ومثلى قد يضرّ وينفع

فإن أعف يوما عن ذنوب أتيتَها * فإن العصا كانت لِمثلىَ تُقْرَعُ (٤)

وشتان ما بينى وبينك إننى * على كل حال أستقيم وتَظْلَع (٥)

قصته مع جار له آذاه، وشعره فى ذلك

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن العتبى قال : كان لأبى الأسود جار فى ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبى الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل آبن عمّ أبى الأسود دِنيةً ، وكان شرسا سيئ الخلق ، فأراد سدّ ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرَّ بأبى الأسود وهو شيخ ، وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مُؤْنة ، فأبى إلا سدَّه ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرّ به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعُد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

(١) الحوبة : الإثم . (٢) نحله : نسبه إليه . (٣) صاقبه : قاربه .

(٤) يشير إلى المثل : « إن العصا قرعت لذى الحلم » ، ومعناه أن الحكيم إذا نبه انتبه . وأوّل من قرعت له العصا عامر بن الظرب لما طعن فى السن أنكر من عقله شيئا ، فقال لبنيه : إذا رأيتمونى خرجت من كلامى وأخذت فى غيره فاقرعوا لى المجن بالعصا . (٥) ظلع : غمز فى مشيه .

صــــوت

بُليت بصاحبٍ إنْ أدنُ شِبرا * يَزِدنى فى مباعــدةٍ ذِراعا
و إن أمدُدْ له فى الوصل ذَرْعى (١) * يَزِدنى فوق قِيس الذرع باعا
أبت نفسى لــه إلا اتِّبـاعا * وتأبى نفســه إلا امتنـاعا
كلانا جاهــد أدنو و ينأى * فذلِكَ ما ٱستطعتُ وما ٱستطاعا

الغناء فى هــذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر، وفيـه لعريب خفيف رملٍ . ولعلويه لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضا فى ذلك :

لنـا جِـيرة ســدّوا المجَـازة بيننا * فإن أذ كَروك السدَّ فالسدُّ أكْيسُ
ومن خير ما ألصقتَ بالجار حائط * تزِلُّ به سُفْعُ الخطاطيفِ أملسُ (٢)

وقال أيضا فى ذلك :

أخطأتَ حــين صرمتـنى * والمــرء يعجِــزُ لا محالَه (٣)
والعبــد يُقــرَع بالعصـا * والحــر تكفيه المقـاله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمــد بن القـاسم بن مَهرُويه قال حدّثنى إسحاق بن محمد النخعى عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرنى به محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البِّزّى قال حدّثنى إسحاق بن محمد النخعىّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال :

نزل فى بنى قشير فآذوه فقال فيهم شــعرا

---

(١) قيس : قدر . (٢) سفع : سود تضرب إلى الحمرة . (٣) لا محالة : لا بدّ ، وفى لسان العرب مادة (حول) : «وأنشد ابن برى لأبى دواد يعاتب امرأته فى سماحته بماله :

حاولت حــين صرمتـنى * والمــرء يعجز لا المحاله

والمحالة : الحيلة» .

كان أبو الأسود الدؤلي نازلا في بني قُشَير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أمّ عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسُبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أيُّ جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمِك، إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

يقول الأرذلون بنو قشير * طَوالَ الدهر لا تنسى عليّا!
فقلت لهم: وكيف يكون تركى * من الأعمال مفروضا عليّا؟
أحِب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزةَ والوصيّا[(1)]
بني عمّ النبي وأقربيه * أحبَّ الناس كلّهم إليّا
فإن يك حبّهم رُشْدا أُصِبه * ولست بمخطئٍ إن كان غيّا
هُمُ أهل النصيحة غيرَ شكّ * وأهل مودّتى ما دمت حيّا
هَوًى أُعطِيتُه لما استدارت * رحى الإسلام لم يُعْدَل سِويّا[(2)]
أحبهمُ لحبّ الله حتّى * أجيء إذا بُعِثتُ على هَويّا[(3)]
رأيت الله خالقَ كلِّ شيءٍ * هداهم واجتبى منهم نبيّا
ولم يخصُص بها أحدا سِواهم * هنيئا ما اصطفاه لهم مريّا

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

* فإن يك حبهم رشدا أُصِبه *

(١) الوصي: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الطريق السويّ: المستقيم.

(٣) على هويا: على هواى، جرى فيه على لغة هذيل؛ يقلبون الف المقصور ياء و يدغمونها في ياء المتكلم، قال أبو ذؤيب الهذلي يرثي أولاده:

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم * فتخرّموا ولكل جنب مصرع

فقال: أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. أفترى الله جلّ وعزّ شكّ فى نبيه! وقد روِى أنّ معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب.

تهكم معاوية به وأجابه بشعره

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو عثمان الأُشْنانْدانِىّ عن الأخفش عن أبى عمر الجَرمى قال:

دخل أبو الأسود الدؤلىّ على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلا يا أبا الأسود، فلو علّقت تميمة تَنفى عنك العينَ! فقال أبو الأسود:

أفنى الشباب الذى فارقتُ جِدّتَه * كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلِقِ
لم يتركا لىَ فى طول آختلافهما * شيئا تُخاف عليه لَذْعةُ الحَدَقِ

خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فأتى على طعامه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحارث بن محمد قال قال حدّثنا المدائنىّ عن علىّ بن سليمان قال:

كان أبو الأسود له على باب داره دُكّان يجلس عليه، مرتفع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان، فإذا مرّ به مارّ فدعاه إلى الأكل لم يجِد موضعا يجلس فيه، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغدَاء، فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفلَ، ثم قال له: يا أبا الأسود، إن عزمت على الغداء فانزِل، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظا حتى أتى على الطعام، فقال له أبو الأسود: ما آسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: لقد أصاب أهلك حقيقة آسمك.

قال المدائنى: وبلغنى أنّ رجلا دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان، فمدّ يده ليأكل، فشب به فرسه فسقط عنه فوُقِص[1].

(١) وقص: دقت عنقه وكسرت.

كان أبو الجارود صديقا له فلما ولي ولاية جفاه فقال فيه شعرا

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال :

كان أبو الجارود سالِم بن سَلَمة بن نَوفل الهذليّ صديقا لأبي الأسود ، يهاديه الشعر، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه ، ويتعاشرانِ ويتزاورانِ، فولي أبو الجارود وِلاية ، فجفا أبا الأسودِ وقطعه، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها، فقال فيه أبو الأسود :

أبلِغْ أبا الجارود عني رسالة * يَرُوح بها الغادي لرَبْعك أو يغدو

فيخبرَنا ما بالُ صَرمك بعد ما * رضيتَ وما غيّرْتَ من خُلق بعدُ

أأنْ نلتَ خيرا سَرّني أن تناله * تنكّرتَ حتى قلتُ ذو لِبدةٍ وردُ؟ (١)

فعيناك عيناه وصوتك صوته * تُمثّله لي غيرَ أنك لا تعدو

لئن كنت قد أزمعت بالصّرم بيننا * لقد جعلَتْ أشراطُ (٢) أوّله تبدو

فإني إذا ما صاحبٌ رَثّ وصلُه * وأعرَضَ عني قلّ مني له الوَجدُ

خبره مع الحارث ابن خليد وشعره فيه

قال المدائنيّ: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد ، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإنّ فيه غنى وخيرا، فقال له أبو الأسود : قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال : كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم . وزاد الكلام بينهما ، حتى أغلظ له الحارث بن خليد ، فهجره أبو الأسود، وندم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصالح بينهما ، فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له : قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد (٣)، فقال أبو الأسود في ذلك :

---

(١) اللبدة : الشعر المتراكب بين كتفي الأسد . والورد : الأسد .

(٢) أشراط : جمع شرط، كسبب ؛ وهو العلامة . (٣) حديد : حادّ اللسان .

لنا صاحب لا كليلُ اللسان * فيَصمُتَ عنا ولا صارِمُ

وشرُّ الرجال على أهله * وأصحابِه الحَمِقُ العارِمُ

وقال فيه :

إذا كان شيء بيننا قيل إنه * حديدٌ نخالِف جهلَه وترفَّقِ

شنِئتُ من الأصحاب من لستُ بارحا * أُدامِله (١) دَمْلَ السقاءِ المخرَّقِ

وقال المدائنىّ :

كتب إلى الحصين كتابا فتهاون به فقال فيه شعرا

ولَّى عبيد الله بن زياد الحصينَ بن أبى الحُرّ العنبرىّ مَيْسانَ ، فدامت وِلايته إياها خمس سنين ، فكتب إليه أبو الأسود كتابا يتصدّى فيه لِرفده ، فتهاون به ولم ينظر فيه ، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله ، فقال فيه :

ألا أبلغا عنّى حُصَيْنا رسالةً * فإنك قد قطّعتَ أُخرى خِلالِكا

فلو كنتَ إذ أصبحتَ للخَرج (٢) عاملا * بميسانَ تُعطِى الناسَ من غير مالِكا

سألتك أو عرَّضتُ بالود بيننا * لقد كان حقًّا واجبا بعضُ ذلِكا

وخبَّرنى من كنت أرسلت أنما * أخذتَ كتابى مُعْرِضا بشمالِكا

نظرتَ إلى عنوانه ونَبَذته * كنبذك نعلا أخلقَتْ من نِعالِكا

حسِبت كتابى إذ أتاك تعرّضا * لَسيبِك ، لم يذهب رجائى هنالِكا

يُصيب وما يدرى ويُخطِى ومادرى * وكيف يكون النَّوْكُ إلا كذلِكا

فبلغت أبيات أبى الأسود حصينا ، فغضب وقال : ما ظننت منزلة أبى الأسود بلغَتْ ما يتعاطاه من مساءتِنا وتوعّدِنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه :

(١) دامله : داراه ليصلح ما بينه وبينه . (٢) الخرج : الخراج .

أَبلِـغ حصينا إذا جئتــه * نصــيحةَ ذى الرأى للمجتنِيها
فلا تك مثل التى آستخرجت * بأظلافِها مُــديةً أو بِفيهـا (١)
فقـام إليهـا بهـا ذابح * ومن تَدْعُ يوما شَعوبُ يجِيها (٢)
فظلت بأوصالهـا قِــدرُها * تُحُشّ الوليــدةُ أو تشتوِيهـا (٣)
و إن تأبَ نصحى ولا تنتهى * ولم تر قــولى بنصحٍ شبيهـا ٥
أجَرِّعْك صابا وكان المُرا * ر والصاب قِدْمًا شرابا كريها

وقال خالد بن كلثوم :

خبره مع معاوية ابن صعصعة وشعره فى ذلك

كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسـود كثيرا فيحادثه و يظهر له المودّة ، وكانت تبلغه عنــه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف أنه لم يفعل ، ثم يعاوِد ذلك ، فقال فيه أبو الأسود : ١٠

ولى صاحب قد رابنى أو ظلمته * كذلك ما الخصمان بَرٌّ وفاجر
وإنى آمرؤ عندى وعمدا أقوله * لآتِىَ ما يأتى آمرؤ وهــو خابر
لسانان معســولٌ عليــه حلاوة * وآخر مسموم عليــه الشَّراشر (٤)
فقلت ولم أبخَــل عليه نصيحتى * وللمــرء ناهٍ لا يــلام وزاجر
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب * عواقب قــول تعتريه المعـاذر ١٥
فـكم شاعرٍ أرداه أنْ قال قائل * له فى اعتراض القول إنك شاعر
عطفتُ عليــه عطفة فتركته * لِمَا كان يرضَى قبلها وهو حاقر

(١) يشير إلى المثل : « كباحثة عن حتفها بظلفها » ، وأصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فبحثت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شـفرة فذبحها بها .
(٢) شعوب : المنية . (٣) حش النار : أوقدها . (٤) يريد أنه حاد ، وفى اللسان : شرشر السكين أحدها . ٢٠

بقافيــة حذّاءَ سهــلٍ رويُّهــا * وللقــول أبوابٌ تُرَى ومحــاضر (١)

تَمَزَّى بها من نومه وهو ناعس * ـإذا انتصف الليلُ ـالمُكَلّ المسافِرُ (٢)

إذا ما قضــاها عاد فيهــا كأنه * للــذته سكران أو متساكر

شعره فى عبد الله ابن عامر وكان مكرما له ثم جفاه لتشيعه

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكرانى قال حدّثنى العمرىّ عن العتبىّ قال :

كان عبــد الله بن عامر مكرما لأبى الأسود ثم جفاه لمــا كان عليه من التشيع ٥
فقال فيه أبو الأسود :

ألم تر ما بيــنى وبين آبن عامر * من الودّ قد بالت عليــه الثعالبُ

وأصبح باقى الودّ بيــنى وبينــه * كأن لم يكن، والدهرُ فيه عجائب

إذا المــرء لم يُحْبِبك إلا تكرُّهًــا * بدا لك من أخلاقه ما يغالِب

فَلَلنأى خير من مُقــامٍ على أذى * ولا خيرَ فيما يســتقل المعــاتب ١٠

قصته مع زوجتيه القشيرية والقيسية وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا آبن النطاح قال ذكر الجِرْمازىّ عن رجل من بنى الديل قال :

كانت لأبى الأســود الدؤلى آمرأة من بنى قُشَــير وآمرأة من عبد القيس، فأسنّ وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنــده وأسنهما ، فكانت موافقــة له صابرة عليــه ، وهى أم عوف القشيرية التى ١٥
يقول فيها :

١٢١/١١

أبى القلب إلا أم عوف وحبهــا * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفنّــد

كسَحْقِ يمــانٍ قــد تقادم عهده * ورُقعته ما شئت فى العين واليد (٣)

(١) حذاء : سيارة أو منقحة لا يتعلق بها عيب . (٢) أكله : أتعبه .

(٣) السحق : الثوب البالى . ٢٠

وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعْمِيّ — وكانت أشبّهما وأجملهما — فالتوت عليه لما أسنّ، وتنكرت له وساءت عشرتها، فقال فيها أبو الأسود:

تعاتبني عِرسي على أن أطيعها * لقد كذبتها نفسُها ما تمنّتِ
وظنت بأني كلُّ ما رضيتْ به * رضيتُ به، يا جهلها كيف ظنت!
وصاحبتُها ما لو صحبتُ بمثله * على ذعرها أُرْوِيةً لاطمأنتِ (١)
وقد غرّها مني على الشيب والبِلى * جنوني بها، جُنّت حِيالي وحُنّتِ

— يقال: جُنّ وحُنّ، وهو من الأتباع كما يقال: حسنٌ بَسَن —

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا * ولو علمت ما عُنّيتْ ما تعنّتِ (٢)
تَشَكّى إلى جاراتها وبناتها * إذا لم تجد ذنبا علينا تجنّتِ
ألم تعلمي أني إذا خفت جفوة * بمنزلة أبعدتُ منها مطيتي
وأني إذا شُقّت عليّ حليلتي * ذَهَلتُ ولم أحنِنْ إذا هي حنّتِ (٣)

وفيها يقول:

أفاطِم مهلا بعض هذا التعبس * وإن كان منك الجِدّ فالصَّرْمُ مُؤْنسي
تَشَتَّمُ لي لما رأتني أحبها * كذي نعمة لم يُبْدها غيرَ أبؤس
فإن تنقُضي العهد الذي كان بيننا * وتُلوي به في وُدّك المتحلّس (٤)
فإني — فلا يغرُرْكِ مني تجملي — * لأسلَى البعاد بالبعاد المكنّس (٥)
وأعلم أن الأرض فيها مَنادح * لمن كان لم تُشْدَد عليه بمحبِس (٦)
وكنت امرأً لا صحبةَ السوء أرتجي * ولا أنا نوام بغير معرَّس (٧)

---

(١) الأروية: الأنثى من الوعول. (٢) تعناه: عناه وأوقعه في العناء. (٣) شق عليه: أوقعه في المشقة. ذهله وعنه: سلاه وطابت نفسه عن إلفه. (٤) تحلس بالمكان: أقام به. (٥) يقال: سلاه وسلا عنه، وسليه وسلي عنه. (٦) منادح: جمع مندوحة: وهي السعة. (٧) المعرس: موضع التعريس؛ وهو نزول القوم في السفر آخر الليل للاستراحة.

أرسل غلامه يشترى له جارية فأخذها لنفسه فقال شعرا فى ذلك

وقال المدائنى :

كان لأبى الأسود الدؤلى مولى يقال له نافع و يكنى أبا الصبّاح ، فذُكرت لأبى الأسود جارية تباع ، فركب فنظر إليها فأعجبته ، فأرسل نافعا يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبى الأسود ، فقال فى ذلك :

إذا كنت تبغى للأمانة حاملا * فدع نافعا وآنظر لها من يُطيقها
فإن الفتى خَبٌّ كذوب و إنه * له نفس سَوء يحتويها صديقُها
متى يخلُ يوما وحده بأمانة * تُغَل جميعا أو يُغَل فريقها
على أنه أبقى الرجال سَمانة * كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقها

٥

خطبته فى موت علىّ بن أبى طالب

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا على بن محمد المدائنىّ عن أبى بكر الهذلىّ قال :

١٠

أتى أبا الأسود الدؤلى نعيُ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم عليا عليه السلام فقال فى خطبته :

١٢٢ / ١١

« و إن رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه ، اغتال أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه ومثواه فى مسجده وهو خارج لتهجده فى ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرِمْ به و بمقتله ورُوحه من روح عَرَجت إلى الله تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان ! لقد أطفأ منه نور الله فى أرضه لا يبين بعده أبدا ، وهدم ركنا من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله و إنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام و رحمة الله يوم ولد و يوم قتل و يوم يبعث حيا » .

١٥

٢٠

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال :

« وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه وسليله وشبيهه فى خلقه وهديه ، وإنى لأرجو أن يجبر الله عز وجل به ما وَهَى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفئ به نيران الفتنة ، فبايِعوه تَرْشُدوا » .

٥ فبايعت الشيعة كلها ، وتوقف ناس ممن كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودس إليه رسولا يُعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله فى الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويُمَنِّيه ؛ فقال أبو الأسود :

كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فقال شعرا يرثى فيه على بن أبي طالب

ألا أبلغ معاويةَ بن حرب * فلا قَرَّت عيون الشامتينا

١٠ أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طُرًّا أجمعينا

قتلتم خيرَ من ركِب المطايا * وخَيَّسها[1] ومَن ركِب السفينا

ومن لبس النعال ومن حَذاها[2] * ومن قرأ المثانِى والمئينا

إذا آستقبلت وجه أبى حسين * رأيت البدر راق الناظرينا

لقد علمت قريش حيث حلت * بأنك خيرها حَسَبا ودِينا

١٥ أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال حدّثنا الرياشىّ عن الهيثم بن عدىّ عن أبى عبيدة قال :

لزم ابنه المنزل فحثه على العمل والسعى فى طلب الرزق

كان أبو حرب بن أبى الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضا ، ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لى رزق فسيأتينى ، فقال له :

---

٢٠ (١) خيسها : ذللها . (٢) حذاه نعلا : أعطاه إياها .

وما طلب المعيشة بالتمنّى * ولكن ألق دلوك فى الدّلاء
تجئك بملئها يوما ويوما * تجئك بحمأة[1] وقليل ماء

شعره فى ابن مولاته لطيفة

وقال المدائنى :

كانت لأبى الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُسلِم فابتاعت له أمة وأنكحته إياها ، فجاءت بغلام فسمته زيدا ، فكانت تؤثره على كل أحد ، وتجد به وجْدَ الأم بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود، وقد مرضت لطيفة :

وزيد هالكٌ هُلْكَ الحُبارَى * إذا هلكت لطيفة أو مُسلِمٌ[2]
تبنّته فقال وأنتِ أمى * فأنّى بعدها لك زيدُ أمٌّ!
تَرُمُّ متاعه وتزيد فيه * وصاحبها لما يحوى مِضَمٌّ[3]
ستلقى بعدها شرا وضرا * وتُقْصَى إن قُربت فلا تُضَمّ
وتَلقاك الملامة كلَّ وجه * سلكتَ وينتحى حالَيْك ذم

١٢٣ / ١١

قال : فماتت لطيفة من علتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيدا عما كان يتولاه من ضيعتها ، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعا مهانا بالبصرة كما قال فيه وتوعده .

(١) الحمأة : الطين الأسود المنتن . (٢) جاء فى لسان العرب : « الحبارى : طائر ، ومن أمثالهم فيه : « فلان ميت كَمَد الحبارى » ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيام التحسير فتلق الريش ، ثم يبطئ نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمدا » .

وفى حياة الحيوان الكبرى للدميرى : « وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق ، ومع ذلك تموت جوعا لهذا السبب » . (٣) مضم : شديد الضم .

اشـترى جارية للخـدمة فتعرضت له فقـال فى ذلك شــــعرا

وقال المدائنى أيضا :

اشترى أبو الأسود أمة للخدمة، فجعلت تتعرض منه للنكاح وتتطيب وتشتمل بثوبها، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة، ولم أشترك للنكاح، فأقبلى على خدمتك، وقال فيها :

٥ أصلاحُ إنى لا أريدك للصِّبا * فدعى التشملَ حولنا وتبدَّلى[1]

إنى أريدك للعجين وللرحا * ولحمـل قربتنـا وغَلْى المِرْجَل

وإذا تروَّحَ ضيفُ أهلك أوغدا * فخـذى لآخَرَ أهبةَ المستقبل

أهدى إليه المنذر ابن الجارود ثيابا فقال شعرا يمدحه فيـــه

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعى قال حدّثنا أبو عُشّانة عن ابن عباس قال :

كان المنـذر بن الجارود العبدى صـديقا لأبى الأسود الدؤلى تعجبه مجالسته

١٠ وحديثه ، وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه ؛ وكانت لأبى الأسود مُقَطَّعة[2] من برود يكثر لُبسها ، فقال له المنـذر : لقد أدمنت لبس هـذه المقطعة ، فقال له أبو الأسود : رب مملول لا يستطاع فراقه ؛ فعلم المنـذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثيابا ، فقال أبو الأسود يمدحه :

كســاك ولم تستكسه فحمِــدتَه * أخ لك يعطيـك الجـزيل وناصر

١٥ وإن أحـق الناس إن كنت حامدا * بحمـدك من أعطاك والعِـرض وافر

أبيـات أوصى فيها ابنه

أنشدنى محمد بن العباس اليزيدى عن عمه عبيـد الله عن ابن حبيب لأبى الأسود يوصى ابنه، وفى هذه الأبيات غناء :

---

(١) تبذل : لبس البذلة ؛ وهى ثوب الخدمة والاعتمال . تشمل بالشملة (بالفتح) : تغطى بها ، وهى كساء دون القطيفة يلتحف به . (٢) المقطعات من الثياب : شبه الجباب من الخز وغيره .

صــــوت

لا ترسلن رسالة مشهورة * لا تستطيع إذا مضت إدراكها
أكرِمْ صديق أبيك حيث لقِيته * واحْبُ الكرامة مَن بَدَا لحباكها
لا تبدينّ نميمة حُدّثتَها * وتحفّظنّ من الذى أنباكها

اعتذر لزياد فى شىء جرى بينهما فلم يقبل عذره فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى محمد بن خلف بن مرزبان قال حدّثنا أبو محمد المروزى عن القَحْذَمى عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤلى اعتذر إلى زياد فى شىء جرى بينهما، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول : ٥

إننى مجرم وأنت أحق النـ * ـاس أن تقبل الغَداةَ اعتذارى
فاعف عنى فقد سُفِهتُ وأنت الـ * ـمرء تعفو عن الهَنات الكبار

فتبسم زياد وقال : أما إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك . ١٠

استشير فى رجل أن يولى ولاية فقال شعرا

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه عن عيسى بن عمر قال :

سئل أبو الأسود عن رجل، واستشير فى أن يولَّى ولاية، فقال أبو الأسود: هو ما علمتُه : أَهْيَسُ أَلْيَسُ، أَلَدُّ[1] مِلْحَس، أن أعطى انتهر[2]، وإن سئل أَزَّ[3] . قال الأصمعى : الأهيس : الحادّ، ويقال فى المثل : ١٥

* إحدى لياليكِ فهِيسى هِيسى *

(١) ألدّ : جدل شديد الخصومة . والملحس : الحريص، والذى يأخذ كل شىء يقدر عليه، والشجاع كأنه يأكل كل شىء يرتفع له . (٢) انتهره : زجره .
(٣) أزّ، كضرب : تضام وتقبض من بخله .

قال : ويقال ناقة لَيْساء : إذا كانت لا تبرح من المبرك ، قال : وهو مما يوصف به الشجاع[1]، وأنشد في صفة ثور :

* أَلْيَسُ عن حَوبائه سَخِيّ[2] *

١٢٤ / ١١

ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضي حاجة ثم نكث فقال شعرا في ذلك

أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدّثنا أبو مُحَلِّم عن مؤرِّج السدوسيّ عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يَسار قال — وكان من أفصح أهل زمانه — قال :

أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتبا لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئا ، فقال أبو الأسود :

لعمري لقد أوصيتُ أمس بحاجتي * فتى غيرَ ذي قصدٍ عليّ ولا رَؤُف[3]
ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه * ومن خير ما أدلى به المرء ما عُرِف
وما كان ما أمَّلْتُ منه ففاتني * بأول خيرٍ من أخي ثقةٍ صُرِف

جفاه أبو الجارود فقال فيه شعرا

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدّثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدّثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال :

كان أبو الجارود سالم بن سَلَمة بن نوفل الهذلي شاعرا ، وكان صديقا لأبي الأسود الدؤلي ، فكان يهاديه الشعر، ثم تغير ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود :

---

(١) الأليس : الشجاع الذي لا يبالي الحرب . (٢) الحوباء : النفس .
(٣) رؤف : رءوف .

أبلـغ أبا الجـارود عنى رسـالة * يروح بها المـاشى ليلقاك أو يغدو
فيخبرنا ما بالُ صَرمك بعــد ما * رضيت وما غيّرت من خُلُق بعد
أأَن نلت خيرا سرنى حين نلتـه * تنكرتَ حتى قلت ذو لِبــدة وَرْدُ؟
فعيناك عيناه وصـــوتك صوته * تُمثّـله لى غيرَ أنك لا تعْـــدو
فإن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا * وقد جعلت أسباب أوّله تبــدو ٥
فإنى إذا ما صاحب رَثّ وصـله * وأعرض عنى قلت بالأبعدِ الفقدُ

وفاتــه

وكانت وفاة أبى الأسود فيما ذكره المدائنىّ فى الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة . قال المدائنىّ : وقد قيل إنه مات قبل ذلك؛ وهو أشبه القولين بالصواب ، لأنا لم نسمع له فى فتنة مسعود وأمر المختار(١) بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه . والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أولا ، عن يحيى بن مَعين. ١٠
أخبرنى به الحسن بن علىّ عن أحمد بن زهير عن المدائنىّ ويحيى بن مَعين :

صـــــوت

لعمـــرك أيهـا الرجل * لأى الشـكل تنتقِــل
أتهجـر آل زينب أم * تزورهــُم فتعتـــدل؟
هُـمُ رَكْبٌ لقُـوا ركبا * كما قــد تُجْمَـع السُّـبُل ١٥
فــذلك دأبنـا وبــذا * ك تجرى بيننـا الرسُــل

الشعر لأبى نَفيس بن يَعْلَى بن مُنْية ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

(١) هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضى الله عنـه ، ونشبت بينه و بين مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة ٦٧ . ٢٠

أخبار أبى نفيس ونسبه

١٢٥ / ١١

نسبه

آسمه حُيَىّ بن يحيى بن يَعْلَى بن مُنْية، وقيل بل اسم أبى نفيس يحيى بن ثعلبة بن منية، ومنية أمّه، ذكر ذلك الزبير بن بكّار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد. قال الزبير: وكان عمى يقول: آسمه ميمون بن يعلى؛ وأمّه منية بنت غَزْوان أخت عُتْبة ابن غزوان، وأبوه أميّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم، وجدت ذلك بخطّ أبى محلِّم النسابة. قال: ويقال لبنى زيد بن مالك بنو العدويّة؛ وهى فُكَيْهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عدىّ ابن عبد مناة بن تميم، ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصُدَيّا ويربوعا، فهم يُدْعون بنى العدوية.

بعض أخبار جدّه يعلى بن منية

وكان يعلى بن مُنْية حليفا لبنى أميّة وعديدا[1] لهم، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة، وقد أدرك النبىّ صلى الله عليه وسلم وسمع منه حديثا كثيرا وروى عنه حديثا كثيرا، وعمِّر بعده؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

أخبرنى عمّى قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنىّ عن أبى مِخْنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبى الكنود قال: قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: مُنيت — أو بليت — بأطوع الناس فى الناس عائشة، وبأدهى الناس طلحة، وبأشجع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالا يَعْلَى بن منية، وبأجود قريش عبد الله ابن عامر؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال: والله يا أمير المؤمنين لَأَنت أشجع من الزبير، وأدهى من طلحة، وأطوع فينا من عائشة، وأجود من آبن عامر، ولَمال الله أكثر من مال يعلى بن منية، وليكونن كما قال الله جل وعز: ﴿ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ

(١) العديد: الذى يعد من أهلك وليس منهم.

تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ . فسر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بقوله :

ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال :

أما الزّبير فأكفيكه * وطلحةُ يكفيكه وَحْوحهْ

ويَعْلَى بن منية عند القتالِ * شديد التثاؤبِ والنحنحه

وعائشُ يكفيكها واعظ * وعائش فى الناس مستنصَحه ٥

فلا تجزعنّ فإن الأمور * إذا ما أتينـاك مستنجَحه

وما يصلح الأمر إلا بنا * كما يصلح الجبن بالإنْفَحه(١)

قال : فسرّ علىّ عليه السلام بقوله، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأما الزبير فناشده علىّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم، وأما طلحة فناشده وحوحة، وكان صديقه وكان من القرّاء، فذهب لينصرف، فرماه رجل من عسكرهم فقتله . ١٠

فأما ما رواه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فكثير، ولكنى أذكر منه طرفا كما ذكرت لغيره .

روى يعلى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

أخبرنى أحمد بن الجعد قال حدّثنى محمد بن عباد المكىّ قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبى رباح عن صفوان بن يعلى ابن منية عن أبيه أنه سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر: ﴿ وَنَادَوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ . وقد روى يَعْلَى عنه صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه . ١٥

أقرض يعلى الزبير ابن العوام يوم الجمل مالا، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله

١٢٦/١١ أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن أبى مخنف قال : أقرض يَعْلَى بن منية الزبير بن العوّام حين خرج

(١) الإنفحة : شىء يستخرج من بطن الجدى الراضع أصفر فيعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ كالجبن . ٢٠

إلى البصرة فى وقعة الجمل أربعين ألف دينار، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ ولم يقضه إياها .

قال : ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير فى الصلاة، فاتفقا على أن يصلى ٱبن هذا يوما وابن هذا يوما، وقال شاعرهم فى ذلك :

٥ تبارى الغلامانِ إذ صَلَّيَا * وشَحَّ على الملك شيخاهما

ومالى وطلحةَ وٱبن الزبير * وهذا بذى الجِزع مولاهما (١)

فأمّهما اليوم غَرَّتهما * ويَعلَى بن منية دلَّاهما (٢)

رثى يعلى زوجه حين توفيت بتهامة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمد بن يحيى عن جدّه عبد الحميد قال :

١٠ كان يعلى بن منية — ويكنى أبا نفيس، وسمعت غير جدّى يقول ٱسمه يحيى وهو من بنى العدوية من بنى تميم من بنى حنظلة — تزوج امرأة من بنى مالك بن كنانة يقال لها زينب، ولهم حِلف فى بنى غِفارٍ، وهى من بنات طارق اللاتى يقلن :

نحن بنات طارقِ * نمشى على النمارقِ (٣)

فتوفيت بِتِهامة فقال يرثيها :

١٥ يارِبِّ ربَّ الناس لما نَحَّبوا * وحين أفْضَوا من مِنًى وحَصَبوا (٤)

لا يُسْقَيَنَّ مَلَحٌ وعُلَيِّبُ * والمُستَرادُ لاسقاه الكوكب (٥)

* من أجل حُمّاهن ماتت زينب *

---

(١) جزع الوادى : منعطفه . (٢) أمهما : يعنى عائشة أم المؤمنين . (٣) النمارق : جمع نمرقة وهى البساط . (٤) نحبوا : ساروا سيرا سريعا دائبا (يعنى الحجيج) . حصبوا : رموا بالحصباء ، وهى الجمار . (٥) ملح : موضع من ديار بنى جعدة باليمامة . وعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع فى سواد العراق من منازل إياد . والكوكب : الماء .

٢٠

قال الزبير : وأنشدنيها عمى مصعب لأبى نفيس بن يعلى بن منية، قال : واسمه ميمون ، وكان عمى يقول : اسم أبى نفيس ميمون بن يعلى، وقال فى الأبيات :

* لا يسقين عُنْبُبٌ وعُلَيِّبُ[1] *

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى عن جدّه غسّان ابن عبد الحميد قال : ٥

رأت عائشة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلم بنات طارق اللواتى يقلن :

نحن بنات طارقِ * نمشى على النمّارقِ

فقالت : أخطأ من يقول : الخيل أحسن من النساء .

قال : وقالت هند بنت عُتْبة لمشركى قريش يوم أُحُد :

نحن بنات طارقِ * نمشى على النمارقِ ١٠

الدُّرُّ فى المَخَانقِ[2] * والمسك فى المَفارقِ

إن تُقْبِلوا نُعانِقِ * أو تُدْبِروا نفارِقِ

* فِراقَ غير وامقِ *

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيْرِىّ قال : ١٥

جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحِزامىّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع، فذكر الضحاكُ وأصحابه قولَ هند يوم أحد :

* نحن بنات طارقِ *

---

(١) عنبب : اسم موضع .

(٢) المخنقة موضع : القلادة . ٢٠

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحاك فقال : أبا زكريا ، وكيف بذاك؟ فقلت : قال الله عز وجل : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ . فقالت : إنما نحن بنات النجم، فقال : أحسنت .

صـــوت

١٢٧/١١

خليلىَّ قوما فى عَطَالَةَ فانظرا * أنارًا أرى من نحو يَبْرِينَ أم برقا (١)

٥ فإن يك برقا فهو فى مُشْمَخِرَّةٍ * تغادر ماءً لا قليلا ولا طَرْقا (٢)

وإن تك نارا فهى نار بملتقًى * من الريح تَسفِيها وتَصْفِقها صَفْقا (٣)

— ويروى : «تَزْهاها وتَعْفِقها عَفْقا» (٤) —

لِأُمّ علىٍّ أوقدتْها طَماعةً * لِأَوبة سَفْرٍ أن تكون لهم وَفْقا

١٠ الشعر لسُويد بن كُرَاع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكى، وذكر غيره أنه لابن مسجح .

---

(١) عطالة : جبل منيف بديار بنى سعد . (٢) المشمخر : الجبل العالى . الطرق: الماء المجتمع الذى خيض فيه فتكدر فهو مطروق وطرق . (٣) صفقته الريح : ضربته وحركته .

(٤) زهت الريح النبات : هزته غب الندى . وعفقها : جمعها وضمها .

أخبار سويد بن كراع ونسبه

سُويد بن كُراع العُكلِىّ(١)، أحد بنى الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل. شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية . وكان فى آخر أيام جرير والفرزدق.

وذكر محمد بن سلام فى كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال :

كان شاعرا محكما وكان رجل بنى عكل وذا الرأى والتقدّم فيهم

كان سويد بن كراع شاعرا مُحْكِما ، وكان رجلَ بنى عُكْل وذا الرأى والتقدّم فيهم ، وعُكْل وضَبَّة وعدِىّ وتَيْم هم الرِّباب .

قال : وكان بعض بنى عدِىّ ضرب رجلا من بنى ضَبّة ، ثم من بنى السيِّد، وهم قوم نُكُدٌ شُرْس(٢)، وهم أخوال الفرزدق، فآجتمعوا حتى ألَمَّ أن يكون بينهم شرّ، فجاء رجل من بنى عدىّ فأعطى يده رهينة(٣) لينظروا ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيْفان(٤)) حليف بنى عبد الله بن دارم :

أسالِمُ إنى لا إخالك سالما * أتيتَ بنى السِّيد الغُواةَ الأشائما

أسالِم إن أفلتَّ من شرّ هذه * فوائِلْ(٥) فِراراً إنما كنتَ حالما

أسالِم ما أعطى آبنُ مامةَ مثلها * ولا حاتِمٌ فيما بلا الناسُ حاتِما

قال شعرا يردّ به على خالد بن علقمة

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك :

أشاعِرَ عبدِ الله إن كنتَ لائما * فإنى لما تأتى من الأمر لائم

مُحَضِّض أفناء(٦) الرِّباب سفاهَةً * وعِرضُك موفور وليلُك نائم

(١) كراع : اسم أمه لا ينصرف ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة العكلى (تاج العروس) .
(٢) نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ . (٣) أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر . (٤) الطيفان : أم خالد بن علقمة . (٥) واءل : طلب النجاة .
(٦) أفناء : أخلاط .

وهل عَجَبٌ أن تدرك السِّيدُ وِتْرَها * وتصبِرَ للحق السَّراةُ الأكارم! (١)

رأيتك لم تمنع طُهَيَّةَ حكمَها * وأعطيتَ يربوعا وأنفُك راغم (٢)

وأنت آمرؤ لا تقبل النصحَ طائعا * ولكن متى تُقْهَـرْ فإنك رائم (٣)

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتمّ منه ها هنا وأوضح فذكرته؛ قال:

٥ كان بين بني السِّيد بن مالك، من ضبة، وبين بني عدِيّ بن عبد مناة تَرامٍ على خَبْراءَ بالصَّمّان (٤) يقال لها ذات الزِّجاج، فرُمي عمرو بن حَشَفة أخو بني شُيَيْم فمات، ورمت بنو السِّيد رجلا منهم يقال له مُدْلِج بن صَخْر العدوىّ فمكث أياما لم يمت، فمرّ رجل من بني عدِيّ يقال له مُعَلَّل على بني السيد وهو لا يعلم الخبر، فأخذوه فشدّوه وَثاقا فأفلت منهم، ومشى بينهم عِصمة بن أُبَيْر (٥) التيمىّ سفيرا، فقال لسالم بن فلان

١٠ العدوىّ: لو رهنتَهم نفسك فإن مات مدلِج كان رجل برجلٍ، وإن لم يمت حملت دية صاحبهم، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حِمْيَرىّ أخى بني شُيَيْم من بني السيد، فكان عنده. ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موتُ مدلِج أتوا أخثم لينتزِعوا منه سالما ويقتلوه، فقوّض عليه أخثم بيته ثم قال: ياآل أمّى — وكانت أمّه من بني عبد مناة بن بكر — فمنعه عبد مناة. ثم إن بني السيد قالوا لأخثم: إلى كم تمنع

١٥ هذا الرجل! أما الدية فوالله لا نقبلها أبدا. فجعل لهم أجلا إن لم يمت مدلِج فيه دفع إليهم سالما فقتلوه به (٦). فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلِج، فقتلوا سالما، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارِم، وهو ابن الطَّيفان:

أسالِمُ ما مَنَّتك نفسك بعدما * أتيت بني السِّيد الغواة الأشائما؟

(١) يريد بالحق هنا القصاص. (٢) طهية، من بني حنظلة، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومتهم. (٣) رائم: محب آلف. (٤) الخبراء: منبت الخبر، وهو شجر السدر، والصمان: جبل في أرض تميم. (٥) كذا في جـ، وفي باقي الأصول: «وثير»، تصحيف. (٦) في الأصول: «فقتلوا به».

١٢٨ / ١١

أسالم قد منتك نفسُك أنما * تكون دِياتٌ ثم ترجعُ سالما

كذبتَ ولكن ثائر متبسّل (١) * يُلَقِّيك مصقولَ الحديدة صارما

أسالم ما أعطى آبنُ مامةَ مِثلَها * ولا حاتِمٌ فيما بلا الناسُ حاتما

أسالِم إن أفلتَّ من شرّ هذه * فوائِلْ فِرارا إنما كنت حالما

وقد أسلمتْ تيمٌ عديًّا فأربعتْ (٢) * ودلّتْ لأسباب المنيّة سالما

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التى ذكرها آبن سلّام ، وزاد فيها أبو عمرو :

دعوتم إلى أمر النَّواكة دارِما * فقد تركتكم والنواكَةَ دارِمُ

وكنتَ كذاتِ البوّ شُرِّمت آستُها (٣) * فطابقتَ لما خَرّمتك الغمائم

فلو كنت مولى مسلت ما تجالت (٤) * به ضبع فى ملتقى القوم واحِمُ

ولم يدرك المقتولُ إلا مجرَّه * وما أسْأَرت منه النسورُ القَشاعم (٥)

عليك آبنَ عوف لا تدعه فإنما * كفاك موالِينا الذى جرّ سالم

أتذكر أقواما كفوك شئونهم * وشأنك إلا تركه متفاقِم

(١) تبسل : عبس غضبا أو شجاعة . (٢) أسلمت : خذلت . أربعت : اطمأنت ، من قولهم : أربع القوم إذا أقاموا فى المربع . دلت من التدلية ، يقال : دلاه فى حفرة القبر أى أرسله فيه ، والأسباب : الحبال . (٣) البوّ : جلد الحوار يحشى تبنا فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدر . وشرمت استها : شققت . وانظر اللسان (شرم) وفى الأصول «سرمت» . وطابقت : أذعنت و بخعت . الغمامة : خرقة كالكرة تدخل فى أنف الناقة لئلا تشمّ . (٤) زعموا أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ غرموله وعظم ، فقلبه عند ذلك على القفا ، فإذا جاءت الضبع لتأكله فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته . الحيوان ٥ : ١١٧ (طبعة الحلبى) وتجالل الفحل الناقة : علاها ، وفى الأصول « تحالت » تصحيف ، والواحم : المشتهية للضراب . (٥) أسأرت : أبقت . نسر قشعم : مسنّ .

قال : وقال سويد بن كراع فى ذلك :

أرى آل يربوعٍ وأفناء مالكٍ * أعضُّوك فى الحرب الحديدَ المُنقَّبا[1]

همُ رفعوا فأسَ اللِّجام فأدركت * لَهاتَك حتى لم تَدعْ لك مَشْرَبا[2]

فإن عُدْت عادوا بالتى ليس فوقها * من الشرّ إلا أن تبيتَ مجَحَّبا

٥ وتصبح تُدْرَى الكُعْكُبِيَّة قاعدا * ويُنتَف من لِيتَيْك ما كان أزغبا[3]

— تدرى : تمشط بالمِدْرَى[4] كما يفعل بالنساء، والكعكبية : مشطة معروفة —

فهل سألوا فينا سَواءَ الذى لهم * وهل نحن أَعطَينا سِواه فَتَعْجَبا[5]

ويروى : * فهل سألونا خَصلةً غيرَ حقهم *

وهو أجود .

استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه

١٠ قال : فآستعدتْ بنو عبد الله سعيدَ بن عثمان بن عفّان على سويد بن كراع فى هجائه إياهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متواريا حتى كُلِّم فيه ، فأمّنه على ألّا يعاود، فقال سويد بن كراع :

تقول آبنةُ العوفىّ ليلَى ألا ترى * إلى آبن كراعٍ لا يزال مُفَزَّعا

مخافةُ هذين الأميرين سهّدتْ * رُقادى وغَشَّتنى بياضا تفرّعا[6]

١٢٩/١١

١٥ على غير جُرْم غيرَ أنْ جارَ ظالمٌ * علىّ بجُهْزْتُ القصيدَ المفرّعا

---

(١) المنقب : المثقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضه .

(٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . فأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك .

(٣) الليت : صفحة العنق . الزغب : صغار الشعر . (٤) المدرى : المشط .

(٥) سواء وسوى واحد . (٦) يريد سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه ، كما

٢٠ جاء فى لسان العرب (جزز) . وفيه أن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين . وروايته : «بياضا مقزعا» ورجل مقزع : دقيق شعر الرأس متفرقه لا يرى على رأسه إلا شعرات متفرقة تتطاير مع الريح .

وقــد هابنى الأقوام لمـّا رميتُهم * بفاقرةٍ إن همَّ أنــ يتشجعا (١)

أبيتُ بأبواب القــوافى كأنما * أُصادِى بها سِربا من الوحش نُزَّعا (٢)

أُكالئُهـا حتى أُعَرِّسَ بعــدما * يكونــ سُحَيْرٌ أو بُعَيْــدُ فأهجعا (٣)

فحشّمنى خوفُ ٱبن عثمان رَدَّها * ورِعْيَتَهـا صيــفا جديدا ومَربَعا

نهانى ٱبنُ عثمانَ الإمامِ وقد مضت * نوافِذُ لو تَرْدِى الصــفا لتصدعا (٤)

عوارِقُ ما يَترُكْن لحمـا بعَظْمه * ولا عظمَ لحم دون أن يتمــزَّعا (٥)

أحقًّا هداك الله أن جار ظــالم * فأنكَرَ مظلوم بأن يؤخذا معــا

وأنت ٱبنُ حُكّام أقاموا وقوّموا * قُــرُونا وأعطَوا نائلا غيرَ أقطعا (٦)

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ عن حمّاد الراوية قال :

انتجع بقومه أرض بنى تميم

ٱنتجع سويد بن كراع بقومه أرض بنى تميم ، فجاور بنى قُرَيع بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لأْى بن أنف الناقة بن قُرَيع وأرعاه ، ووصله وكساه . فلم يزل مقيما فيهم حتى أحيا (٧) ، ثم ودّعهم وأتى بغيضا وهو فى نادى قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حماد : ومن لا يعلم يروى هــذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضا ، وهى لسويد بن كراع :

(١) فاقرة : داهية تكسر الفقار . (٢) صاداه : داراه وساتره . (٣) أكالئها : أراقبها وأراعيها . (٤) رداه : رماه . الصفا : الحجارة الصلدة الضخمة واحدتها صفاة .
(٥) عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . وفى ط : « يتجزعا » .
(٦) الاقطع فى الأصل : المقطوع اليد . (٧) أحيا : حسنت حال مواشيه .

ارتعتُ للزّورِ إذ حيّا وأرّقنى * ولم يكن دانيا منّا ولا صَددا (١)

ودونه سَبْسَبٌ تُنْضَى المطىُّ به * حتى ترى العَنْسَ تُلْقِى رحلها الأُجُدا (٢)

إذا ذكرتكِ فاضت عبرتى دِرَراً * وكاد مكتومُ قلبى يَصدع الكبِدا

وذاك منّى هوًى قد كان أضمَرَه * قلبى فما آزداد من نقص ولا نفدا

وقد أرانا وحالُ الناس صالحةٌ * نحتلُّ مربوعةً أُدمانَ أو بَرَدَى (٣)

ليت الشباب وذاك العصر راجَعَنا * فلم نزل كالذى كنّا به أبدا

أيام أعلم كم أعملتُ نحوكُمُ * من عِرمِسٍ عاقِدٍ لم تَرْأَمِ الولدا (٤)

تُصيخ عند السُّرى فى البيد ساميةً * سطعاءَ تنهض فى ميثائها صُعُدا (٥)

كأنّ رَحْلى على حُمْشٍ قوائمه * برمل عِرْنانَ أمسى طاويا وحِدا (٦)

هاجت عليه من الجوزاء ساريةٌ * وَطْفاء تحمل جَوْنا مُرْدَفا نَضَدا (٧)

---

(١) الزور : الطيف . الصدد : القصد والقرب . (٢) سبسب : مفازة . أنضاه السفر : أهزله . العنس : الناقة الصلبة . ناقة أجد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر .

(٣) أدمان : شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل بالحجاز . وربعت الأرض فهى مربوعة : أصابها مطر الربيع . (٤) العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته . (٥) أصاخ له : استمع . سطعاء : طويلة العنق . الميثاء : الطريق المسلوك . (٦) على حمش قوائمه ، أى على ثور وحشى قوائمه حمش أى دقاق ، وهو فى ذلك يتأثر قول النابغة الذبيانى :

كأنّ رحلى وقد زال النهار بنا * بذى الجليل على مستأنس وحد

من وحش وجرة موشىّ أكارعه * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

سرت عليه من الجوزاء سارية * تزجى الشمال عليها جامد البرد

وعرنان : اسم واد دون وادى القرى إلى فيد ، كثير الوحش ، وفى الأصول : « يزيل غرثان » تصحيف . طاويا : ضامرا . وحدا : وحيدا منفردا . (٧) الجوزاء : من بروج السماء . السارية : السحابة تسرى ليلا . سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها ، أو هى الدائمة السح الحثيثة . والجون يطلق على الأسود والأبيض . مردفا : متتابعا متواليا . النضد : السحاب المتراكم .

فألجأته إلى أرطاة عانكة (١) * فيحاء ينهال منها ترب ما التبدا

تخال عطفيه من جول الرذاذ به * منظّما بيدى دارية فردا (٢)

حتى إذا ما انجلت عنه دجنّته (٣) * وكشّف الصبح عنه الليل فاطّردا

غدا كذى التاج حلّته أساورة * كأنما اجتاب فى حرّ الضحى سندا (٤)

وهى طويلة اختصرتها، يقول فيها :

لا يبعد الله إذ ودّعت أرضهم * أخى بغيضا ولكن غيره بعدا (٥)

لا يبعد الله من يعطى الجزيل ومن * يحبو الخليل وما أكدى وما صلدا (٦)

ومن تلاقيه بالمعروف معترفا * إذا اجرهدّ صفا المذموم أو صلدا (٧)

لاقيته مفضلا تندى أنامله * إن يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا

تجىء عفوا إذا جاءت عطيّته * ولا تخالط ترنيقا ولا زهدا (٨)

أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه * خلقا وأوسعه خيرا ومنتقدا (٩)

إذا تكلّف أقوام صنائعه * لاقوا ـ ولم يظلموا ـ من دونها صعدا (١٠)

---

(١) الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل ، وعنك الرمل : تعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عانك : فيها تعقد لا يقدر البعير على المشى فيها إلا أن يحبو ، وفى الأصول « عاتكة » تصحيف . فيحاء : واسعة . التبد : تلبد بعضه على بعض . (٢) العطف : الجانب . جول : جولان . الدارية : المنسوبة إلى دارين . فرد : (كسبب وعنق) : منقطع القرين لا مثل له فى جودته . (٣) الدجنة : الظلمة . (٤) اجتاب القميص : لبسه . السند : ضرب من البرود . (٥) بعد : هلك . (٦) أكدى : بخل وقل خيره . صلد : بخل .

(٧) اجرهدت الأرض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزند : صوّت ولم يور ، ويقال للبخيل : صلدت زناده . (٨) الترنيق : التكدير ، والزهد : القلة . (٩) يقال فى ماله منتقد ، أى سعة . (١٠) الصعد : المشقة .

بَحْرٌ إذا نَكَسَ الأقوامُ أو ضَجِروا * لاقَيتَ خيرَ يديه دائمًا رَغَدا[1]

لا يَحسِبُ المدحَ خَدْعا حين تَمدَحه * ولا يَرَى البُخلَ مَنْهاةً له أبدا

إنّي لَرافِدُه وُدّى ومَنْصَرتى * وحافِظٌ غيبَه إن غاب أو شَهِدا

صــــوت

حَنَتْني حانياتُ الدهرِ حتّى * كأنّى خاتِلٌ يدنو لِصَيْدِ

قريبُ الخَطْوِ يَحسِبُ من رآنى * — ولستُ مقيَّدا — أنّى بقَيْدِ

عروضه من الوافر . الخاتل : الذى يتقتّر[2] للصيد ويَنحنى حتى لا يُرَى . ويقال لكل من أراد خِداع صيدٍ أو إنسانٍ : ختله ، وَرّى أمرَه فلم يُظهره . ومن رواه : «كأنى حابل» فإنه يعنى الذى يَنصِب حِبالةً للصيد . الشعر لأبى الطَّمَحان القَيْنى . والغناء لإبراهيم ماخورىّ وهو خفيف الثقيل الثانى بالوسطى . وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر للمسجاح بن سِباع الضبىّ ، فإن كان ذلك على ما قال فلأبى الطمحان ممّا يُغنَّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أنّه له قوله :

صــــوت

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووُجوهُهم * دُجَى اللّيلِ حَتّى نَظّمَ الجزعَ ثاقِبُهْ

الغناء لعريب ثانى ثقيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتزّ أن خفيف الرمل لها ، وأن الثقيل الثانى لغيرها .

***

تم الجزء الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر

وأوّله أخبار أبى الطمحان القينىّ

---

(١) نكس رأسه : طأطأه . (٢) يتقتر : يتهيأ .

فهرس

الجزء الثانى عشر من كتاب الأغانى

تراجم هـذا الجـزء

فهـــرس الشـــعراء

(ا)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهــرس رجال الســند

(خ)

(د)

فهرس المغنين

(أ)

فهـــرس رواة الألحان

فهـــرس الأعـــلام

(غ)

(هـ)

فهـــرس القبـائل

(أ)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

فهـــرس الأماكن

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

فهـرس أسمـاء الكتب

فهـــرس القـــوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
إنّ	المَوْصِلِ	كامل	٨٦	٣
أَصلاحُ	وَتبذّلى	«	٣٣١	٥
إذ ظَلّ	فيحولُ	«	١٥٥	١٨
أخطأتَ	لا محالهْ	مجزوء الكامل	٣٢٠	١١
حاولتَ	لا المحالهْ	«	٣٢٠	١٩
أمرعَتْ	جمالا	سريع	١٠٥	٢٠
ما تمَّ	إلى الليل	«	١٥٠	١٣
الشِّعرُ	النّبْلِ	«	١٦٠	٩
خطراتُ	الطُّلولِ	خفيف	١٤٧	١١
إنّ	تَحلوهْ	رجز	٢١١	٤
لعمرك	تنتقلُ	هزج	٣٣٤	١٣
شربتَ	بالا	وافر	٢٠١	١٥
أجَدَّ	الجمالا	«	١٦٧	٥
يكون الخالُ	والجمالا	«	٨٨	١٠
أجَدَّ	مجالا	«	١٥٨	١٤
إذا وعدتْك	والمطالا	«	١٦٢	١٤
فإنْ	لا أُبالى	«	١١٥	١٥
أناديهمْ	كالجبالِ	«	٢٠٦	١٤
أبعدَ	الرِّجالِ	«	٢٠٧	١
تمادى	السُّيولُ	«	١٤٦	١٧
ولمّا	بَلَيْلِ	«	١٩٩	١٧
أكلتْ	الوَبيلِ	«	٢٦٩	٩

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
	(م)			
إنْ	جَمّا	رجز	١٣	٨
يا راكبَ	العَلَمْ	«	٢٤٦	٨
دعْها	فى الغَنَمْ	«	٢٤٧	٢
إنّ	يُكَلَّم	كامل	٢٥٩	٥
قد علمتْ	أجذَمُ	«	٢٠٧	١٧
أظلومُ	ظُلْمُ	«	٧٦	١٤
للغانيات	قديمُ	«	١٦٠	٣
ما هاجَ	لأمّ عاصمْ	مجزوء الكامل	١٢١	١٦
تبارى	شَيخاهما	متقارب	٣٣٧	٥
سأبكى	الأكرمُ	«	٢١	١٨
لنا صاحبٌ	صارمُ	«	٣٢٤	١
نفسُ	عِصاما	رجز	١٠٠	١٠
أنّى	عُصُما	منسرح	٢١٠	٦
لا عيشَ	تَسلَمِ	«	٦٩	٧
أحولَ	من الظُّلَمِ	«	٧٠	٤
هل	فالنّدام	بسيط	١٣٩	٦
نفسى	مُهتضَمِ	«	١٠١	١٠
أآلآن	مسجومُ	«	٣٨	٩
طربتُ	حَماما	وافر	١٦١	١
قفا	وهجرتُماها	«	١٩٧	٧
قفا	وهجرتُماها	«	١٩٢	١٧
لعمرك	ولا سَنامِ	«	٥٨	٧

فهـــرس أنصاف الأبيـات

مرتبـــة حسب أوائل كلماتهـــا

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــرس الأمثـال

فهـــرس الموضـــوعات

صفحة

خبر مقتل الوليد بن طريف

بعض أخبار عبد الله بن طاهر

أخبار متفرقة

صفحة

أخبار أبى زبيد ونسبه

صفحة

أخبار متفرقة

أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه على بن أمية وما يغنى فيه من شعرهما

صفحة

بعض أخبار لابن أبى عتيق

نسب المتوكل الليثى وأخباره.

نسب الأفوه الأودى وشىء من أخباره

أخبار منظور بن زبان

خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

أخبار أبى وجزة

أخبار عقيل بن علّفة

أخبار أبي الأسود الدؤلي

أخبار أبى نفيس ونسبه

أخبار سويد بن كراع ونسبه

بيان

روجع هـذا الجزء على النُّسَخ التى رُمِز إليها فى الأجزاء السابقة بالحروف : ا ، ج ، م ، ب ، س ، ط ؛ وقد وُصفت جميعُ هذه النسخ فى مقدّمة الجزأين : الأوّل والثانى من هذه الطبعة . وروجع أيضا على نسخة مصوّرةٍ بدار الكتب المصرية برقم ١٩٠١٨ ز ، مأخوذة من معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربيـة عن النسخة الخطّيّة المحفوظة بمكتبة « فيض الله » بالآستانة تحت الأرقام : ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ . وقد رُمِز إليها بالحرف « ف » .

وأصل هذه النّسخة نسخة تقع فى أربعة وعشرين مجلدا ، كتبت سنة ٥٢٦ ، وجاء فى آخرها ما نصه : « كتب هذا الجزءَ والأجزاء التى قبلَه ، التى تشتمل على جملة الكتاب ، وهى أربعـة وعشرون جزءا هبـةُ الله بن على بن مسعود بن إبراهيم ابن عبد الحميد الطبيب ، حامدا اللهَ تعالى ، مصلّيًا على نبيّه محمد المصطفى ، وعلى آله الأخيار ، وسلّم تسليما . وفرغ منها فى جمادى الأولى من سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . ربِّ أنعمتَ فزِد ، وآختم بخير فى طاعتك » .

والموجود من أجزائها : الثامن ، والتاسع ، والثـانى عشر ، والخـامس عشر ، والسادس عشر ، والتـاسع عشر ، والحـادى والعشرون ، والثالث والعشرون ، والرابع والعشرون .

وفى أوّل كل جزء نصّ وقفيّة للكتاب كلّه ، وقفَها عبد الباسط بن خليل الشافعىّ على خزانته بالخانقاه التى أنشأها ، بخطّ الكافورى ، مؤرّخةٍ فى ١٤ شعبان سنة ٨٢٦ ،

وبالصفحة الأولى من كلّ جزء حِليةٌ منقوشةٌ بنقوشٍ عربيةٍ، بداخلها بيانُ الجزء وآسم مؤلّف الكتاب، وبكلّ جزء فهرس بمحتَوياته .

وهذه النسخة مكتوبةٌ بالخطّ النّسخ، ومِسْطرتُها ١٥ سطرا .

وورد فى آخر الجزء الثانى عشر هذه العبارة : « طالع الفقيرُ فى هـذا المجلّد . وآنتقَى منه ما آحتاجه لشرح شواهد مغنى اللبيب، وشرح شواهد الرضىّ على الكافية الحاجبيّة . كتبه عبد القادر البغدادى سنة ١٠٧٣ » .

وفى آخر الجزء السادس عشر، والثالث والعشرين أيضا ما يثبت مطالعة عبد القادر البغدادى لها .

* * *

ويبدأ الجزء الثامن ببقية أخبار «جميل» ، وينتهى بآخر أخبار «سلّامة القَسّ» وقد ذكرت فى هذا الجزء أخبارُ حارثة بنِ بدر، وهى مما لم تذكر فى طبعة بولاق، وقد أورد «برونو» هذه الأخبار فيما أسماه الجزء الحادى والعشرين. وفى هذا الجزء سَقْط يقع بعد النصف الأوّل من لوحة ٨٨، يحتوى على آخر أخبار حارثةَ بن بدر وأخبار أبى دُلَف .

والجزء التاسع يبدأ بأخبار العباس بنِ الأحنف ، وينتهى بأخبار الأشهب ؛ وفى أخبار الأشهب سَقْط يقع بعد نهاية لوحة ١٦٥، وهو يوافق ص١٦٨سطر١٧ إلى ص ١٦٩ سطر ١٦ من الجزء الثامن من طبعة بولاق .

والجزء الثانى عشر يبدأ بأخبار «علوية» وينتهى بأخبار «أبى الأسود الدؤلى» . وفى أخبار « أبى وجزة » بعد نهاية لوحة ١٥١ سقط يوافق ص ٨٥ س ٧ إلى ص ٨٦ س٥ من الجزء الحادى عشر من بولاق، ويوجد بعد نهاية لوحة ١٥٦ أيضا سقط يوافق فى بولاق ص ٩٠ س ٢٠ إلى ٩٧ س ٢١ من الجزء الحادى عشر .

والجزء الخامس عشر يبدأ بذكر «حبابة» وينتهى بأخبار « يوم الكديد وقتل ربيعة بن مكدم» وفى ترجمة «عمرو بن معد يكرب» سقط يقع بعد النصف الأول من لوحة ٥٠ إلى آخر ترجمته، وهو فى بولاق من ص٣٢س ١٧ إلى ص ٣١ س ٢٠ من الجزء الرابع عشر . ويلاحظ أن السقط الموجود فى بولاق ص ١٢٩ موجود فى آخر هذا الجزء وأول الجزء السادس عشر .

والجزء السادس عشر يبدأ بأخبار « عنترة » ، وينتهى بأخبار « ذات الخال » . ويلاحظ أن أخبار عنترة الموجودة فى هذا الجزء تقع فى الجزء السابع ص ١٤٨ — ١٥٣ من بولاق . وفى ترجمة « أحمد بن يحيى المكّى » بعد نهاية لوحة ١٢١ سقط يوافق فى بولاق ص ٦٦ س ٤ وينتهى فى ص ٦٧ س ٣ من الجزء الخامس عشر . وفى أخبار « ذات الخال » بعد نهاية اللوحة ١٣٨ سقط يوافق فى بولاق من ص ٨٢ س ٢٧ إلى ص ٨٣ س ٢٦ من الجزء الخامس عشر .

والجزء الثامن عشر يبدأ بأخبار « أبى عطاء السندى » وينتهى بأخبار « أشجع السلمى » ، وفى آخر أخبار أبى عطاء سقط يتناول آخر أخباره وأول أخبار « خالد بن يزيد ورملة » ويوافق فى بولاق ص ٨٣ س ٢ إلى آخر ص ٨٩ من الجزء الخامس عشر . وفى أخبار « ذى الرمّة » بعد نهاية لوحة ٤٤ سقط يقع فى بولاق ص ١٢٥ س ٤ إلى ص ١٢٦ س ١ من الجزء الخامس عشر .

والجزء التاسع عشر يبدأ بأخبار « يزيد بن مفرّغ » وينتهى بأخبار « عويف القوافى » ، وفيه ترجمة كاملة « لمسلم بن الوليد » وهى غير موجودة فى بولاق . وتوافق مانقله المستشرق « دى غويه » فى آخر ديوان مسلم بن الوليد المطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ نقلا عن نسخ ميونخ ؛ وفى هذا الجزء أيضا أخبار عروة

آبن أذينة ، ومخارق ، وأبي محجن ، وزهير بن جناب ؛ مما لم يذكر في بولاق ، وهو مما نشره « برونو » في الجزء الذى أسماه الحادى والعشرين .

والجزء الحادى والعشرون يبدأ بأخبار « خالد بن زيد الكاتب » وينتهى بأخبار « هدبة بن خشرم » . وفيه أخبار تأبط شرا . وفيه من أخبار خالد بن زيد الكاتب ، والمسدود ، وسلمة بن عيّاش وأم جعفر ، وأيمن بن خريم ، وحجيّة ابن المضرّب ، وأبى الهندى ، وسعيد بن وهب ، ورؤبة بن العجاج ، وعمرو بن براق ، والشنفرى ، والخليل بن عمرو ، وعلقمة بن عبدة ، وأبى خراش الهذلى ، وآبن دارة ، ومسعود بن خرشة ، وبحر بن العلاء ، وهدبة بن خشرم ؛ مما لم يذكر في طبعة بولاق ؛ وهى مما أورده «برونو» أيضا في الجزء الحادى والعشرين .

والجزء الثالث والعشرون يبدأ بأخبار « مرّة بن محكان » ، وينتهى بأخبار « محمد بن الحارث » وفيه زيادة عن طبعة بولاق أخبار أبي حشيشة ، وعنان ، والحسن بن وهب ، وفيه أخبار محمد بن عبد الملك الزيات تزيد عما في بولاق بمقدار ٨ صفحات .

والجزء الرابع والعشرون يبدأ بأخبار « مانى الموسوس » ، وينتهى بأخبار «عمارة» ، وفيه زيادة عن بولاق أخبار «أبى صخر الهُذَلى» — مما هو موجود في الجزء الحادى والعشرين — وأخبار « يحيى بن أبى طالب » وهى غير موجودة في بولاق . وهذا الجزء هو آخر الكتاب في هذه النسخة .

استدراكات خاصة بهذا الجزء

صفحة	سطر	
٨	١٣	ورد ما نصه : «وكان على نهر بنجران يقال النحيردان» والصواب : « وكان على نهر بنجران يقال له النحيردان » .
٩	..	ورد بالعنوان الجانبي قــوله : « خطب يزيد بن عبد المدان وعامر ابن المصطلق بنت أمية بن الأسكر فزوّجها ليزيد » . والصواب : « خطب يزيد بن عبــد المدان وعامر بن الطفيل بنت أمية ابن الأسكر فزوّجها ليزيد » .
٣٧	..	ورد بالعنوان الجانبي قوله : « وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت وقصتهما فى ذلك » . والصواب : « وفد على مخلد بن يزيد ومعه الكميت وقصتهما فى ذلك » .
٦٩	٧	ورد البيت الآتى هكذا : لا عيش إلا بمالك بن أبى السمـ * ـح فــلا تلحـــنى ولا تـــلم والصـــواب : لا عيش إلا بمالك بن أبى الســـمح * فــلا تلحـــنى ولا تـــلم
..	١١	ورد البيت الآتى هكذا : قد كنت فيه ومالك بن أبى السمـ * ـح الكريم الأخلاق والشـيم والصـــواب : قد كنت فيه ومالك بن أبى الســـمح * الـكريم الأخلاق والشـيم

صفحة	سطر	
٧٠	٤	ورد البيت الآتى هكذا : أحول كالقرد أو كما يخرج الـ * ـسـارق فى حالك من الظلم والصـواب : أحول كالقرد أوكما يخـرج الـ ـسّـ * ـارق فى حالك من الظـلم
٢١٧	١٤	ورد : « أخبرنا يحيى بن الحسن قال : بلغـنى أن أعرابيـا وقف على مروان بن عبد الحكم أيام الموسم فى المدينة » . والصواب : « مروان بن الحكم » .
٢٣٣	١	ورد : « عن أحمد بن خيثمة » . والصواب : « عن أحمد بن أبى خيثمة » .
٢٤٦	٣	ورد ما نصه : « فقالت زينب أم وجزة تجيبه » . والصـواب : « فقالت زينب أم أبى وجزة تجيبه » .
٢٥٨	٠٠	ورد بالعنوان الجانبى : « شدّ على ابنه علّفة بالسيف فحاد عنه » . والصواب : « شدّ على ابنه عمّلس بالسيف فحاد عنه » .
٣٥٢	١٢	ورد : « أخبار ابن أبى نفيس » . والصـواب : « أخبار أبى نفيس » .

إصلاح خطأ

خطأ	صواب	ص	س
لمتحنه	لتمتحنه	٦	٦
بآبن	يآبن	١١	٩
أ. لت	أجزلت	٢٥	٥
ناية	كناية	٣١	٢١
قالا	قال	٣٦	١٣
فوراس	فوارس	٤٢	١٢
إلحاف	آلحاف	٤٦	٤
آمرأة	امرأة	٥٦	١١
أمُّ	أمّ	٦٧	١٤
السياط	السباط	٧٥	٤
نجمع	يجمع	٧٨	١٩
بالضمخامة	بالضخامة	٧٨	٢٦
والارتفاغ	والارتفاع	٧٨	٢٧
بال ول	بالغـول	٧٨	٢٧
رقّ	رقّ	٨٤	٢
اولا	أولادِ	٨٤	٧
قُبلةٌ	قبـلةَ	٨٨	١٦
بن	ابن	٨٩	٧

خطأ	صواب	ص	س
شدًّا	شدًا	٨٩	١٩
حَبْـلِ	حَبْـلَ	٩٦	١٤
لم تبعدَ	لم تبعدْ	٩٩	١٠
ينزلَ	ينزلُ	١٠٦	٢
يا آبن	يابن	١١٦	١٦
اقِض	أَقْض	١٢٠	٨
النظ	النظـرِ	١٢٣	٦
خَف	خَفَرِ	١٢٣	١٣
الشُنان	الشَنان	١٢٥	٥
واجـ ب	وأجرب	١٢٥	١١
المِطْرَفِى	المُطْرَفِى	١٣٨	١٠
فعـا	فعاما	١٦١	١١
كسيحان	كسحبان	١٦٦	٩
حنو	جنوء	١٧٧	١٤
يا عبدا بن	يا عبد بن	١٩٧	١٣
لياتهم	ليلتهم	١٩٩	١٢
عمرون .	عمرو	٢١٤	١٢

خطـأ	صـواب	ص	س	خطـأ	صـواب	ص	س
أما سلفت	ما أسلفت	٢٣٠	١٨	ويحُ	ويحَ	٢٨٥	٩
نَجدِها	نَجلِها	٢٤٩	١٠	عبيد الله	عبد الله	٢٩٩	٦
عبيد الله	عبد الله	٢٥٨	١٠	اللهِ	اللهَ	٣١٠	١٧
دعج	دعيج	٢٧٨	ع ج	حِيّ	حَيّ	٣١٢	١٧
يحيي ابن	يحيي بن	٢٨٢	٨	صرس	ضرس	٣١٦	١٩

***

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الثاني عشر من كتاب "الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني" بمطبعة دار الكتب المصرية في شهر رمضان المعظم سنة ١٣٧٣ (مايو سنة ١٩٥٤) م

محمود عثمان الرزاز

مراقب المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨/٢٣/٤٠٠٠)

